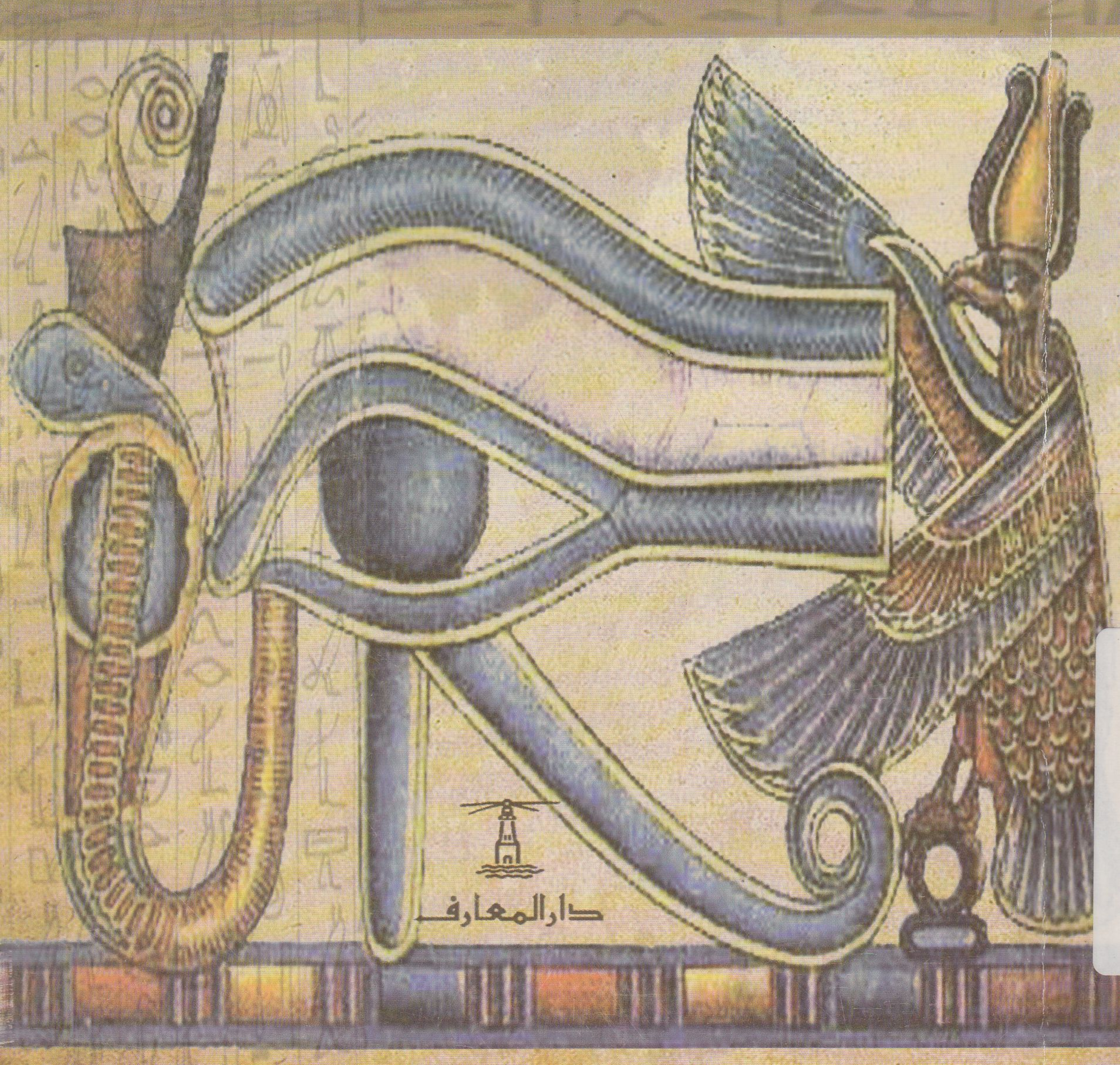
نجلاء حبيب الزحلاوى

الطب والعلاج في مصر القديمة



الطب والعلاج
فى مصر القديمة

نجلاء حبيب الزحلاوى



بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الزحلاوى ، نجلاء.
الطب و العلاج فى مصر القديمة
تأليف : نجلاء حبيب الزحلاوى
ـ ط ١ ـ القاهرة : دار المعارف ، (٢٠١١) .
٢٢٤ ص ، ٢٤ سم
تدمك : ٩ ـ ٧٥٠٠ ـ ٠٢ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨ .
١ ـ الطب القديم . ٢ ـ الطب المصرى
أ) العنوان .

ديوى ٦١٠.٩

رقم الإيداع ٢٧٠٢ / ٢٠١١ ١٩ / ٩ / ٢٠٠٩ /١

تصميم الغلاف: الفنان **شريف رضا**

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر: دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة – ج. م. ع
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

إهداء

إلى والدى العزيز

الأديب الكبير الأستاذ

حبيب الزحلاوى

مقدمة

أقدم هذا الكتاب عن الحضارة المصرية القديمة كي يبرز بعضا من الأبعاد الحقيقية لهذه الحضارة المؤثرة فى الحضارة العالمية فى جميع المجالات خلال الأزمنة المتعاقبة، فقد انبهر العالم منذ القدم بما أنجزه المصرى فى مجال العمارة من مقابر وأهرامات ومعابد منحوتة فى الصخور الصلبة بعمق قد يصل أحياناً إلى ٦٤ متراً كما هو الحال فى معبد (أبو سمبل)، وتفوق المصرى فى الهندسة الإنشائية كما هو واضح فى المقبرة الملكية بتل العمارنة على سبيل المثال.

إن سر عظمة وخلود هذه الحضارة يكمن بين سطور هذا الكتاب التى تعكس الصورة الحقيقية للإنسان المصرى القديم، كيف فكر المصرى وكيف نما فكره هذا وكيف تمت التطبيقات العملية لهذا الفكر، فقد برع المصرى أيضا فى تصنيع الأثاث المنزلى وأدوات الحياة اليومية كما تعكسه معظم الآثار المنقولة المتخلفة عن هذه الحضارة، واهتم المصرى بالزراعة وأنبت أجود المحاصيل من حبوب وفاكهة وأعشاب وأشجار استغل منتجاتها أحسن استغلال فى تحضير غذائه وفى إعداد المستحضرات الطبية المتنوعة.

وانتبه المصرى لأهمية الرياضة الجسمانية فمارسها كما هو مبين على جدران بعض المقابر فى المنيا. ولمس أهمية العلوم الفلكية فوضع أسسها، وتطلع إلى الطبيعة واندمج فى معطياتها وتفكر فى كيفية خلق الكون والروحانيات المتصلة بعملية الخلق، فسطر الأسس الخلقية والإنسانية فى التعامل والسلوك الأمثل.

وبرع المصرى فى فنون الحرب للدفاع عن كيانه ورد العدوان عن أراضيه يقابلها الدبلوماسية الواعية من خلال إنشائه لأول إدارة خاصة للعلاقات السياسية الخارجية بين مصر والدول المحيطة الناشئة آنذاك خلال عهد إخناتون، واعتبرت أول وزارة خارجية فى العالم إن جاز التعبير.

يدين العالم لمصر بالريادة فى مجالات متعددة، وإنى أعرض فى كتابى هذا جانبا آخر من جوانب التفوق والإبداع للمصرى القديم الذى يقدم لنا نتاج علم وعمل وترابط أسس.. فهذه الحضارة هى قدوة وحافز على النهوض المستمر بالكيان المصرى المتطور.

تطلع أيها القارئ إلى حضارة الماضى حتى يتسنى لك المضى قدما نحو مستقبل أفضل.

إننى أقدم لك أيها القارئ هذا الكتاب بصورة مبسطة ليسهل عليك متابعة بعض تفاصيل تاريخ وحضارة مصر الخالدة التى لم يتوقف نبع الحضارة فيها فتوالت حقبات الزمن على تنوع متطور وشامل.

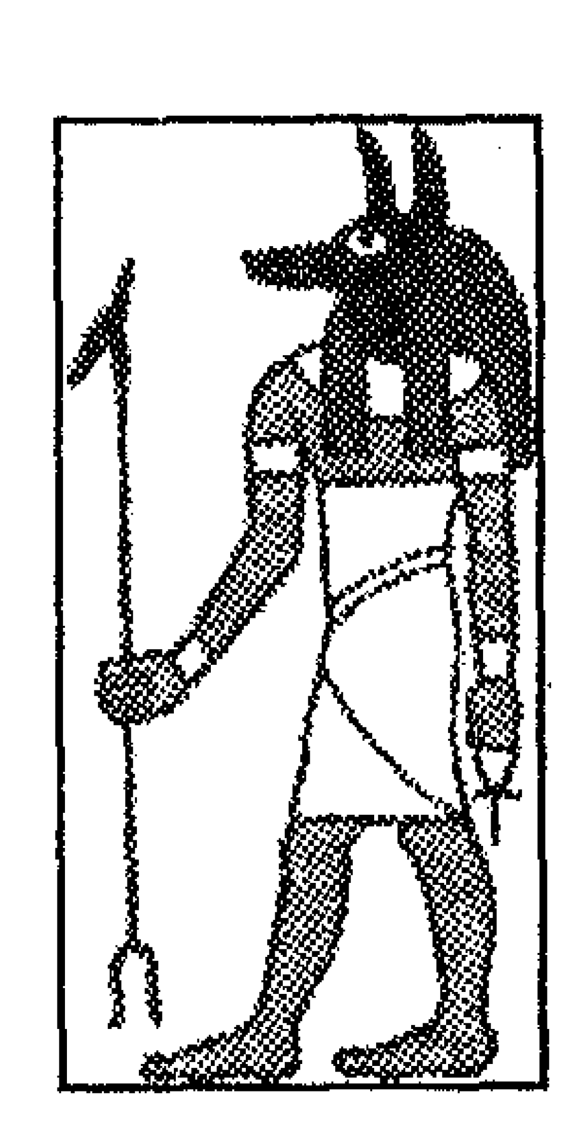
يتناول هذا الكتاب الطب بمعناه الشامل وهو معرفة الداء ووصف الدواء والعلاج، ويعرض الكتاب ممارساته خلال العصور التاريخية المختلفة، ويبرز كفاءة الطبيب المصرى حيث كان كل طبيب متخصصا فى مجال محدد.

وقد تناولت التطبيب والعلاج ولهما محاور ثلاثة مازالت تمارس إلى يومنا هذا، **فالمحور الأول** هو الطب التقليدى الذى مارسه الأطباء طبقا لنهج الأقدمين، وكان لعلاجاتهم مؤثراتها العالمية إلى يومنا هذا، وكان الطبيب بصفة عامة حريصا على علاج الأمراض بشتى الطرق وركز على واجباته فى سبيل تحقيق الشفاء، فتحلى بسلوك إنسانى اتبع فيه منهجا سليما من متابعة حالة المرضى عن قرب للتخفيف من آلامهم وعلاجهم بقدر المستطاع، أما **المحور الثانى**، فينحصر فى طب الأعشاب واستعمالاتها المتنوعة، فلكل مرض مواده المؤثرة فى العلاج، أما **المحور الثالث** فينحصر فى الطب النفسى أو ما اصطلح على تسميته بالسحر، ولكل مجال ملابساته وتطبيقاته، إذ يلجأ الطبيب الممارس إلى العلاج النفسى إذا ما تعذر العلاج الطبى التقليدى.

إننى أهدى هذا الكتاب بصفة خاصة إلى كل قارئ أو دارس أو عاشق لتاريخ مصر كى يتأكد أن إنسانية الإنسان لا يعادلها إلا العلم وتطبيقاته المختلفة التى وضع المصرى أسسها الراسخة، فقد تفوق فى شتى المجالات واستحق بجدارة من الإنسانية جمعاء كل التقدير والاحترام، إنه احترام لعقل وقدرات الإنسان الواجب تنميتها بالإبداع الفكرى والعملى فى شتى النواحى الحياتية.

إن من واجبنا أيها القارئ الغوص فى أغوار علوم وممارسات الطبيب المصرى كى نستزيد من هذه العلوم ونحلل مركباته الدوائية بمنظورنا الحديث كى تستنير الإنسانية من علوم الأجداد وخبراتهم العملية التطبيقية.

المؤلفة
نجلاء الزحلاوى



أنوبيس
رمز التحنيط

الفصل الأول

مصادر طبية

بدأ المصرى القديم مزاولة الطب منذ ٤٠٠٠ عام ق. م خلال حضارة البدارى، حيث إن ممارسة الطب بدأت مع المعرفة التامة بفنون تشريح الجسم البشرى عند التحنيط.

وترجع معظم المعلومات المهمة التى نعرفها حاليا عن الطب المصرى القديم إلى البرديات المكتشفة، والفحص الدقيق للعديد من المومياوات التى تمت دراستها ليس فقط تشريحيا والتى ألقت الضوء على العديد من الجوانب، ولكن بالتقنيات الحديثة أيضا.

وأهم هذه البرديات برديتا إدوين سميث وإيبرز اللتان تحملان اسمى من حصل على حيازتهما، وبردية كاهون أو اللاهون التى تتناول الأمور النسائية وغيرها مثل بردية برلين، وبردية هيرست، وإيرمان، وتشستر بيتى، وبردية لندن، والرامسيوم، وبردية لايدن، وبروكلين، وكارلسبرج، وتحفظ هذه البرديات حاليا فى بلدان مختلفة منها لندن، وليبزج، ونيويورك وغيرها.

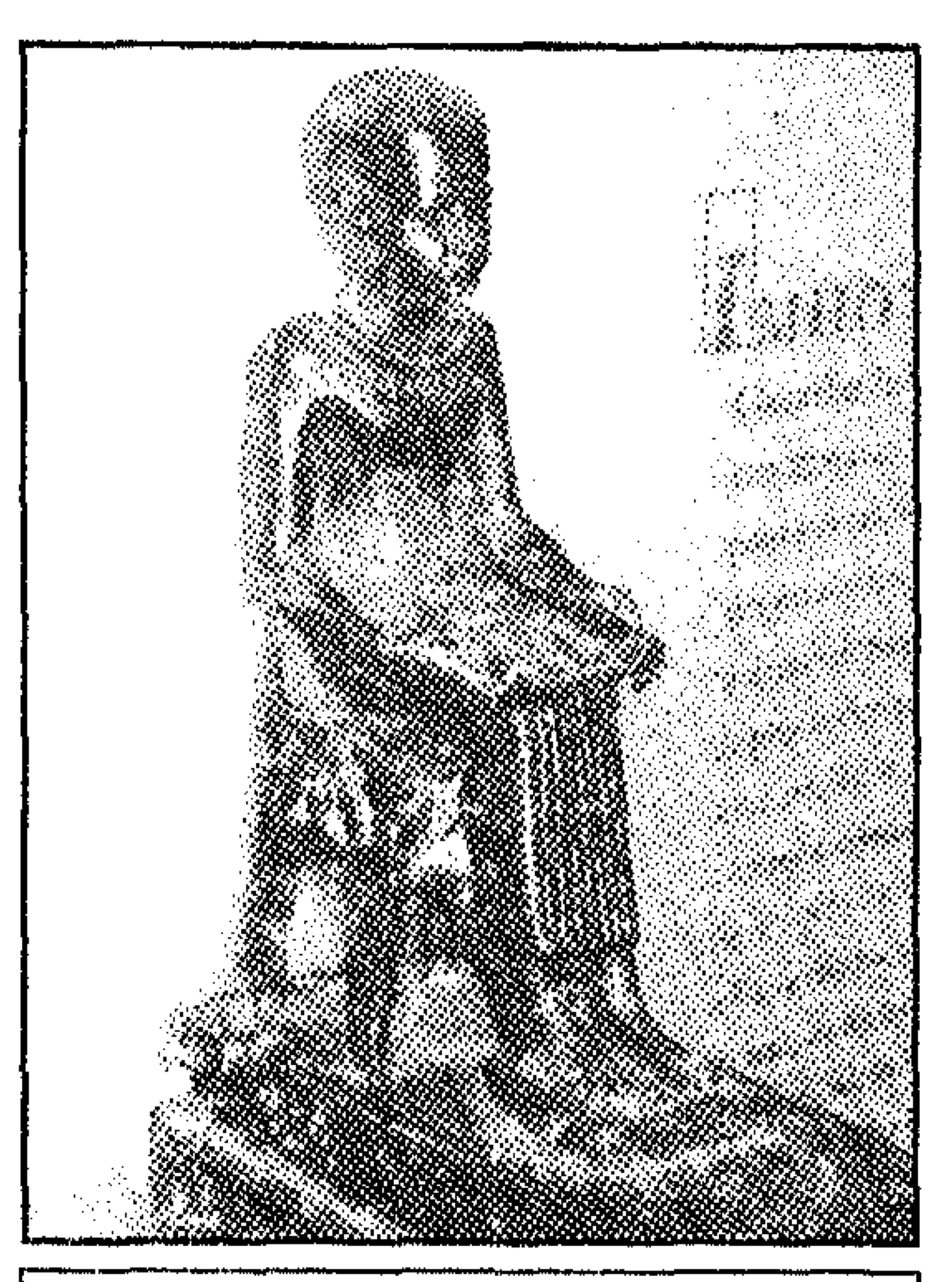
وتتناول معظم هذه البرديات المرض وطريقة تشخيصه والوصفة العلاجية اللازمة له، كما بحثت الحالات الجراحية المتعددة الناتجة عن إصابات، فى ميدان القتال أو أثناء العمل فى التشييد والبناء، وتناولت البرديات إصابات الفلاح الناتجة عن ظروف عمله فى الحقل مثل مرض البلهارسيا والأنكلستوما والأمراض العديدة التى أصابت كل أجزاء الجسم البشرى سواء الرجل أم المرأة أم الطفل وحتى الحيوانات.

وترجع أقدم بردية، للقرن السابع عشر ق. م، وقد كتبت فى عصر الدولة الوسطى نقلا عن نصوص قديمة قد ترجع إلى كتابات ودراسات إمحوتب الطبية وربما أقدم أحيانا.

ويبحث محتوى بردية سميث وراء أسرار الجسم البشرى، وتعتبر أقدم بحث جراحى علمى لأقدم باحث وهو ربما إمحوتب ٢٦٠٤ ق. م، ويرجع تاريخ محتواها للقرن الثلاثين ق. م، وتشمل حوالى ٤٨ حالة جراحية كاملة تندرج من قمة الرأس إلى أسفل العمود الفقرى وتشمل على تشخيص الحالات الجراحية وطرق علاجاتها المختلفة.

حمل إمحوتب لقب إدارى القصر الملكى ومستشار الملك وبالرغم من كونه المهندس الذى صمم منشآت الملك زوسر إلا إنه اشتهر بممارساته الطبية التى أودعها فى كتب طبية استرشد بها الكثيرون فيما بعد.

وقد نسـب محتوى بردية سميـث لكتابات امحوتب الطبية التى ترجع للقرن الـ ٢٧ ق. م. مع آخرين كما هو واضـح من خلال البردية التى تذكر حالة علاجية مهمة، وهى علاج الصدمة كما ذكرت بعض الدهانات ضد تجاعيد الوجه وعلاجات أخرى متعددة ومتنوعة.

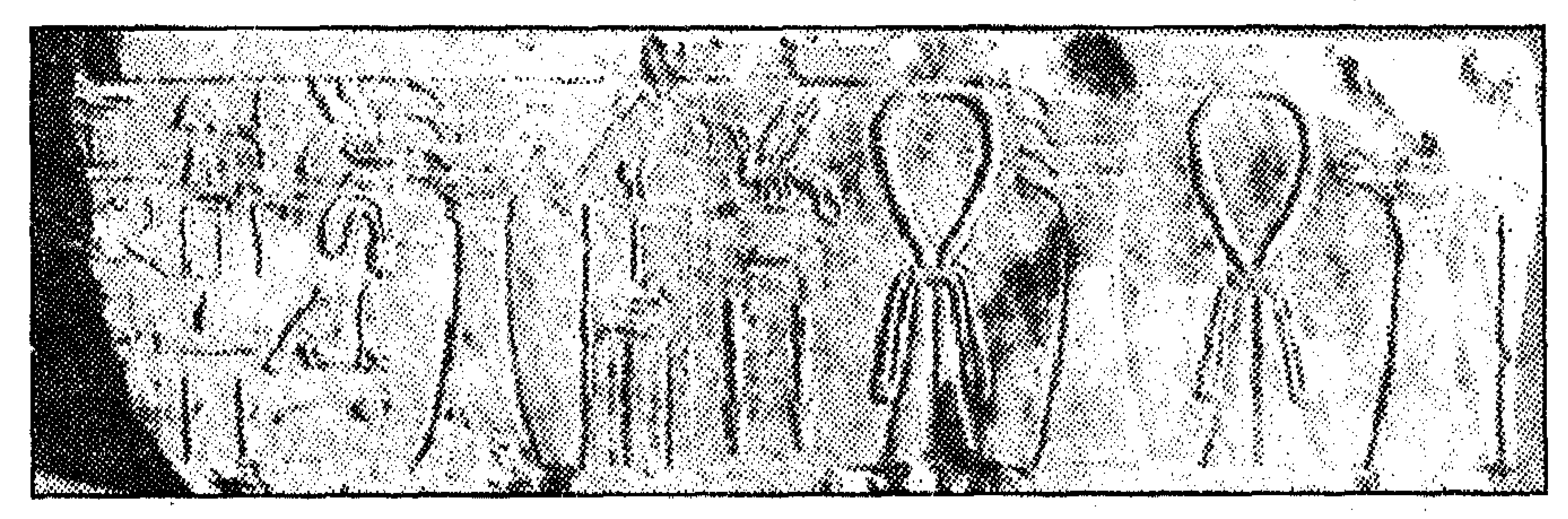


يعرض هـذا التمثال لإمحوتب ويرجع للقرن ٢٧ ق. م بمتحف اللوفر بباريس

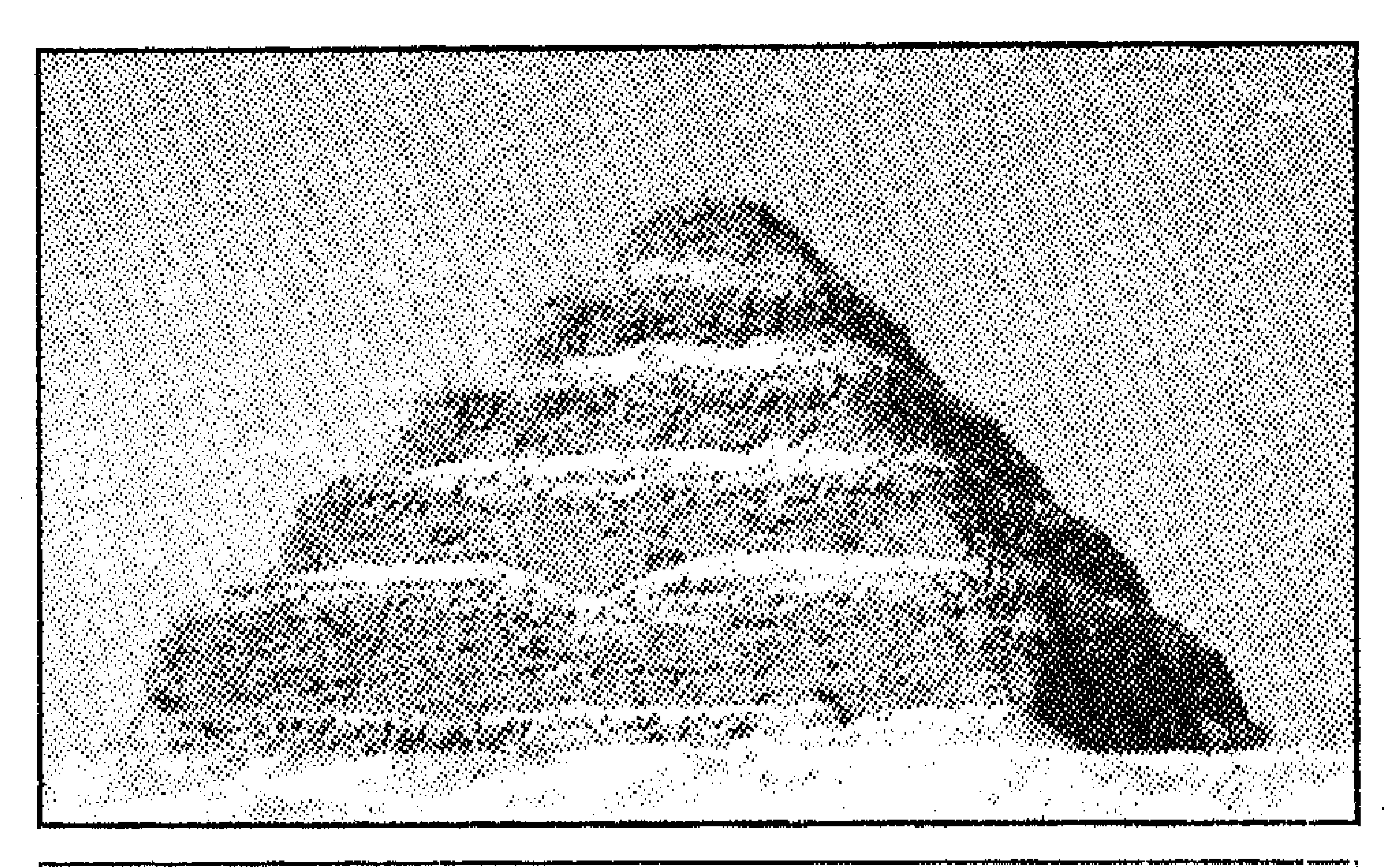
وينسـب إلى إمحوتـب بناء مدرسـة طبيـة فى منف لتدريس العلوم الطبية وإعداد الأطباء وتدريبهم، ولكن من المؤكـد أنه يمثل الشـخصية الطبية المؤثـرة، فقد عالج ما يقـرب من مائتى حالة مرضيـة، منها ١٥ لمنطقة البطن، ١١ للمثانة، ١٠ للشـرج، ٢٩ للعين، ١١ للجلد والشـعر والأظافـر واللسـان، كما عالج مرض السـل، والحصوات المراريـة، والزائدة الدودية، والنقـرس والتهاب المفاصل، كما مارس بعض الجراحات وعلاج الأسنان.

واستخرج أمحوتب الدواء من الأعشاب البيئية المختلفة، وهذه الشخصية العظيمة أثرت فى الطب الذى تناقله الإغريق فيما بعد ومارسـوه اقتداء بكتاباته فى المجالات الطبية التى أجادها، فقد كان على دراية تامة بالدورة الدموية داخل الجسم وموضع الأعضاء الحيوية ومكانها المحدد داخل الجسم البشـرى وعلاقتها بباقى الأعضاء. وقد أفاد أمحوتب البشـرية كثيرا وحظـى باحترام الكثيرين منذ الأزمنة الأولى حيث بنيت له المعابد لتصبح مراكز لتعليم العلوم الطبية وتدريب الأطباء المارسين.

وقد ذكره عالم المصريات الشـهير هنرى بريسـتد بهذه الكلمات: «فى الحكم الكهنوتية، فى السحر، فى تلاوة الأمثال والحكم، فى الطب والهندسة، خلفت هذه الشخصية الفريدة من عهد زوسر سمعة طيبة خلدت اسمه، فقد كان كبير الكتبة الذين يذكرونه دائما بصب ماء التطهر قبل البدء فى عملهم».



نقش هيروغليفى لاسمى زوسر وإمحوتب الذى بنى مجمع زوسر.. مدرج سقارة والمعابد



اعتبر إمحوتب أول من استعمل الحجر فى البناء فهو مصمم هذا المبنى المدرج والمبانى المحيطة به فى منطقة سقارة

ولأهمية أمحوتب في مجال الطب واعترافا من العالم بمكانته ودوره الحيوى فى هذا المجال، كتبت الإنسيكلوبيديا البريطانية Encyclopedia Britannica الآتى:

«تؤكد الدلائل المقدمة من المصريين واليونانيين على احترام سمعة إمحوتب منذ القدم.. وقد ذاع صيته على مر القرون وكانت المعابد المخصصة له خلال العصر اليونانى مراكز لتعليم الأسس الطبية».

ويضيف سير ويليام أوسلر Sir William oslar: «لقد كان إمحوتب أبا الطب الأول، فهو أول من تصدى لعلوم الطب خلال العصور الأولى».

ومن مآثره الفلسفية: «كل واشرب وكن سعيدا فغدا سوف تموت»، ومن منطلق هذه الحكمة المتصلة بالحياة، كان اهتمامه بالصحة العامة للبشر.

واشتهر أمحوتب من خلال الذاكرة الجماعية بقدرته على زيادة خصوبة المرأة العاقر والقضاء على عقمها مثلما قضى على المجاعة التى امتدت سبع سنوات خلال حكم الملك زوسر.

وقد توارث اليونانيون فيما بعد خبرات إمحوتب الطبية ومارسوا الطب اقتداءً بكتاباته فى هذا المجال كما فعل الطبيب المصرى، مع تطوير العلوم التى توصل إليها الأقدمون، وتلقفت البشرية هذه القواعد العلمية الأولى وطورتها إلى ما أصبح عليه الطب الآن، ومازال البشر يجدُّون فى هذا المجال المهم. وتعتبر بردية سميث، حاليا فى أكاديمية العلوم بنيويورك منذ عام ١٩٠٦.

مــن أهم البرديــات التى تلقى الضوء علــى الطب فى مصر القديمــة، وقد تولت ابنة إدوين سميث اليونور سميث مهمة إهدائهــا إلى الجمعية الأثرية بنيويــورك التى كلفت بدورها هنرى بريســتد بترجمة ونشــر محتوى هــذه الوثيقة المهمة عام ١٩٣٠، وقد عين هنرى بريســتد أستاذا للآثار المصرية القديمة ومديرا للمتحف الشرقى بشيكاجو، وساهم فى الكثير من الحفائر فى كل من مصر والسودان.



إدوين سميث، أمريكى الجنسية والحائز على البردية التى تحمل اسمه والتى قام بشــرائها عام ١٨٦٢ م، وهو من مواليد كونكتيكت ١٨٢٢، وأمضى ٢٠ عاما من عمـره بـالأقصر. توفى عـام ١٩٠٦م.

وتحتــوى البردية علــى العديد مــن التفاصيل الخاصة بتشــخيص وعلاج الأمراض. ويعتبر ما هــو مدون بالبردية بحثا علميا جراحيا هو الأول من نوعه فى التاريخ القديم.

ويدقق محتوى هذه البردية فى أســرار الجســد البشرى بأجزائه المختلفة، فللعقل والجسد والروح مجالاتهم العلاجية المتنوعة، حتــى المظهر الخارجى للجســم وجد مجاله فى وصفات خاصة مذكورة بدقة فى بردية سميث تعالج تجاعيد الوجه بالدهانات المجهزة خصيصا لهذا الغرض.

وتناقــش معظم الحــالات المذكورة فى البردية المخ والغلاف المحيط به والحبل الشــوكى بما يحتويه من سائل حيوى، ومعظم الإصابات المذكورة تركز ٢٧ حالة منها على الرأس والجمجمة، وهــى إصابــات عمل أثناء عمليات التشــييد والبنــاء، أو إصابات خلال الحــروب، والحروف الهيروغليفية لكلمة مخ هى «[illegible]».

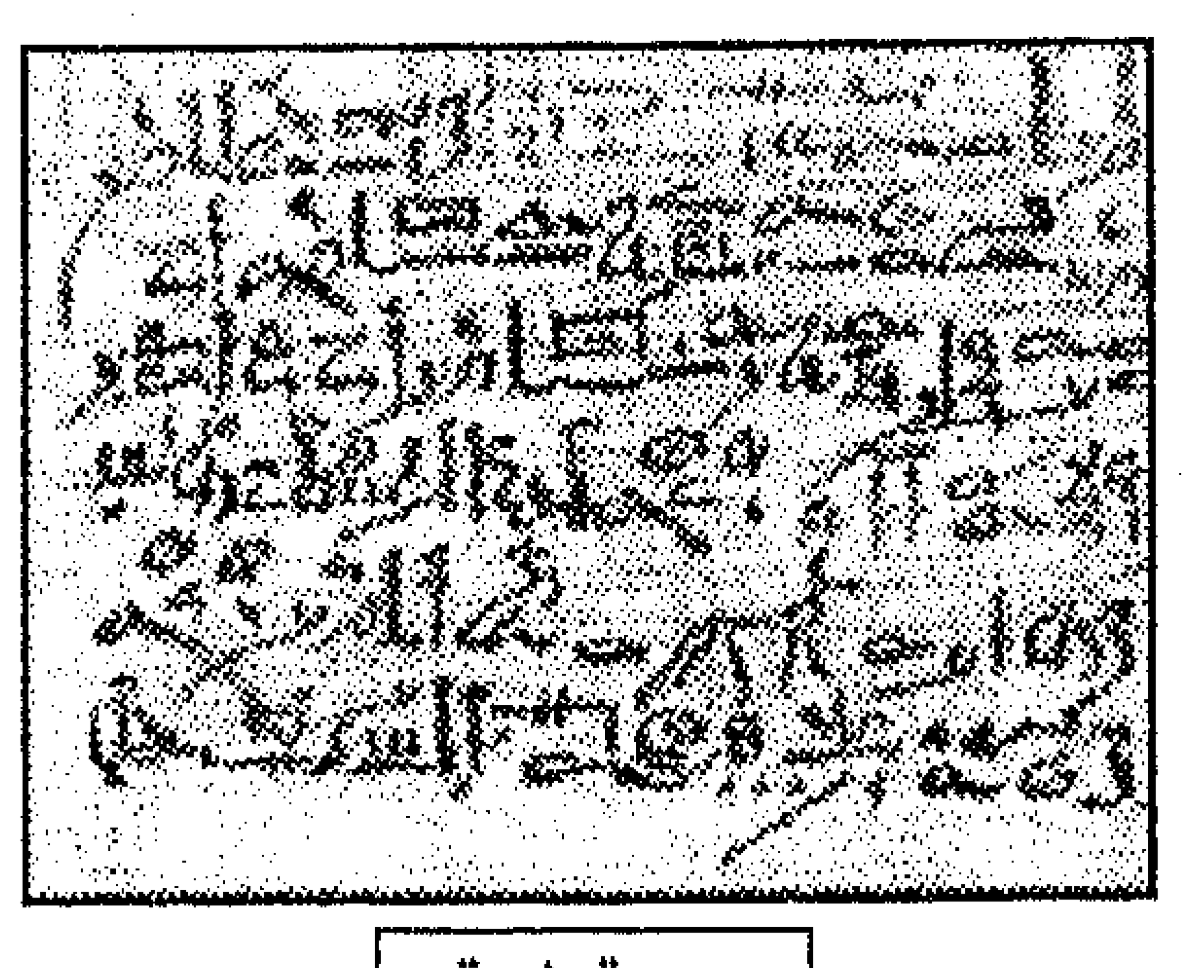
قــدم الطبيب المعلم فــى بردية سميث، ومهمته الأولى إرشــاد وتوجيه الطبيب للتشــخيص والفحــص الدقيــق ثم العلاج، وصفــا دقيقا لمظهر المخ الخارجى عندما شــبه تلافيفه بتعرقصات الرغوة المعدنية، كما ذكر سحايا المخ من خلال الفتق الذى أصاب الكيس المغلف للمخ.

وتذكر البردية ســت حالات لإصابات الرقبة والحلــق، وتتعدد الإصابات المدونة التى تحدد بوضــوح نوع الإصابة، وطريقة الفحص، وعدد مرات الفحص لبعض الحالات، ثم وصف العلاج للجــروح المختلفة مع وجود فقرات تفســيرية لبعض الحالات تزيد مــن إلقاء الضوء على الحالة المراد علاجها.

والعلاج الجراحى المذكور لمعظم الحالات علاج ســليم يعتبر حجر الأســاس فى الممارســات الجراحية التى حددها الطبيب المصرى بكونها إصابات حميدة، أو غير مؤكدة، أو ميئوسا منها طبقا للأعراض الظاهرة للجرح والكشف الذى يمارسه الطبيب.

ووردت ست عشرة حالة لم يحاول الطبيب – على رغم مناقشته لأعراضها – علاجها.

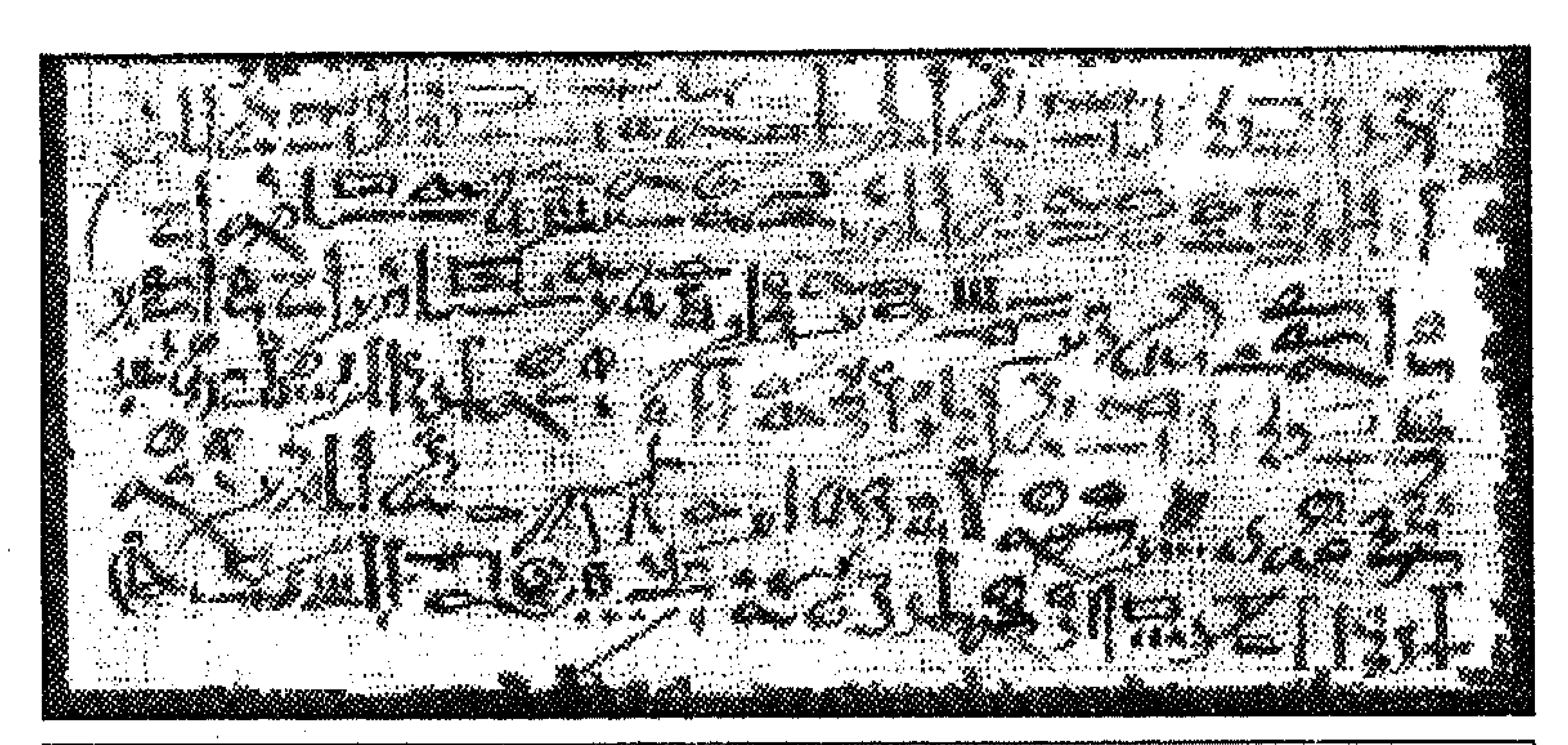
وتذكر البردية لأول مرة فى التاريخ مع كلمة المخ، كلمة الأعصاب، وتذكر البردية أيضا الصدمة العصبية، وخياطة الجرح فى الجمجمة لأول مرة فى التاريخ، ثم توالت الخياطات فى الجروح المختلفة فيما بعد، وراء الأذن ولسد الشق فى منطقة البطن خلال عمليات التحنيط بعد استخراج الأحشاء وغيره. والبردية مرتبة ترتيبا منهجيا سليما يبدأ باسم الحالة العلاجية ثم توصيف أعراضها تمهيدا للتشخيص ثم العلاج مع إضافة فقرات إيضاحية لبعض الحالات.



بردية طبية

وذكرت البردية أن كسر فقرات العنق ينتج عن السقوط من مكان مرتفع، وتحدد إحدى الوصفات المذكورة استخدام اليوريا للقضاء على تجاعيد الوجه، وهى مادة يتبع استعمالها لهذا الغرض إلى يومنا هذا، فاليوريا هى إحدى المستخلصات المستخدمة فى دهانات الوجه للحد من التجاعيد.

واستند المصرى القديم فى معظم علاجاته على قدرته على الملاحظة والخبرة المكتسبة من خلال الممارسات المتعددة للحالات التى يفحصها نتيجة للإصابات المترتبة أثناء عمليات التشييد والبناء، منها الكدمات التى تصيب العمود الفقرى، والكسور والخلع الذى قد يصيب الفك أو الكتف أحيانا أو الاستعاضة عن الأصابع التالفة.

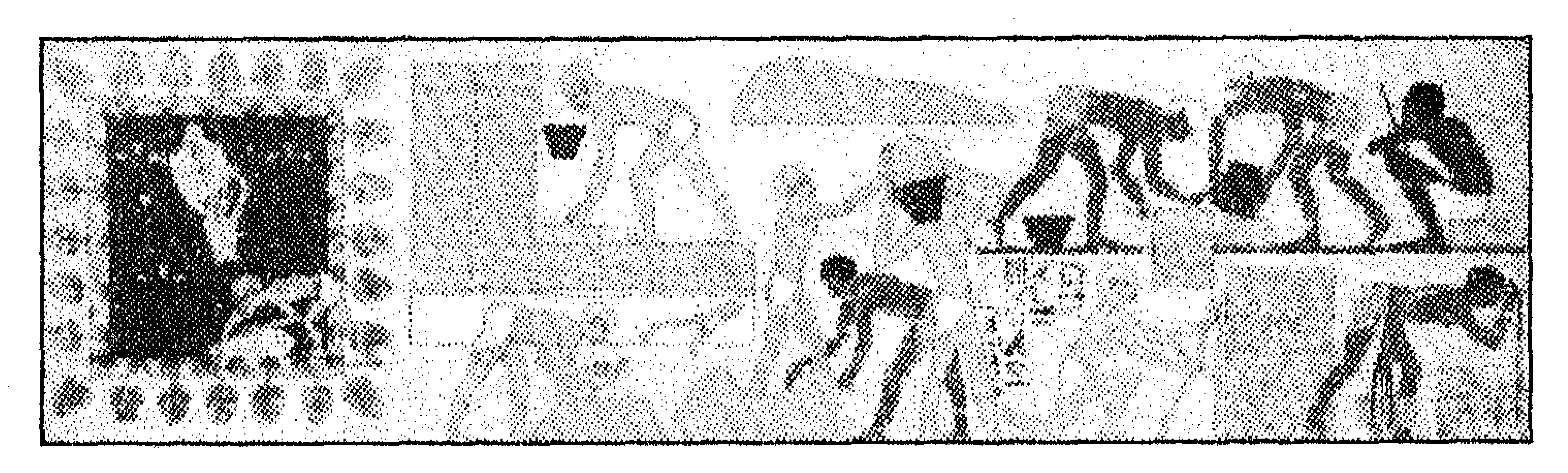


بردية سميث وهى نسخة من كتاب قديم ربما يرجع لعصر بناة الأهرامات وقد دونت خلال القرن ١٧ ق. م. تقريبا. نسبت بعض كتابات هذه البردية لإمحوتب الذى يعنى اسمه الآتى فى سلام وقد عمل وحمل لقب كبير كهنة رع أيضا وهو جانب يكمل الطب العملى ويقرنه بالطب النفسى أيضا الذى كان يمارس لإيمان المصرى بقوة الكلمة وأثرها.

وتعتـــبر إصابـــات العمل وأثناء الحـــروب من أهم المجـــالات التى مـــارس فيها الطـــب تطبيقاته لعلاج الجروح القطعية والوخزية والكسور بأشكالها المختلفة، وغيره مـــن الحالات التى يتعرض لها الإنســـان أثناء مزاولة عمل جسمانى شاق.


أحد العمال أثناء عملية البناء لإحدى المنشآت

وقـــد اعتقـــد المصـــرى أن القلـــب هو مركـــز الفكر والإحســـاس، والوعاء الرئيسى الذى تصب فيه الأوعية الدموية، لذا فإن الطبيب كان يركز علاجاته على «جفاف القلب» و«قصور فى القلب» و «حمى فى القلب».



وتبدأ برديـــة سميث بإصابات الرأس والجمجمة، ثم الأنف والوجه والأذنين، تليها الرقبة، ثـــم الحنجرة، والأكتاف، والصدر، والعمود الفقرى، وهنـــا يتوقف محتوى البردية التى حرص كاتبها على تقسيم الحالات المذكورة بها طبقا لنظام أجاد صياغته.

فذكر ٢٧ حالة للرأس والجمجمة وتشـــمل الأنسجة الرخوة والمخ وتتوالى باقى الحالات حتى الحالة ٤٨ الخاصة بالعمود الفقرى.

وتتزامـــن بردية سميث الطبية مع بردية رند الحســـابية، فكلاهما يرجع إلى الدولة القديمة، والمعلومـــات التى اســـتخلصها المصرى بذكائه الفطرى هى نتـــاج ملاحظاته حول البيئة المحيطة وما يعترى الإنسان بتأثير هذه البيئة.

أما بردية إيبرز التى كتبت عام ١٥٥٠ ق. م، بينما المحتوى يرجع إلى عهد أسبق، فقد عثر عليها الألمانى جورج إيبرز فى مقبرة بالعساسيف، بين أرجل إحدى المومياوات.

«... تم العثـــور عليها تحـــت أقدام أنوبيس فى ليتوبوليس وأحضرت لجلالة ملك مصر العليا والسفلى الملك دن».

وليتوبوليس هى مدينة أوسيم أو إمبابة الحالية، ودن من ملوك الأسرة الأولى، القرن الثلاثين ق. م، هـــذا مـــا كتب عـــن بردية إيبرز، مما يرجـــع محتواها إلى عهد الملـــك دن، وتعتبر معظم

المعلومـــات المدونة بها متوارثة، وهي عبــارة عن وصفات لأمراض وأعــراض مرضيـــة متنوعة ومتباينة وتحتــوى كل وصفة على عدة عقاقير ومستحضرات تعد بمقدار محدد، كما توضح البردية أسلوب استعمال العقار والتداوى به.

والعلاج المدون بالبردية وصف ســليم لعقاقير تشــبه لحد كبير الوصفــات الحديثــة العادية، وتحتوى البردية علــى الأوراد التى تتلى فى بعض الحالات العلاجية، تليها تعريف وكيفية تشخيص وعلاج ما قد يصيب المعدة من أمراض ثم طفيليات الأمعاء.

وتذكــر البردية تفاصيل الأمراض الجلدية وعلاجاتها وينتقل كاتب البردية للعانة والأمراض التى قد تصيبها وأهمية زيت الخروع ومشــتقاته فى علاج الجهاز الهضمى، ثم يركز على الصدمة الناتجة عن الحروق وعلاج الأطراف كأصابع اليد والقدم، ويذكر أمراض الحلق واللسان وعلاجات الشعر والجلد وبعض حالات أمراض النساء.

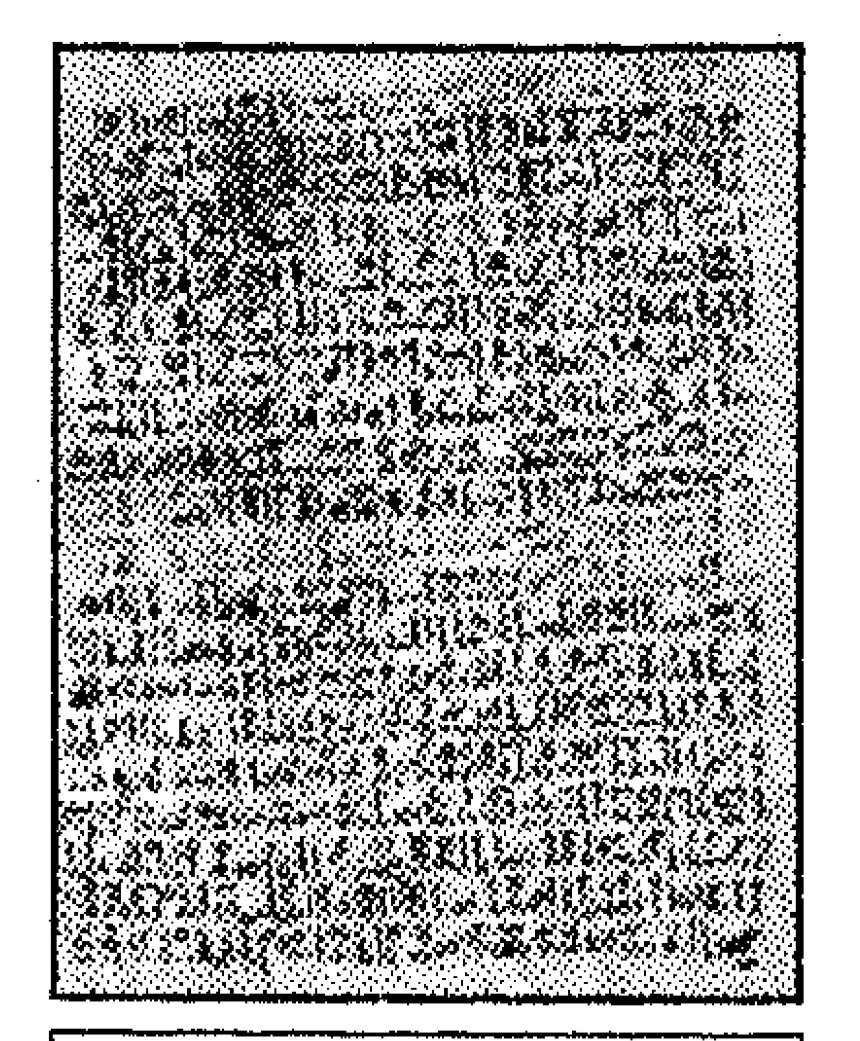
وتذكــر البرديات مســتحضرات علاجية لــكل التخصصات، ٨٧٧ علاجا، تغطى العديــد من الجوانب منها بخلاف الأمراض الباطنية وأمراض العيون والأسنان.

والبرديـــة محفوظة حاليا فــى جامعة ليبزيــج بألمانيا، وتركز إحدى الحالات على علاج الأزما asthma بأن يستنشــق المريض دخانا ناتجا عن حرق بعض الأعشــاب الغرض منه تمكين الشعب من استنشاق أفضل.

ومن أهم مــا يميز البردية الوصف التفصيلــى للأوعية الدموية وتوزيعاتها داخل الجسم، كذلك الانهيار العصبى، وبعض الحالات النفسية التى تصيب البعض.

ويعتقــد البعض أن ما ذكر فى برديـــة إيبرز هو من عمل كتب تحوت القديمة، وإذا ما اعتبرنا بردية إيبرز مصدرا لمعرفة الأمراض وعلاجاتهـــا، ٨٧٧ علاجا، فإن بردية سميث هي وصف جراحى للعديد من الحالات.

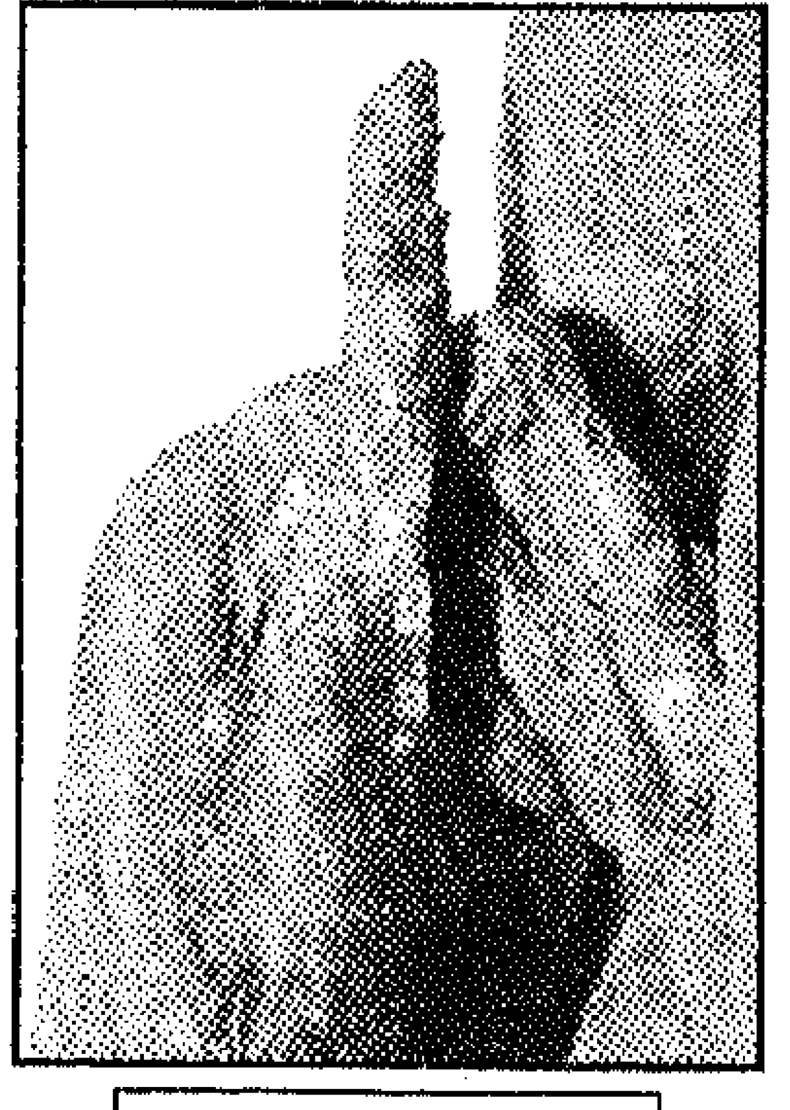
وتركــز البردية على الكلمــات التى تتلــى كأوراد على الدواء قبــل أن يتناولــه المريض، مما يعكس تطابق العلـم وتطبيقاته مع الإيمان بقدرة الكلمات على الشفاء، الكلمات التى تقوى من عزيمة



صفحة من بردية إيبرز



جــورج إيبرز عــالم وأثــارى ١٨٣٧١- ١٨٩٨م، تبحر فى العلوم الآثارية بعد أن تتلمذ على يدى لبســيوس، ونشــر أبحــاثــه فى ٢٥ مــجــلــدا



إصبع اليد اليسرى لـرمـسـيـس الأول

الطبيب من ناحيــة، وتطمئن المريض وتزرع لديه الرغبة فى الشـفاء من ناحية أخرى، وهنـا تعمـل العوامل الثلاثة معـا للحصول على النتائج المرجوة العلم والإيمان والنفسـية الخاصة للمريض والطبيب.

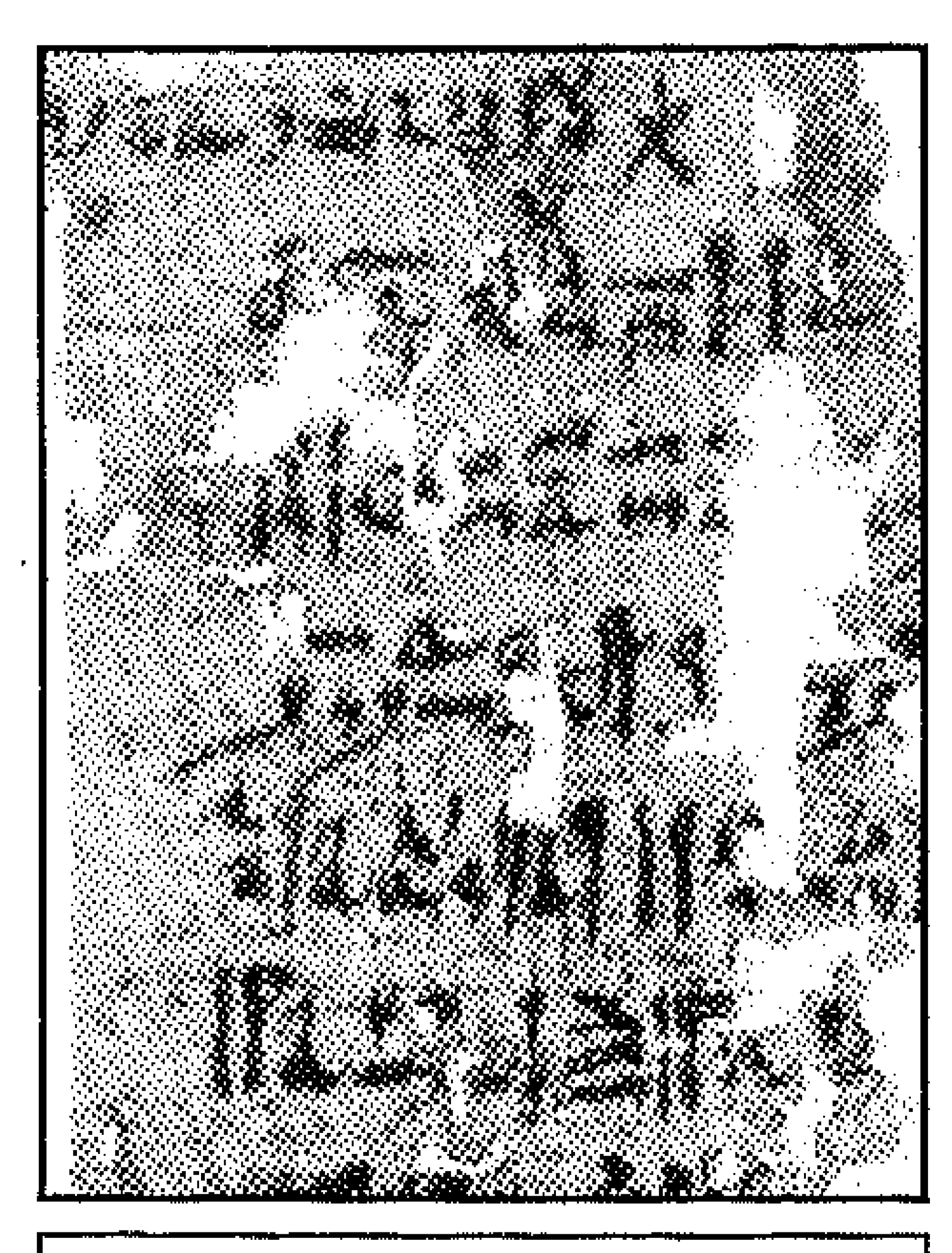
تناولـت بردية إيبرز الأمـراض الباطنية وأمراض العيون والجلد والأطراف والأمراض النسـائية مـع الكثير مـن المعلومـات عن التشـريح وتفسـير المصطلحـات وبعـض الحـالات الجراحيـة التى تحددهـا بردية سميث بأسلوب إيضاحى أفضل.

ويمكـن إرجاع البردية إلى عهد أمنحتب الأول، فى العام التاسع من حكمه بالتحديد كمـا ورد على ظهر البرديـة، ١٥٣٤ ق. م تقريباً، بالرغـم من أن المحتوى يرجع إلى نصوص قديمـة، الدولة القديمة، الأسـرة الأولى، ٣٠٠٠ ق. م تقريبا.

وتتناول البرديـة أمراضا محددة تصيب المعـدة مع التركيز علـى الطفيليات وديدان وثعابين البطن، ثم تضيف الأمراض الجلدية مثل الحكة، والقشـور الجلديـة وقروحات الجلد، ينتقـل بعدها الطبيـب إلى أمراض العانـة والأمـراض التـى تصيـب الجهاز الهضمـى، وقد وردت كلمات مثل ععـع وأوخدو التى حيرت الكثيرين فى ترجمة المقصود منها تحديدا، ولكن معظم الحالات شخصت وحددت بلا تكهنات، مما يعكس دراية الطبيب الكاملة بهذه الأعراض واعتبر مرض ععع هو البلهارسـيا الناتج عن الإصابة بديدان حرو، التى تسـكن فى أوردة الأحشاء الباطنية والتى تعرف عليها الطبيب المصرى بالرغم من صغر حجمها. وتشمل البرديـة بحثا مختصـرا عن القلب وكيفية علاج ما قد يصيبه، مثـل الإرهاق الناتج عن الأنيميا

صفحة من بردية إيبرز تذكر علاج الأزما وهو استنشـاق دخـان حـرق الأعشـاب الخاصـة لهـذا الغرض.

كنتيجة لمرض البلهارسيا، وذكر علاجا «كى يتقبل القلب الخبز»، وبعض المستحضرات العلاجية للسعال.



جزء من بردية طبية

وتتناول البردية بعضا مما يصيب اللسان والمستحضرات اللازمة لعلاجه، والحالات الجلدية المتنوعة، وآلام الأسنان، وإصابات الأذن والأنف والحنجرة، وما قد يصيب أنسجة بعض العضلات أو متو التى يمكن أن تكون أحيانا الأوعية المختلفة كما فهمها الطبيب المصرى.

لم تغفل البردية الحروق والجروح، وما قد يصيب الأصابع من أمراض، سواء أصابع اليد أو القدم، حتى الشعر أوجد له المستحضرات المتنوعة لتقوية الشعر ولعلاج حالات الصلع والشيب أحيانا. وأوجد المستحضرات لعلاج الصداع الكلى والنصفى، وأهم ما تشمله البردية العلاجات المنسوبة إلى الرموز المختلفة مثل إيزيس وشو وجب ورع لبث روح الثقة فى الشفاء لدى المريض.

ولدينا اثنتا عشرة بردية، تنتمى فى أغلب الأحيان إلى المدارس والمعاهد الطبية التى تواجدت فى مصر القديمة وتتناول أفرع الطب المختلفة التى مارسها المصرى منذ عصور ما قبل التاريخ، منها مداواة الجروح والكسور، والصداع وآلام الأسنان والفك، الأنف والأذن والحنجرة، والحمل والولادة ورعاية الطفل، وآلام المثانة والمستقيم، وعلاج الأمعاء وطب العيون، وعلاج لدغة الثعبان.. كل ماهو متصل بالطب بأفرعه المختلفة.

عرف الطبيب المصرى العديد من الممارسات الطبية التى وصلت فى علاجاتها إلى أفضل الطرق قديما وتطبيقاتها الحديثة مازالت مقبولة أو يسترشد ببعضها.

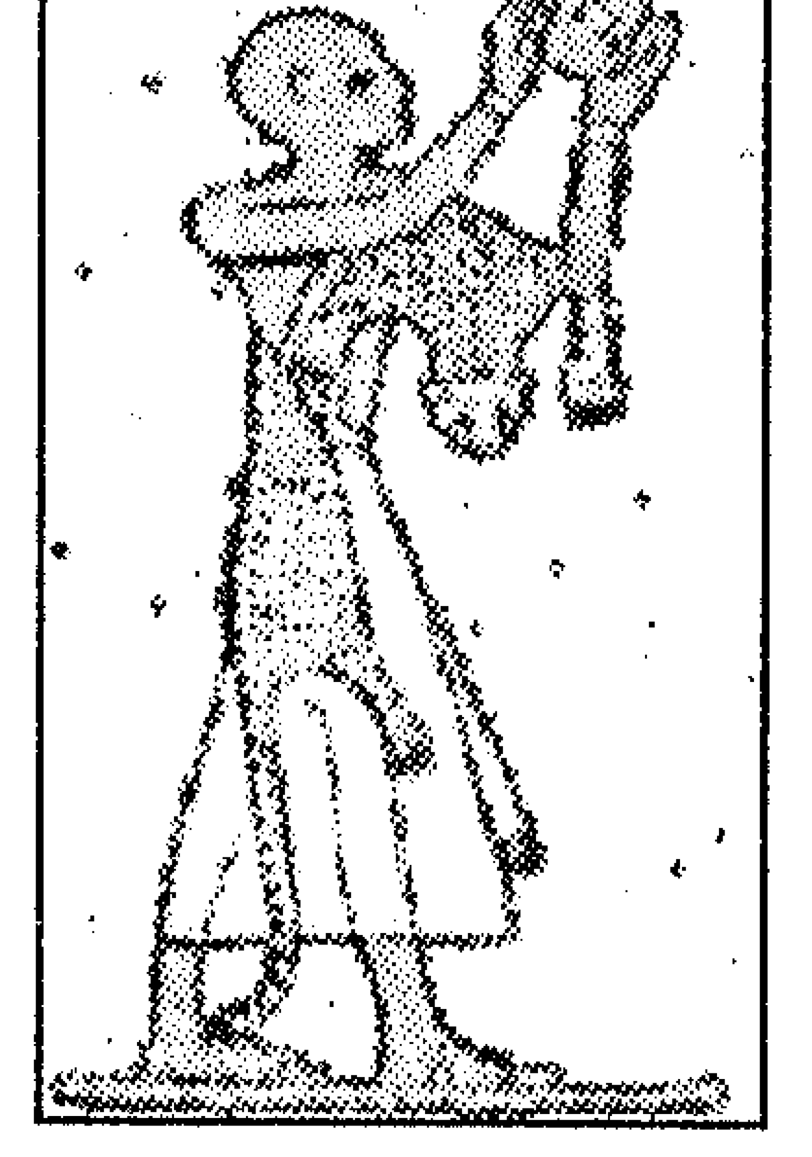
وتركز بردية هيرست، فى كاليفورنيا حاليا، على علاج الأسنان والعانة والمعدة وأمراض الدم والعظام وغيرها، فهى تسجل الأدوية المختلفة اللازمة للعلاج وتركيباتها ومكوناتها من العناصر الطبيعية المتنوعة التى استخلص الطبيب المصرى فاعلياتها من التجارب واحتمالات الصواب والخطأ، ومن أهم هذه التطبيقات علاج لدغة الحشرات كل حسب نوعها والمادة الطبيعية اللازمة لشفائها.

والعديد من هذه السبل العلاجية مازال مطبقا فى الطب الحديث، فقد انتقلت المعلومات الطبية للمصرى القديم منه إلى الباحثين اليونانيين، ومنهم إلى أرجاء العالم الأوروبى، وساهمت البشرية فى تطوير الأسس الرئيسية التى انتهجها الطب المصرى القديم.

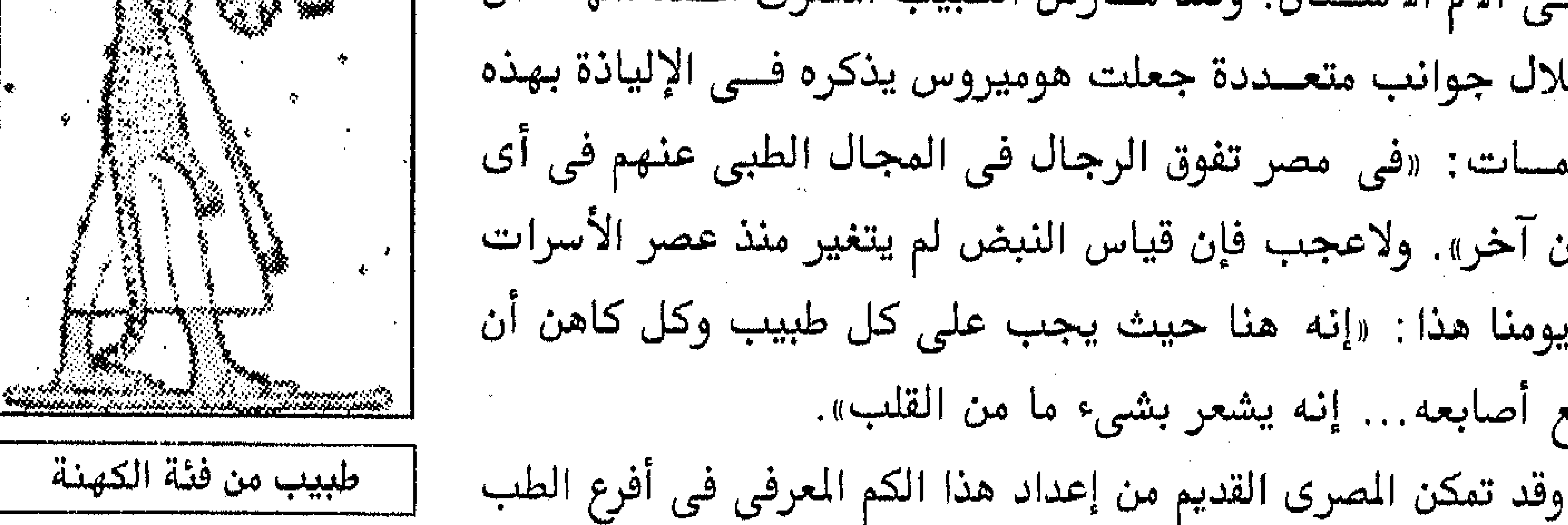
وترجع بردية هيرست إلى الأسرة ١٨ فى عهد تحتمس الثالث نقلا عن نص قديم يرجع إلى العصور الوسطى ويحفظ حاليا فى مكتبة بانكروفت بجامعة كاليفورنيا.

وتتناول البردية بإسهاب حالات الصداع والأمراض الخاصة بالجهاز الهضمى، وتشمل على حالات أمراض الكلى وغيرها، وتبحث فى آلام الأسنان وعلاج الرئة. وتتضمن البردية أورادا وكلمات تتلى على الدواء وعلى المريض قبل وبعد العلاج، وقبل وبعد الشفاء: العلم والإيمان معا يقيمان التوازن أو الماعت الذى آمن المصرى بأهميته القصوى فى الحياة العملية ليس فقط للبشر بل للكون والوجود بشموليته.

وترجع معرفة المصرى وإجادته للطب والتطبيب إلى سبب رئيسى وهو معرفته التامة بالجسم البشرى من خلال التشريح الذى يقوم به قبل عملية التحنيط والتى تركز على استخراج المخ والرئتين والكبد والأحشاء، وأدت هذه الممارسة إلى مزيد من المعلومات عن الجسم البشرى وفحصه ومعرفة أسباب الوفاة، وبالتالى إلى سبل العلاج، وقد برع المصرى فى نواح متعددة ومتنوعة من العلاج حتى إن أحد الأطباء اليونانيين ويدعى هيرمس أو تحوت باللغة المصرية القديمة، قام بتجميع حصيلة لا بأس بها من الممارسات الطبية للمصرى القديم وتولى مهمة نشرها فى ستة مجلدات، كان المصرى قديما قد جمع ونشر معظمها كمرجع للأطباء الممارسين. وتعتبر هذه الكتب الستة جزءا من مجموع ٤٢ كتابا ينسبون إلى تحوت أو هرمس باللغة اليونانية ولم يستدل عليهم بعد.



طبيب من فئة الكهنة



واحتفظ ببردية كاهون التى اكتشفها فلاندرز بيترى ١٨٨٩م فى جامعة لندن، وترجع لعهد أمنمحات الثالث ١٨٢٥ ق. م، وتتناول الأمراض النسائية وكل ما يمكن أن يصيب المرأة من آلام حتى آلام الأسنان. ولقد مارس الطبيب المصرى هذه المهنة من خلال جوانب متعددة جعلت هوميروس يذكره فى الإلياذة بهذه الكلمات: «فى مصر تفوق الرجال فى المجال الطبى عنهم فى أى مكان آخر». ولاعجب فإن قياس النبض لم يتغير منذ عصر الأسرات إلى يومنا هذا: «إنه هنا حيث يجب على كل طبيب وكل كاهن أن يضع أصابعه... إنه يشعر بشىء ما من القلب».

وقد تمكن المصرى القديم من إعداد هذا الكم المعرفى فى أفرع الطب المتعددة من خلال الخبرة المكتسبة فى معالجة الحالات، مما مكنه من وضع أسس صريحة للممارسة العامة فى هذا المجال، فتذكر بردية إيبرز على سبيل المثال هذه الجملة الواضحة التى تدل على فحص مماثل لممارسات اليوم «إن الأذن تسمع بوضوح ما هو تحتها».

لقد برع الطبيب المصرى فى التشخيص بالرغم من عدم توفر معلومات مسبقة لديه واقتصار معلوماته على الفحص والاستنتاج والتجارب للعلاجات المختلفة.

ويعد الفحص الحديث للمومياوات مصدرا مهما للمعلومات الطبية الحديثة حيث تم الاستدلال علـى عمليـات التربنة التى أجريت منذ آلاف السـنين، وعمليات الختـان، وتجبير العظام... وأظهرت المومياوات بعض الأمراض وأسباب الوفاة، كما أوضحت الطرق المختلفة لعملية التحنيط خلال العصور المتنوعة.



مومياء سقنن رع، الدولة الحديثة. وقد توفـى متـأثـرا بجراحه فى المعـركـة مع الهكسـوس



مسح بالأشعة المقطعية

ويمكـن من خلال هذا المسـح تحديد جنس صاحب الجثة إن كان ذكرا أو أنثى، وأمكن تحديد الجروح إن وجدت، وقد دلت إحدى المومياوات على وجود بعض التكلسات على جدار الشـريان الأورطى، مما يدل على وجود مرض تصلب الشرايين atherosclerotic alterations لدى المصرى القديم.

وأظهـرت الموميـاوات عـلاج الحروق التـى عانى البعض أحيانا منها، وعلاج الأسنان، ويتم الفحص باستعمال ما عرف بالأشـعة المقطعيـة Cat- scan والمومياء محتفظـة بلفائفها، ويظهر من خلال الأشعة الأجزاء الصلبة الداخلية.

وتم مسح هذه المومياء بالأشعة المقطعية، وقد أظهرت الوضع الذى دفنت عليه الجثة وهو وضع القرفصاء، والجثة ترجع إلى الأسـرة الثالثة، وقد عثر عليها فى جبلين وهى حاليا بمتحف تورينو بإيطاليا.

ومكنت عملية إعادة هيكلة الشكل من معرفة أطوال الجسم الأصلى لصاحب المومياء، ويرجع هذا الأسلوب للدفن لعصور ما قبل التاريخ.

واستدل العلماء من خلال دراسة أجريت على مخ محنط منذ حوالى ٣٢٠٠ ق. م على الوصف التشريحى لهذا المخ، ويتلخص فى كونه مادة متجانسة تحتوى على تعرجات وجيوب هوائية،

وأبـرز فحص الأنسـجة مـادة مخية غير مرتبة، حلزونيـة بها العديد من التشـكيلات الوردية Eosinophilic Structures And Argentophilic Granules. ودلت الدراسات على وجود أيونات الصوديوم والفوسفات وبعض الأحماض الدهنية.

واسـتخلص من هذه الدراسـة أن اختبار الرنين المغنطيسـى يعد تقنيـة للتحليل غير هدامة لملاحظة الأنسـجة الدهنيـة بالمخ المحنط. وعثر أحـد العلماء فى عام ١٩٩٥ علـى آثار العامل الفعال لمادة الحشـيش أو القنب وبعض الأعشاب الأخرى مثل النيكوتين والكوكايين بعد تحليل إحـدى المومياوات التى أظهرت آثـار مرض رئوى، ودلت الفحوص على وجود ترسـيبات من Tetrahydrocannabinol (THC). وكذلـك بعض الترسـيبات على أعضاء الجسـد المحنط من النيكوتين والكوكايـين التى تدل على أن صاحبها كان يستنشـق المادة المخـدرة THC بينما يتعاطـى الكوكايين والنيكوتـين بالفم، ومازالت هذه الأمور موضع بحث الكثير من العلماء للاسـتدلال على أسباب النزيف الرئوى الذى تم رصده على بعض الأجساد المحنطة.



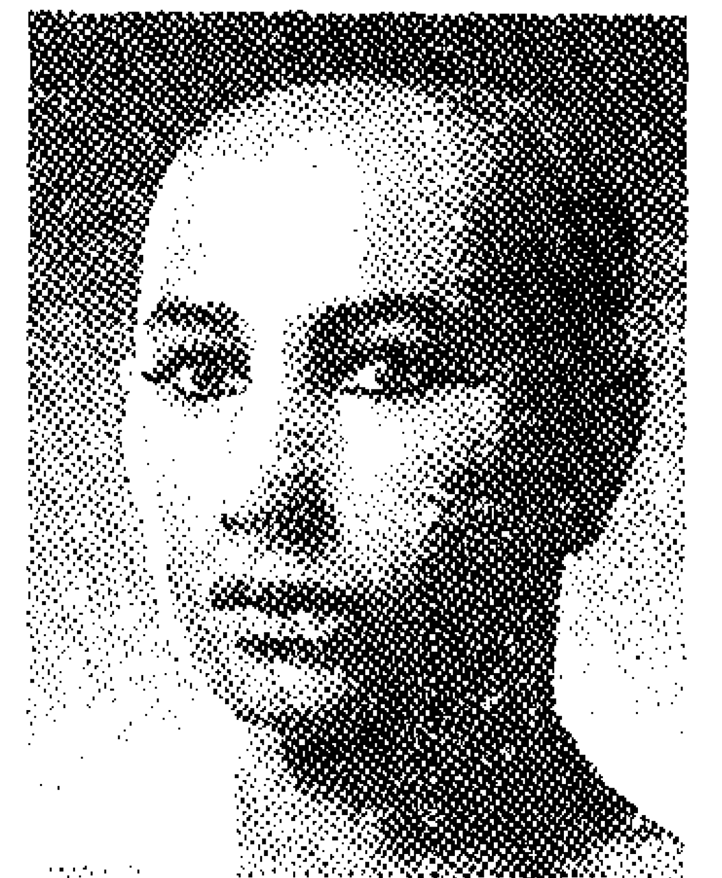
رأس الملـك الشـهير تـوت عنـخ آمـون المحنطـة وقـد تمـت العـديد من الدراسـات عليهـا لمعرفـة سـبب الوفاة

ويسهل أسـلوب الأشـعة المقطعية التعرف على التلف أو النـزف الذى قد يصيب المخ ويقدم صورا مفسـرة للصدر والبطن والحبل الشـوكى وتجويف الحوض، وقد تم رصد بعض الأورام الخبيثة والأكياس وأسباب التلوث والأمراض التـى لحقت بالبعض أثناء حياتهم. وتمت كذلك دراسـة الفقرات للعديد من المومياوات باتباع هذا الأسلوب الحديث لمعرفة الماضى.



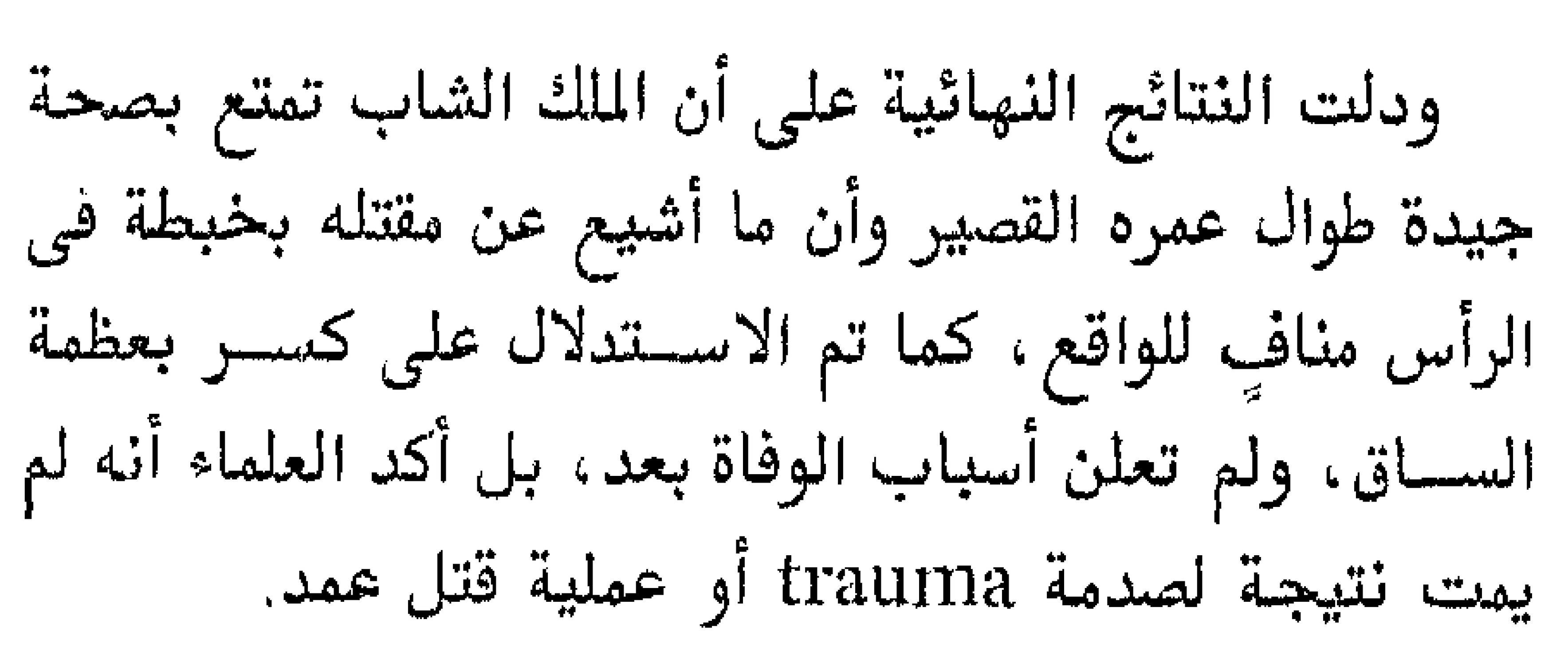
وإن لم تكـن أهمية المومياوات، التى مازالت محيرة فى مجـال العلم لتؤكـد مدى تطور المصرى علميـاً، لما لجأ العلم الحديـث لعمليات المسح لمعرفة المزيد عـن النواحى العلمية المختلفة التى تطـرق اليها المصرى القديم. وما تم على مومياء الملك الشـهير توت عنـخ آمون خير دليـل على المحاولات المستمرة لسبر أغوار المعرفة التى تمتع بها المصرى.

وتم باسـتخدام الحاسب الآلى إعادة تشكيل وجه الملك طبقا للمعلومات المسـتنتجة من فرق ثلاث مصرية وأمريكية وفرنسية لخلق تصور على ما يمكن أن يكون عليه الشكل الأصلى للملك.





التصور الحديث يقابله التمثال الخشبى من مجموعة كنوز توت عنخ آمون.



ودلت النتائج النهائية على أن الملك الشاب تمتع بصحة جيدة طوال عمره القصير وأن ما أشيع عن مقتله بخبطة فى الرأس منافٍ للواقع ، كما تم الاستدلال على كسر بعظمة الساق، ولم تعلن أسباب الوفاة بعد، بل أكد العلماء أنه لم يمت نتيجة لصدمة trauma أو عملية قتل عمد.

وقد دل فحص المومياوات على معلومات مهمة ، منها ما هو متصل بمومياء رمسيس الأول، فالعثور على أصابع القدم فى الوضع المبين وهى مفرودة دليل على دقة تحنيط الجسد الملكى حيث اهتم المحنط بلف الأصابع بإحكام، ومن المحتمل أن تكون هذه الأصابع قد تم تغليفها بالأصابع الذهبية التى يعرض بعض منها بالمتحف المصرى بالقاهرة وساهمت فى الاحتفاظ بهذا الشكل.

أما فيما يختص بوضع الذراعين، فهو الوضع الأمثل للملوك الذى اختلف باختلاف العصور الزمنية ، فكان الذراعان منحنيين عند الكوع وتغطى كلتا اليدين الوجه خلال الدفنات فى عصور ما قبل التاريخ، وتغير الوضع خلال الدولة القديمة والدولة الوسطى ليمد الذراعان على جانبى الجثة أحيانا، وأحيانا أخرى لتغطية منطقة الحوض، ولم يستدل على الوضع المشار إليه أعلاه وهو اليدان أعلى الصدر إلا فى الدولة الحديثة، كما استدل من فحص المومياوات التى تنتمى إلى العصور المتتالية.



مومياء الملك توت قبل إدخالها تحت الأشعة المقطعية



رأس المومياء التى عرضت على الجمهور وقت المسح الذى أجرى على المومياء المحنطة



قدم رمسيس الأول

وتدل قبضة اليد على إمساك الجثة بالصولجان الملكى، ويظهر الوضـع العام والفحـص الدقيق للجثة المحنطـة الملك فى صحة عامة جيدة.

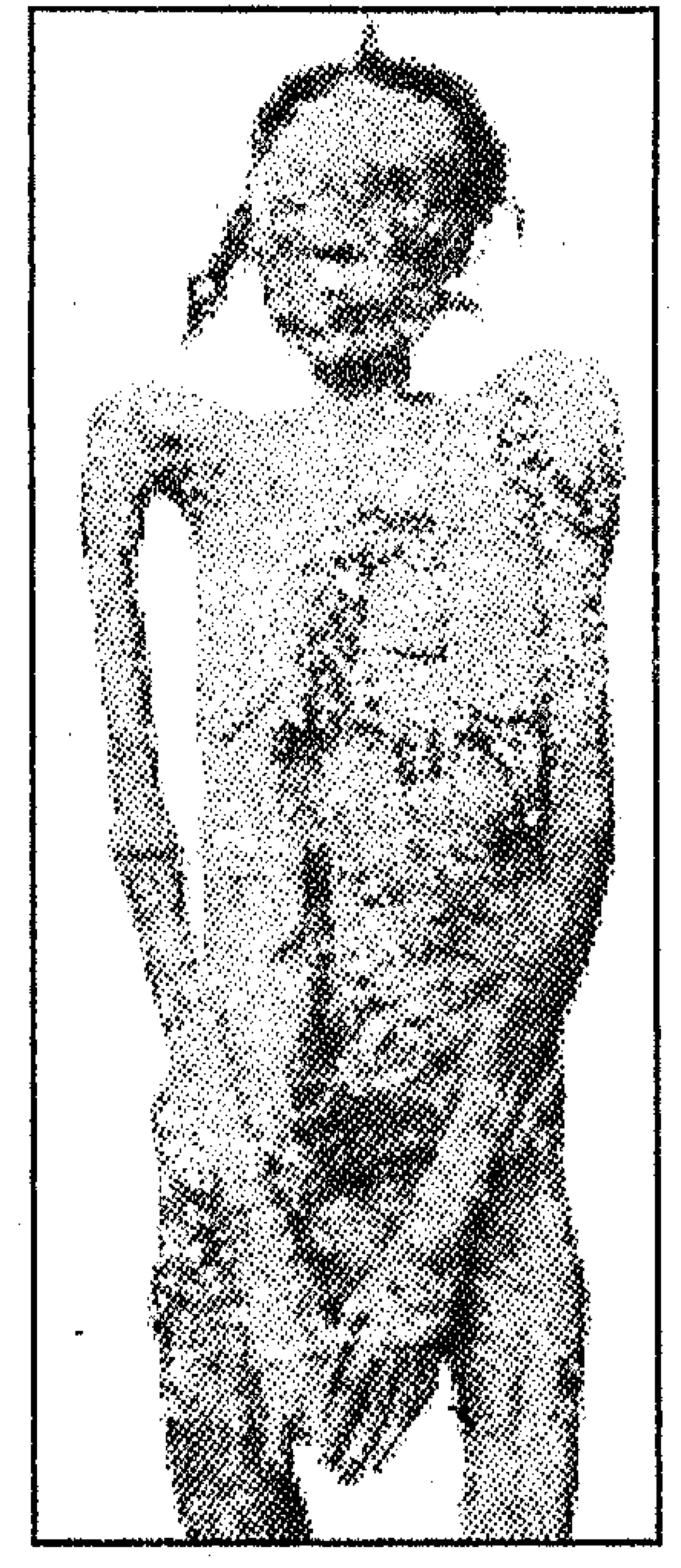
ومن المتوقع أن الهيكل العظمى لنى سـوت وسرت وهو رئيس عمـال بناة الأهرام الذى عثر عليه ووجهه متجه ناحية الشـرق، سـوف يظهر من خلال الفحص بالطرق والتقنيات الحديثة الكثير من أسرار علمية تنتمى لهذه الحقبة الزمنية، خاصة وأن الجمجمة فى حالة جيدة.

وكانـت المهمـة الأولى للمحنط هى ضمـان تجفيف الجثة كى لا تتحلل وصيانتها مـن الهجوم البكتيرى عليها، وتؤكد محاولة المنـع للهجـوم الميكروبى على الجثة معرفه المصـرى القديم بهذه الميكروبات التى عرفها بكونها الروح الخبيثة.

وتـدل عملية التحنيط ذاتها على براعة العالم المصرى ودرايته بالكثـير، فلـولا معرفته بالبكتيريا ومضادات هـذه البكتيريا، لما أمكنه استعمال المواد اللازمة لحفظ الجسد بعد الوفاة.



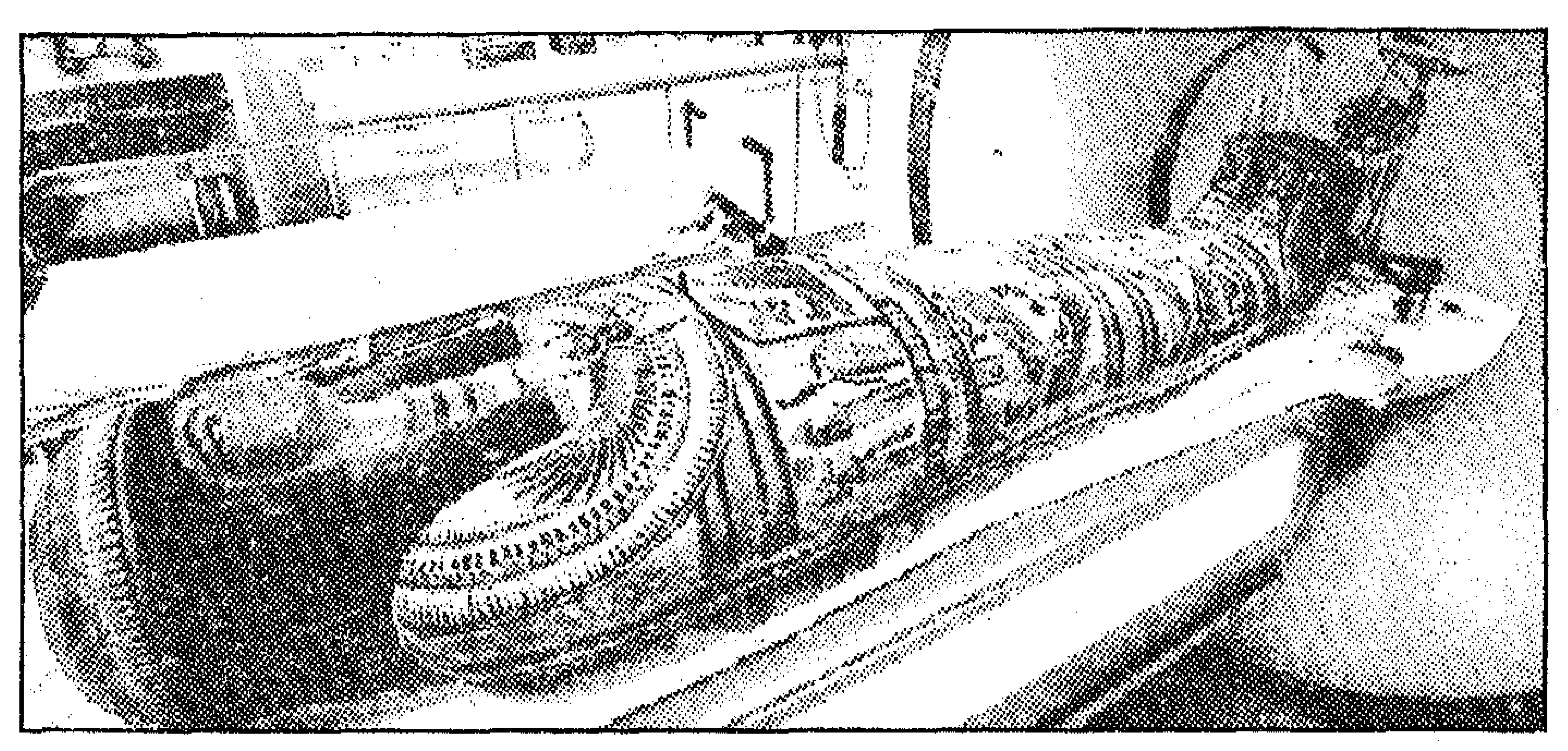
مومياء رمسيس الأول



سيدة تنتمى للأسرة ١٧، ووضع اليـديـن واضح



مومياوات تخضع للفحص لمعرفة هويتها وكل ما يتعلق بها، إذ إن هنـاك العديد من المومياوات المجهولة فى كثير من المتاحف يمكن من خـلال الفحص تتبع بعض الأحـداث التاريخية المتصلة بها.



ولم يقتصر فحص المومياء على تعريضها مباشرة للأشعة، بل شمل أيضا تعريضها وهى داخل تابـوت الدفن، وأمكن بهذا الاسـتدلال على بعض المعلومات من خلال هـذه التقنية الجديدة، أهمها أن نس بر ان نب وهو كاهن يرجع إلى ٣٠٠٠ عام، كان يتمتع بشكل عام بصحة جيدة، ولكن أسـنانه ضعيفة ولديه خراج بأحد الأسـنان، ولم يتمكن الباحثون من معرفة أسباب الوفاة الحقيقية، ولكن ثقبا فى الرأس يوحى بإصابته بمرض ما.

وأمكن بخلاف هذا رصد الحلى التى يتحلى بها الكاهن، ومزيد من الدراسة قد يلقى الضوء على معلومات حياتية هامة تفيد فى تعزيز الرصيد المعرفى عن حياة المصرى القديم.

وتم التعرف مؤخـرا من خلال تقنية الأبعاد الثلاثية التى تيسـرها الأشـعة المقطعية إلى شـخصية إحـدى المومياوات، وحددت على أنها الملكة حتشبسوت، ويرجع ذلك إلى الأسنان حيث عثر على سـن تم مضاهاتها بالفتحة الخاصة داخل فم المومياء وتطابقت معها تماما، ومازالت هذه الحمى مستمرة.

واتجهت هذه الدراسات اتجاها آخر وهو معرفة المزيد عن كيفية التحنيط وأسراره العديدة، وكذلك إعداد دراسات عرقية على مجتمع منطقة أخميم بالتحديد والأقصر بالتأكيد.

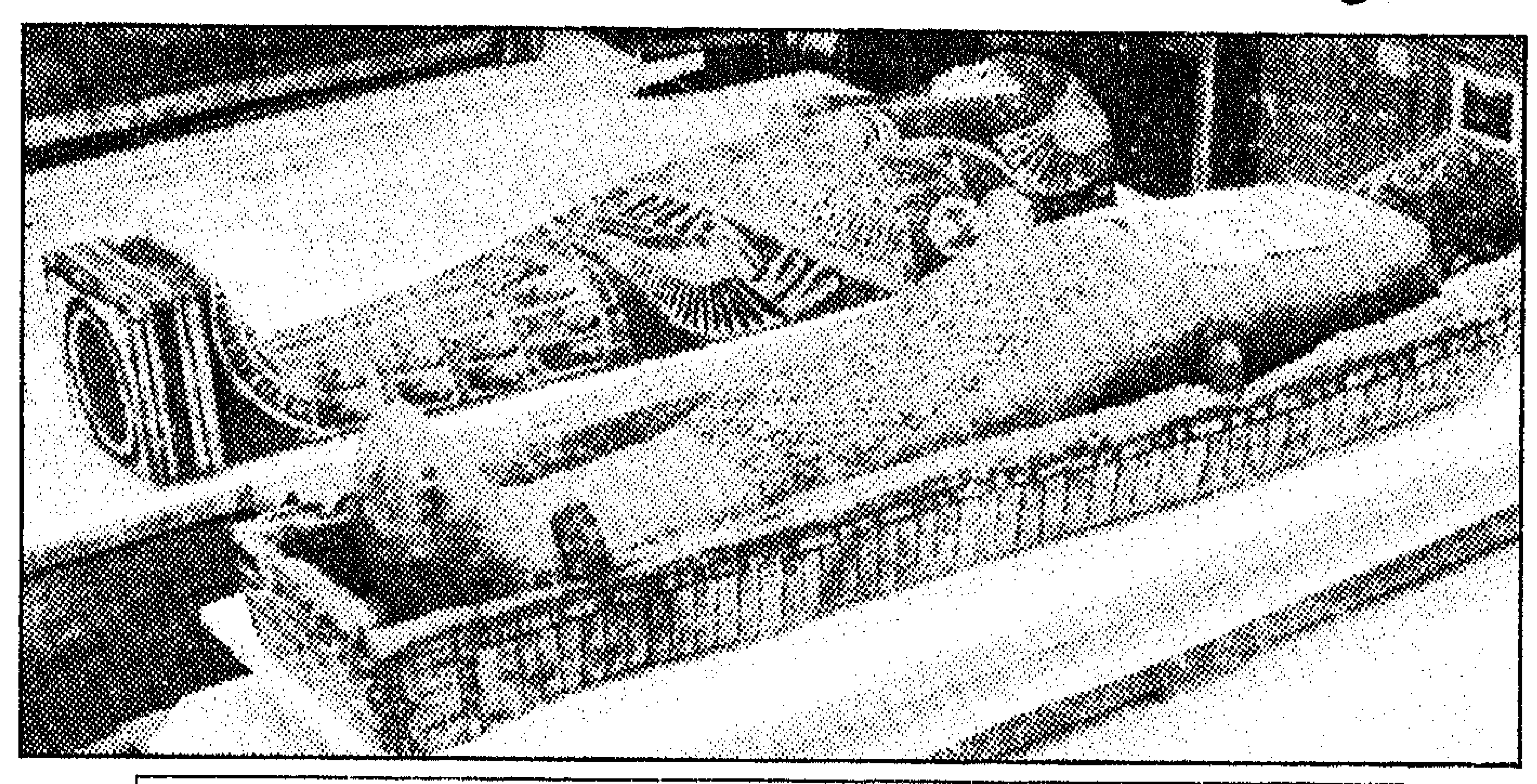
ويغطى مشروع أخميم الدراسى والبحثى مومياوات أخميم والأقصـر والفيوم لتتبـع الأصول العرقية للمصـرى القديم، والظـروف الصحية بصفـة عامة، وتطور عمليـات التحنيط واختلافاتها.





مومياء تـا إيرتـى مـن منطقة أخميم التى تم فحصها عام ٢٠٠٣ وترجـع للقـرن الثالـث ق. م.

وهـــذه جوانـــب مؤثرة للمصرى القديم ليس فقط على الحضـــارة المصرية، ولكن على الحضارة الإنسانية التى مازالت تبحث وتحلل بالدراسة معلومات المصرى.



مومياوات مصرية تخضع للدراسة من خلال مشروع أخميم، بادى حروباخرو ودجدحور

وقد دلت الأبحاث على مومياء خاصة بطفل على وجود قطعة خشبية أدخلت لتدعيم الهيكل العظمى للطفل أثناء عملية التحنيط.

كما أظهرت الأشعة وجود بعض الأعضاء الداخلية داخل بعض الجثث، بخلاف ما عرف عن تفريغ المومياء من الأحشاء قبل التحنيط، مثل الكلى والكبد، ربما للتعرف على الاختلافات التقنية المتبعة في عملية التحنيط نفسها، اختلافات ربما ترجع إلى الحالة الاجتماعية والمادية للمتوفى.

وصورة مقطعية من مومياء أحد الأطفال أظهرت لفائف التحنيط بداخلها، والهدف الرئيســى من هذه اللفائف هو ضمان جفاف الجثة وعدم تحللها، كما أظهرت الأشــعة المقطعية لرأس هذا الطفل وجود عيب بسقف التجويف الأنفى الذى يحتوى على الجيوب الأنفية.

كمـــا أظهرت مومياء إحدى الســيدات وجود كبد وكلى ضامـــرة بتجويف البطن، كذلك بقايا مـــن الغشـــاء البريتونى للبطن، وأظهرت أيضا وجود القلب فـــى القفص الصدرى، مما يبرز عدم اســـتخراج هذه الأعضاء على خلاف ما ظهر من المســح لمومياء رمســيس الأول التى تحتوى على ثلاث طبقات من اللفائف المنكمشـــة بفعل الزمن ولا تظهر أية مخلفات بخلاف كتلة من الراتنج المتحجر فى تجويف البطن. ووجد المخ فى حالة تقلص شديد فى قاع تجويف الجمجمة لإحدى المومياوات، بينما تجويف جمجمة أخرى وجد محشوا باللفائف الكتانية.

وأبرزت التقنية ثلاثية الأبعاد، من خلال إعداد تصور للشكل الأصلى لصاحب المومياء، عدم وجود الجزء الغضروفى لأذن مومياء ذكرية لم يكن من الممكن التحقق منها من قبل.

وتم رصد حصوات مرارية وحالات تصلب شرايين فى بعض المومياوات، ودلت الأشعة أن أنف رمسيس الثانى قد ملأه المحنط بالحبوب والعظام الحيوانية صغيرة الحجم كى لا يتأثر باللفائف ويحافظ على شكله العام.

وتسهل تقنية CT SCAN أو Computed Topography، تجميع حصيلة من المعلومات المتصلة بالمومياوات والتى تعكس الحالات الصحية والأمراض المختلفة التى أصابت المصرى آنذاك، كما تشير لبعض السبل الحياتية وطرق التحنيط المختلفة.

ومن الأخطاء التى أسهمت هذه التقنية فى تصحيحها ما اكتشف بخصوص إحدى المومياوات التى عثر عليها مدفونة بجوار الكاهن ماكارع، الأسرة ٢١، والتى اعتقد أنها مومياء مولود صغير، وأظهرت الأشعة التى أجراها فريق من جامعة ميشيجان أنها مومياء قرد، وأن ما أعتقد أنها مومياء ماكارع الكاهن، هى مومياء سيدة وضعت مولودا حديثا.

ومكن الفحص بالمنظار الباحثين من رصد رئتى إحدى المومياوات، وبفحص عينة من الرئة تم الاستدلال على إصابتها بتغبر رئوى وهو مرض يحدث من كثرة استنشاق غبار المعادن.

وبخلاف التقنيات المختلفة المستعملة للتحنيط، فالأبعاد الثلاثية التى تسهلها التقنية الحديثة تمكن العلماء والآثاريين من الحصول على المزيد من المعلومات التاريخية وكيفية الحفاظ على الأنسجة الرخوة للمومياوات وتفصيلات الجثة فى شكلها الخارجى بدون المساس بها أو الإضرار بهذه المومياوات.



مومياء لإحدى السيدات حاليا بالمتحف المصرى بالقاهرة وهى محتفظة بشعرها الأصلى، والسيدة راى تنتمى للأسرة ١٨، وعملت كوصيفة للملكة أحمس نفرتارى ومن الملاحظ وجود عدد كبير من المومياوات بلا شعر أحيانا.

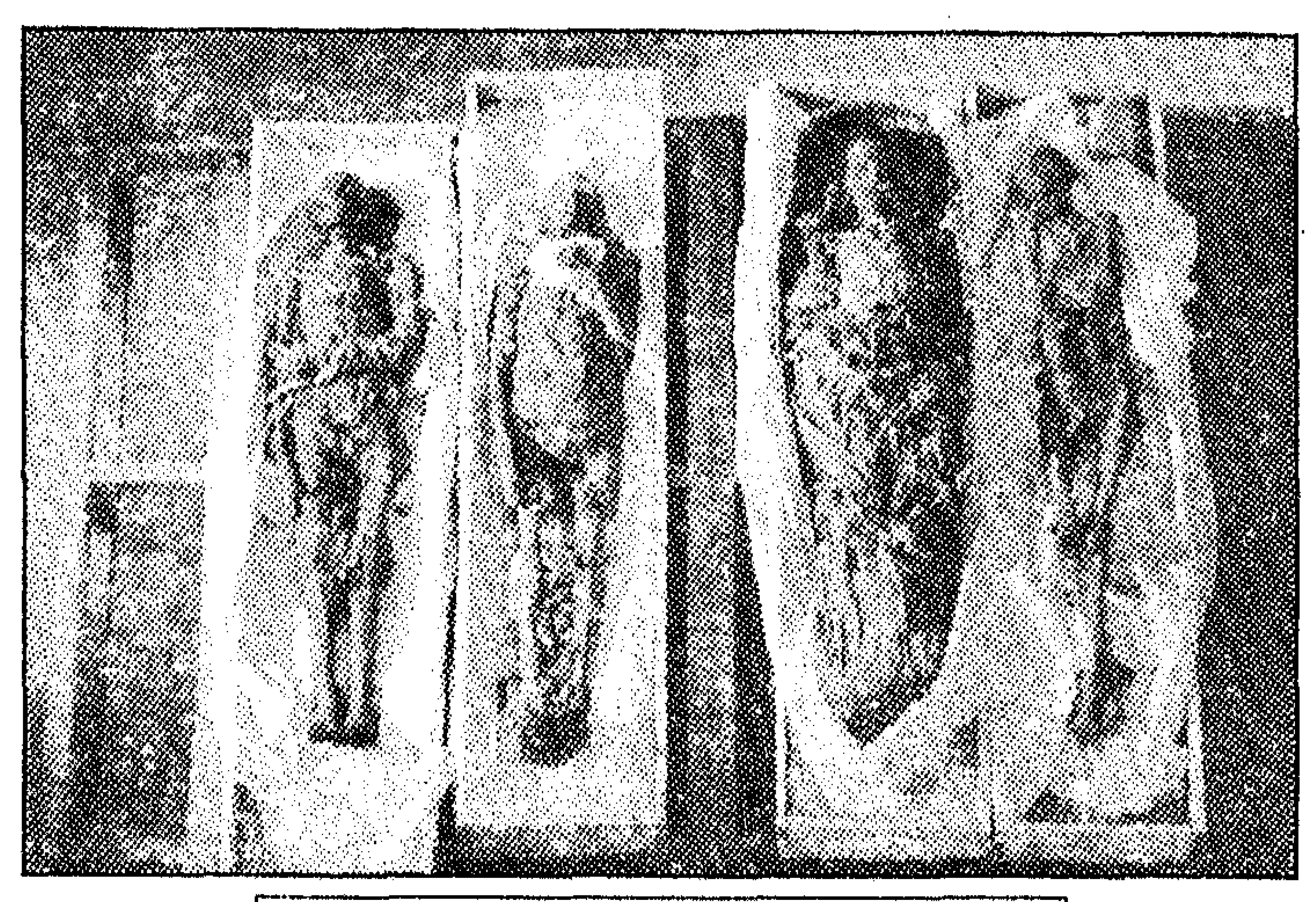
وتشمل التقنيات المختلفة التى لجأ اليها العلماء لدراسة المومياوات التشريح والأشعة السينية والأشعة المقطعية والأشعة الإلكترونية، والمنظار والكيمياء العضوية DNA.

Autopsy,X-Ray، Xeroradiography، CT Scanning, scanning electron microscopy, endoscopy، and the newest darling of biochemistry – DNA study

وتعتبر العديد من المعلومات التى يتم تجميعها حاليا مرجعا مستقبليا لمزيد من المعلومات عن كل ما يتصل بالمومياوات والتحنيط والأمراض التى تعرضت لها والأحوال الاجتماعية المحيطة... إلخ

وقد تم مؤخرا التعرف إلى مومياء الملكة حتشبسوت بفضل سن عثر عليها فى أحد الصناديق، وبمضاهاتها بالفك لإحدى المومياوات المشتبه فى كونها حتشبسوت، تبين أن الفراغ مطابق للسن، مما أكد نسب المومياء للملكة، وقد أكد وضع اليد اليسرى على الصدر أن المومياء ملكية.

ومن المعروف أن حتشبسوت، برغم كونها أنثى، تشبهت بالرجال وحملت لقب ملك مصر العليا ومصر السفلى. وتجرى حاليا دراسات تحليلية على الخلايا الجزعية DNA لمعرفة الصلة بين حتشبسوت والملك أحمس نفرتارى. أما الفحوصات التى أجريت على الأنسجة، فقد أثبتت أن الملك توفى بمرض سرطان العظام، وكانت حتشبسوت تعانى أيضا من مرض السكر.



مومياوات بالمتحف المصرى بالقاهرة تخضع للفحص

ولكن المصرى ترك بخلاف المومياوات، بعض بيانات هامة تلقى الضوء على جوانبه الحياتية المختلفة، فبردية انسينجر تذكر النظم الغذائية ومؤثراتها، وبالرغم من التعميم إلا أن قيمتها وأهميتها لا تغفل، فهى تثير مشكلة مؤثرات الإفراط فى الطعام على الصحة العامة وأهمية الاعتدال فى الحياة.

- من يتحكم فى الإفراط هو قلب رجل حكيم.
- الخضراوات وملح النطرون هى أفضل الأطعمة.
- تهاجم الأمراض الرجل من كثرة الطعام.
- من يأكل خبزا كثيرا يعانى من الأمراض.
- من يشرب نبيذا كثيرا يفقد توازنه.
- تستقر كل الأمراض فى الأطراف بسبب كثرة الطعام.
- من هو معتدل فى أسلوب حياته لايتضرر جسده.
- لا تحرق الأمراض من هو معتدل فى طعامه.
- لا يهاجم الفقر من يتحكم فى مشترياته.

وتذكـر البرديـة بعض المواد لمداواة الجروح وهي زيت شـجرة الأرز، وملح النطرون، والبخور والملـح. وتضافرت جهود الطب والأدب في نشـر الوعي الصحي داخل إطار المجتمع. وبالبحث الحديـث فـي الأدويـة والوصفات العلاجيـة للمصري القديـم، تم التيقن مـن أن ٧٦٪ من هذه العلاجـات فعالة تتطابق مـع British Pharmaceutical Codex 1973 أو القواعد الصيدلية البريطانيـة، وأن الاختبـارات الطبية المذكورة في البرديات تحدد الخطوات المتعارف عليها طبيا الآن للتكهـن بخطوات المرض والتشـخيص. فالحالات المدونة ببردية إيـبرز، ٢٧ منها إصابات في الرأس أو الجمجمة نتيجة لصدمة قوية، وهي ما يشـخص حديثا بكونه كسـر طولي مركب، وكسـر غائر مركب، وكسر ساحق مركب، وحالة كسر ساحق بدون أعراض خارجية، وقد أعطى الطبيب المسـؤول عـن توجيه الأطباء، من خلال تعليمات البرديـة، وصفا مفصلا لهذه الحالات وكيفية تشخيصها والأسلوب العلاجي الأمثل لها. وذكر ست حالات لإصابة العمود الفقري، كما تذكر البردية النبض الضعيف والحمى مقترنة بالحالات الميئوس من علاجها. وتم ذكر الصمم وفقد القدرة على الكلام مؤقتا، الحبسة، كنتيجة للإصابة الموضعية. كما ذكر الطبيب المعلم العلاقة بين إصابات المخ وتغيرات بعض وظائف أعضاء أخرى وخاصة الأطراف السـفلية من الجسـد والشلل النصفي وتقلصاته، وصفهم بدقة عالية من خلال إحدى الحالات، كما أكد على التغيرات الوظيفية للأعضاء المقترنة بإصابات العمود الفقري أيضا، فيصف من خلال إحدى الحالات الشلل الرباعي، وسلس البول، والقدرة التناسلية، وتأثير كسر فقرات العنق على العضو التناسلي الذكري. وقد ذكر هوميروس في الأوديسه: «في مصر تفوق الطبيب في مجاله عن مثيله من البشر».

ولم تقتصـر النصـوص الطبية علـى كونها معلومات طبيـة، بل كانت ضمانا لعدم الفشـل في العلاج. وقد ذكر ديودور هذه الحقيقة في كتاباته: «إذا اتبع الطبيب هذه القواعد كما كتبت فـي الكتب المقدسـة ولم يتمكن من إنقاذ مريض، فلن يوجـه له أي اتهام، أما إذا خالف ما هو مقنـن في الوصفات، فإنه يخضـع للمحاكمة وعقوبة الموت نظير هذا». فـكان الطبيب الممارس حريصـا على دقة تطبيـق تعليمات ما كتبه الأقدمون ومتابعة حالاتـه باهتمام بالغ وضمير ليس خوفـا مـن العقاب، ولكن حبا فيما يعمل ومراعاة للإنسـانية التي يتمتع بهـا معظم من يؤدون هـذا العمل، ويتم تـداول المعلومات الطبية بالوراثة من الأب إلى الابن وإلى الدارسـين من خلال المـدارس الطبية المختلفة مثل مدرسـة هليوبوليس، وسـايس، ومنف حيـث بيوت الحياة التي تحتفـظ بالمراجع الطبية المختلفة. ولم تسـهم المومياوات من خلال فحصهـا في عالم المعلومات العلمية فقط، بل تخطتها للكشـف عن ثروة أدبية أيضا، فقد اكتشف بجوار إحدى المومياوات، حاليـا بمتحـف ميلانو على بردية تحتوي على العديد من القصائد الشـعرية اليونانية، وترجع كل مـن المومياء والبردية للقرن الثاني ق. م، فقد تداخلت كلتا الحضارتين آنذاك لخلق حضارة عرفت بالهيلينستية، وهذا تدرج طبيعي لحضارة البشرية المستمرة.

الفصل الثانى

من هو الطبيب؟

كان الطبيب يدعى سـونو باللغة المصرية القديمة ويطلق هذا المسـمى على الأطباء الباطنيين، ويتدرج السونو فى الوظيفة من طبيب إلى مشرف على الأطباء، ثم كبير الأطباء، ولفظ سونو يعنى المعاناة من الألم، ويطلق على بعض السـونو لقب كاتب، حيث كان يسـتطيع قراءة النصوص الطبية المختلفة، والممارسة تمنحه الخبرة العملية الكافية واللازمة للعلاج.



أحد الأطباء فى مصر القديمة

أما طائفة الكهنة، فهم سخمت، وهم الجراحون، بينما ساو هم الأطباء الروحانيون، وسخمت تعنى من يمكنه إبعاد الأرواح الشريرة أى الأمراض، وساو تعنى الحارس أو الحامى.

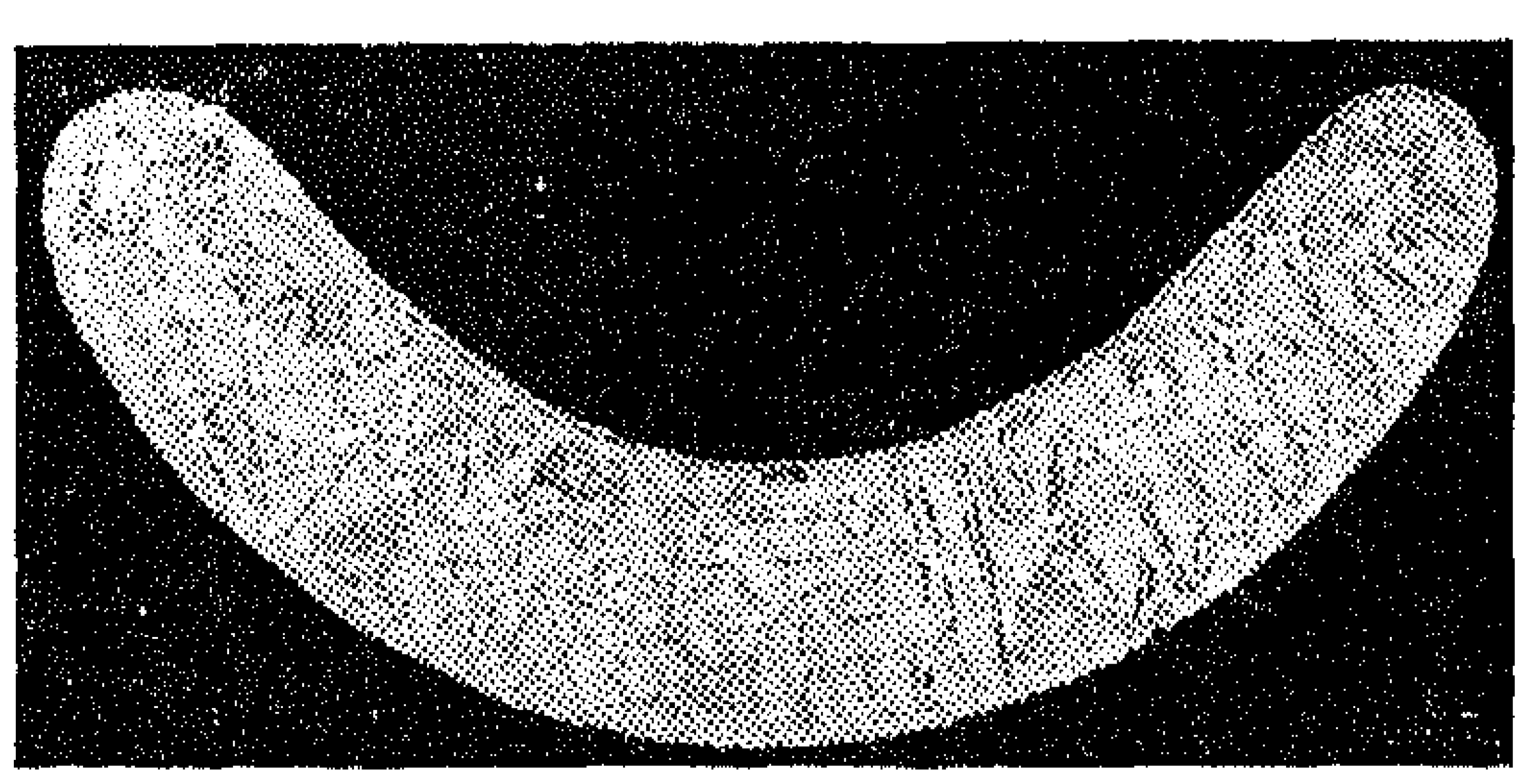
ويماثـل التـدرج الوظيفى للأطبـاء فى هيكله مـا هو متبع للآن، فالهرم الوظيفى يبدأ بكبير الأطباء، السمنو، يليه الأطباء أو الإيمـى سمنو، ثـم المسـجل أو سمنو سمنو، ثم المستشـار شد سمنو وأخيرا المتخصص كل فى مجاله.

«لقد مرت سبعة أيام منذ أن رأيت حبى، وزحف المرض فى أوصالى، وثقلت أعضائى ولا أشعر بجسدى، وإذا عادنى الأطباء فلن يجدى دواؤهم نفعا، وليس لدى الكهنة علاج لى، فلا يمكن تشخيص مرضى، فإن حبى أجدى لى من الدواء، فأهميته لدى أعظم من كل كتب الطب» قصيدة حب عام ١٥٠٠ ق. م.

وتلخـص هـذه القصيدة ما عرف عـن الطب والأطبـاء آنذاك، فهنـاك الطبيب المعالج بالأدويـة، والكاهن المـداوى للنفس، وقد حمل بعضهم لقب «طبيب القصر، مشـرف على أطباء القصر، طبيب عيون القصر، أخصائى المعدة، ومن يفهم فى السوائل الداخلية للجسم وحامـى العانـة... إلخ» وأهم ما تبرزه هذه القصيدة هى كتب الطب التى هى مرجع كل طبيب ممارس يستقى منه علاجاته المختلفة.

وعرف كهنة سخمت بتخصصهم فى مجال الجراحة كما يذكر أحد هؤلاء الكهنة من الأسرة الحادية عشـرة: «لقد كنت قويا وماهرا فى المهنة أضع يدى على المريض فأتعرف على مرضه، لقد كنت ماهرا بيدى».

ويعين الأطبــاء ويتقاضون رواتبهم من قبل الدولة ، وتتم معالجة كل مــن يحتــاج إلى العلاج مجانا ، ويتقاضـــى الطبيب مقابلا عينيا نظـــير خدماته ، وهو نظـــام رعاية صحية متقـــدم ومنظم يتطابق مع ما هو متبع الآن فى هذا المجال.



تعويــذة للحماية كان يلجــأ لهــا المصــرى القديــم

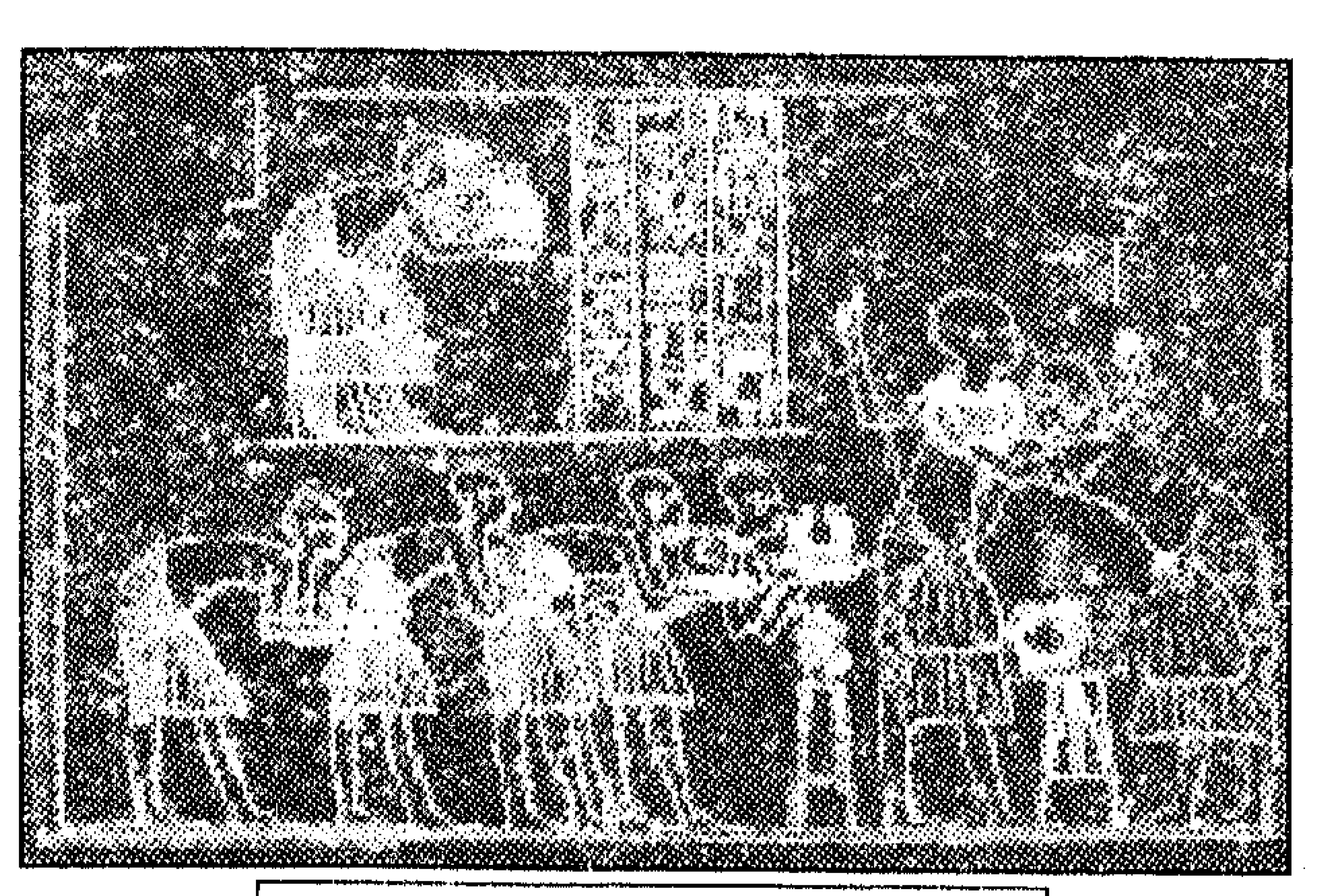
إلى أن تطـــورت الأمور وأصبـــح الأطباء يمارســـون عملهم مقابل أجر يدفعه المريض، مما جعـــل طبقة الأطباء، بفئاتها الثلاث ، من الأغنياء كما تدل عليه مقابرهم ومحتوياتها من أثاث جنزى وأدوات الحياة اليومية التى تصاحبهم بعد الموت.

ويؤدى التدرج الوظيفى الذى يبدأ بالطبيب، أو الســـونو للتصاعد إلى وظيفة كبير الأطباء مثل إوتى ، الدولة الحديثة ، القرن ١٦ ق. م. الذى كان كبير أطباء مصر العليا ومصر السفلى.



«إوتى» كبير أطباء الدولة الحديثة

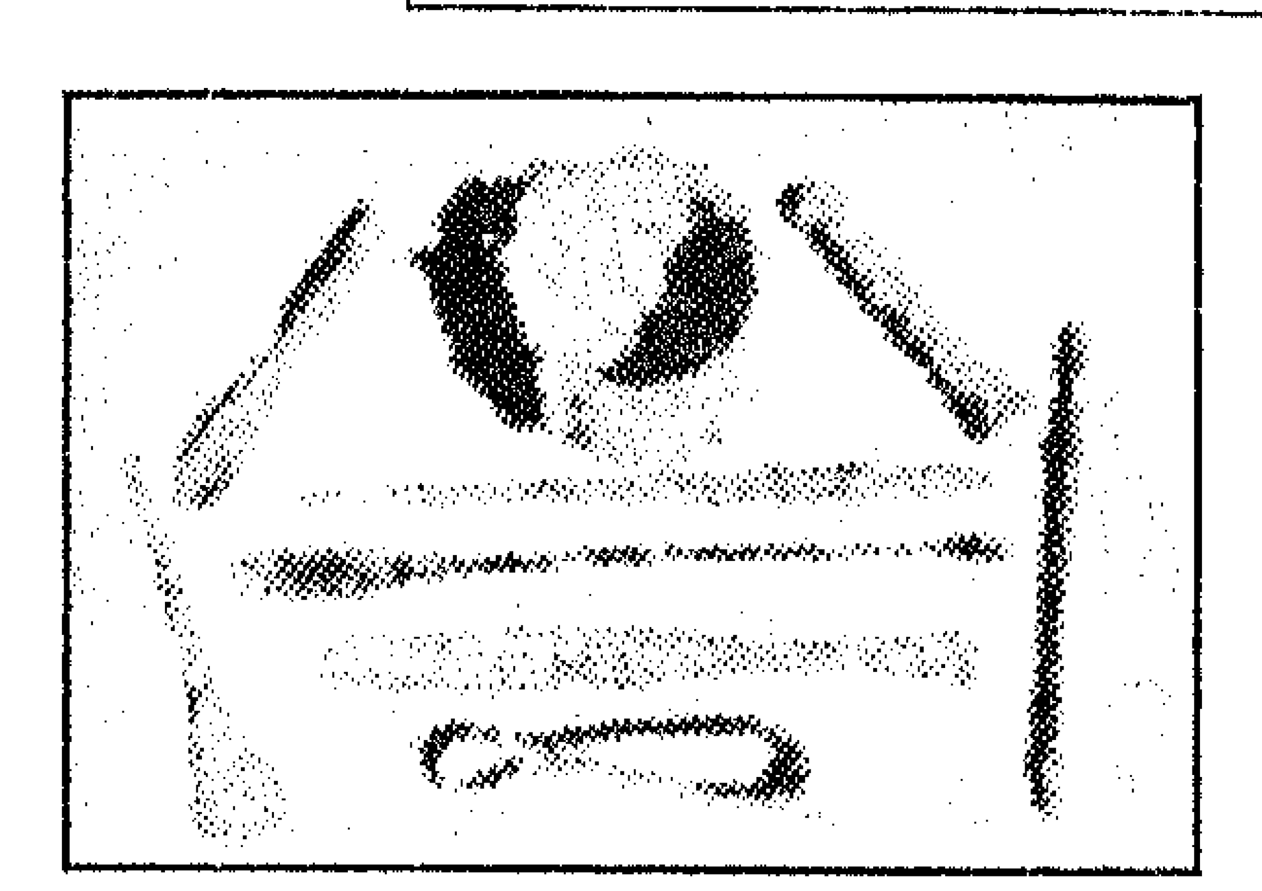
يرجع هذا التمثال الذى يمثل سخمت، رمز التطبيب والعناية بالمرضـى، للدولــة الحديثة، الأســرة الثامنــة عشــرة. ســخمت تجسيد رمزى للقدرة على الشفاء من الأمراض، فقد كـان العلم والعقيدة متداخلين ويســيران معا فى كل تفاصيل حيــاة المصـرى القديـم، وقد عرفــت ســخمت بتعطشــها للــدماء طبـقا للأسطورة.



يتلقى الطبيب الهدايا مقابل خدماته الطبية

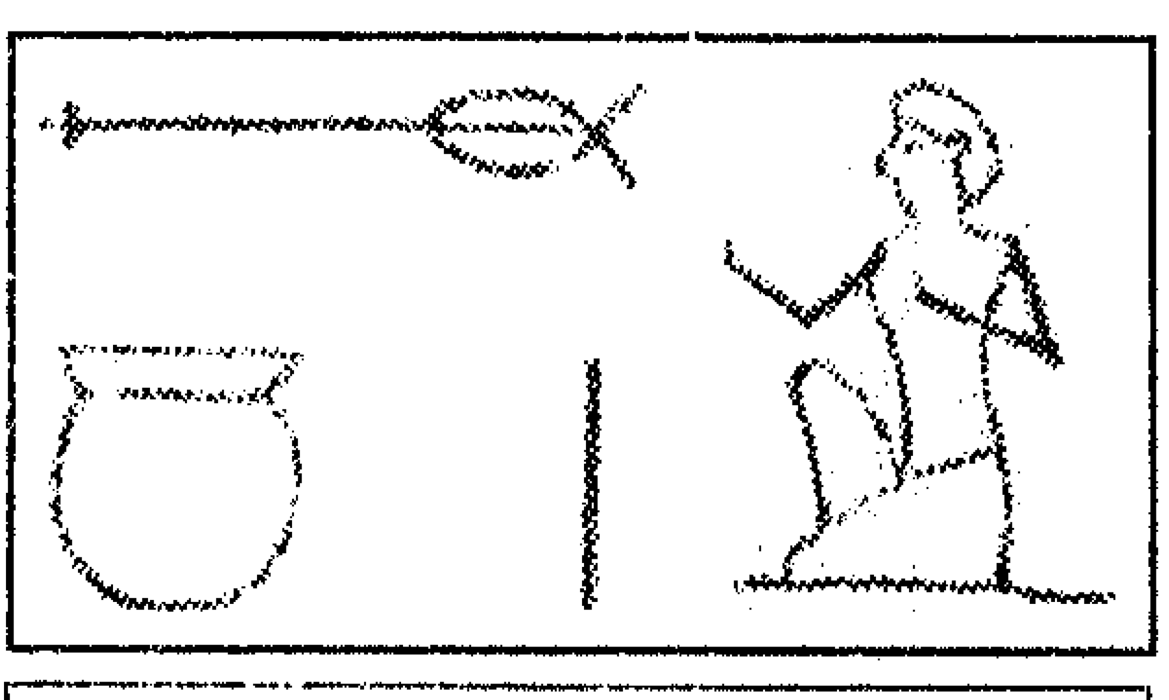
ومنح الأطباء العديد من الألقاب منها المشرف على أسرار الصحة في دار تحوت أو متخصص العيون في القصر... إلخ

وعادة ما يلحق أفضل الأطباء بالبلاط الملكى حيث يجزل لهم العطاء مقابل خدماتهم، وتقدم لهم الهدايا المتعددة مقابل شفاء المريض وكان كل طبيب متخصصا فى فرع واحد فقط من الطب، فهناك طبيب الأسنان، وكذلك الجراح، وطبيب العيون، والأنف والأذن والحنجرة، والفم وآلام المعدة، وحتى الحقنة الشرجية كانت لها المتخصص الممارس لها طبقا لما ورد فى بردية شستربيتى.



بعض الأدوات الجراحية القديمة بالمتحف المصرى بالقاهرة

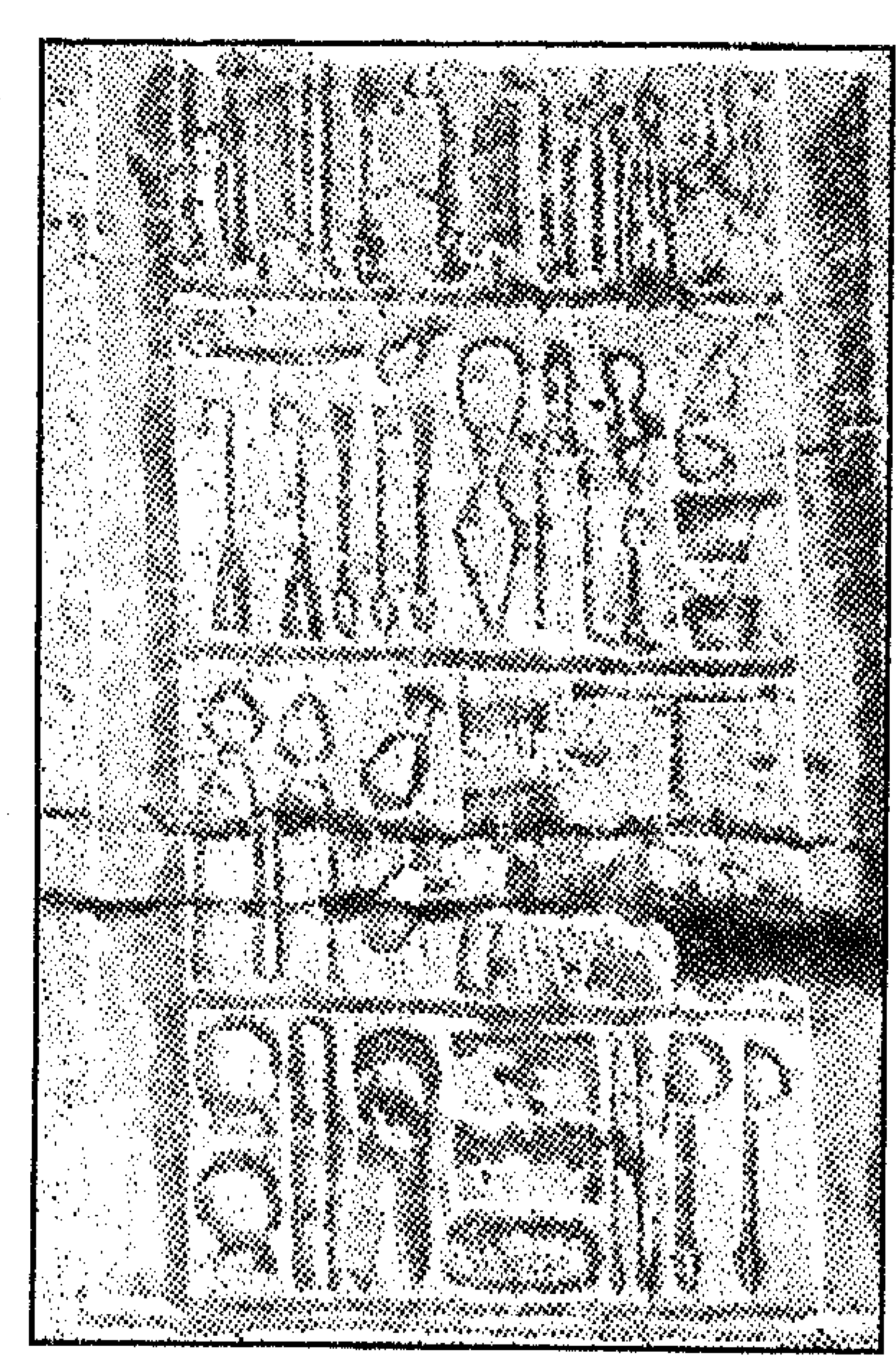
ويحظى الطبيب المتخصص باللقب المناسب لما يؤديه من عمل كما هو مدون على جدران مقابر الأطباء، فكل منهم له تخصصه ولقبه. ويماثل السونو الممارس العام حاليا، فهو مكلف بعلاج الأسنان أحيانا، ويمارس الطب البيطرى عند الحاجة، ويهتم السونو بالبشرة والجلد، فيصف الدهانات اللازمة ويمارس عمله طبقا لمبدأ التجربة والخطأ، ويكتسب مهارته من خبرة من سبقوه وممارسته العملية. ومن المتوقع من الممارس العام المساهمة فى القضاء على الزواحف والقوارض حسبما تقتضيه الحالة.

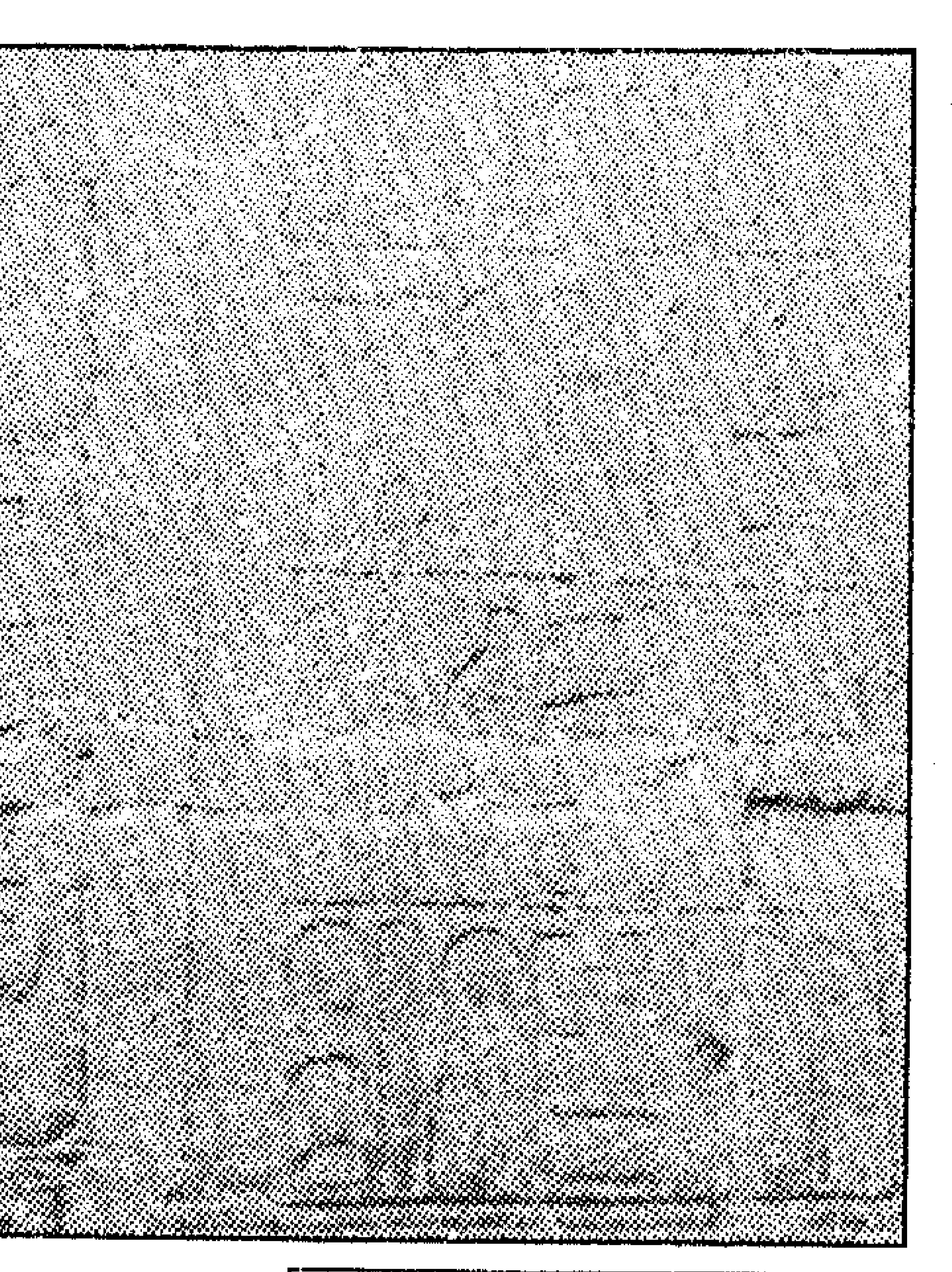


كلمة سونو باللغة المصرية القديمة

ويعتبر دور الطبيب على درجة كبيرة من الأهمية خاصة فى مجتمع الحرفيين وبناة المنشآت الذين يتعرضون للكثير من الحوادث، فالسونو هو الممارس الشعبى للأعمال الطبية المتنوعة.

ويبدأ الطبيب المصرى القديم تعلمه بالقراءة والكتابة، ثم يتوجه لأحد المعاهد التعليمية لاكتساب مهارات طبية على أيدى أطباء سبقوه فى هذا المجال.





بعض الأدوات الجراحية كما ظهرت على جدران معبد كوم أمبو

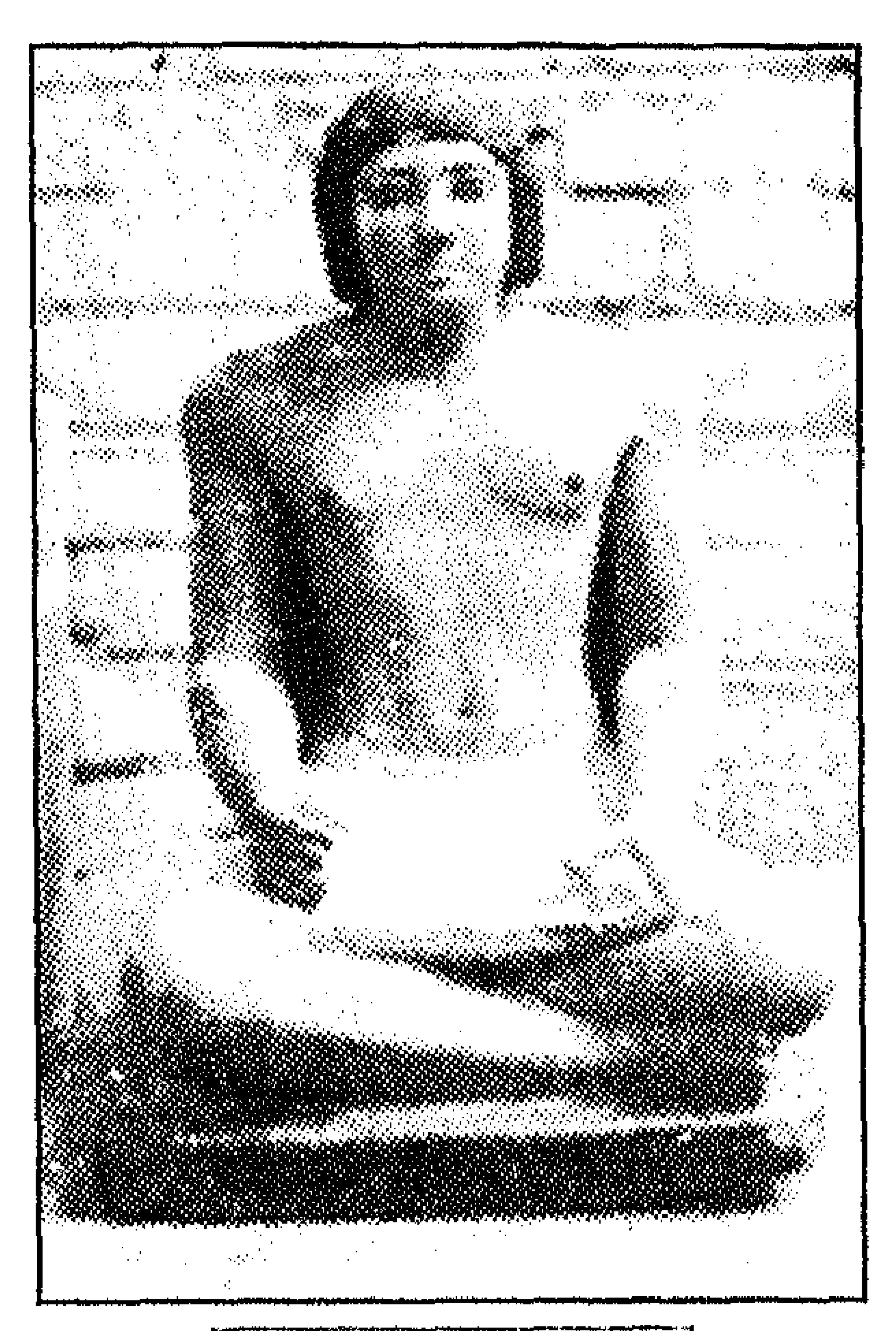
وانتشـــرت المعاهد التعليمية أو المدارس منذ الأسرة الأولى، ٣١٥٠ ق. م، الدولة العتيقة، ومن أهمها مدرســـة أمحوتب فى العاصمة منف، ومدرســـة تخريج طبيبات الولادة فى مدينة ســـايس بالدلتا، ومدرســـة الجراحة فى طيبة، ولكن أشـــهرهم كان معهد مدينة أون الطبى، عين شمس، حيث يتلقى الطبيب مبادئ طبية وتدريب على الممارسة العامة، ثم التخصص.

وكانـــت هذه المعاهـــد تدعى بيت الحياة أو بـــر عنخ، ويعد كتاب الطـــب التطبيقى وكتاب التشـــريح الذى قام بإعدادهما ابن الملك مينا، الأســـرة الأولى، القرن ٣١ ق. م، من أقدم المراجع الطبية المحفوظة فى مكتبات هذه المدارس.

وكان على الطبيب تطبيق تعاليم الأولين بدقة لا يحيد عنها فقد سجل ديودور هذه الملاحظة عـــن الطب فـــى مصر القديمة: «كانوا يمارســـون عملهم طبقا لقانون مـــدون وضعه خلال الأزمنة الســـابقة أطباء أكفاء»، كما ذكر أنه: «خلال حملاتهم العســـكرية أو تواجدهم فى الريف كانوا يحصلون على العلاج مجانا».

ولكن يبدو أن هذا النظام المجانى يطبق فقط على العاملين فى المواقع الإنشـــائية مثل منطقة دير المدينة والأهرامات على سبيل المثال، بينما يدفع الأغنياء مقابلا عينيا لخدمات الطبيب.

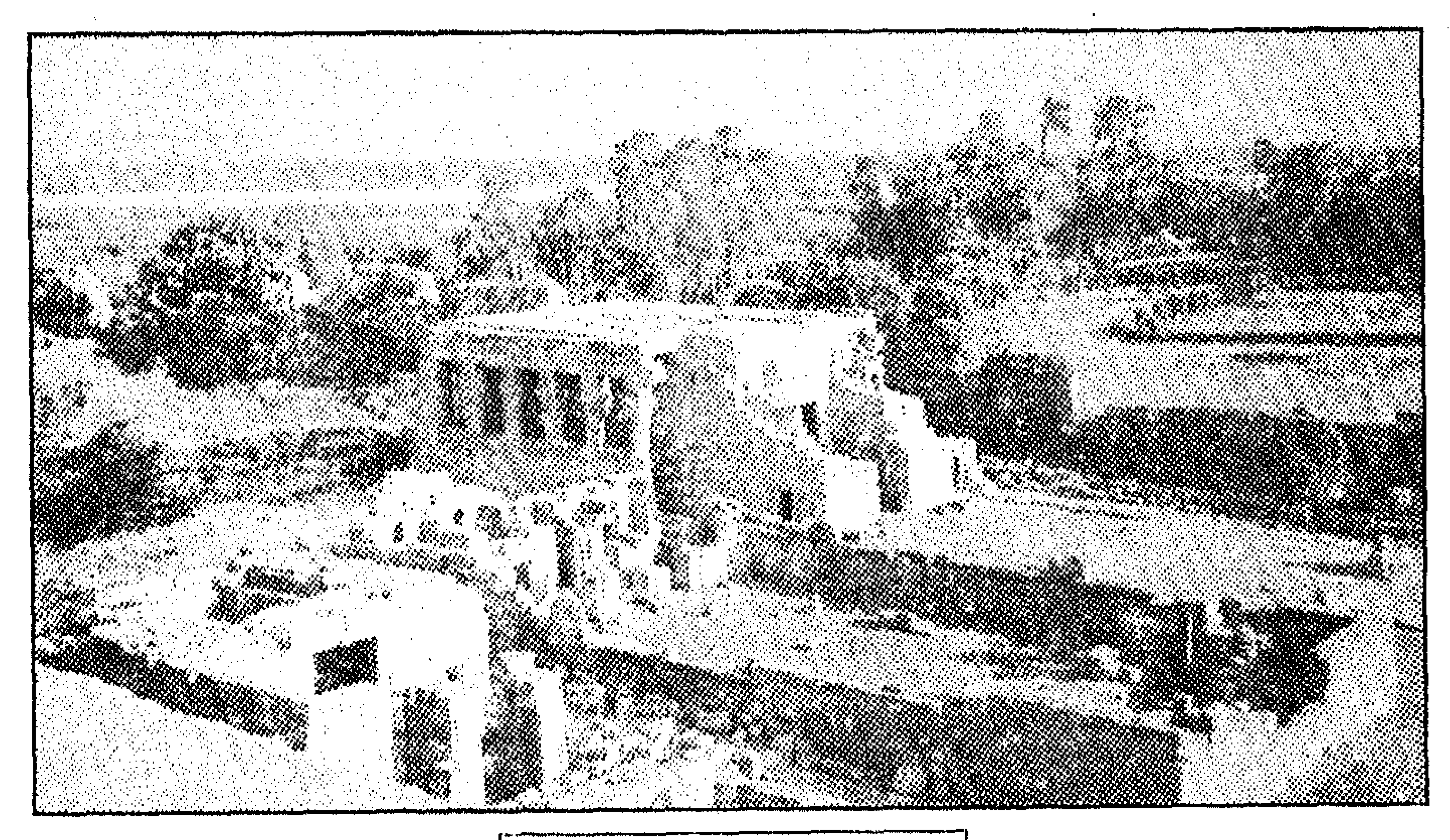
ويصاحـــب الطبيـــب عامة مســـاعدوه الذيـــن يتولون مهمة حمـــل أدواته والمعـــدات اللازمة لإعداد الدواء.



هذا التمثال من مقتنيات
المتحف المصرى بالقاهرة

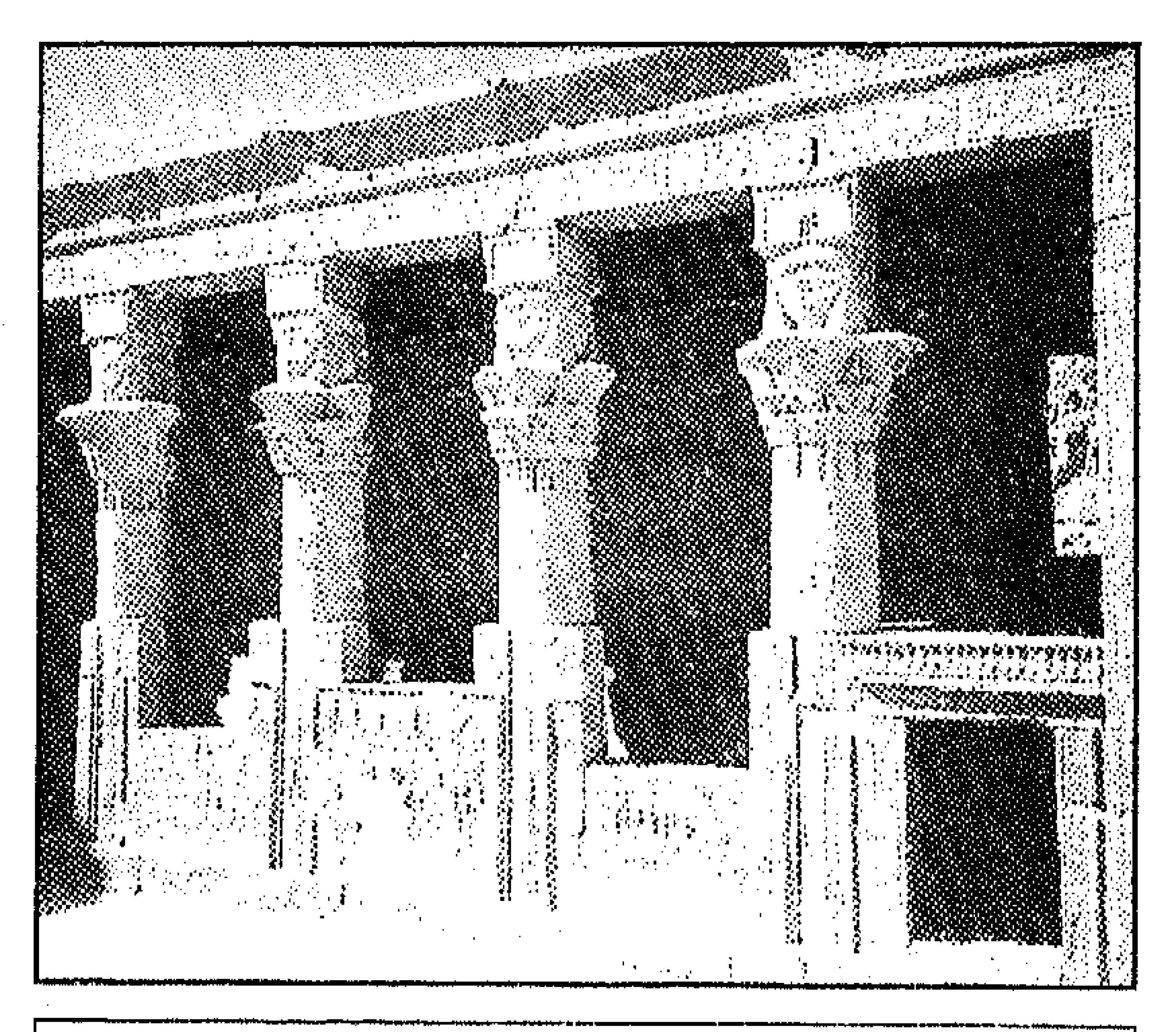
يبدأ الطبيب حياته العملية بتعلم القراءة والكتابة ثـم التوجه إلى المدارس التعليمية الطبية حيث يتدرب علـى التطبيب والمداواة مع الرجـوع لما هو مدون فى كتب الأجداد من الأطباء الذين دونوا حصيلة تجاربهم ودراساتهم العملية على الجسم البشرى.

وتلحـق المعاهد الطبيـة التعليمية عـادة بالمعابد حيث يمارس الأطباء عملهم ولهم نفس منزلة الكهنة، كمـا تلحق بيـوت الولادة أو الماميـزى بالمعابد أيضا خلال العصر البطلمى، ولكنها تخدم غرضا آخر مغايرا لعمليـة الولادة الحقيقية، فلـم يكن الماميزى أو بيت الولادة مخصصا للولادة العادية، بل كان يحمل معنى رمزيا يمثل الـولادة الإلهية التى تصبغ على الفرعون المولود صفة الشـرعية وتؤكد نسـبه الإلهى، وبالتالى شـرعية حكمه وأحقيته فى عرش مصر، وكان الملوك يلجئون إلى هذه الممارسـة لكسب أحقيتهم على عرش مصر كما فعلت الملكة حتشبسوت.



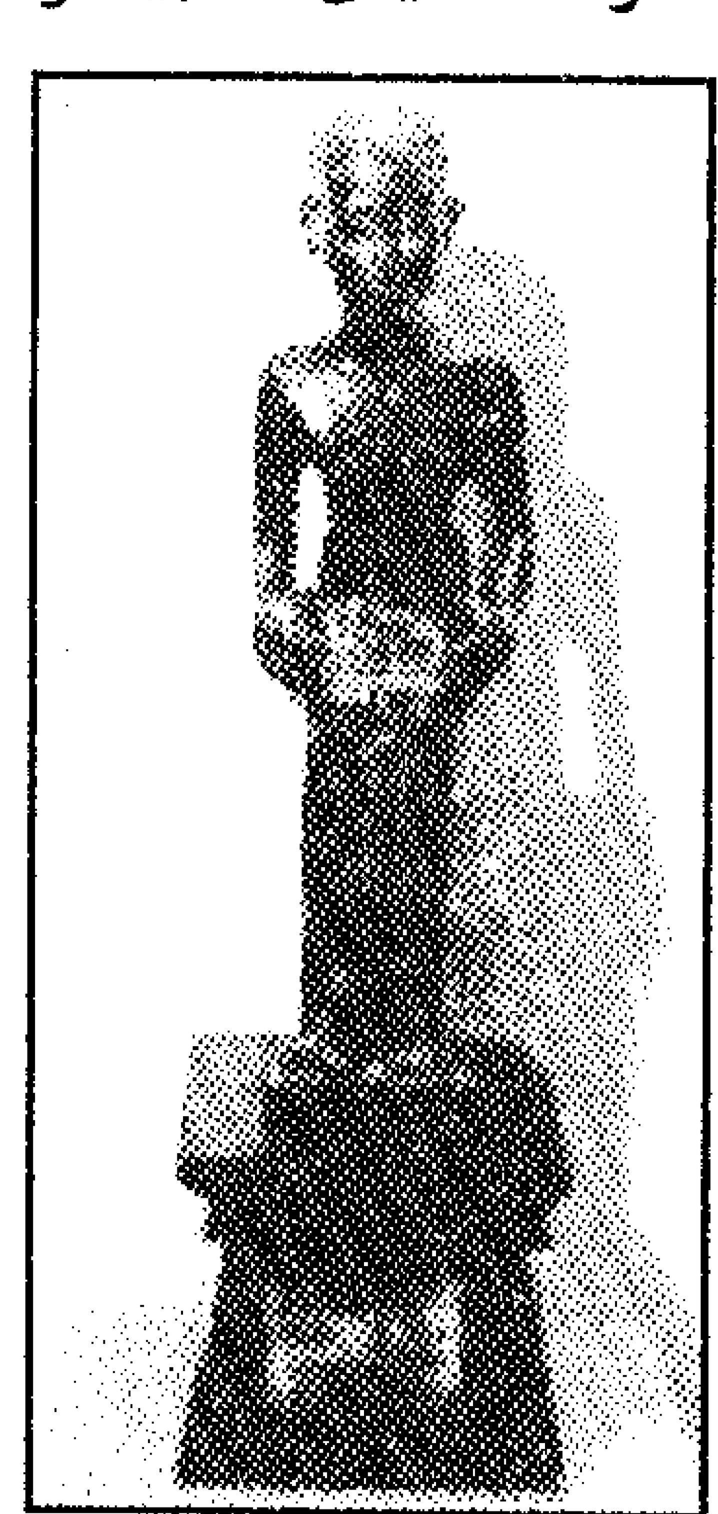
الماميزى الملحق بمعبد دندرة

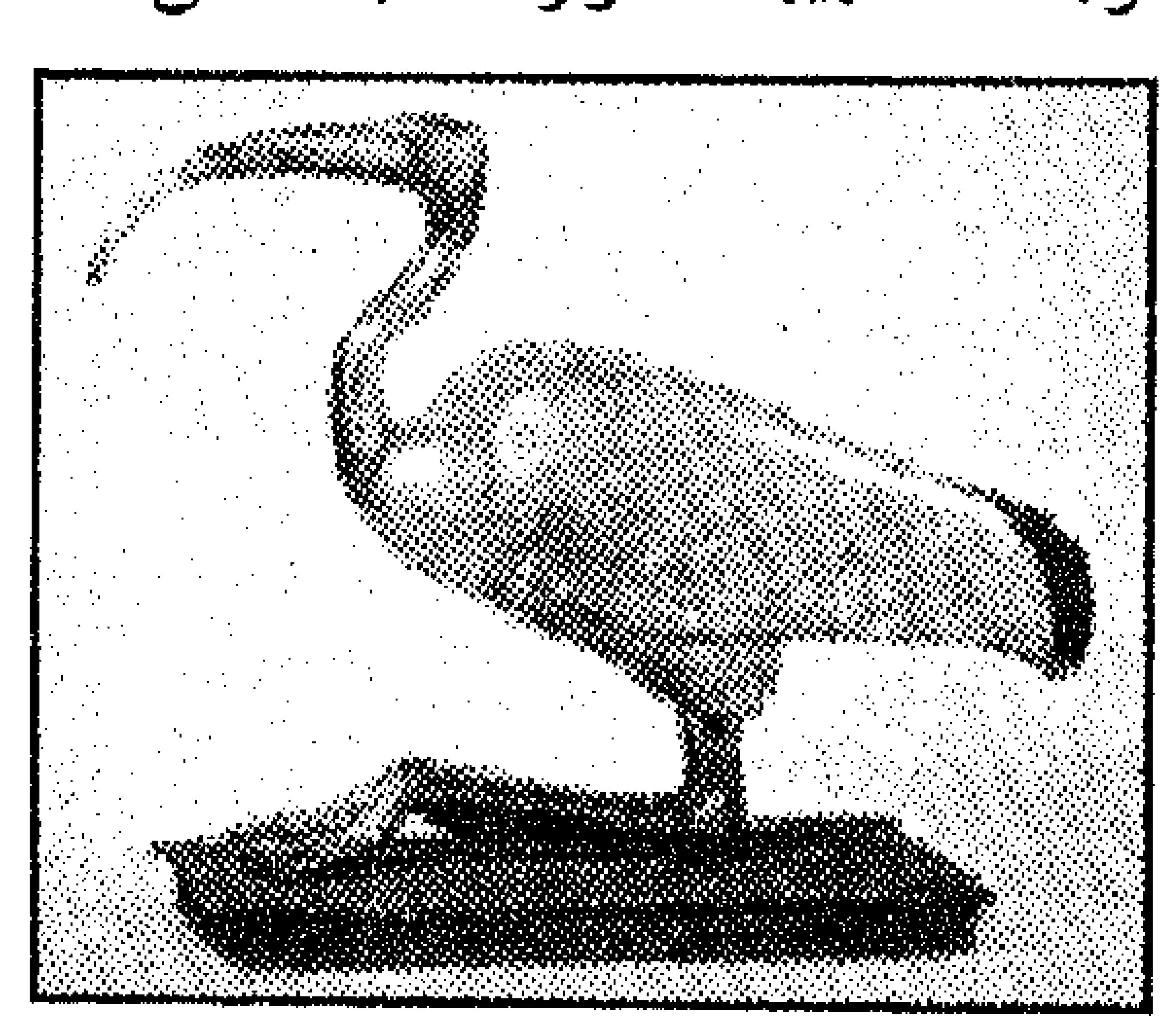
وإلحاق تلك المدارس بالمعبد لا يعنى بالضرورة دراسة الروحانيات فقط، ولكن الطب يدرس مع العقيدة، فهما متصلان قديما وحديثا، إذ إن جامعة الأزهر حاليا تدرس الطب فى إحدى كلياتها العملية انطلاقا من نفس المبدأ.

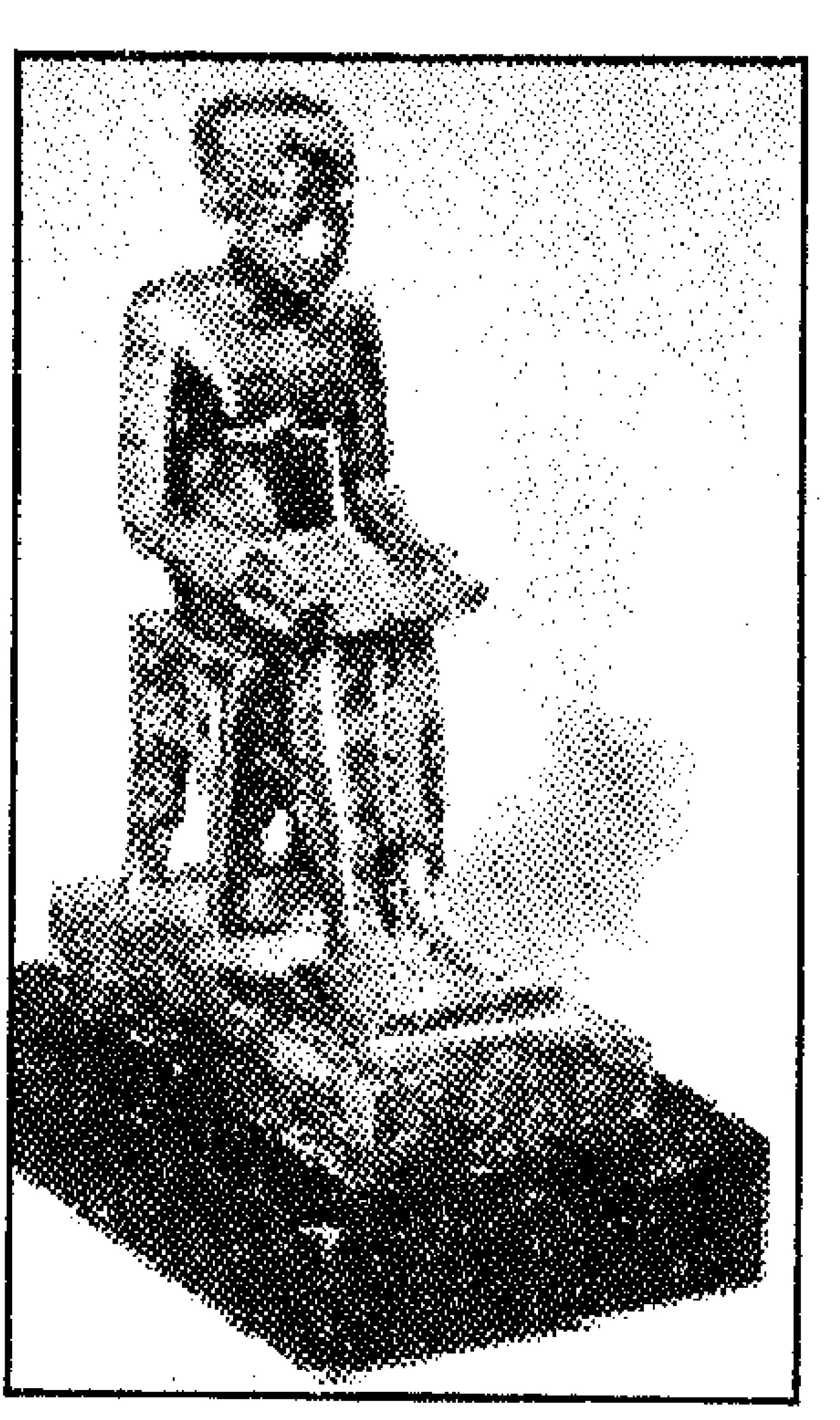


الماميزى معبد فيلة حيث سجلت على جدرانه الولادة الإلهية

ولم يقتصر دور الأطباء على الرجال فقط، فقد كان للنساء دورهن الهام فى العلاج والإشراف الطبى، وتعتبر بسيشت أول طبيبة ممارسة تولت مهمة الولادة وتعليم طبيبات متدربات فى مدرسة سايس الطبية وتخرجت الطبيبات لمزاولة المهنة على أسس علمية سليمة.





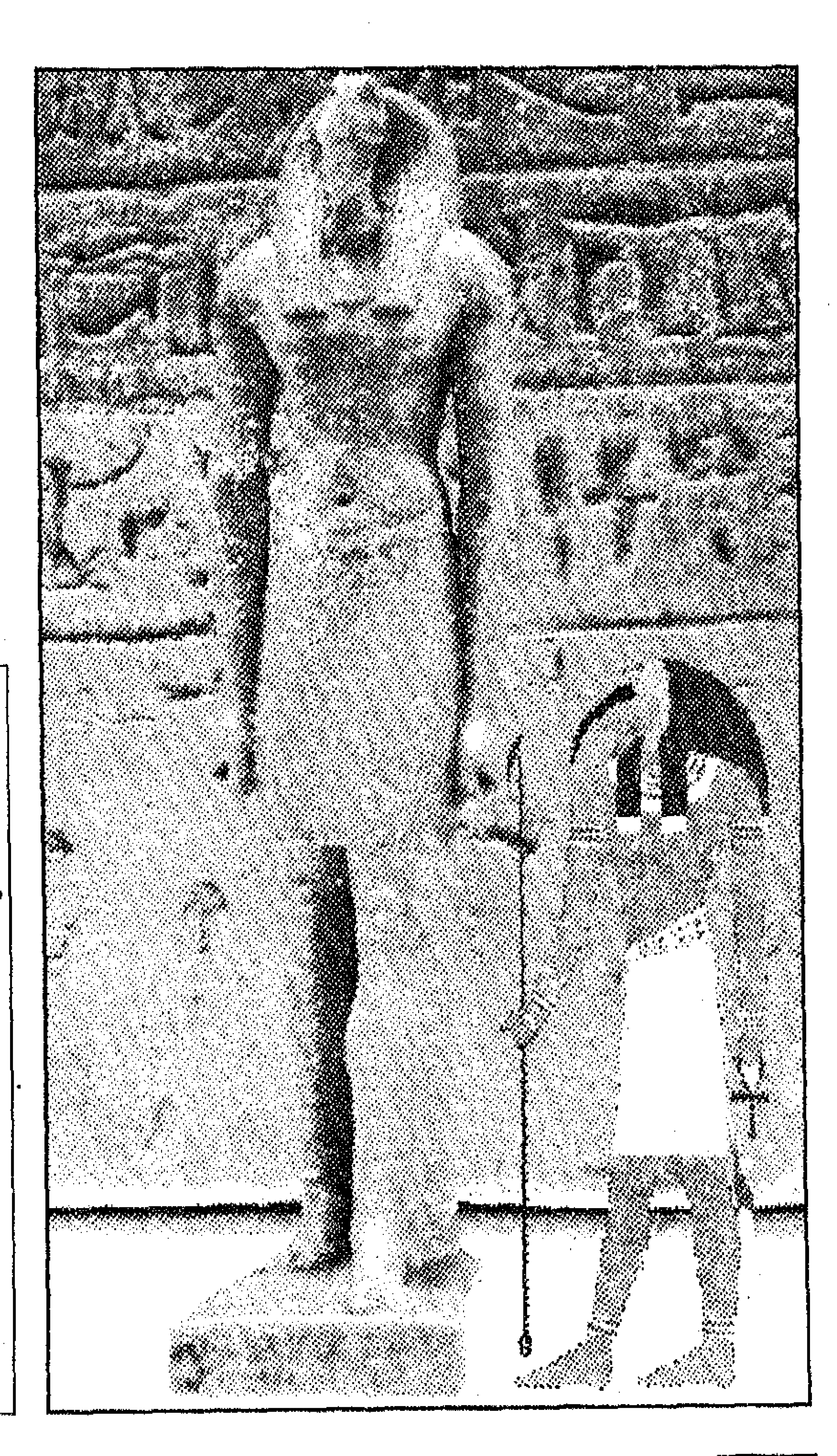


إمحوتب وتحوت وكلاهما رمزا للطب والمداواة

واعتبر إمحوتب، وزير وكبير مهندسى الملك زوسر، كبيرا للأطباء خلال الدولة القديمة، واعتبره اليونانيون إلها للطب وتوحد مع إسكليبيوس اليونانى.

ونسب بريستد محتوى بردية إدوين سميث لإمحوتب، ومن المرجح أن كلا من بردية برلين وجزء من بردية إيبرز وبردية سميث ما هى إلا نسخ أحدث لكتابات واستنتاجات إمحوتب الطبية. ومعنى كلمة إمحوتب هى «الآتى فى سلام» ويشارك تحوت إمحوتب فى الأهمية، فهو رمز المعرفة والطب والمداواة أيضا.

وكما تذكر الأساطير فإن تحوت هو الذى تولى مهمة مداواة عين حورس التى فقدها خلال صراعه مع ست وتقطعت إلى أجزاء عديدة، ٦٤ جزءا، قام تحوت بتجميعها وإعادتها لمكانها الأصلى.



تحوت فى شكل الطائر أبو منجل أو بشكل آدمى يلبس قناعا يمثل رأس الطائر، ويمثل تحوت الرمز الذى علم البشر كيفية النظر إلى السماء وحساب الوقت والأيام إذ إن العام كان يمثل للمصرى حصيلة ٣٦٥ يوما ولم يغفل ربع اليوم. وطبقا لإحدى الأساطير، فإن تحوت هو من نشر الكتابة بين البشر فهو رسول البشر الذى يعلمهم ويدلهم على السلوك السليم. يعرض هذا التمثال بمتحف اللوفر.

ذكر المصرى القديم الأساطير كى يقرب للذاكرة الجماعية الكثير من المفاهيم التى تستعصى على العامة، وذكر تحوت من خلال الأسطورة يفتح الأذهان للطب والطبيب والعلاج والأمل فى الشفاء، فقوة الأسطورة آنذاك تعادل مفهوم الإعلام الحديث، ومن هنا أهمية تناول التفاصيل بعد تحديد إطارها العام كى يتمكن قارئها من لمس كل الأبعاد والملابسات، فنحن بصدد شعب يتحسس طريقه نحو العلم والمعرفة ويشحذ ذكاءه فى الاكتشاف والكشف للوصول إلى الحقيقة بهدف تحقيق سبل وظروف معيشية تخضع للإطار الأمثل. ولم تذكر أساطير المصرى القديم تحوت فقط، ولكن إيزيس كان لها دورها فى المداواة من لدغات الثعبان وغيرها، فقد وضع المصرى رموزه كى ترشد العامة للمفاهيم المختلفة.



الملك الفارسى دارا الذى خلف قمبيز فى الحكم وعرف برجاحة العقل واحترامه للثقافات المختلفة واهتم بالتعليم والزراعة والبناء

واستمرت ممارسات الطبيب المصرى عدة قرون قبل أن يتوارث الإغريق دراسات المصرى القديم، ولا أدل على هذا من موقف الملك الفارسى دارا خلال القرن السادس ق. م الذى تمتع بحس عالٍ مكنه من معرفة قيمة ما يمتلكه البعض فى الدول التى احتلها، وهذا ما تؤكده النقوش المتواجدة على تمثال أحد الكهنة المعاصرين آنذاك ويدعى أوزاحور رسنت.

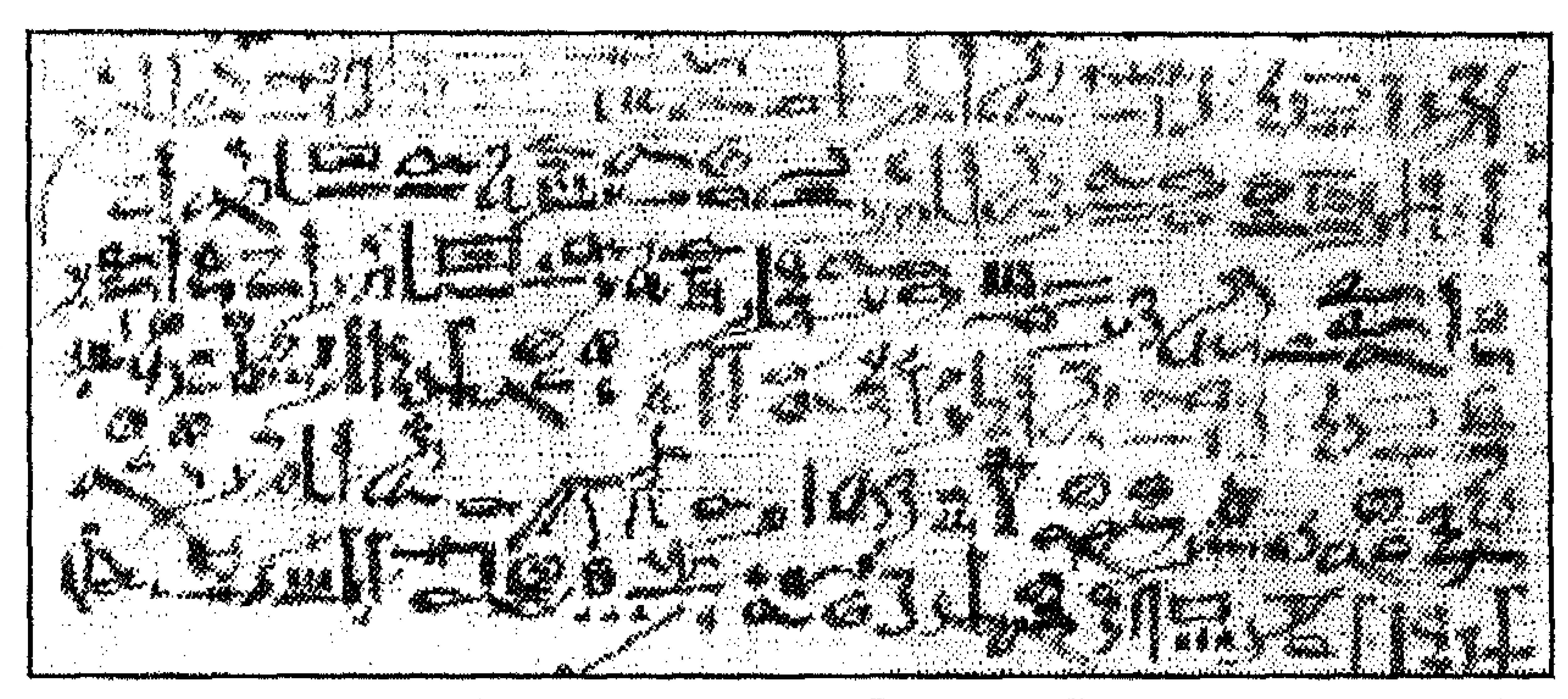
ويعرض تمثال هذا الكاهن فى الفاتيكان حاليا، وتعكس هذه النصوص بعضا من شؤون حياة هذا الكاهن المتصلة بالطب: «أوفدنى جلالة الملك دارا إلى مصر عندما كان جلالته فى (مدينة) إيلام ملكا عظيما على كل قطر وأميرا كبيرا على مصر لإنشاء قاعة بيت الحياة وهو مبنى...بعد تهدمه «لقد قادنى البرابرة من بلد إلى آخر حتى أوصلونى إلى مصر كأمر جلالته»».

وكان بيت الحياة كما ذكر سالفا هو المكان الذى يتلقى فيه دارس الطب العلم والتدريب اللازمين وبه خزائن تحتوى على الكتب والمراجع الطبية، وكان يقصده البعض للعلاج أيضا. واستمرت هذه الممارسات حتى العصر اليونانى الرومانى، ثم العصر الإسلامى فيما بعد وتشهد المبانى الخاصة بالمماليك بالتحديد بعضا من هذه التطبيقات، فقد اهتموا بإنشاء مبانٍ خاصة للعلاجات المتنوعة مثل أمراض العيون، خنقاه قلاوون بشارع المعز لدين الله وخلافه.

ويستطرد أوزاحور رسنت: «نفذت ما أمرنى به جلالته. اخترت الطلبة من بين أبناء علية القوم دون أبناء الفقراء. جعلتهم تحت إشراف رجال راشدين...من أجل طبيعة عملهم. لقد أمر جلالته أن يزود هؤلاء الطلبة بكل ما يلزمهم ليقوم كل منهم بعمله، فزودتهم بكل ما احتاجوا إليه وبكل الأدوات الواردة بالمخطوطات حتى عادت الحال بهذه المعاهد إلى ما كانت عليه قبل ذلك. «فعل جلالته هذا اعترافا بفضل هذه المهنة ورغبة فى إنقاذ حياة المرضى وإعلاء لشأن المعبودات ومعابدهم واقتصادياتهم لتستمر إقامة شعائر أعيادهم على مر الزمن».

وحمل أزاحور رسنت، كاهن بمعبد نيت بصا الحجر أو سايس، لقب كبير الأطباء وزخرت المعاهد الطبية بالعديد من المراجع التى دون الطبيب المصرى فيها ملاحظاته وخلاصة تجاربه، وتحتوى هذه المراجع على تفاصيل دقيقة خاصة بالعمليات الجراحية التى مارسها الطبيب بكل كفاءة، كما دون الممارس للطب الباطنى وللجراحة سجلات يومية تحتوى على ملاحظاته ومتابعته للحالات المرضية وما يستجد بتأثير العلاج وكيفية تلافى الآثار لبعض الحالات.

وقد استهلت بردية سميث بالتحديد بهذه الجملة: «يبدأ هذا الكتاب المتصل بتحضير الأدوية لعلاج كل أجزاء الجسم» بينما تبدأ بردية إيبرز بدعوات وابتهالات لحماية الأطباء من عدوى بعض الأمراض التى قد تصيبهم أثناء الاحتكاك بالمرضى، والعناية الواجب توفيرها فى حالة إصابة الطبيب.



كتبت معظم البرديات بالخط الهيراطيقى

وقد اهتم الفرعون، ملك مصر، وإدارته بالجهاز الطبى فى مصر القديمة التى تمتلك نظاما خاصا للفكر والممارسة الحياتية، فلم يُجَزِّئْ المصرى النفس والروح والجسد فقط بل أقر وجودهم وأوجد لكل جانب سبل العلاج الخاصة به طبقا لرؤيا الطبيب التى توارثتها الأجيال.

وتعتبر الحماية الإلهية ضرورية لرفع معنويات المريض، والأسلوب العملى للعلاج يكمل هذا الجانب الإيمانى لدى كل من الطبيب والمريض معا.

وحظى الجهاز الطبى وعلى رأسـهم كبير الأطباء الملكى بكل التقدير، وكان للأطباء مكانتهم فـى المجتمع التى تعـادل مكانة الكهنة وكبار رجال الدولة. ولم يقتصر دور الطبيب على حدود مصر فقط، بل تخطاها ليصبح الإقبال على الممارس المصرى لدى بعض الدول له أهميته.

ولا عجـب، فالطبيـب كان يمارس الفحص، وجس النبض، والنقـر على المصاب، ومتابعة حالة القلب والأعراض المرضية، ثم يشخص الحالة ويحدد العلاج وامكانيته من عدمه أحيانا.

وتحضـير الدواء من المواد الطبيعية ذات الفاعلية السـريعة عملا علميا خارقا فى هذا الزمان رفع من قيمة الطبيب لدى الأغلبية، ومازالت مكونات الكثير من العلاجات هى الأساس لبعض الأدوية الحديثة، ولكن بتحضيرات معملية صناعية ومواد غير طبيعية.



التطهر بالماء

لقد بدأ الطبيب المصرى عمله غير مسلح بأية معلومات يرتكز عليها وطور ما استنتجه من ملاحظاته وتجاربه إلى أن جمع حصيلة علمية لا يستهان بها هى الركيزة الأساسية للعديـد من المعلومـات الطبيـة وتطبيقاتها فيمـا بعد، إنه الإنسـان وقدراته المسـخرة لخدمة الإنسانية.

ولم يلجأ الطبيب للعلاج فقط، بل وضع أسسـا وقائية هامة يتبعهـا الجميع لتفادى الأمراض منذ البداية وتتلخص ببسـاطة فى التطهـر والاغتسـال بالماء ونزع الشـعر عن الجسـد لتفادى التصاق الحشـرات بالجلد واتباع نظام غذائى معين والصوم عند الضرورة والامتنـاع عن بعض الأطعمة أحيانا، وكلها إجـراءات وقائيـة للمحافظة علـى الصحة العامة رفعت من قيمة الطبيب العلمية.

ولم يقتصـر عـلاج الطبيب على البشـر فقط، بل امتد للحيوان وظهر الطبيب البيطرى للعناية بالحيوان وعلاجه عند الضرورة، فقد كان للحيوان مكانته لدى إنسان هذا الزمان الذى احترم كل معطيات الطبيعة وقدَّرها حق قدرها.

وقد اهتمت الإدارة الحكومية لمصر آنذاك بتنظيم عمل الطبيب الذى اعتبر من صفوة العاملين بالدولـة على نفس الدرجة مـن الأهمية مثل المحارب والكاهن وكبار رجال الدولة، وانتشـرت

قدرات الطبيب المصرى خارج مصر فكان يستقطب لعلاج علية القوم من الدول الأخرى، وكان الأطباء الملكيون هم كبار الأطباء الذين يتولون مهمة نشر العلوم الطبية لدى الطبيب المتدرب.

وتجزئة مهمة الطبيب وجعل كل واحد منهم متخصصا فى مجاله أعطت الفرصة للإبداع فى هذا المجال وتوجيه القدرات لعلاج الجزء الذى يتخصص فيه الطبيب، فظهر الطبيب الكفء للعيون وآخر لأمراض النساء وآخر للأذن والحنجرة، والجهاز الهضمى... إلخ

وهى التخصصات التى مازالت تسيطر على العلوم الطبية الحديثة على المستوى الإنسانى العالمى، ولكن طبيب القصر تخصص فى كتابة النصوص الطبية كنموذج يحتذى به الطبيب الممارس، السونو، باعتبار أن التطبيب من واجبات الملك الذى ينوب عنه كبير الأطباء للقصر الملكى.



مجموعة من المصريين الأصحاء يؤدون عملهم

ويذكر ديودور الصقلى فى هذا المجال: «يتبع الأطباء تعليمات كتابية صارمة منقولة عن عدد كبير من الأطباء القدامى المشهورين».

وتمتع الأطباء بوضع اجتماعى عال وكانت مخصصات الدولة لهم من الطعام والملبس توزع طبقا للتسلسل الوظيفى العادل لضمان علاج العامة والعاملين مجانا.

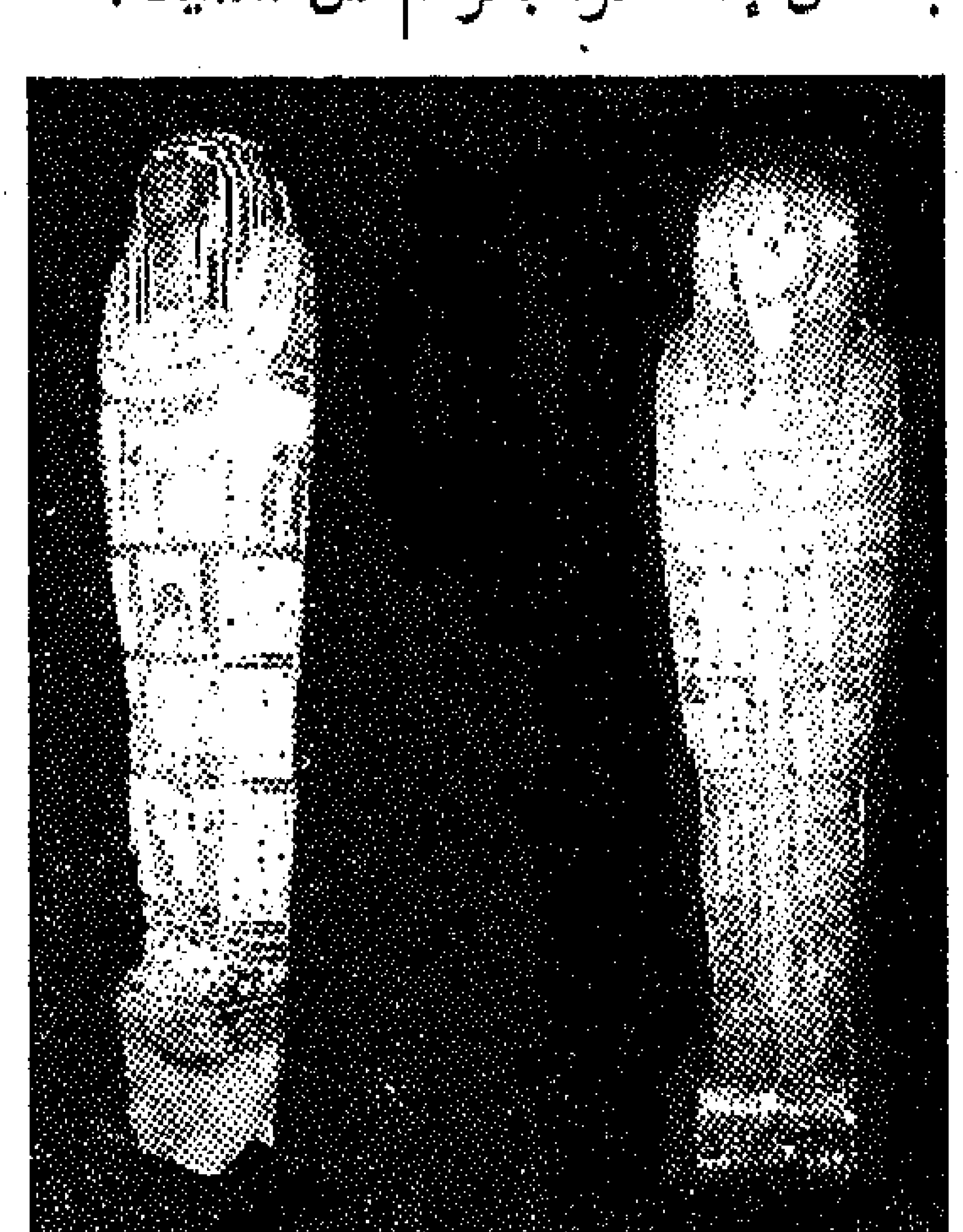
والوثائق الطبية المختلفة والمتعددة هى نتاج ما دون داخل المعاهد الطبية أو بيت الحياة، وتذكر بردية إيبرز: «يمارس السونو عمله لدى العامة ويستقى معلوماته من الكتب ومن ممارساته العملية».

أما الوابو، فهم طبقة الكهنة الملحقين إما بسخمت أو تحوت، فهم يعالجون الصفوة، وتتشكل رعايتهم المرضية بالعقيدة، فهم يستقون قدراتهم من الآلهة، طبقا للمفهوم السائد، وهنا يمتزج العلم والإيمان معا. أما الساو فهو يناضل ضد الأمراض المستعصية المجهولة المصدر والتى تهاجم الإنسان ولم يتبين الأقدمون علاجا شافيا لها. يتولى الساو أيضا علاج لدغات الثعبان والعقرب، ويلجأ للأوراد والتعاويذ للعلاج أحيانا. ويهتم الجميع باختلاف مواقعهم الوظيفية بالحالة الصحية العامة للفرد، فنشر الأطباء الأساليب الصحية السليمة التى تنحصر فى الاغتسال والتطهر وتنقية مياه الشرب، ونشر عملية الطهارة بين الرجال، وعدم الإفراط فى الطعام والصيام أحيانا والامتناع عن تناول بعض الأطعمة أحيانا أخرى، والعديد من الوسائل للحفاظ على الصحة وتفادى الأمراض.

واعتقد الطبيب المصرى القديم أن الأوعية الدموية هى التى توزع المادة المحدثة للألم أو أوخدو، فكانت مهمة الطبيب وصف التركيبات العلاجية المختلفة للقضاء على هذه المادة ومنع انتشارها عبر الأوعية.

ومن أهم ما ركز عليه الطبيب المصرى فى منع الأمراض قبل حدوثها طرق الوقاية من الأوخدو عن طريق النظافة المستمرة للجهاز الهضمى والأمعاء والقضاء على هذه المواد الضارة ومنعها من التجلط داخل الدم والتسبب فيما يعرف حديثا بالتسمم الدموى واعتبر الطبيب أن كثرة الطعام من مسببات الأمراض، وهذا ما أكده العلم الحديث، فقد اعتقد المصرى القديم أن عملية الهضم تحول فائض الطعام إلى بول وبراز، ويؤدى سوء الهضم إلى توالد إفراز يحدث الأمراض المختلفة التى تنتقل عن طريق الأوعية.

ويعد اهتمام الطبيب المصرى خلال الأزمنة المختلفة اهتماما علميا سليما، فقد تتبع من خلال أسلوب منهجى سليم خطوات المرض وتطوراته المتعددة وحاول إيجاد دواء شافيا لكل مرحلة. ونجح فى كثير من الأحيان فى الوصول إليه ودون الحالات المستعصية كمحاولة لدراستها والتعمق فيها وإيجاد العلاج المناسب لها بقدر الإمكان. ويمر فحص المريض بنفس الخطوات التى تتم الآن، إلا أن المصرى كان يركز فى سؤاله على النواحى الاجتماعية والنفسية للمريض، بخلاف سؤاله عن الأعراض المرضية، حتى يصبح علاجه متكاملا، وهذا لا يتوفر فى الطب الآن إلا نادرا بالرغم من أهميته.



ويبدأ الطبيب بمعرفة الأعراض التى يشكو منها المريض ويركز عليها، فقد أظهر المصرى القديم اهتماما بالغا بالفرد، فلم يشرح جسده فقط، بل تخطى هذا إلى تحديد الجانب الروحى والمشاعر المحسوسة واللامرئية لدى الإنسان والتى تمكن بجدارة من تحديدها، فتكلم عن الروح والنفس والظل والجسد... إلخ. ثم يبدأ فى تحسس الأماكن المختلفة من الجسم لعلمه ودرايته التامة بمواضع الأعضاء، فكان يتحسس منطقة البطن، ويتحسس الكسور ويبحث عن الأورام «هناك شرايين لكل جزء من الجسم» «إنه هناك حيث يتحدث القلب».

ومعرفة المصرى بالأوعية الدموية هى ما ذكر فى بردية إيبرز، إذ يذكر وعائين فى مؤخرة الرأس واثنين فى الجبين، وآخرين للعين، واثنين للجفن، واثنين للأنف وغيرهما للأذنين، وتصب هذه الأوعية فى القلب الذى اعتبره المصرى القديم مركز تجمع الأوعية.

وقــد عرف المصرى نوعين من الأوعية يختلفــان فى الوظائف والصفات، فهناك أوعية يمكن قياس النبض عن طريق تحسســها وترســل هذه الأوعية الســوائل والهواء للأحشــاء الداخلية، أما النوع الثانى، فهى القنوات التى تنتشــر الأمراض بواسطتها داخل الجسم، وهذا الاختلاف الذى ذكره المصرى هو ما عرف بالشــرايين والأوردة فى عصرنا الحالى «فإذا مرض بعنقه وضعف بصر عينيه، فقل عنه إن ذلك بســبب اســتلام أوعية قفاه للمرض» ، بردية إيبرز «هناك وعاءان فى ذراعه فإذا مرض ذراعه..».

ومــن هــذا المنطلق بدأت المداواة والتطبيب الذى يرتكز أساســا على علاج ما يصيب الأوعية الدموية من أجسام خارجية تؤدى إلى الأمراض المتعددة.

وتتم المعرفة الطبية والخبرة بتناقلها من الطبيب الممارس إلى مســاعده: «لقد ســأله الفرعون عن أشــياء عديدة، فأجاب عنها كلها... وكان كبير الأطباء يستشــير حارسيز بن رعموز، ومات كبير الأطباء بعد بضعة أيام، فتم تعيين حارسيز بن رعموز كبيرا للأطباء ومنح كل ممتلكات كبير الأطباء..».، من الأدب المصرى القديم.

واعتــبر المصرى القديم تحوت رمزا للطب، فهو أول من داوى عينى حورس طبقا للأســطورة وهــو منشــئ العلم والقراءة والكتابــة وهذا ما حرص عليه الطبيب وهو تعلــم القراءة والكتابة ثم النواحى الطبية المختلفة.

وعــرف المصــرى أن للكبد أربعة أوعية وينشــأ المرض نتيجة لإفعامه بالــدم طبقا لما ورد فى البرديات وهو تعبير مشابه لمعنى الاحتقان الحديث كما أورد د.حسن كمال.

وقيل أن الصمم نتيجة مرض وعائى وأن مرض المعدة له نفس الأسباب، وكذلك ألم الفخذ ومؤخرة الرأس، وكلها محاولات للطبيب المصرى لفهم مسببات الأمراض المختلفة كى يتمكن من العلاج.

ولم يقتصــر المــرض على الأوعية فى التنقل ولكن كان الجهاز التنفســى أيضا أحد مصادره، والقنوات بخصائصها المتنوعة: القناة الدمعية، والغدد، والسائل المنوى، والعضلات.

لقد تمكن الطبيب المصرى من معرفة أسباب العديد من الأمراض وأوجد لها الدواء المناسب من خلال مصادر حيوانية أو نباتية أو بشرية أحيانا، وقد أثبت العلم فيما بعد فاعلية المواد المستعملة وإن بدت غريبة فى بعض الأحيان إلا أن المكونات الطبيعية لها خواصها الفعالة، ولكن من المؤكد أن الطبيــب المصــرى اتبع منهجا علميا وضعه نتيجة لفكره ومعرفته وخلاصة تجاربه وأورده فى مراجع وكتب وضعت تحت تصرف من امتهن الطب.

وقــد أثبت الطبيب المصرى أنــه باحث متمرس فى العلم انتقل بالطــب من البدائية ليصبح ممارســة على كفاءة ودراية عالية بالعديد من النواحى المرضية والعلاجية ووضع بالتالى الأســس السليمة لعلم الطب والتطبيب والدواء.

ويمكن تحديد الهرم الوظيفى للطبيب الذى بدأ منذ الدولة القديمة بالسنو وهو الممارس العام الذى يداوى الطبقات العاملة بينما السنو بر يتولون مهمة علاج الملك وقاطنى القصر الملكى، يليه فى المرتبة الور سنو وهو المشرف على الطبقة السابقة، ثم الساه سنو وهو الطبيب المفتش الذى يتحقق من تطبيق التعليمات الطبية والذى يعلوه فى المرتبة كبير الأطباء وهو الايم رع سنو الذى يعلوه أيضا ملاحظ كبار الأطباء حر تب سنو.

وقد حمل بعض الأطباء لقب «أطباء موفدون للدول الأجنبية» وهم رهن طلب من ملك أجنبى من مصر يطلبهم لمداواته أو تطبيب أحد أفراد أسرته. وقد حظى الطبيب بمساعدة العديدين خلال ممارساته للتطبيب، فبخلاف مساعد الطبيب، هناك الممرض، والمختص باللفائف أو المضمد، والمدلك، والحلاق، والمحنط، ومن يساعد الطبيب فى تحضير الأدوية... إلخ. ووجدت الكتب اللازمة لتدل وترشد كل فئة على كيفية أداء مهامها مثل كتاب التضميد وغيره.

والبرديات المكتشفة هى فى مجملها إرشادات للطبيب الممارس كى يتعرف بدقة على الحالات الماثلة بين يديه، ويوجه الطبيب المعلم بارشاداته للدلائل المادية للتعرف على الأعراض، ثم تشخيص الحالة، ثم العلاج لهذه الحالة مع احتمالات التطور وما يؤدى له هذا التطور وكيفية مواجهته، فنجد على سبيل المثال فى حالة كسر تفتتى مضاعف بالجمجمة لا تصحبه أية إصابة ظاهرة، أن الجراح يناقش، وهذا سبق علمى، أثر إصابة المخ على الأطراف السفلى والعلاقة بالجانب المصاب من الجمجمة، وطبقا لرأى د.حسن كمال، فإن الجراح المصرى بدأ بهذا، التعرف على وظائف مراكز المخ، فقد ذكر حول العينين والشلل الخفيف بالرجل والقدم نتيجة للإصابة، أنه حدث فى نفس جانب الإصابة، وأنه حدثت إصابة عكسية سببت كسرا فى الجهة المقابلة لمكان الصدمة، ونتيجة لهذا الوضع، أعطى الطبيب الموجه انذارا بخطورة الحالة ونصح بالراحة.

وفى تطور لنفس الحالة، ذكر الطبيب فى البردية، بردية سميث، أن الجراح بعد فتح الجرح المصاب وظهور المخ، تيقن من استحالة العلاج، فلم يصف أى دواء، بل أكد أن علاجه هو: «جلوسه حتى يسترد لونه وحتى تعرف أنه وصل للنقطة الحاسمة».

وقد أكد Dr. Lockhart، أن الشلل الناتج عن إصابة الجمجمة بكسر تفتتى مضاعف، غالبا ما يحدث فى جانب الإصابة، ولكن حدوثه، طبقا لهذه الحالة المبينة فى البردية فى نفس جانب الإصابة، يؤكد وجود رد فعل عكسى نتيجة للإصابة أحدث الشلل فى نفس الجانب.

اتجه الطبيب، بصفة عامة وشاملة إلى العلم ودراسة الحالات المختلفة من هذا المنظور، فدرس الحقائق، ومنطق الأعراض، ثم استخلص العلاج، إما الدوائى وإما الجراحى، فوضع بذلك حجر الأساس فى العلوم الطبية التى غطى معظم مجالاتها باقتدار مقارنة بالزمن الذى عايشه.

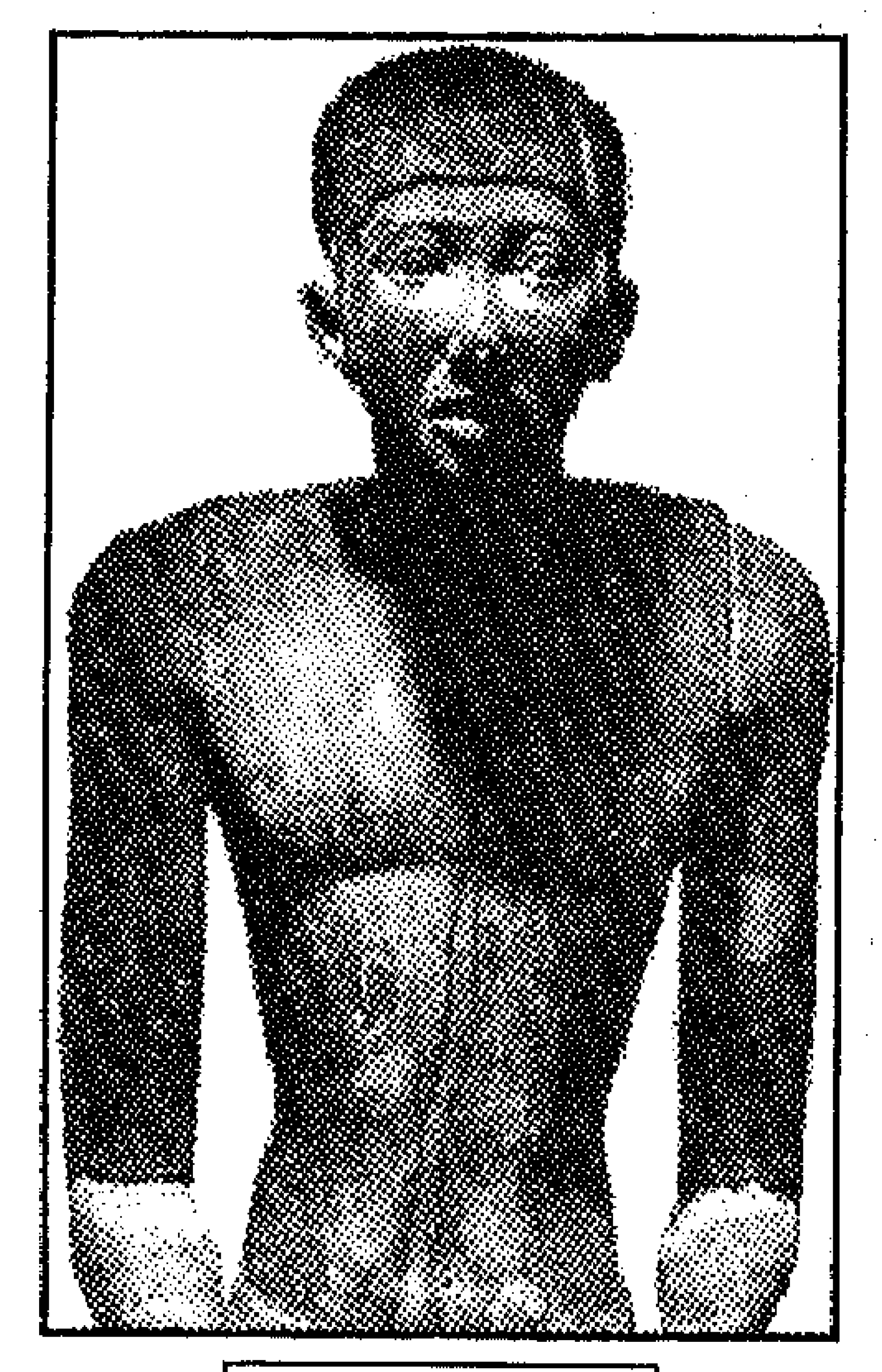
وفى حالة إذا ما استعصى العلاج على الطبيب، كان يقوى من عزيمة المريض بالرقى وكانا يلجآن معا إلى القوى العليا طلبا للشفاء، ولكن هذا لم يمنع الطبيب المصرى من وضع أسس كتابية للأمراض والعلاجات المختلفة لم يستدل إلا على القليل منها.

فطبقا لفلافيوس كليمنس، أحد مؤسسى مذهب من المذاهب المسيحية فى الإسكندرية، فإن الكهنة المصريين القدماء قاموا بتجميع المعلومات الطبية المختلفة فى ٢٢ مجلدا واحتوت ستة كتب على علوم التشريح والجراحة والطب النسائى والأدوية وخلافه فيما عرف بكتب هرميس التى ذكرها جاليان ولم يعثر على أى أثر لها فيما بعد.

❑❑❑

الفصل الثالث

الخصوبة والولادة



إمحوتب

تمثـل الخصوبة أهمية قصوى لدى المصـرى القديم وتعد الرغبـة فى الإنجـاب مطلبا حيويا لـدى الكثيرين ومن هنا الاهتمام بالحمل والولادة والإخصاب ومنع الحمل أحيانا كما هو وارد فى معظم الحالات المدونة فى بردية اللاهون.

ووردت أهم المعلومات الخاصة بعملية الإنجاب من خلال برديـة اللاهـون أو كاهـون وتحتوى البرديـة على وصفات للعديـد من العقاقير التى تعتـبر مقبولة نوعا ما طبقا لمفهومنا الحديـث، فمعظم مكونات هذه الأدويـة التركيبية من اللبن البقرى والزيوت والبلح والأعشاب والبخور... إلخ

وتركـز البردية على العقم والإخصـاب وقد قام جريفيس بترجمـة محتوى هـذه البردية وهـو من دارسـى علم الآثار بجامعة أكسفورد.

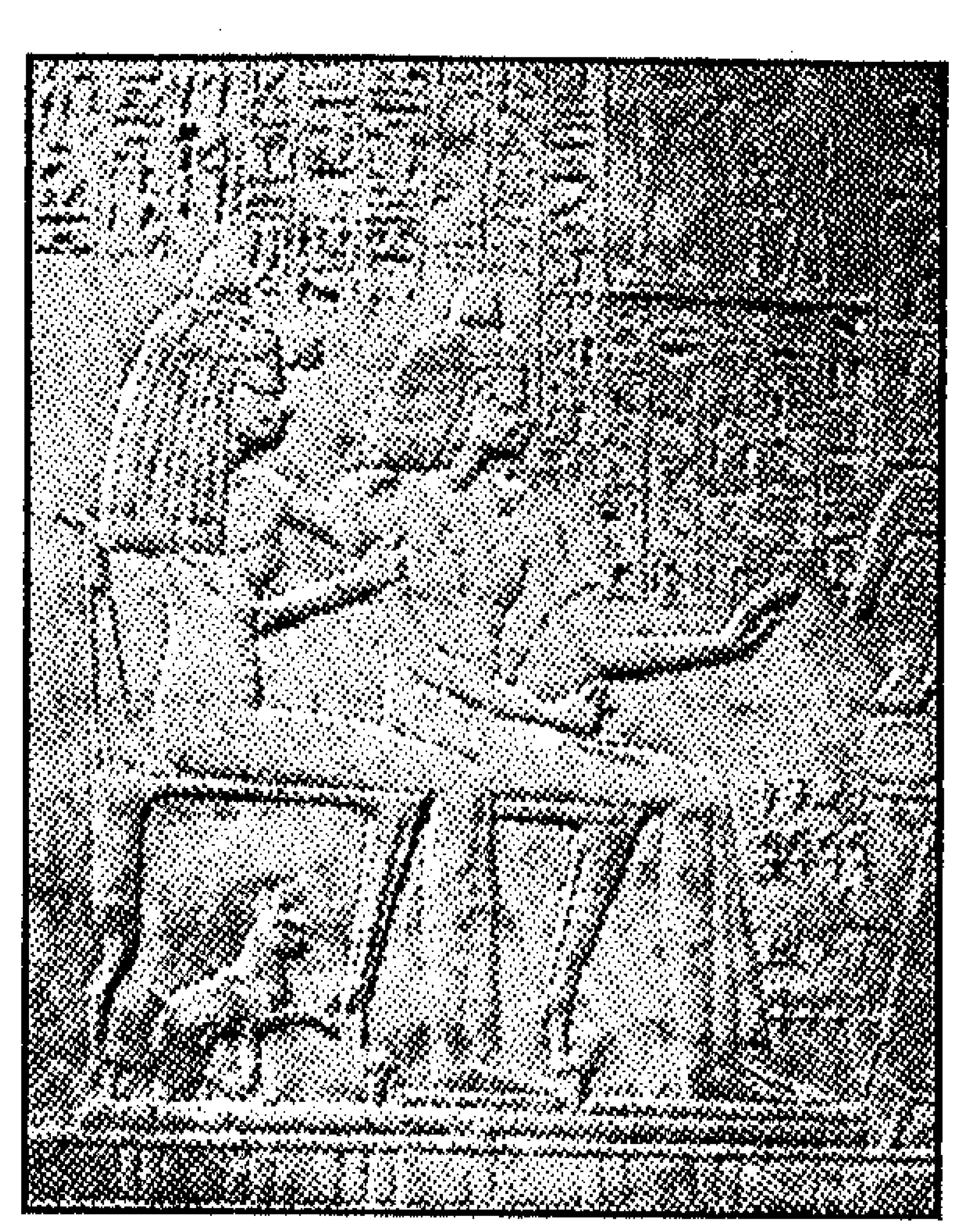
ويعـد اهتمـام الطبيـب بالإخصاب والإنجـاب ومتابعة حالات الحمل نابعا من أن الأسرة هى نواة المجتمع وصحة المرأة مطلب حيوى.

وتعـد برديـة كاهون، كتبت حوالى ١٩٠٠ ق. م التى تعرض حاليا فى متحف جامعة لندن، وتـدور معظم حالات التشـخيص بها حول التحـركات الرحمية التى اعتبرهـا الطبيب أحيانا هستيرية نسبيا، وهى أهم مصدر للمعلومات المتصلة بالخصوبة والإنجاب، فاختبارات الخصوبة التى مارسها الطبيب المصرى مازالت هى الأساس المتبع للآن، إذ إن الطبيب يطلب من المريضة إدخال بعض فصوص الثوم أو البصل فى المهبل، فإذا أحست السيدة بطعمه فى فمها خلال اليوم التالى، فهى مؤهلة للإنجاب ولا يوجد لديها أى انسداد فى القنوات.

ومـازال هذا المبـدأ متبعا مع اختلاف طفيف فـى التفاصيل. وترجع البردية للعام التاسـع والعشـرين من حكم أمنحتب الثالث ١٨٢٥ ق. م، وتدور حول الرائحة المنبعثة كما ورد مسـبقا، والرائحة هى ما يحدد الأسلوب الأمثل لتخفيف آلام الحمل. واعتبر الطبيب تحركات الرحم هى المسؤول الأول عن الأمراض التى تصيبه وهذا ما نقله أبقراط فيما بعد.

وتناول الطبيب فى هذه البردية حالات مرضية وأعراضاً تصيب المرأة وأوجد لها المستحضرات اللازمة للشفاء منها إصابة المرأة بألم فى العنق يؤثر فى الرؤية، أو آلام تصيبها فى العانة والدبر وأعلى الفخذين، أو ألم الأسنان الناتج عن تهيج رحمى، ونقص الماء فى جسم المرأة الذى يؤدى إلى أوجاع تصيب كل أعضائها حتى تجاويف عينيها، والإفرازات الرحمية التى تؤثر فى القدمين والرجلين، وحالات الهيستيريا التى تصيب المرأة من شدة التقلصات الرحمية، كما عالج إصابات البول لأسباب متعددة لدى السيدة.

وأمــا اختبارات الخصوبة ونوع الجنين، فقد كانت تعتمد على بول السيدة الذى يوضع على بعض الحبوب والرمل، فإذا أثمر الشعير فإن المولود أنثى، أما إذا أثمر القمح، فالمولود ذكر، وإن لم يثمر أى منهما، فالســيدة موضع الاختبار ليســت حاملا، وتعتبر هذه الممارسات الاختبارات الأولى فى التاريخ فى هذا المجال، وانتقلت هذه الطريقة إلى أوروبا خلال العصور الوسطى.



نقــش من مقبرة مرى مرى، والقط الجالس أسفل المقعد هو رمز للخصوبة أو الرغبة فى الإنجاب لدى ســكان دير المدينة العاملين فى البر الغربــى فى بناء المقابــر الملكية.

وقد ألم الطبيب المصرى بحالات لدى كل من الرجل والمــرأة تمنع أحيانا عملية الإنجــاب، فكان على المرأة الراغبــة فى الحمل المرور فوق خليط ســاخن من البخور والبلح والزيت والبيرة وتســهيل تخلخل الأبخرة داخل الرحــم، وقد ثبــت حديثا أن التعقيم يزيــل أية عوائق داخل الجســم، وتذكر البردية كيفيــة التعرف إلى قدرة المرأة على الإنجــاب بأن يوضع زيت طازج على العضو الأنثــوى، ثم تلاحظ أوعية صدرهــا فإن كانت متوترة، فهذا انعكاس لقدرتها على الإنجاب، وإن كانت مسترخية، فهذا دليل على تأخرها فى الحمل.

وكانت الســيدة المصرية على دراية بأســاليب منع الحمل حيث تدخــل موضعيا بعض المواد لتأجيل الإنجاب، كما أنها كانت تلجأ إلى أوراق السنط الذى ثبت حديثا غناها بحامض اللبنيك، وهو أحد مكونات الدش المهبلى، وتعددت الأساليب المعروفة والتى تتطابق مع العلم الحديث فى هذا المجال، فهذه المواد الطبيعية المستعملة هى ما يستخرج منها مكونات الدواء حاليا.

وكانت الســيدة تخلط الســنط بالحنظل والبلح المصحون والعســل وبعض البذور، وتعتبر هذه الوسيلة هى الأولى فى العالم لتنظيم النسل، وهو مبدأ طبى متبع إلى وقتنا الحالى بأساليب متنوعة. دونت هذه الوصفة فى بردية إيبرز.

وتذكر البردية وصفة أخرى لمنع الحمل وهى خلط مخلفات التمساح بالعسل واللبن البقرى.

أمـا فـى حالة آلام المعدة خلال فـترة الحمل، فللبن فائدة أخـرى إذا ما أضيف إلى حبوب الخروب المصحونة.

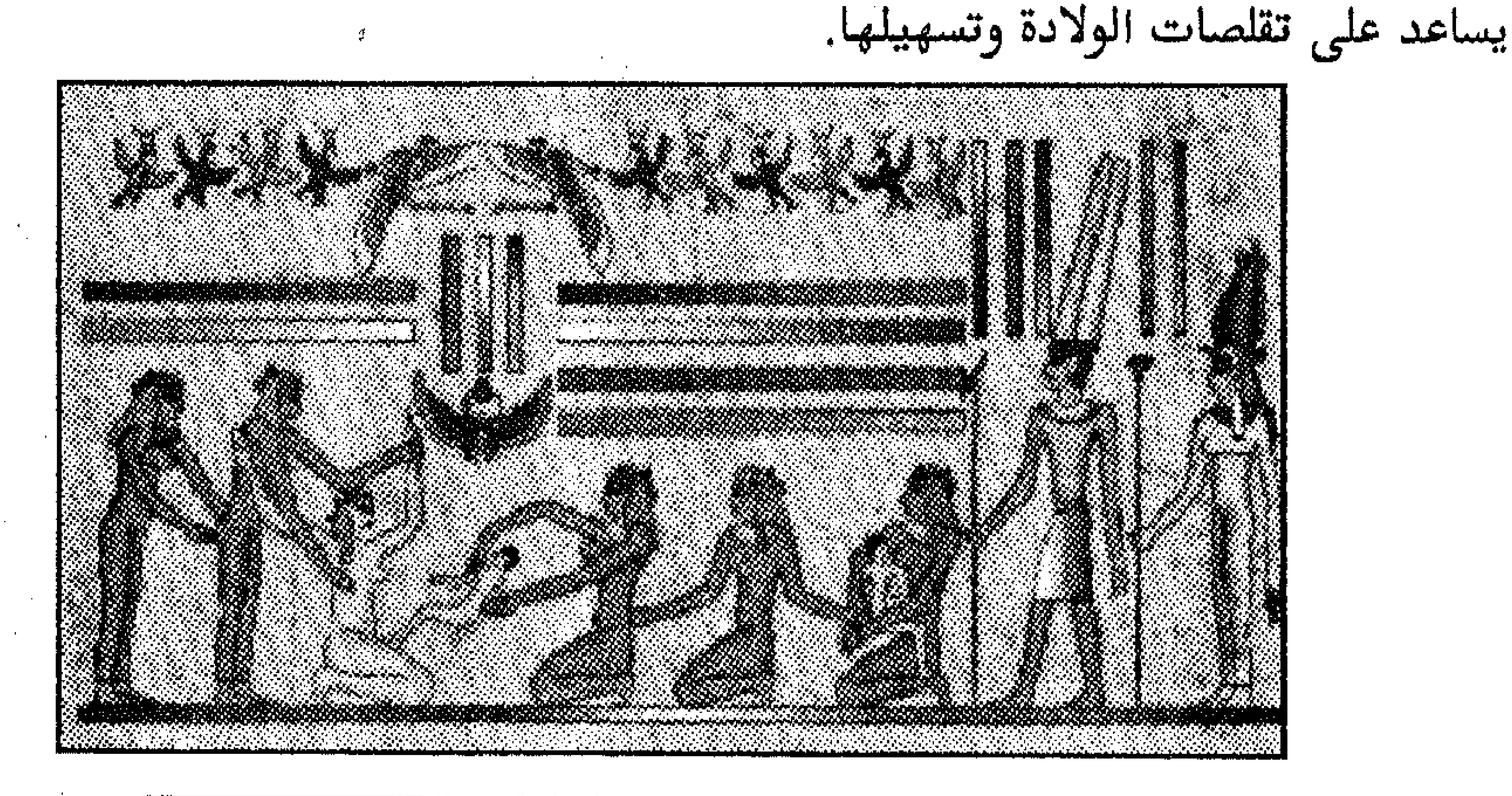
وقد اهتم الطبيب المصرى بحالة أسـنان السيدة الحامل، مما يعكس درايته الكاملة بالظروف الصحية المصاحبة لفترة الحمل وآثارها فى الصحة العامة للمرأة.

وعلى صعيد آخر تذكر بردية كاهون حالة امرأة تشكو من ألم فى أسنانها وفكها ولا تستطيع فتـح فمها، فأوصى الطبيب باعتبارها حالة تهيج رحمـى وعليه فحقنة مهبلية مطلوبة فى هذه الحالة وحالات رحمية أخرى، كما أوردت البردية علاجا لرد الرحم لموضعه.

وذكرت البردية مرضا يحدث «تآكل فى الأنسجة» وهى إشارة إلى مرض السرطان الذى تعرف إليه الطبيب المصرى الذى حاول تهدئة الأورام الحميدة والخبيثة باستعمال زيت الخروع مضافا إليـه بعض العناصر الحيويـة الحيوانية للحد من الأورام: «إذا فحصت امـرأة تفرز إفرازا مائيا ورسبه يشبه الدم المتجلط، فقل «إن ذلك نتيجة تآكل الرحم».

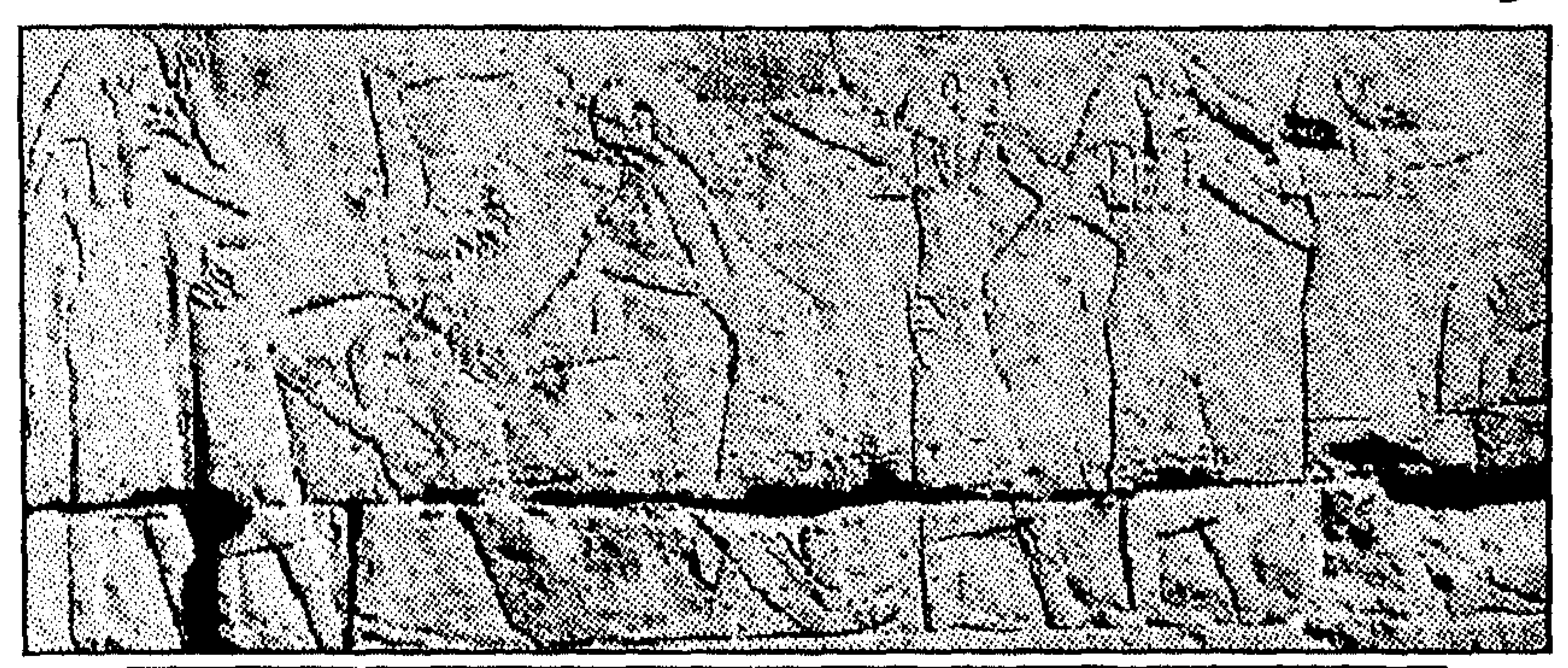
وقد ذكر الطبيب المصرى السرطان المرض الأكال بالرحم الذى يحدث قرحة أكالة فى رحمها، ووصف الطبيب حالة الرحم وصفا دقيقا بأن حدد ضخامة عنقه وفتحته والتقرح الذى أصابه...

وللولادة ممارسـات شـعبية هامة لها دلالتهـا وفوائدها العلمية السـليمة، فعند بدء أعراض الولادة، تتولى بعض السـيدات مهمة الرقص حول السيدة، مما يوحى لها ببعض الحركات التى تسـاعد على سهولة الإحساس بالتقلصات وتيسير عملية الولادة، مع عدم إغفال أهمية النغمات المصاحبة للرقص، كما أن خلطة من الملح والشعير والقمح وطمى النيل توضع على تجويف البطن يساعد على تقلصات الولادة وتسهيلها.

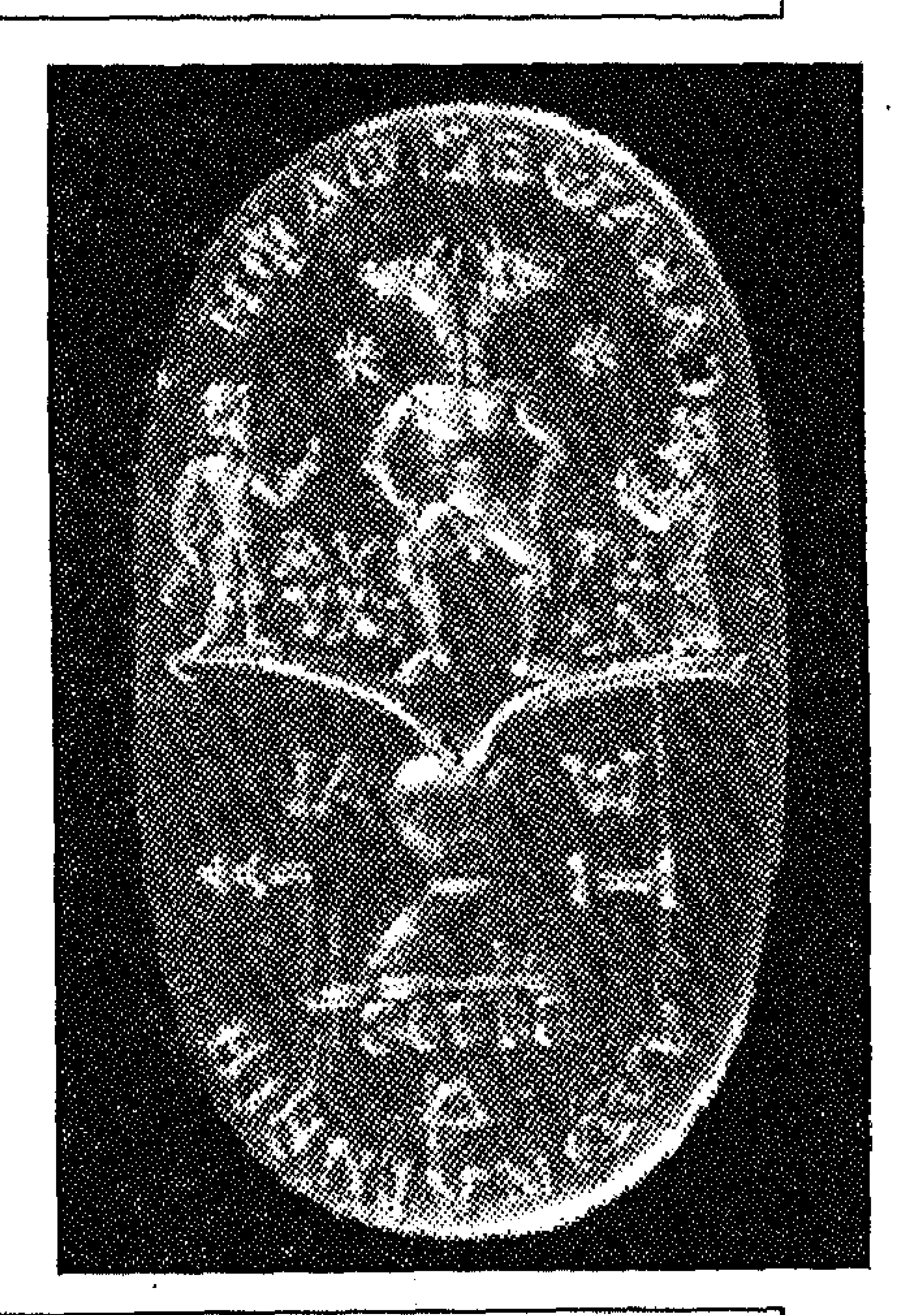


عمليـة ولادة كمـا صورت علـى الجدران وهـى تمثـل ولادة رع التى تقـوم بها رينـو بمسـاعدة الطبيبـات طبقـا للمعتقد المصـرى القديم

وتدل بعض الدراسات الحديثة على أهمية هذه الممارسات وخاصة الموسيقى والرقص ومؤثراتها فى المرضى بصفة عامة.



مقبرة عنخ ما حور بسقارة، الأسرة السادسة، القرن ٢٨ ق. م.، وتقوم بعض السيدات بالرقص، وتعتبر بردية كاهون المرجع الرئيسى لحالات الحمل المتنوعة وتسهيل عملية الولادة إذ تحتوى البردية على ١٧ حالة مفصلة لمراحل الحمل والولادة





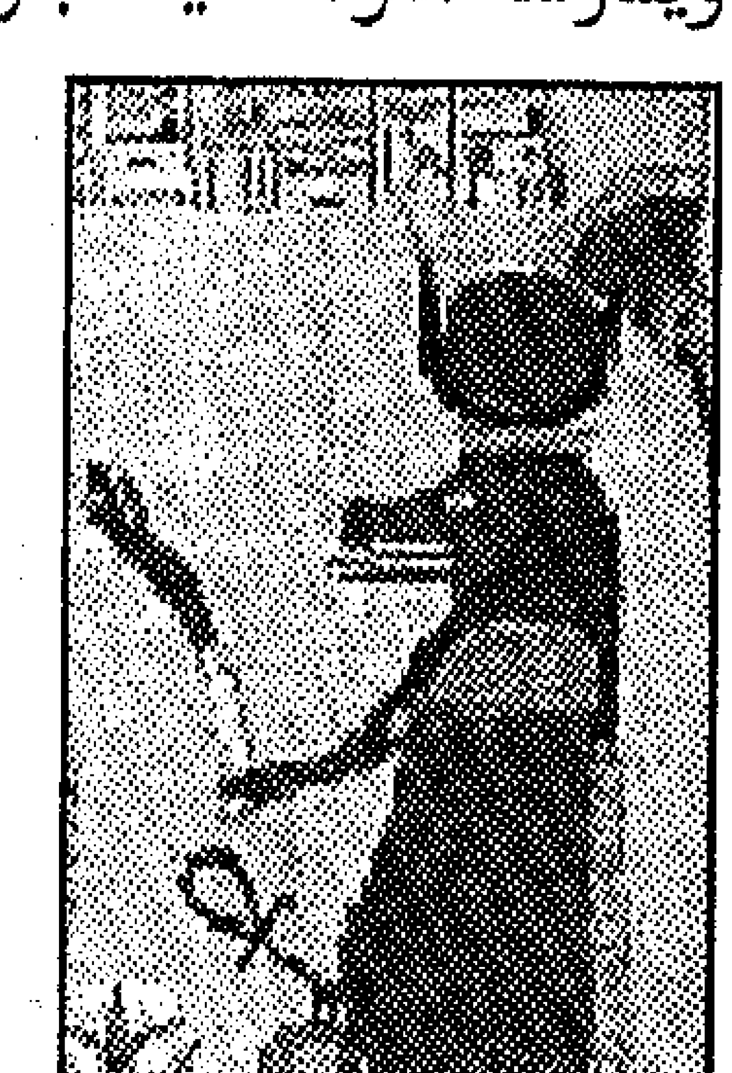
حجاب، وهى ممارسة ترجع للعصر البطلمى وتمثل حماية بعض الرموز للرحم، ويعرض حاليا فى متحف اللوفر بباريس، بينما يمثل التمثال سيدة تحمل ابنها ويرجع لعصور ما قبل التاريخ.

وذكــرت عملية الولادة وتفاصيلها الدقيقة فى بردية برلين، وقد ألم الطبيب المصرى بالصلة المتواجدة بين الأعضاء التناسـلية والجسـم من الداخل وتأثير انسداد قناتى فالوب فى خصوبة المرأة.

وينصح الطبيب الأم بإرضاع طفلها طبيعيا مدة ثلاث سنوات: «ليس هناك أفضل من لبن الأم».

وفــى حالة عــدم توفره فقط يرضع الطفل لـبن البقر، ولإدرار اللبن يدهن ظهر المرأة التى ترضع بنخاع السمك «يجب أن يكون الطفل آمنا من الأمراض والغرباء وحسد الحاسدين والمياه الملوثة».

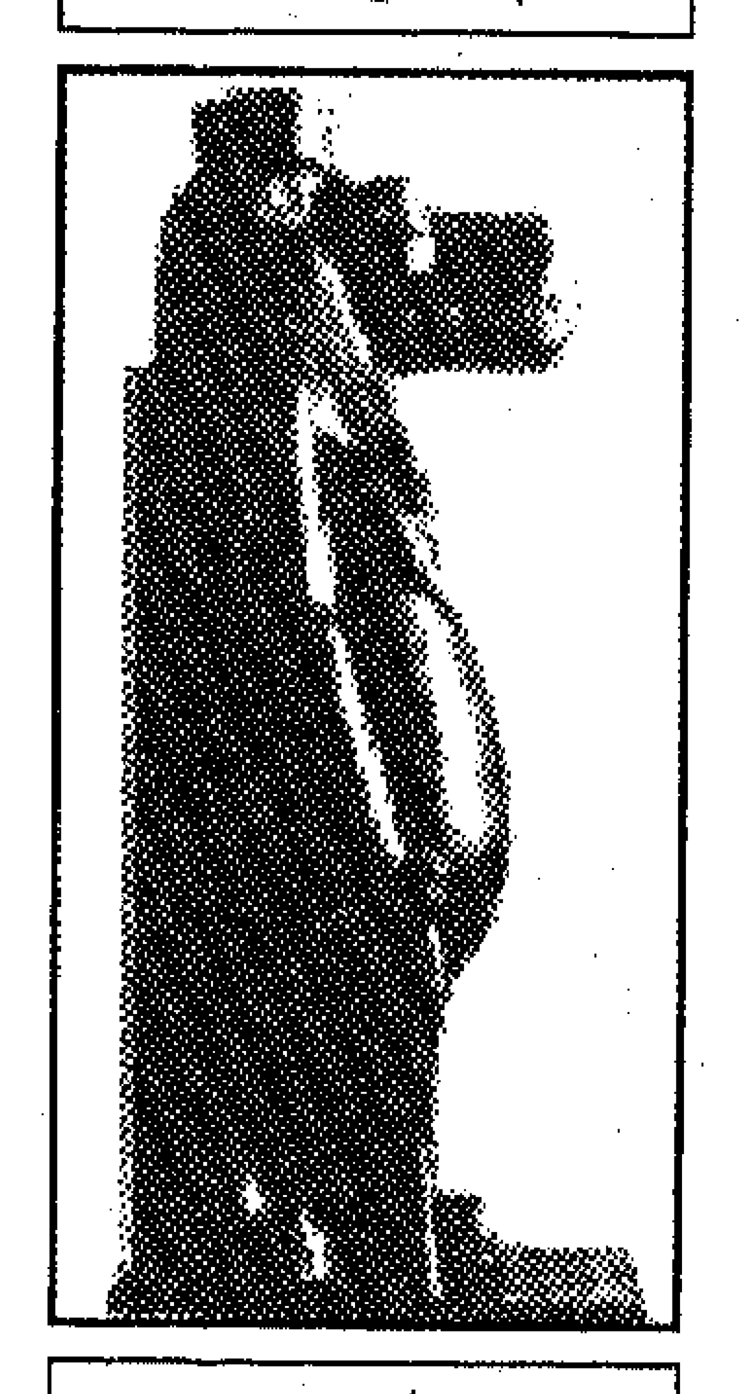
واعتــبرت تاورت وهى أنثــى فرس النهر حاميــة لعمليات الحمل حيث كانــت العقيدة تسـاند العلم خلال العصـور التاريخية، فاعتقد المصــرى فى قدرة هذه الرموز على الحماية والتيســير أثناء فترة الحمل والولادة وتحقيق كل ما تتمناه النفس البشرية، وهى فى الواقع ممارسة تتركز فى رغبة الشخص القوية فى الشفاء أو تخفيف الألم أوتحقيق كل ما يتمناه المرء فيقنع ذاته داخليا من خلال اعتقاده فى قدرة هذه الرموز، والرغبة القوية فى الشــىء تساعد على تحقيقه كما أثبته العلم الحديث ويمارسه الفرد أحيانا بقوة الإرادة النابعة من شدة الرغبة.



واعتبرت بسيشت، ساوت الأسرة الرابعة، أو القرن العشرين ق. م، هى أقدم طبيبة ممارسة ومشــرفة على فريق من الطبيبات كانت تتولى تدريبهن على ممارســة الطب النســائى داخل معهد ســايس الطبى، «صا الحجر» الحالية، فكن طبيبات على دراية تامة بالطب النسائى، ولسن قابلات.



أم ترضع طفلها

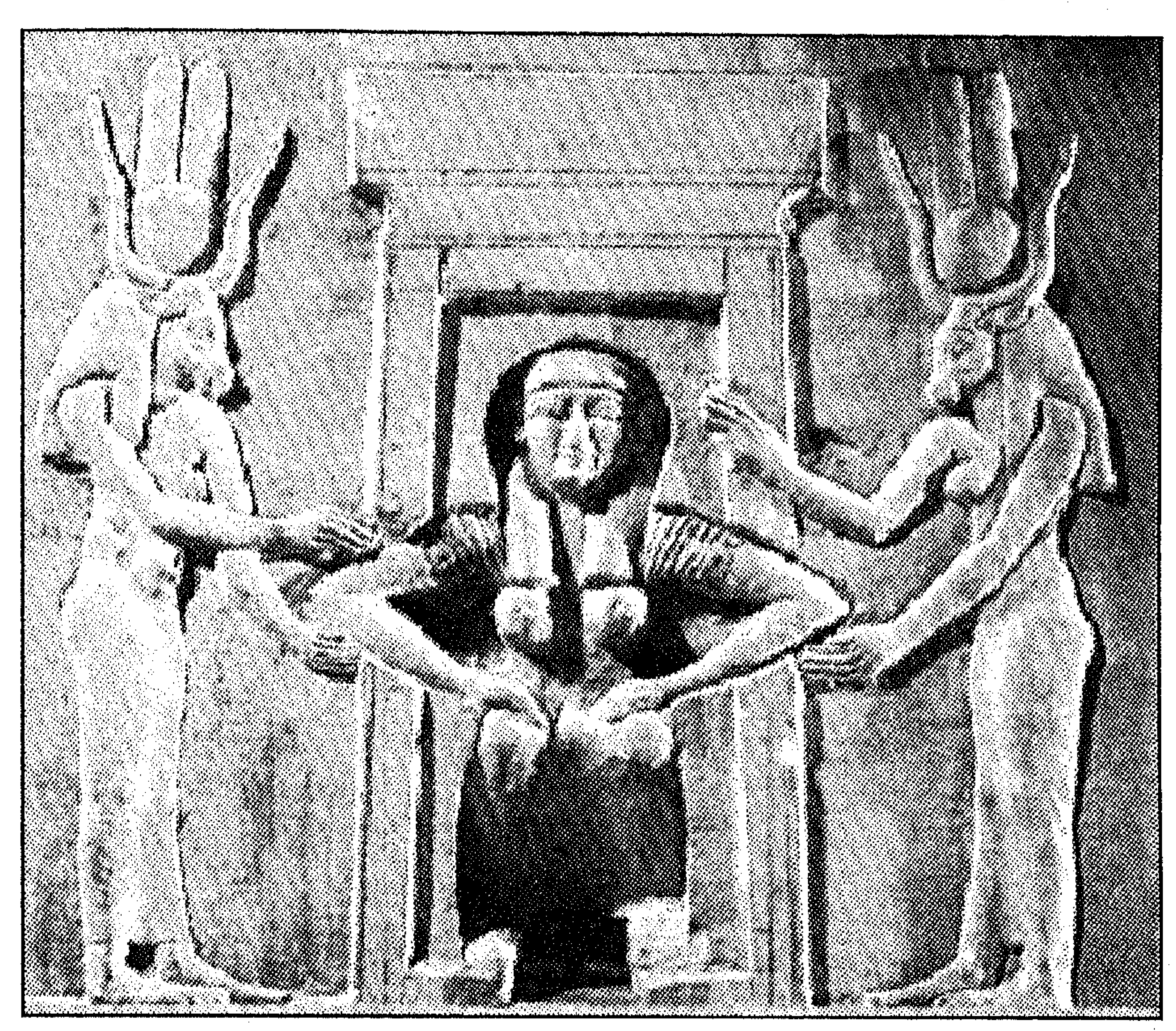


تاورت



يعــرض هذا التمثال لتاورت فــى المتحف المصرى بالقاهرة وهى تجسـد فرس النهــر وهى حامل، ورأس تمسـاح ومخالب أسـد فهـذا الرمز يجمع بـعضا مـن صفـات الحيـوانـات الـثلاثة.

وذكرت أمراض النســاء بصفة عامة فى عدة برديات يصاحبها الوصفات العلاجية لكل حالة وتطوراتها، كذلك عملية الولادة وتسهيلاتها التى كانت تتم بشكل طبيعى، فكل سيدة على دراية تامة بخطوات الولادة التى غالبا ما تتم فى حضور أفراد العائلة من السيدات اللاتى يساعدن فى العديد من الجوانب، كما ذكرت الأمراض النسائية المتعددة وعلاجاتها.



تعرض هذه اللوحة بالمتحف المصرى وتبرز عملية الولادة والسيدة جالسة على الكرسى وتحيط بها تاورت وحتحور طبقا للمعتقد السائد فى حماية هذه الرموز فحتحور هى المعنى المطلق للأمومـة.

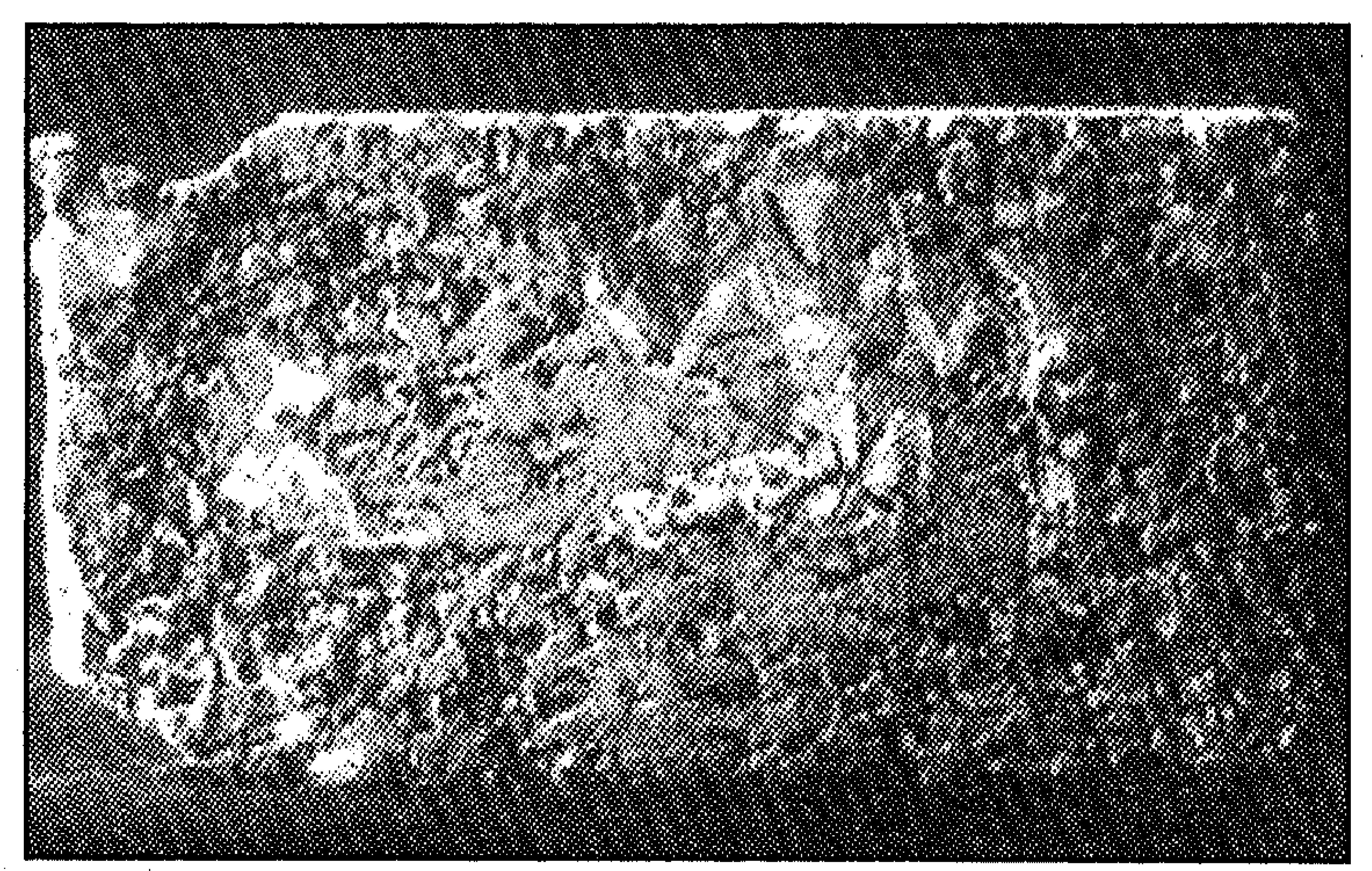
وتتم عملية الولادة والســيدة جالسة على كرســى الولادة الذى نقش على جدران معبد سوبك بكوم أمبو، وهو كرسى ذو مسندين وفتحة فى الوسط تجلس عليه السيدة ويتلقف الطبيب المولود مــن خلال هذه الفتحة، وكانت تســتند الســيدة بقدميها على حجر عادة مــا كان ينقش ويزين برسومات دالة على الرغبة فى تسهيل عملية الولادة، واستمرت هذه الممارسة حتى بدايات القرن العشرين الميلادى، واعتبر نزول رأس الجنين ولادة طبيعية.

وتعــرض حاليــاً بعض نماذج كرســى الــولادة فى المتحف الإســلامى وبيــت الكريتلية، جاير أندرســون بالقاهرة، إذ إن اســتعمالاته ظلت قائمة فى مصر حتى القرن العشرين لدى الأوساط المصرية الشعبية.



الكتابة الهيروغليفية لكلمة الولادة وهــى ذات دلالــة واضحــة

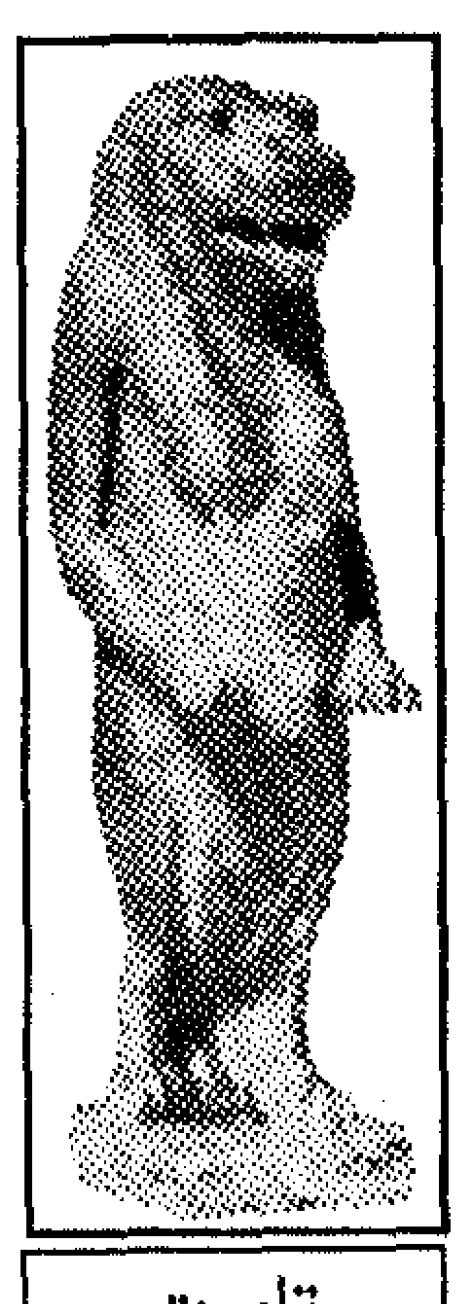
ومــن أهم وصايا الطبيب المولد للســيدة هو الاعتناء بالرحم بعــد الولادة، فمن المعــروف ارتخاء العضلات أثناء هذه العملية الطبيعية للجسم، مما يؤدى إلى سقوط الرحم، فكانت الســيدة توصى بعمل كمادات ســاخنة تعقم من جهة وتساعد الرحم على اكتساب وضعه الأول «يعود إلى موضعه».



تم العثــور علــى هذا الحجر فى منزل أحد حــكام المقاطعات ويرجع إلى الدولة الوســطى، القرن ٢٠ ق. م وقد عثرت عليه بعثة جامعة بنسلفانيا خلال التنقيب فى منطقة أبيدوس، والرســومات التى تحيط بالســيدة التى تحمل طفلها تهدف إلى حماية كل من الأم والمولود

وتذكــر البردية حالة امرأة تتألم فى عنقها وضعفت الرؤية لديها، فيوصى الطبيب، باعتبارها إفرازات رحمية فى منطقة العين، بوصف خليط من بخور زيت الكندر وزيت طازج يبخر به الفرج، ثم تبخر العينين برجلى طائر آكل للنحل، الوروار، وتوصى السيدة بأكل كبد الحمار.

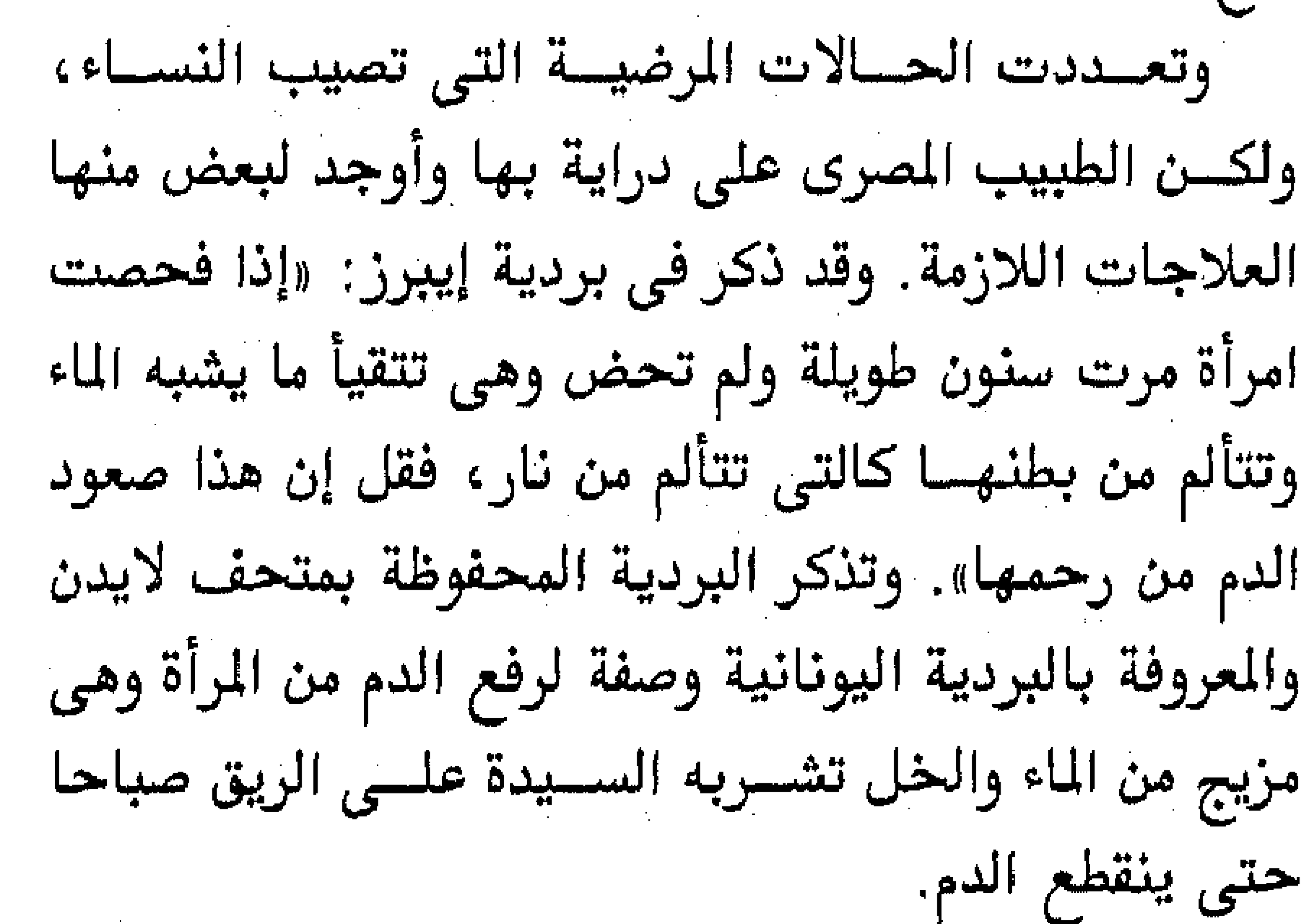
وقد شــخص الطب الحديث الحالة على أنها التهاب فى القزحية وســقوط الرحم، وبالتأكيد يمكن للدراســة الحديثة أن تثبت طبيعة المــواد المتواجدة فى مكونات هذا العلاج ومدى تأثيراته فى الحالة.



تاورت

وقد تتدهور الحالة الصحية للمرأة، فتصاب بالتهابات رحمية، فيسأل الطبيب المريضة عن نوع الرائحة المنبعثة منها، فإن أجابت بأن الرائحة مشابهة للحم المشوى، فإنها مصابة بمرض نمسو بالرحم وعليه يوصى الطبيب بتعريضها لرائحة بخور صادرة من اللحم المشوى بأنواعه. وأطلق المصرى القديم لفظ حمت على الرحم وعبر عن الولادة بأنها «خروج من الجسم» كما أطلق على الثدى لفظ هنز.

وقد ابتكر الطبيب المصرى القديم اللبوس الذى أوصى باستعماله فى كل من المهبل والدبر وهو مكون من بعض اللفائف المغموسة فى المستحضر الدوائى المراد للجسم امتصاصه، وتستعمله السيدة فى حالات الالتهاب الرحمى أو حالات منع الحمل.



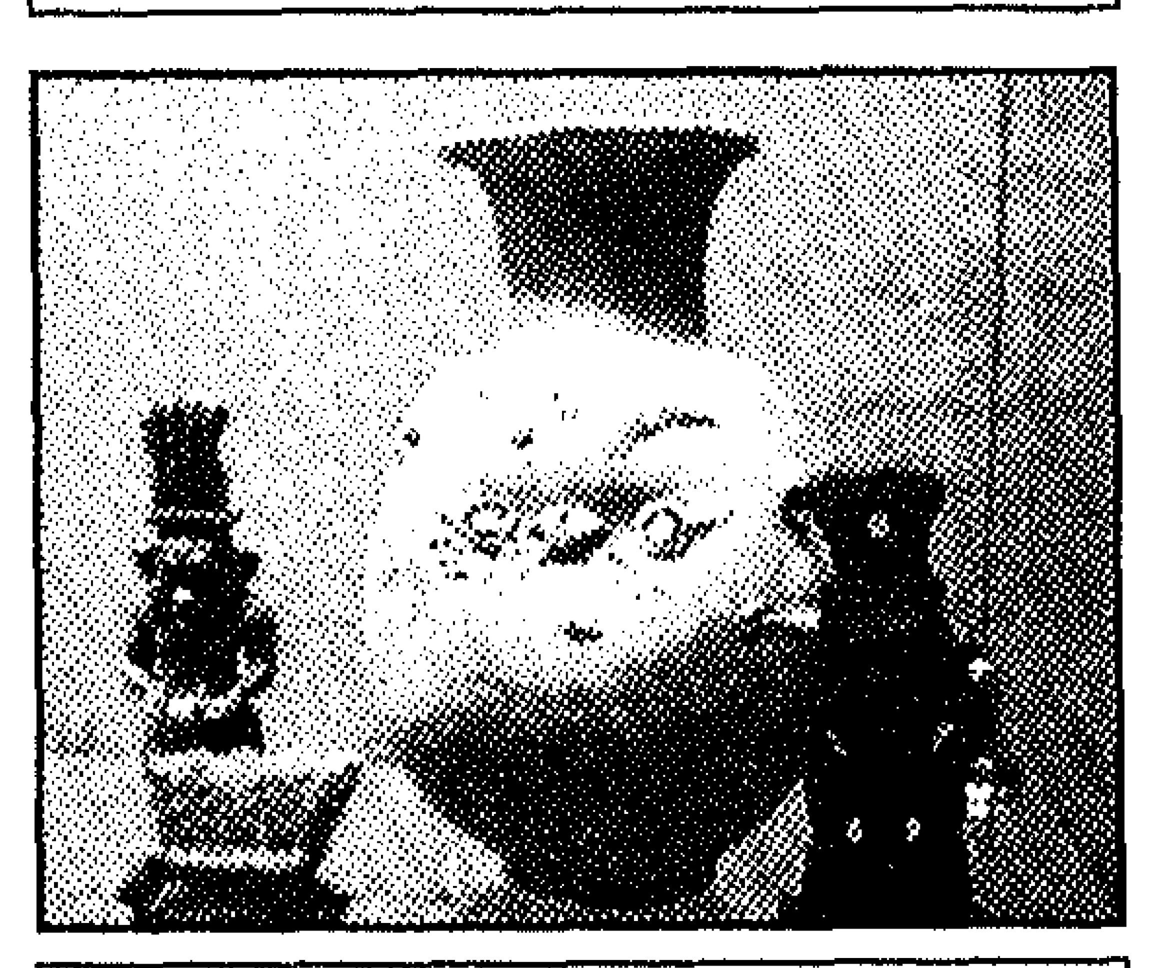
وتعددت الحالات المرضية التى تصيب النساء، ولكن الطبيب المصرى على دراية بها وأوجد لبعض منها العلاجات اللازمة. وقد ذكر فى بردية إيبرز: «إذا فحصت امرأة مرت سنون طويلة ولم تحض وهى تتقيأ ما يشبه الماء وتتألم من بطنها كالتى تتألم من نار، فقل إن هذا صعود الدم من رحمها». وتذكر البردية المحفوظة بمتحف لايدن والمعروفة بالبردية اليونانية وصفة لرفع الدم من المرأة وهى مزيج من الماء والخل تشربه السيدة على الريق صباحا حتى ينقطع الدم.



تقوم إحدى السيدات العاملات بعجن الخبز وحركة الجسم تسهل على العضلات الكثير

وعلى صعيد آخر ذكر فى بردية إيبرز علاج سيدة تتألم وتتوجع من كل أعضاء جسدها وتجاويف عينيها أيضا وطلب الطبيب المعلم من الطبيب الممارس تشخيص الحالة على أنها نقص فى الماء وتوصيه بعمل عصيدة تشربها السيدة على مدى أربعة أيام.

وأما السيدة التى تتألم من فرجها، فهو مرض ساو بالرحم، ويعالج بأن تتناول السيدة الدهون حتى تشفى، بينما التى تنام كثيرا، شخص الطبيب حالتها على أنها مغص رحمى أو تقلص رحمى، وعليه فهى مطالبة بشرب سائل خاو ثم تتقيأ لتوها. وقد عولجت بعض حالات الهيستيريا بالمقيآت.



إناء يستعمله الطبيب لتحضير الأدوية المختلفة والتعويذة التى يلجأ لها العامة بحثا عن الحماية والإحساس بالأمان.

وللسيدة التى تعانى من آلام أثناء التبول عليها أن تتناول خليطا من الفول والأعشاب المصحونة مع البيرة ثم تصوم عن الطعام نهارا كاملا وليلة كاملة حتى موعد إفطار اليوم التالى، ولتخفيف آلام الرحم تجلس السيدة فوق مسحوق من البلح المغموس فى البيرة.

وللشرج المريض لبوس من سائل عشبى يعجن به العشب ويمزج بالعسل، ثم يوضع فى الشرج، فتهدأ الالتهابات، أما إذا تطورت الحالة، فيمزج الشبت بدهن الأوز والعسل، وإذا تطورت أكثر، فحب العرعر المصحون يترك فى ندى الصباح الباكر، وعلاج آخر للحالات الأكثر تدهورا كبريتيد الرصاص مع دهن الوعل وحب الخلة ويصحن الخليط جيدا ويكور لبوسا يدخل فى الشرج بعد أن يتعرض الخليط طوال الليل للندى.

وتشخص البردية حالة سيدة مصابة بألم فى دبرها وعانتها وجذرى فخذها بأنها فضلات رحمية يمزج لها لبن بقرى يطبخ مع بعض مستخلصات أخرى تشربه السيدة على مدى أربعة أيام، ووصفة أخرى لنفس الحالة توصى بحقن المهبل بزيت طازج.

ولانثناء الرحم علاجه أيضا وهوخليط من الصنوبر ونبات السعد تضمد به موضع الألم وتنام عليه، أما من تشعر بانتفاخ فى بطنها وعانتها، فتشرب على مدى أربعة أيام ملكيتاً مصحوناً ناعما ومطبوخاً فى لبن بقرى.

ولعلاج المواضع المؤلمة بصفة عامة، خليط من عدة مواد نباتية وحيوانية ومعدنية تطبخ معا وهى دهن ثور يضاف له رواسب النبيذ والبسلة وكندر وراتنج المر ومعدن صعيدى (سيا)، يدهن الجسم بأكمله ويتعرض المريض لأشعة الشمس، وهذا ما يطبق حديثا عند دهان الجسم بطفلة طينية معينة تحتوى على العديد من المواد الطبيعية يتعرض بعدها الجسم للشمس حتى يجف الخليط.

وتتعدد الوصفات بهدف تخفيف الألم الموضعى يستعمل خلالها مواد متنوعة منها الدهن الحيوانى، برادة النحاس، راتنج المر، الصنوبر، البلح، السنط، الحنظل، الشمع، ملح النطرون، العسل،... إلخ وتحضر هذه المواد كلبخة موضعية يدهن بها موضع الألم لتخفيفه.

وتمكن الطبيب المصرى من رصد حالات التهاب سرطانى فى الرحم كما ذكر فى البردية: «وهذه واحدة أخرى لديها تآكل فى الرحم وبه تقيحات».

وأوردت البردية حالة سيدة تعانى من ألم يبدأ من العانة حتى أسفل الظهر، وشخصها الطبيب على أنها مصابة بدود الأنكلستوما.

والسيدة المتألمة من «عنقها وعانتها وأذنيها فهى لا تسمع كلاما، فقل إنه فزع بالرحم، أى تقلصات شديدة بالمفهوم الحديث»، وتم وصف العلاج اللازم لها.

ويوصى الطبيب بحقن المهبل إما بالعسل المخلوط بملح النطرون، وإما باللبن، وإما بالحنظل، أما بالنسبة لمنع الالتهابات عن الشرج لكل من الرجل والمرأة، فقد أوصى الطبيب بخليط من الزيت والدهن والعسل والملح البحرى ولبن آدمى يحقن به الشرج لمدة أربعة أيام.

وتذكر بردية الرامسيوم حيث عثر عليها: «إذا رأيت امرأة تتألم من فخذها وقدمها، فعلاجها هو الحنظل وجزء من نبات الحلبة يصحن ويمزج جيدا...واجعل المرأة تتبول».

وأبرزت البرديات الوصفات العلاجية بدقة شديدة، ومعظمها يتناوله المريض مدة أربعة أيام، ومصدرها نباتي أو حيواني أو من المعادن، مثل حالات تيبس الركبة التى يصف لها الطبيب مزيجا من معدن الأحمر والراتنج المر يضاف له برادة النحاس وملح النطرون والعسل ويتم طبخ الخليط مع دهن تيس وحشي، وتعمل ضمادة توضع على موضع التيبس، وينطبق هذا العلاج على كل من الرجل والمرأة فى حالة تيبس الركبة.

ويحدد فحص الطبيب حالة سيدة تعانى من عدم انتظام الدورة الشهرية: «إذا فحصت امرأة مصابة بألم بأحد جانبى بطنها من أسفل، فقل إنه نتيجة عدم انتظام العادة الشهرية «وقد كان الطبيب على دراية بأن فقر الدم هو أحد المسببات وأن الدورة الشهرية المؤلمة نتيجة لتجلط الدم بعنق الرحم، وذكرت بردية إيبرز النزيف الرحمي وبعض وصفات للإجهاض منها الحرارة كعامل مجهض ولبوس مهبلى من قطران والصنوبر.

وقد أوردت بردية سميث: «إذا فحصت امرأة تتألم من بطنها ولا تخرج منها العادة الشهرية، وكانت مصابة فى أعلى عضو التناسل الخارجي، فقل بخصوصها إن الدم محبوس فى فرجها «وصف الطبيب لهذه الحالة علاجين أحدهما ظاهرى والثانى باطنى».

«حضر لها وام، دهن، بيرة عذبة، يطبخ ويشرب لمدة أربعة أيام. والى جانب هذا، حضر لها وصفة طرد الدم: زيت، تبننت أى كمون، كحل أو كبريتيد الرصاص، بخور حلو، امزج معا، وادهن العضو مرارا».

وأوصى الطبيب بوصفة ظاهرية أخرى: «ضع آذان حيوان هزرت، ربما اسم نبات لم يستدل عليه بعد، فى مرهم، فإذا نتنت المرأة بعد ذلك، فامسحه وادهن شفرتيها به مرارا، ضع لبان دكر وبخورا بين خاصرتيها ودع الدخان الصاعد يدخل جسمها».

واهتم المصرى القديم اهتماما بالغا بالرضاعة ومن هنا اهتمامه بحالة الثدى للأم المرضع وعلاجه موضعيا فى حالة إصابته بتشقق فى الحلمة أو إصابته بالالتهاب بدهانه بالملح والعسل والسرخس.

وللمريضة المصابة بمرض شفرتى مهبلها «ويقصد الطبيب هنا التهاب المهبل، فعلاجها حقنة مهبلية من الصمغ النشادرى والكندر وعصير السنط والميعة، وهى صمغ نباتي، وشخص الالتهابات على أنها إفرازات رحمية تنصب على المهبل والفرج وأعلى الساقين.

ومن المعتقد لدى المصرى القديم، أن الجسم البشرى سليم معافى حتى تهاجمه الأمراض، أو يحدث خلل ما يمكن أن ينسب إلى الأرواح الشريرة أحيانا، أو اعتباره عقابا إلهيا فى أحيان أخرى، أو سحرا يمارسه أعداء المريض للنيل منه، لذا تنوعت مهام الطبيب لمداواة الجسد والروح أيضا.

فالأرواح الشـريرة هى تلك الميكروبات والفيروسـات التى أطلق عليها هذا المسـمى، والحالة النفسية للمريض لها أهميتها فى العلاج، وعادة ما يلجأ الطبيب للعلاج النفسى إذا ما استعصى عليه العلاج العضوى.

ويمكن تلخيص طب النسـاء لدى الطبيب المصرى القديم فى معرفته كيفية الكشـف على السيدة الحامل لتأكيد حملها وتمكنه من تحديد فترة الحمل الطبيعية بـ ٢٩٤ يوما، بالرغم من وجود نصوص تشـير لفترة حمـل تتراوح بين ٦ أو ٧ أشهر، مما يؤكد معالجة الطبيب لهذه الحالات والحالات المشابهة.



يقوم أحد الأطبـاء المتخصصين بتحضير الدواء اللازم للمريض كمـا ورد على جدران معبـد إدفو، وكانت عناصر الدواء مستوحاة من الطبيعة وموادها المختلفة.

وتذكر برديـة برلين، ١٣٠٠ ق. م، كيفية تحديـد جنـس الوليد من خلال بول السـيدة الحامـل، وقد أثبتـت الدراسـات والتحاليل الحديثة أن بول الحامل قد يحتوى على مادة تمنع اسـتنبات البذور، وكان أسلوب المصرى القديم مصيبا فى حوالى ٥٠٪ من الحالات.

وذكـرت البرديات الخطـوات المتبعة فى حـالات الـولادة، كمـا ألمّ الطبيـب بالآلام المصاحبـة للـدورة الشـهرية ووصـف لهـا العلاجات المناسـبة، وعـالج الطبيب باقتدار الحـالات المرضية النسـائية المتنوعـة بالدش المهبلـى واللبوس المهبلى والتعريض المباشـر للتعقيم من خلال الأبخـرة، كما وصفت العلاجات لمنطقة الشرج وهى أيضا لبوس شرجى.

وصف الطبيب لأمراض النسـاء كل من العلاج الداخلى والظاهرى والحقن المهبلية والحمامات النصفيـة، ويبدأ الطبيب فى بردياته بذكر المرض، ثـم وصفه بإيجاز ووصف أعراضه، ثم يصف العلاج بعد التشخيص، ويعتبر الآثاريون بردية كاهون أو اللاهون زمنيا أقدم البرديات: تليها بردية سميث حوالى ١٦٠٠ ق. م، ثم بردية إيبرز حوالى ١٥٥٠ ق. م التى تتزامن مع بردية هيرسـت، وترجع بردية برلين لحوالى ١٣٠٠ ق. م، وربما ترجع بردية لندن لحوالى ١٣٥٠ ق. م.

واعتبر الطبيب من خلال معظم البرديات أن أمراض النساء هى نتيجة لتحركات رحمية فى المقام الأول، وهذا ما ورد فى بردية إيبرز بالتحديد.

○ «علاج لإصابة المرأة ببولها: ملح بحرى، مهرت، بيرة عذبة، عسل، يحقن فى دبرها. ولتبريد الشرج: زيت اهليلج، زيت، ماء ظرت، حنظل، عسل، يحقن فى دبرها. «الذى يعمل للمرأة التى تفرز سائلا لزجا: كتل من الطين لا تتعرض للشمس، توضع فى حجرة وترش كثيرا بالماء فى المساء». «... واجلب إناء جديدا مليئا بالزيت واجعل المرأة تجلس عليه لمدة أربعة أيام».

○ «لتعرف اللبن الردىء: تجد رائحته مثل رائحة سمك شنى».

○ «لتعرف اللبن الجيد: رائحته مثل رائحة المن هى تقريبا مثلها».

«لرد الرحم لوضعه الطبيعى: نشارة الصنوبر توضع على حثالة ولفه قماش تفرك بها، يطلب من المرأة الجلوس عليها» أو «زيت صخرى castoreum يوضع على عسل ويدهن به الجزء السفلى من البطن». ويطلب من المرأة شرب جلفطة خشب سفينة zopissa يدهن بحثالة بيرة جيدة» «مغرة صفراء (ايدرات أكسيد الحديد)، مر طازج، توضع على عضو التناسل، القماش يبلل بسائل المر ويوضع على الجزء العلوى لعضو التناسل».

○ ولتعقيم الرحم: «غائط إنسان يوضع على بخور تبخر به المرأة، ادخل الدخان الصاعد فى فرجها» «براز جاف مع البيرة، تدهن به أصابع المرأة وتدهن كل أعضائها والجزء المريض بها».

○ «لجعل الرحم يرجع لوضعه: يعمل أبو قردان من شمع ويوضع على فحم ويدخل الدخان الصاعد منه إلى فرجها».



تعمل السيدة وترعى ابنها فى آن واحد

والتعقيم بالبخور من الوسائل العلاجية الناجحة، فقد ثبت حديثا أن للبخور تأثيرا على ميكروبات الجو فتطهره.

وللخصوبة أهميتها فى حياة المصرى القديم، فأوجد علاجا يساعد المرأة فى عملية الولادة: «نياياو، اجعل المرأة تجلس عليها بدون ملابس».

○ «لجعل كل ما فى بطن المرأة ينزل: شقفة من إناء جديد تسحق فى زيت ويسخن، يحقن المزيج فى فرجها».

للمرأة دور رئيسى فى الأسرة، وهى اللبنة الأولى للمجتمع، يتلخص فى عملية الخصوبة والإنجاب ورعاية الأبناء، فهى سيدة المنزل التى تتولى الاهتمام بكل شؤونه.

هذا بخلاف مساندتها لزوجها ومساعدته فى العمل فى الحقل إن كان مزارعا، أو فى التجارة... إلخ

وتنوعت المستحضرات لتذكر وصفة أخرى من:

«نبيذ البلح، ملح بحرى، زيت، يسخن ويؤخذ بمقدار ما تحتمله الأصابع» «لجعل الطفل ينفصل عن أمه: ملح بحرى، حنطة، سوت انتى، يضمد أسفل البطن»، وهنا يشير الطبيب لعملية الولادة. أو يمكن للمرأة تناول بلح صابح مع عسل يصفى ويؤخذ على يوم واحد.

«بسبس، كندر، ميعة styrax، بيرة، حنظل، بلح طازج، براز ذباب، يعمل لبوسا ويدخل فى فرجها، «أو يحقن الفرج بالسبستان مع البيرة» أو «كندر، زيت، يدهن به البطن».

ووصفة أخرى من نيايا، قسنتى، نبيذ يصفى يؤخذ على أربعة أيام» أو لبوس يدخل فى الشرج من فاكهة العرعر، نيايا، قطران الصنوبر».

تثبت هذه الوصفات التدخل الطبى فى عمليات الولادة، وتناقلت هذه المعلومات الطبية للسيدات، فمارسنها باقتدار لمساعدة الحامل على عملية الولادة الطبيعية الناجحة.

ولمنع الإجهاض: بدء أدوية منع الإجهاض الذى يصيبها مع دم. انتظر حتى بدء عادتها الشهرية، دلك بطنها وفخذيها به فإن الإجهاض يمتنع».


طائر عصفور الجنة

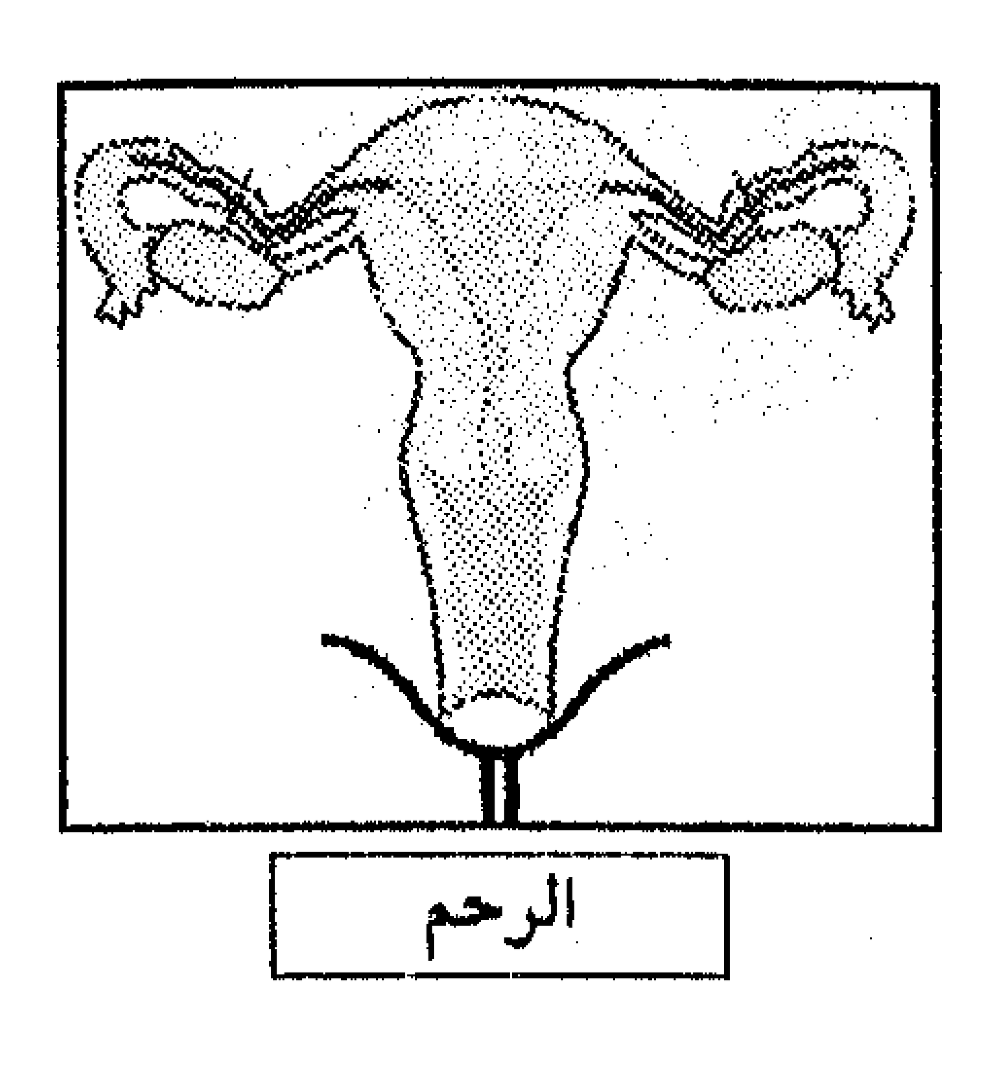
كبد عصفور الجنة swallow الجاف يصحن مع سائل لزج من مشروب متخمر، ويوضع على المرأة التى أجهضت، على ثدييها وعلى بطنها وعلى كل أعضائها.

ويختلط العلم بالإيمان مرة أخرى فتتلى رقية للثدى، ولم تمنع هذه الرقى وجود المستحضر الدوائى العلاجى «إنه الثدى الذى مرض لأن إيزيس كانت بمدينة خميس لما وضعت شو وتفنوت، عملت لهما رقية كتانية ثا السنب وبكات السوت وشعر ابت التابع لها والأشياء التى أحضرت لطرد الإصابات التى يحدثها الرجل الميت أو المرأة الميتة... تعمل هذه ملفوفة لفة يسرى a left twisted string، توضع على الأمراض المسببة من رجل ميت أو امرأة متوفية، لا تحدث إفراغا. لا تحدث حكة. لا تحدث دما. احترس من ضعف الإبصار الذى يصيب الرجال. تعمل منه سبع عقدات توضع عليه».

- «علاج للثدى المريض: كلامينا، مرارة الثور، براز ذبابة، مغرة صفراء، يمزج معا ويدهن به الثدى لمدة أربعة أيام».
- وينتقل الطبيب إلى حالة أخرى:

«لإزالة الآلام الروماتيزمية من الرحم، ورق آس يجفف مع حثالة بيرة جيدة. يوضع على عجزها وعلى إقليمها المربضى hypogastric region.

«لإدرار اللبن عند المرضع التى ترضع طفلا: عمود فقرى سمكة قشر يحرق فى زيت ويدهن به ظهرها» أو «خبز خنمت الحامض المصنوع من الشعير، جزء من ناره يمزج مع نبات خساو تأكله المرأة وقدماها متصلبتان».



الرحم

«للمريضة بمرض شفرتى مهبلها: ميعة styrax، مغرة صفراء هيدروكسيد الحديد، صمغ نشادرى، عصير السنط، نخاع شوكى الثور، حنيتا أو قش الحصر، يمزج معا ويحقن فى فرجها».

ويستطرد الطبيب المعلم من خلال بردية إيبرز: «لأجل قميت الرحم مع قرحة أكالة فى مهبلها: خبر أور، يصحن فى ماء مع كندر وقسنتى. يحقن به فرجها». ولنفس الغرض: «ملح صابح، عصير سنط، قسنتى، لبن حمار. يترك طوال الليل فى الندى ثم يحقن فى فرجها».

ولتبريد الرحم وطرد الحرقة منه: خلة سلت، شعير هندى، حب العزيز، يصحن فى الزيت، يحقن به فرجها». وهى مواد قابضة للرحم. وعلاج آخر قابض للرحم «حشيش hemp، يصحن فى عسل ويحقن الفرج».

«كنـدر، كرفـس، يصحن ناعما فى لبن بقرى ويصفى من قماش، ثم يحقن فى الفرج». ولمنع النزف الرحمى بصل يمزج مع نبيذ، فلهذه الخلطة مفعول قابض للرحم.

ويرشد الطبيب المعلم الممارس لما يلى:

«إذا فحصـت امـرأة تفرز إفرازا مائيا وراسـبه يشـبه الماء المتجلط، فيجـب أن تقول عنه: إنه تآكل بالرحم حضر له طينا من سقاء يصحن فى عسل وإثمد أو كبريتيد الرصاص، وقماشا من كتان رفيع يدهن به ثم يوضع فى الرحم لمدة أربعة أيام» وإذا ما ساءت الحالة وأصبحت: «المرض الأكال بالرحم الذى يحدث قرحة أكالة فى رحمها: بلح صابح، ساذج هندى Malabathron، حجـر جيرى من الشـاطىء. يصحن فى ماء ويـترك طوال الليل فى الندى ثـم يحقن بالفرج». «الذى يصنع للمرض الخطير، لبن بقرى مغلى، عصير السـنط، قسـنتى، يصحن ويترك طوال الليل فى الندى ثم يحقن بالفرج».

كمـا اهتم الطبيب بالتعرف إلى مدى خصوبة المرأة، إذ ورد فى بردية برلين وصفة: «تنام وتدلك خلمة ثديها وذراعيها إلى الكتفين بدهان جديد، وفى الصباح تنظر، فإن وجدت أوعيتها نضرة لطيفة لم تمتـص الدهان تحت أصابعها، فإنهـا تلد كثيرا، وإن وجدت أوعيتها تهرب مثل الجلد الملتصق بأعضائها فإنها عاقر، وإن وجدت أوعيتها نضرة ورؤيتها مظلمة فهى تلد متأخرة».

ووردت نظرية أخرى ليلجأ إليها الطبيب فى الكشف لتحديد مدى خصوبة المرأة:

«افحص أصابعها بيدك، ثم ارفع يدها وامش مع جسـمها فى جميع أعضائها وأنت ممسـك ناصيتها بأصابعك ويدك تزحف بكل طريقة بذراعها، فإن تباعدت أوعيتها بالداخل تحت يدك،

فإنها ستحمل» ولمن لا تحمل: «بخرها ببذر الخلة فى فرجها ولا تجعلها تأخذ إحليل زوجها، ثم أعطها علاجا يفك العقم، دهن وكرفس وبيرة عذبة، يطبخ ويشرب على أربعة أصبحة».

ولم تمنع هذه الممارسات العلمية من ذكر رقية كى تلد السيدة بسلام: «انزل أيها الخرص، انزل، أنا حورس الذى يناشد الروح كى تتحسن حالة السيدة التى تلد...انظر سوف تضع حتحور حجابا للصحة عليها، فأنا حورس الذى ينقذها!»، تردد أربع مرات مع وضع تمثال صغير للرمز بس على حاجب السيدة التى تلد.

ولا تذكر البرديات المختصة بالطب والعلاج كيفية الولادة أو الخطوات التى تمر بها هذه العملية، ولكن ذكرت فى بردية وستكار التى تسرد جزءا من الأسطورة: «وقفت إيزيس أمام السيدة ونفتيس خلفها بينما حكات تتولى عملية الولادة... اندفع الطفل بين يدى إيزيس، إن عظامه قوية،.. لقد نظفوا الطفل وقطعوا الحبل ابرى، ثم وضعوه فى مرقده الحجرى».



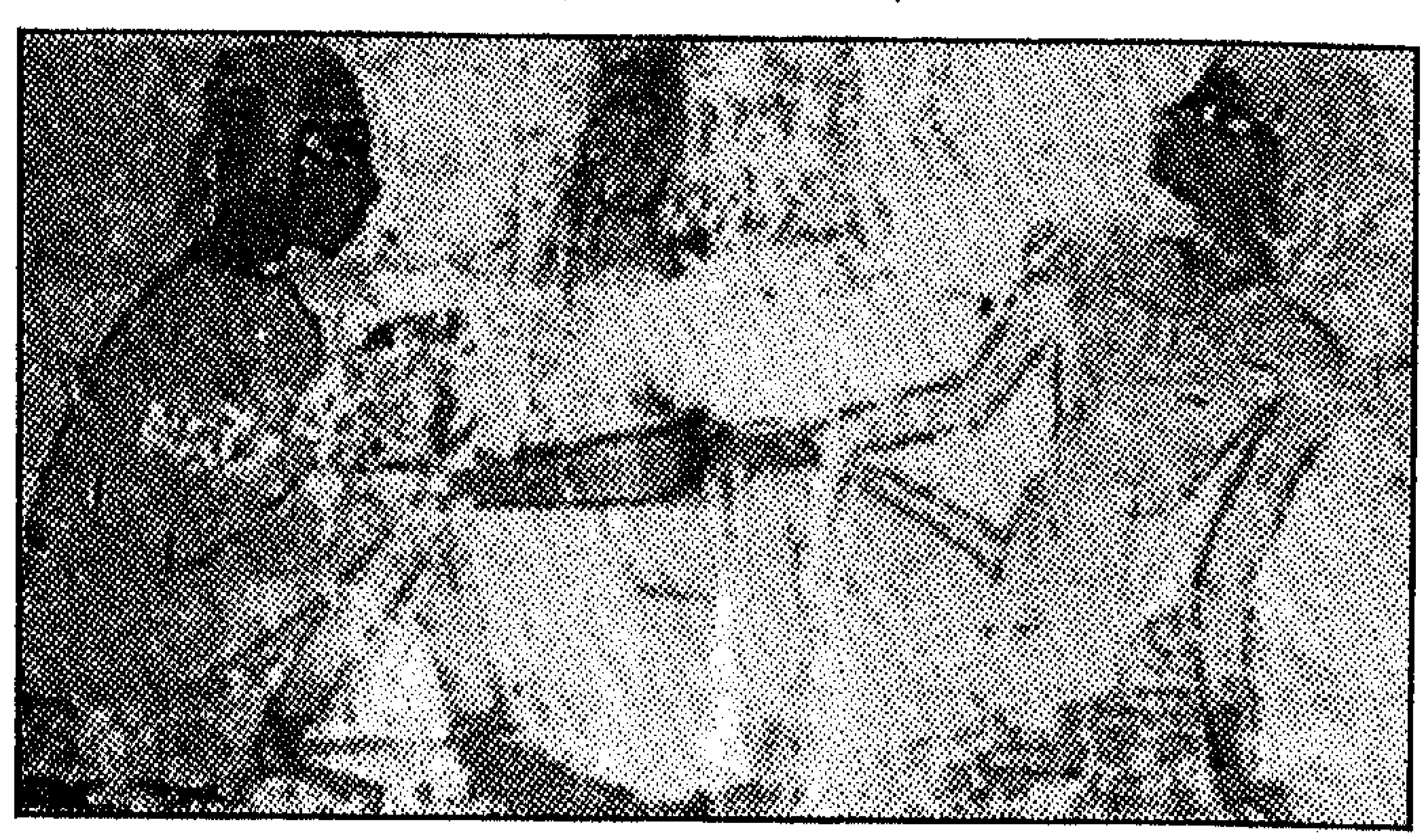
اعتبر بس رمزا للمرح والحماية للسيدة الحامل ويساعدها على الولادة بسهولة



رعاية الأبناء

وكانت سيدات الأسرة يقفن حول السيدة أثناء عملية الولادة يرددن الدعوات: «اجعل قلبها قويا واحفظ الطفل القادم».

ولكون المجتمع منظما إداريا، كان الطفل يسجل فى سجلات بيت الحياة بعد أن يطلق عليه اسمه كما ورد على لسان الأميرة أهورى زوجة نينوفر كا بتاح: «لقد أنجبت هذا الطفل الذى ترونه، وأطلق عليه اسم مراب، ثم سجل اسمه هذا فى سجلات بيت الحياة». وظلت منذ الأزل مهمة الأم رعاية أبنائها والحفاظ عليهم وتأمين حياتهم.



يلعب بعض الصبية تحت إشراف الأم

□□□

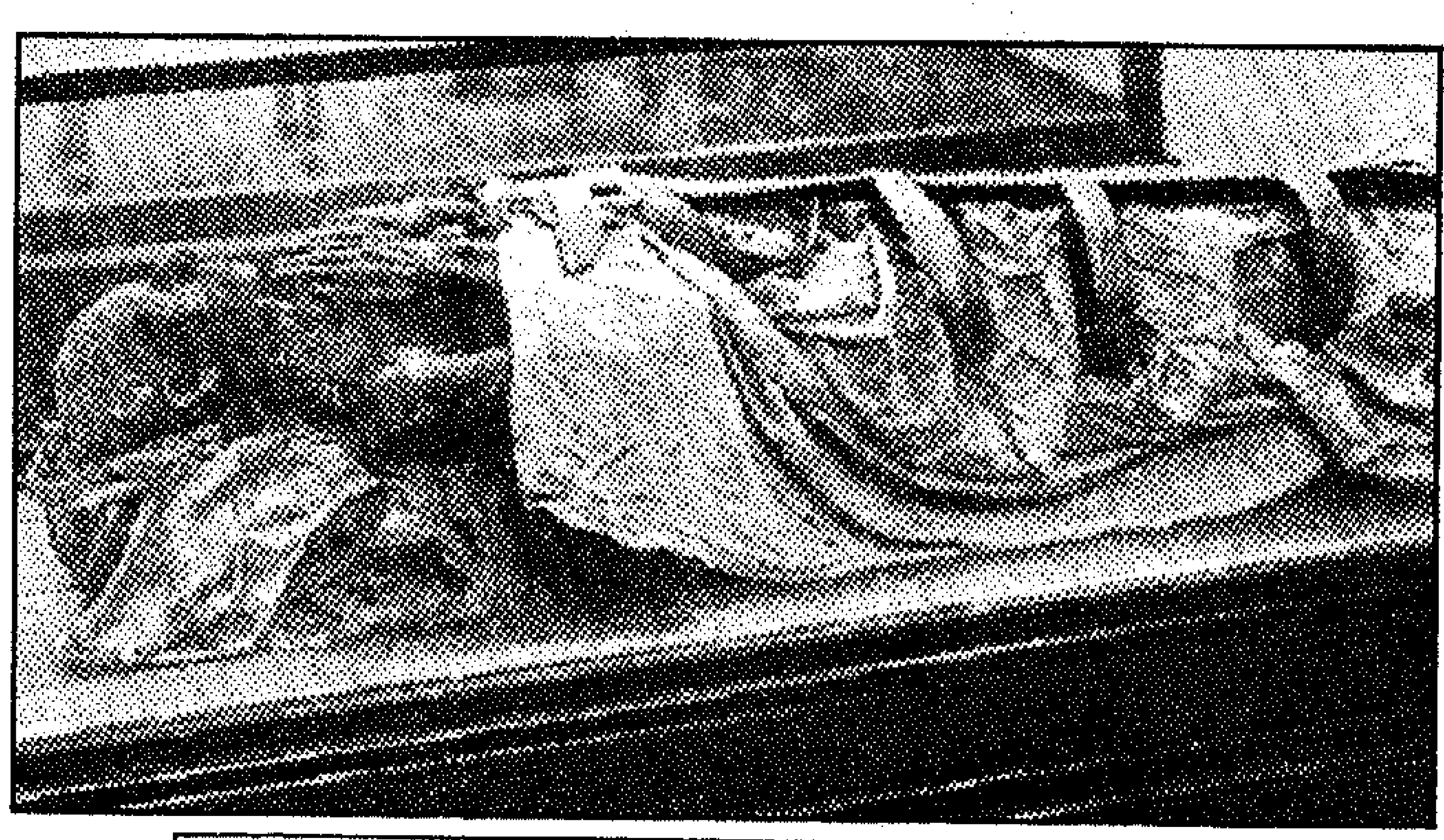
الفصل الرابع

التحنيط والتشريح

حاول المصرى القديم من خلال تساؤلاته المتعددة عن أصل الوجود والعوامل المادية المسئولة عن هذا الوجود الحركى لجسم الإنسان أو الحيوان أو النبات التوصل لمعرفة الإجابات عن تساؤلاته عن كيفية الوجود، وتوصل فيما يخص الإنسان إلى أن العامل الرئيسى لحياة الجسم الآدمى بالتحديد هو التنفس، ولأهمية نفس الحياة رمز له بعلامة العنخ ونسج حول هذا الرمز الكثير من الدلائل التى تؤكد أهمية نفس الحياة، فهو الحد الفاصل بين الحياة وما بعد الحياة التى تيقن المصرى من أنها مرحلة استمرارية لما بعد توقف عملية التنفس الخارجى والداخلى للجسم.

وقد ذكر الطبيب المصرى كما أورد فى بردية إيبرز أن النفس أى الهواء يصل إلى القلب والرئتين عن طريق الأنف ويوصل كل من القلب والرئة الهواء إلى البطن، وهو تعريف سليم خاصة أن الطبيب ذكر: «أن هناك وعائين تحت رأسى الترقوتين وعاء على اليمين وآخر على اليسار للحلقوم واصلان... ويقصد هنا الرئتين، ولم يكن الطبيب يستطيع معرفة هذا بدون ممارسة التشريح الذى أجاده من خلال عملية التحنيط التى مارسها للحفاظ على الجسد الآدمى والحيوانى أيضا.





مومياء يويا، والد الملكة تى الذى حمل لقب الأب الإلهى

توفى يويا وهو فى الستين من عمره، وقد امتلأت تجاويف جثته بكرات من الكتان مغموسة فى الراتنج وقد غطى جسده كلية بمادة راتنجية وملىء تجويف العين بالكتان، أما شعر المومياء الأصفر فقد اكتسب هذا اللون بعد التحنيط من تفاعل المواد المستعملة.

ومكن التشريح الطبيب من معرفة منطقة الأنف بالتحديد ومكوناتها: «إذا فحصت شخصا عنده كسر فى عمود أنفه ولديه تشوه بأنفه وانخساف فيه بينما الورم الذى عليه يأخذ فى البروز وهو ينزف دما من طاقتى أنفه..»..

وينتقل من وصف منطقة الأنف إلى الأوعية المتصلة به: «هناك أربعة أوعية فى خيشوميه: اثنان يعطيان المخاط واثنان يوصلان الدم...أما بخصوص النفس الذى يدخل إلى القلب وإلى الرئة، فهذان يوصلانه إلى كل الجسم..»..

وقد أثبت العلم حقيقة بدهية للطب المصرى مع بدايات الحضارة الإنسانية التى أثرت العلم بوضع الأسس السليمة فى معظم المجالات.

وهنا مثال آخر يؤكد ممارسة الجراح للخياطة خلال تطبيقاته الجراحية: «إذا فحصت شخصا عنده جرح فى شفته نافذ إلى داخل فمه فافحص جرحه حتى عمود أنفه ثم ضم هذا الجرح بالخياطة».

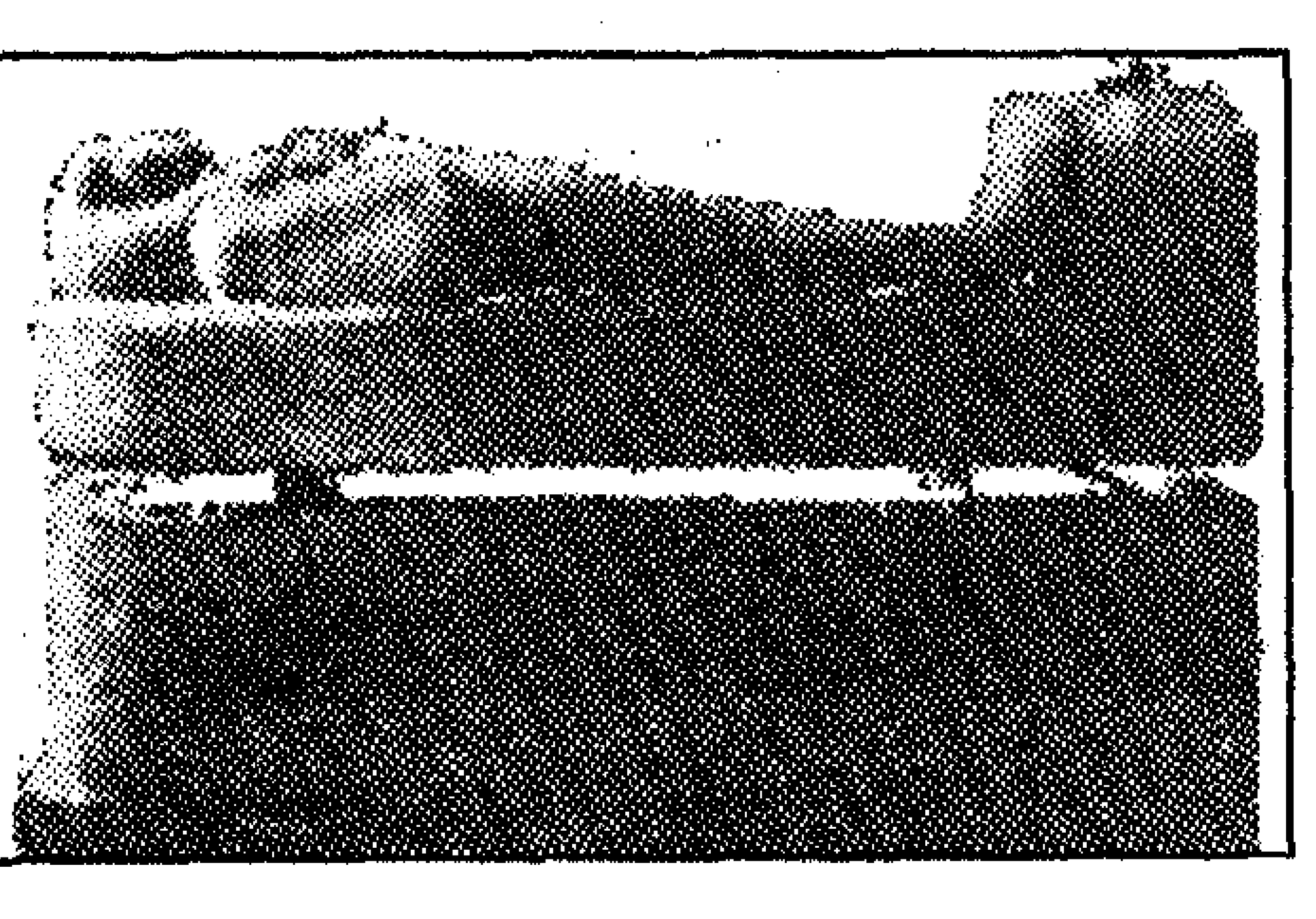
وعرف الطبيب من خلال التشريح أنسجة الجسم:

«أما بخصوص خلع عظمتى ترقوته فذلك يعنى زحزحة رأس عظمتى ترقوته المتصلتين بأعلى عظمة صدره والموصلتين إلى زوره الذى يكسوه لحم مقدم صدره».

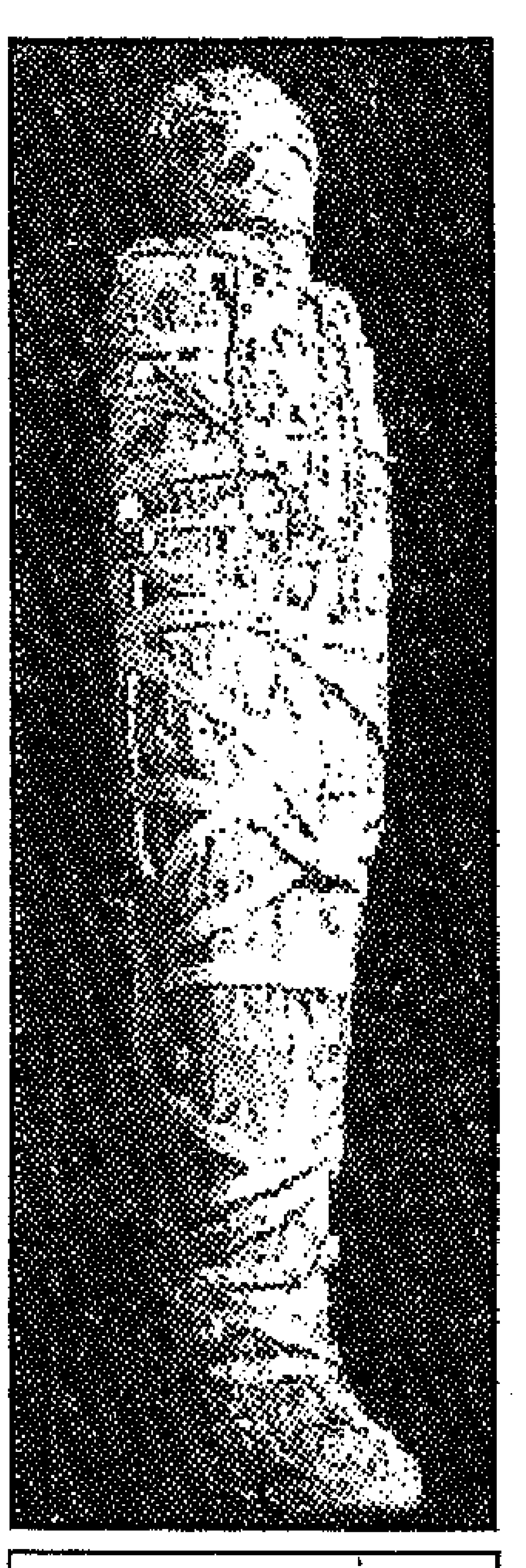
ودل التشريح الطبيب لمعرفة القلب ووظيفته ومعرفة الأوعية الدموية بنوعيها كما هو مؤكد من بردية سميث وإيبرز وبردية برلين. واعتبر المصرى القلب مركزا لجهاز الأوعية الدموية، مما ألقى الضوء للمرة الأولى فى التاريخ على أهمية حركة القلب داخل الجسم التى تمكن الطبيب من قياس النبض وعد ضربات القلب المشار إليها فى بردية سميث على أنها نتيجة قوة القلب وحركته وتغذية الدم للأطراف وأجزاء الجسم المختلفة.



مومياء أحمس مؤسس الأسرة ١٨ وقد ظهر أنه لم يخضع لعملية الطهارة ولم تطو ذراعاه على صدره كما هو متبع مع الملوك بل دفن وذراعاه ممدودتان بجانبيه وهى إحدى أساليب الدفن وقد أظهر فحص المومياء إصابته بالتهاب المفاصل.



تابوت لدفن الموتى


لفائف كتانية

وتذكر بردية إيبرز: «مبدأ سر الطبيب معرفة حركة القلب، هناك أوعية تخرج منه لكل عضو، أما بخصوصها فإن أى طبيب وأى جراح وأى ساحر يضع يديه أو أصابعه على الرأس أو على اليدين أو على المعدة أو على الذراعين أو على القدمين، فإنه بذلك يفحص القلب لأن كل أعضائه تحوى أوعيته، إنه يتكلم عن طريق أوعية كل عضو».

ومعرفة الطبيب بالتشريح للأوعية الصدغية سهل له تشخيص وعلاج أمراض العيون: «وهناك أربعة أوعية داخل صدغيه وكل أمراض العيون تحدث عن طريقها لأن هناك ثقبة للعينين». وينطبق هذا على باقى أعضاء الجسم: «هناك وعاءان للخصيتين هما اللذان يفرزان السائل المنوى».

وفيما يختص بالكبد فقد ذكر «أربعة أوعية هى التى تعطى الكبد الأخلاط والهواء والتى تحدث كل الأمراض فيه بإفعامه بالدم».

ويؤكد الطب الحديث أن بدايات الأمراض الكبدية هى احتقانه.

ودراية المصرى بالجهاز البولى مؤكدة من خلال ما ورد ببردية إيبرز: «مبدأ علاج منع احتباس البول عندما يتألم المريض من أسفل بطنه». فقد أوصى الطبيب بخليط من القمح والملح والماء ويصفى بعد أن يصحن ويشربه المريض مدة أربعة أيام. «وهناك وعاءان بالمثانة هما اللذان يفرزان البول».

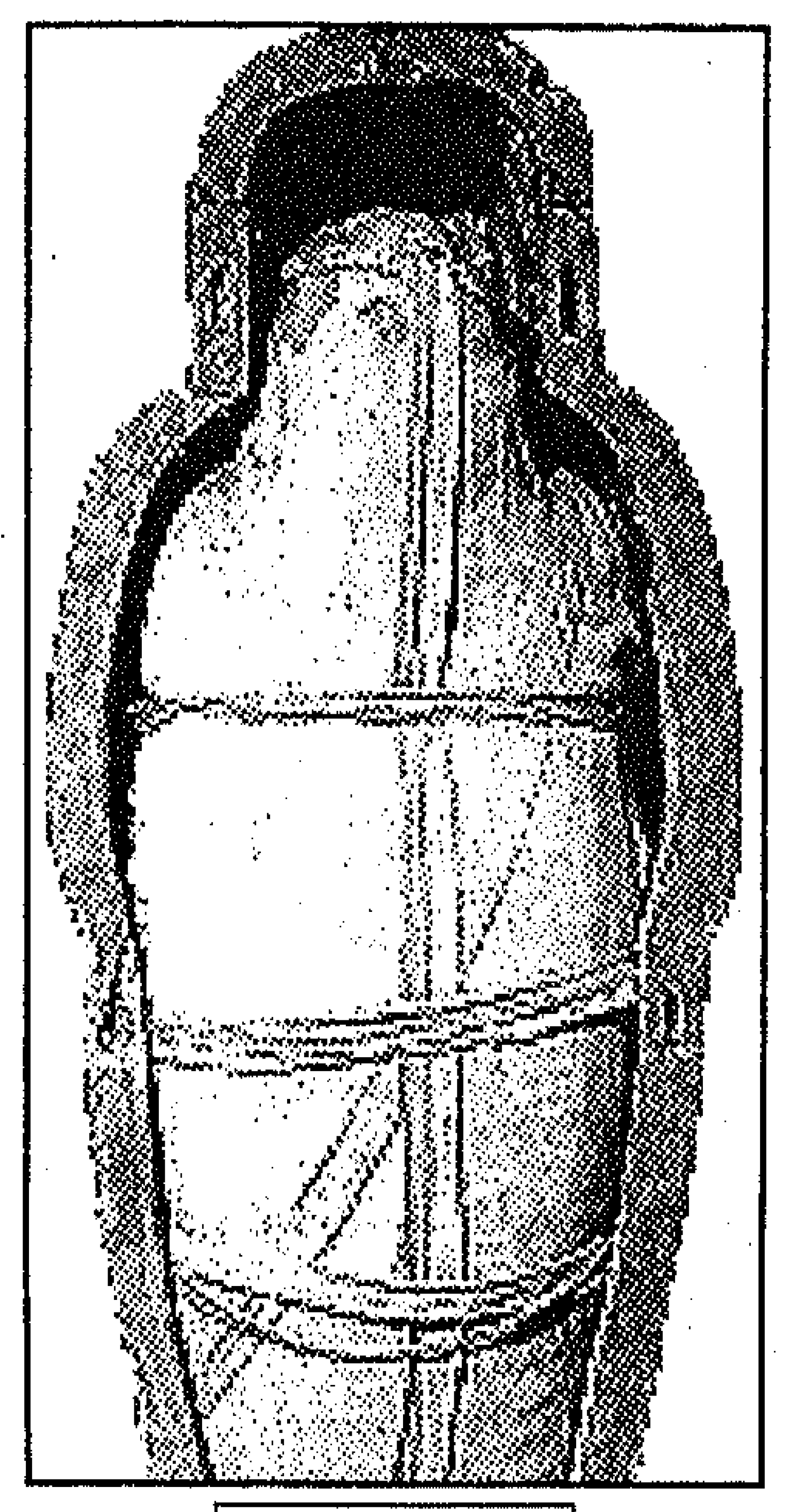
وألم الطبيب المصرى بالعديد من المعلومات التى تيسرت له من ممارسته للتحنيط حتى إنه ذكر بعض الغدد وحددها منها الغدة التيموسية التى يعتقد أن المصرى أطلق عليها لفظ سخن: «إذا فحصت غدة متضخمة شبه متكيسة على عنقه ووجدتها مثل الغدة التيموسية فى الجسم» وتقع هذه الغدة أعلى الصدر.

للتحنيط أهميته لدى الطبيب للتعرف على الأجزاء المختلفة للجسم البشرى وهو بالتأكيد مضاعف فى الأهمية بالنسبة للجراح الذى يتولى علاج الأجزاء الداخلية للجسم، من هنا أهمية التشريح الظاهرى الذى مكن الطبيب المصرى القديم من معرفة مواضع الأعضاء من خلال ممارسته لعملية التحنيط.

وقد عرف من خلال هذه الممارسة أن القلب هو مركز داخلى لكل وظائف الجسم، فهو حامل لأوعية متشعبة تنقل للأعضاء من خلال قنوات أطلق عليها مسمى ميتو ليس فقط الدم بل الهواء أيضا. أطلق المصرى هذا المسمى على جميع القنوات منها القنوات الدمعية، وقنوات الغدد المختلفة وقنوات السائل المنوى والعضلات.

وتصل هذه القنوات كل أعضاء الجسم معا، وقد عرف جسم الإنسان بمسمى خت.

ويتبع المصرى خطوات واضحة المعالم خلال عملية التحنيط هى الأساس فى معرفته بالجسم البشرى وبوظائف أعضائه خاصة وأنه بدأ هذا من خلال أجسام الحيوانات التى كان يقطعها ويقدمها قرابين ثم قام بتحنيطها فيما بعد.



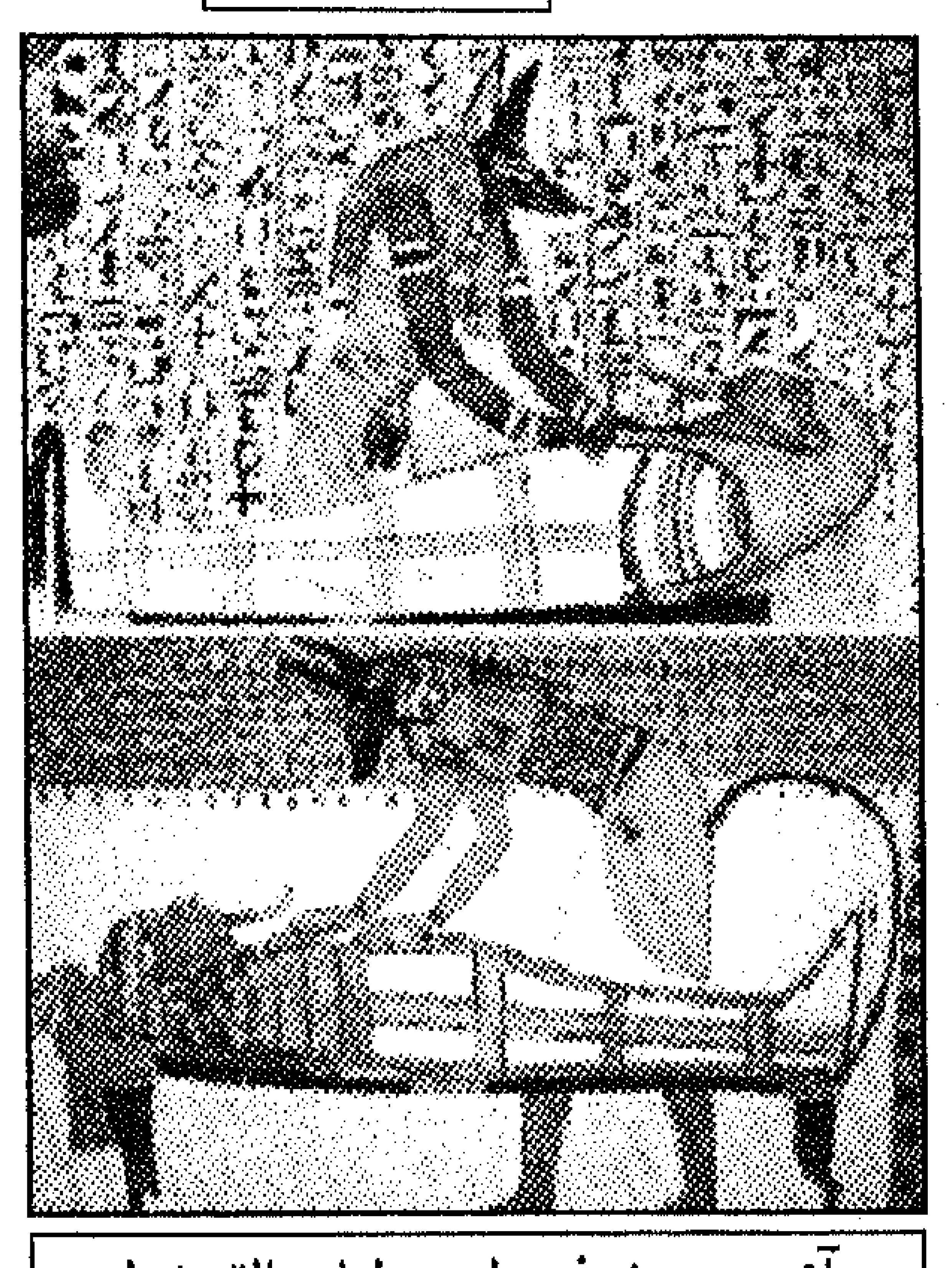
جسد محنط

وتبدأ عملية التحنيط عادة بإخراج الأعضاء الداخلية للجسم كلها ما عدا القلب باعتبار أن هذه الأعضاء هى الجزء الأول الذى يتأثر خلال عملية تحلل الجثة بعد الوفاة ويترك القلب باعتباره مركز الذكاء والمعرفة والإحساس التى يحتاجها المتوفى فيما بعد الحياة كما تترك الكليتين أيضا.

ويستخرج المخ من تجاويف الجمجمة من خلال الأنف ويستبعد المخ، ثم يشق الحجاب الحاجز لاستخراج الرئتين.

والهدف الرئيسى من التحنيط هو تجفيف الجثة من السوائل لعدم السماح للبكتيريا بالتكاثر، وهذا يثبت معرفة الطبيب بالميكروبات التى أسماها أحيانا الأرواح الشريرة.

ثم يغطى الجسد كلية من الداخل والخارج بملح النطرون بعد غسله جيدا، ويترك مدة تتراوح بين أربعين لخمسين يوما ليجف ويتبقى فقط الشعر والجلد والعظام، ويتولى المحنط بعدها ملء الجسم بالراتنج ونشارة الخشب أو نسيج الكتان لامتصاص المزيد من السوائل والمساعدة على زيادة جفاف الجثة المحنطة التى تشكل جيدا لاستعادة هيئتها الأصلية وتلف لفا جيدا بلفائف الكتان التى يتخللها تعاويذ من الجعران توضع فوق موضع القلب لضمان استعادته وتجديد الحياة به، وتتلى التعاويذ والأوراد طلبا لمزيد من الحماية وتدوم هذه العملية فى مجملها فترة سبعين يوما، ويتولى الكهنة هذه المهمة بمجمل تفاصيلها داخل خيمة معدة خصيصا لهذا الغرض تعرف بأيبو أو مكان التطهر. وكان المصرى يمارس التطهر للجسم خلال الحياة ولإعداده لما بعد الحياة أيضا، وهذه ممارسة مازال الإنسان يؤديها على جسمه من خلال الوضوء وفى غسيل الجثة بعد الوفاة. ويعتبر ملح النطرون المستعمل فى تجفيف الجثة هو مكون طبيعى



آنوبيس يشرف على عمليات التحنيط

من كربونــات الصوديوم، وبيكربونات الصوديوم، وكلوريد الصوديوم، وسـلفات الصوديوم، وتنقل الجثة المراد تحنيطها من بعد خيمة التطهر إلى خيمة التجميل أو بر نفر حيث تعد الأحشاء تمهيدا لوضعها داخل الأوانى الكانوبية.

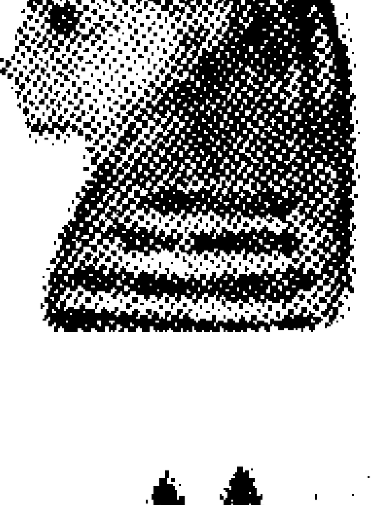
والرمــوز التــى تتولى هذه العملية هم أنوبيس فى المقام الأول بصفته الرمزية ويجســده الكاهن المؤدى لعملية التحنيط بارتداء غطاء على رأســه بشــكل وجه ابن آوى، وهو الحيوان الذى عرف بشكله الرمز آنوبيس.



أما أبنــاء حورس الأربعة، فهى الرموز التــى تتولى مهمة حماية الأحشــاء الداخلية للمتوفى وهم شكل القرد أو حابى وهو المسئول عن حماية الرئتين واتجاهه ناحية الشرق.



ومــن يتولى مهمة حمايــة الكبد بعد تجفيفــه وتحنيطه مع باقى الأعضاء فهو شكل آدمى يتجه ناحية الجنوب، ويدعى اميستى.

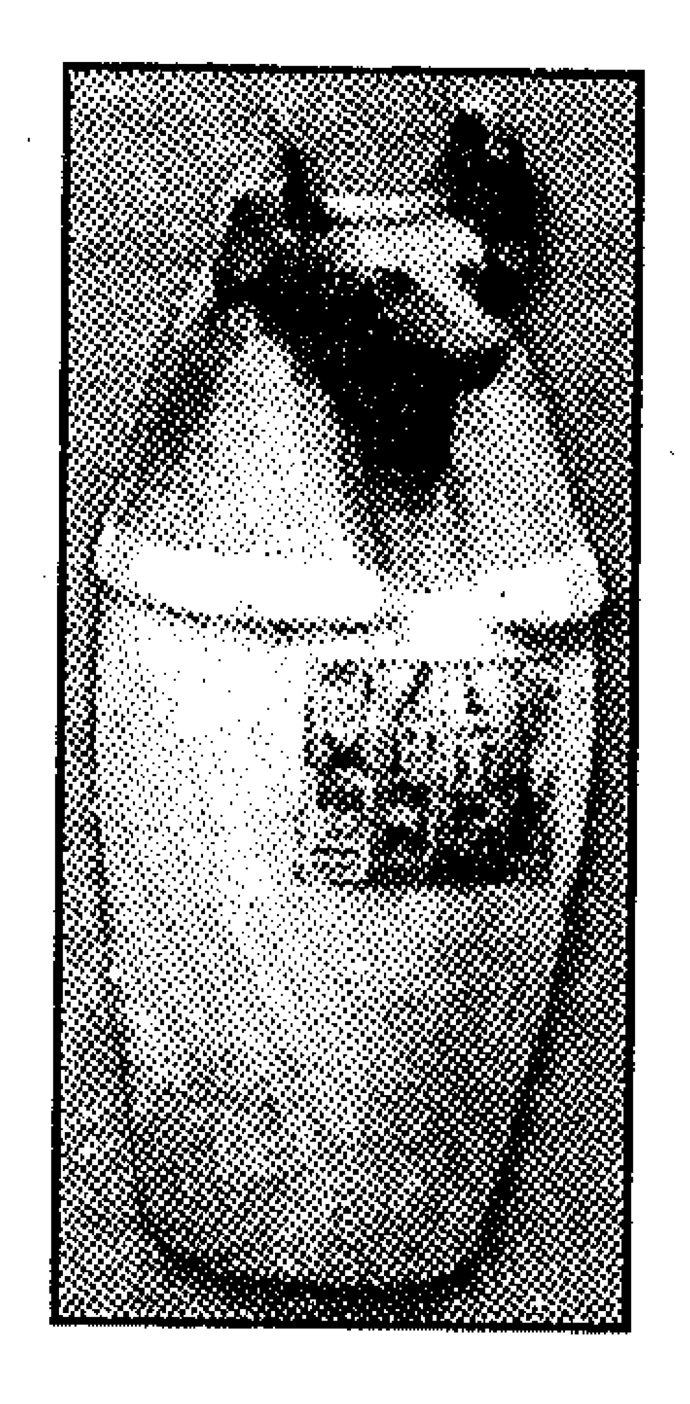


والمعدة من اختصاص دواموتاف ذو الشكل المميز لحيوان ابن آوى واتجاهه ناحية الشرق.



والحامى الرابع هو قبحسنواف الصقر المتجه ناحية الغرب ويحمى الأمعاء.

وقد اســتقى المصرى فكرة التجفيف هذه من قدرة الشــمس على تجفيف جثث الموتى خلال عصــور مــا قبل التاريخ عند دفنهم فى حفرة بيضاوية الشــكل فتحتفظ بخصائصها بتأثير حرارة الشــمس. واعتمــد المصرى فى الواقع على قوة الملاحظة ليســتقى معلوماتــه المختلفة من الطبيعة ومؤثــرات عناصرهــا المتعددة، ولجأ لهذه العناصر فى جميع النواحــى الحياتية، فكان أول من استفاد بمعطيات البيئة.

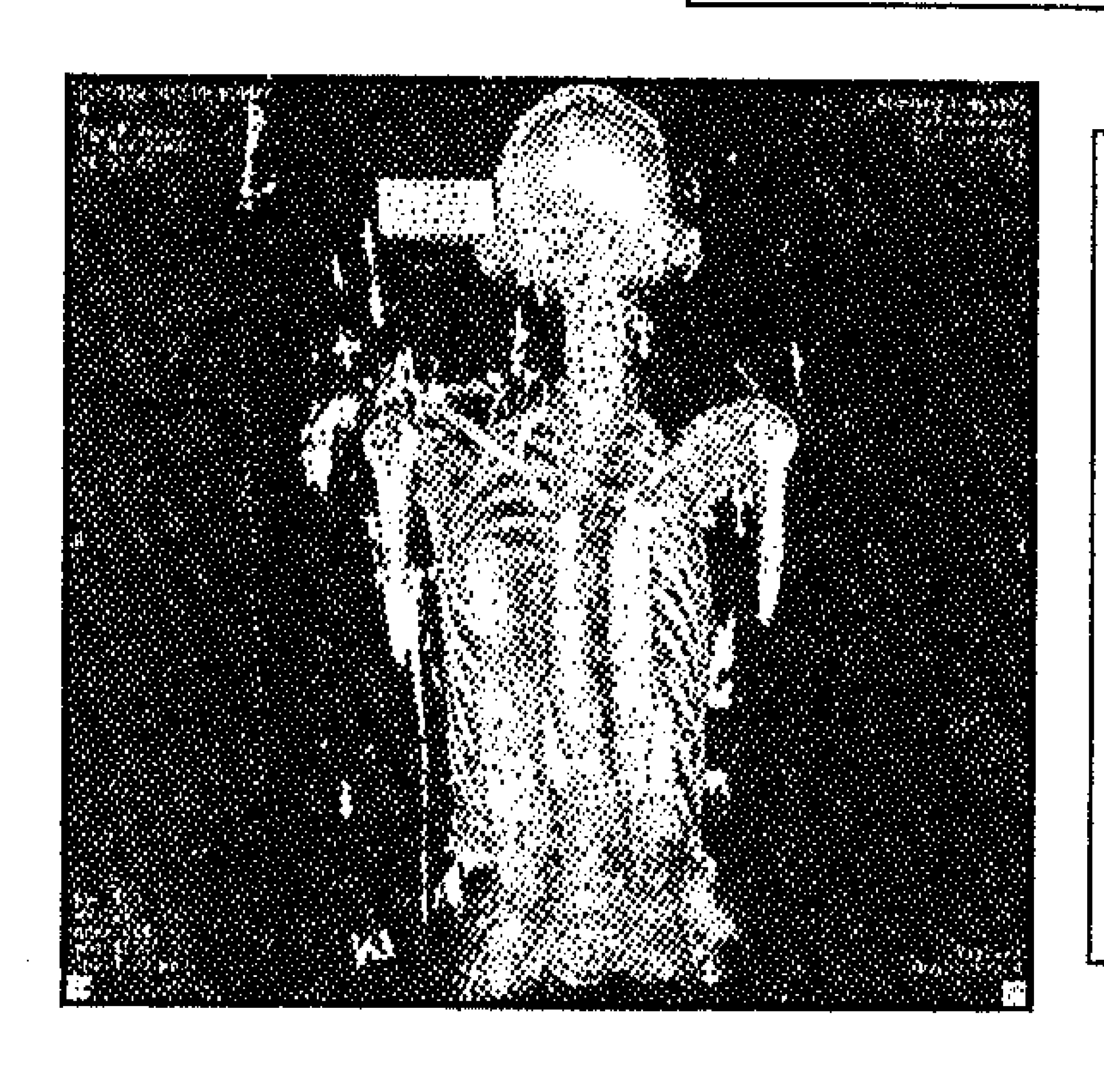


وهذه الرؤوس الأربع التى تزين غطاء الأوانى الكانوبية هى رموز حماية قرن بها المصرى ممارساته العملية بالرغبة فى الإحساس بأهمية ما يقوم به ورفع عمله لقوى عليا تهيمن على الكون طبقا لمفهومه آنذاك والتى رمز بها بالأشكال المختلفة التى ابتدعها فكره.

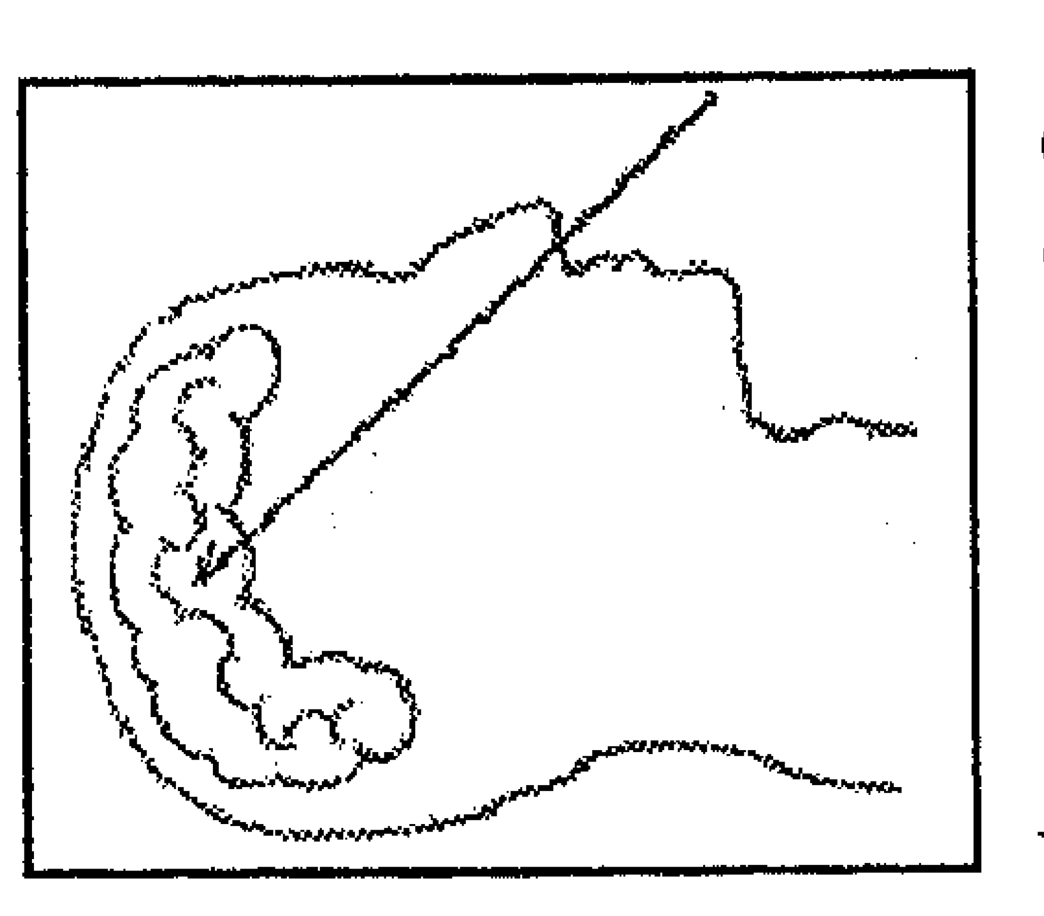
ومكنت عملية استخراج الأحشاء والمخ الطبيب المصرى من معرفة خبايا الجسد. وتستخرج الأحشاء من خلال فتحة فى الجانب الأيسر من تجويف البطن بعد الغسيل الجيد للجسد ودهنه بالزيوت للحفاظ على مرونته، ثم تضم هذه الفتحة باحكام باستعمال الشمع للصق الحافتين معا، وهذا ما استعمله الطبيب أحيانا فى ضم بعض الجروح، وقد طور أسلوبه فيما بعد فأصبح يخيط القطع، كما ظهر على بعض المومياوات للأسرة ٢١.



مومياء رمسيس الثانى مغلفة باللفائف الكتانية
وتعرض حاليا بالمتحف المصرى بالتحرير

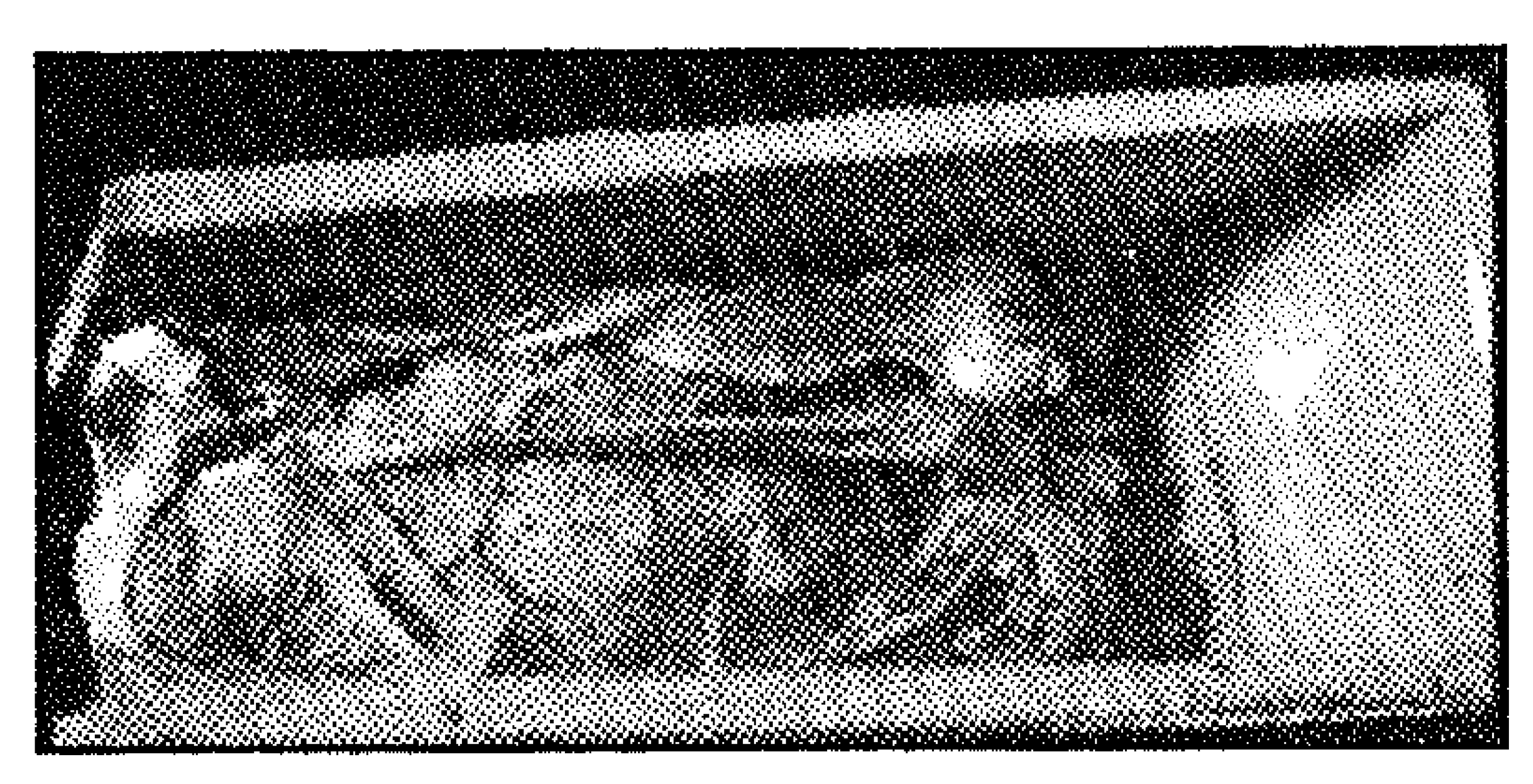


تصوير ثلاثى الأبعاد لإحدى المومياوات الخاضعة للدراسة فى مشروع أخميم، مومياء نفرنى ان، ويهدف هذا المشروع لإيجاد بنك للمعلومات الخاصة بمومياوات المنطقة كمرجع للعديد من الجوانب سواء العرقية أم المرضية أم الاجتماعية، وتغطى الدراسة الفترة الزمنية بين ٧٠٠- ٢٠٠ ق. م، وقد أثبتت هذه الفحوصات أن المخ يتحلل نسبيا قبل استخراجه من فتحة الأنف اليمنى مما يجعل استبعاده عملية حتمية وليس لعدم أهميته كما يدعى البعض.



ويستخرج المخ بواسطة آلة خطافية الشكل تدخل فى فتحة الأنف وتسهل عملية سحب المخ من داخل تجويف الجمجمة التى أطلق عليها الطبيب مسمى رننت، بينما عرف القشرة بكلمة باقت وعظمة الجبهة دهنت بينما مكحا هى مؤخرة الرأس، وتجويف الجمجمة هنن تب، وكان يملأ تجويف العينين بالكتان أو بعيون صناعية طبقا لعصر التحنيط. وقد تعرف على عضلات العين وميزها كما عرف الحنجرة واللسان وأطلق عليه مسمى تب وزازا وحدد ٢٢ وعاء دمويا لتغذية منطقة الرأس.

وكلمة مومياء مشتقة من الكلمة الفارسية أوالعربية موميا التى تعنى القار، وهى مادة مشابهة للأسفلت لها خواص علاجية للعديد من الأمراض وتستخرج من أحد الهضاب فى فارس أو إيران ولتشابه المومياوات المحنطة مع لون القار، اعتقد البعض فى أن المومياوات لها نفس الخاصية العلاجية واستعملت المومياوات فى هذا الغرض خلال العصور الوسطى.



مومياء داخل التابوت



تعرض هذه المومياء فى المتحف البريطانى

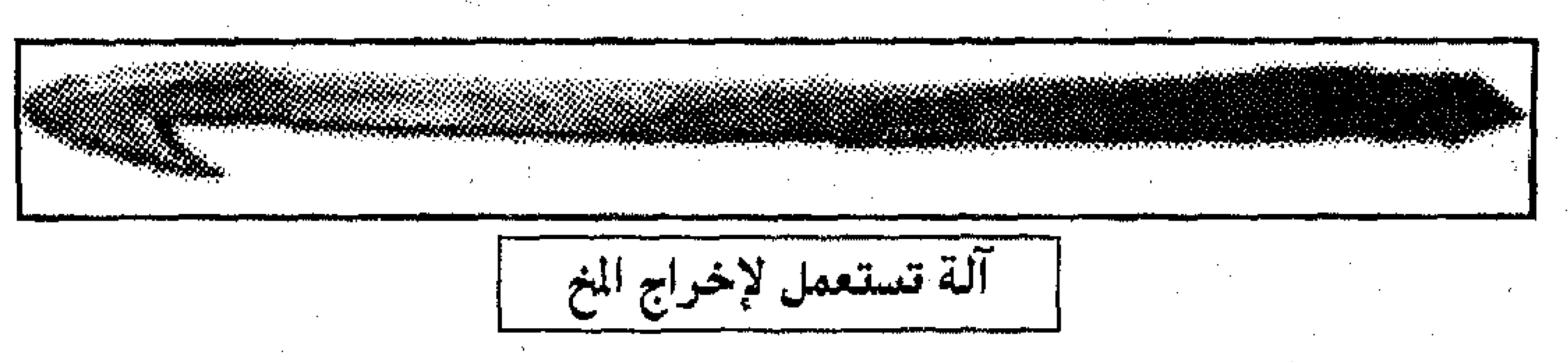
وأثر التحنيط فى الكثيرين الذين حاولوا جاهدين كشف أسراره وتمكن أفراد مؤسسة تهتم بالدراسات الباطنية esoteric، وتدعى سموم من ممارسة نوع من التحنيط الحديث كامتداد لما أبدع فيه المصرى القديم.

وتتلخص طريقة التحنيط الحديثة فى الحفاظ على كيان ما أو جوهر يظل قائما بعد الوفاة، وهو فكر خاص بهذه الفئة، لذا وجب الحفاظ على الجسد، وعلى عكس ما اتبعه المصرى من استعمال مواد طبيعية لتجفيف الجسد، لجأ هؤلاء إلى مواد كيميائية للحفاظ على الشكل العام لهذا الجسد، وتتلخص طريقة التحنيط فى أن يترك الجسد عدة أشهر داخل محلول من مادة حافظة.

ومارس السمنو هذا الأسلوب على البشر والحيوانات، وأعد العديد من العلماء دراسات علمية على أسلوب التحنيط هذا بعد أن تعذر معرفة النسب المستعملة فى التحنيط المصرى القديم، ولكن هذا لم يمنع فريقا من العلماء المعاصرين محاولة محاكاة كيفية تحنيط جسد بنفس الأسلوب المصرى القديم.

فقد قام بعض العلماء من جامعة مريلاند فى بلتيمور ولونج آيلند فى الفترة من ٢١ مايو حتى ٢٥ يونيو عام ١٩٩٤ بأول عملية تحنيط حديثة تمت داخل جدران كلية الطب بجامعة مريلاند.

أعدوا أدوات مشابهة لأدوات المصرى القديم وحوالى مائة ياردة من قماش الكتان و٦٠٠رطل من ملح النطرون، والمر، واللبان وزيت الصنوبر، وخمر البلح ثم الراتنج أخذت كلها من موطنها الأصلى مصر كمحاولة لمحاكاة دقيقة لأسلوب التحنيط القديم حيث إن المعلومات المتاحة فى هذا الشأن مستقاه من وصف هيرودوت الذى اعتبره العلماء غير عملى أو منطقى.



آلة تستعمل لإخراج المخ

وتمكن العلماء بصعوبة من تسييل المخ وإخراجه من فتحة الأنف طبقا لما وصف مسبقا ملأ بعدها صندوق الجمجمة، هثن تب، باللبان ونبيذ البلح للتنظيف والتعقيم، وشقا بعدها الفتحة فى الجانب الأيسر الذى دهن بالمر ونبيذ البلح بعد إخراج الأحشاء ودست بعده داخل الجثة أكياسا صغيرة من ملح النطرون محاكاة لما كان يقوم به المحنط المصرى القديم.

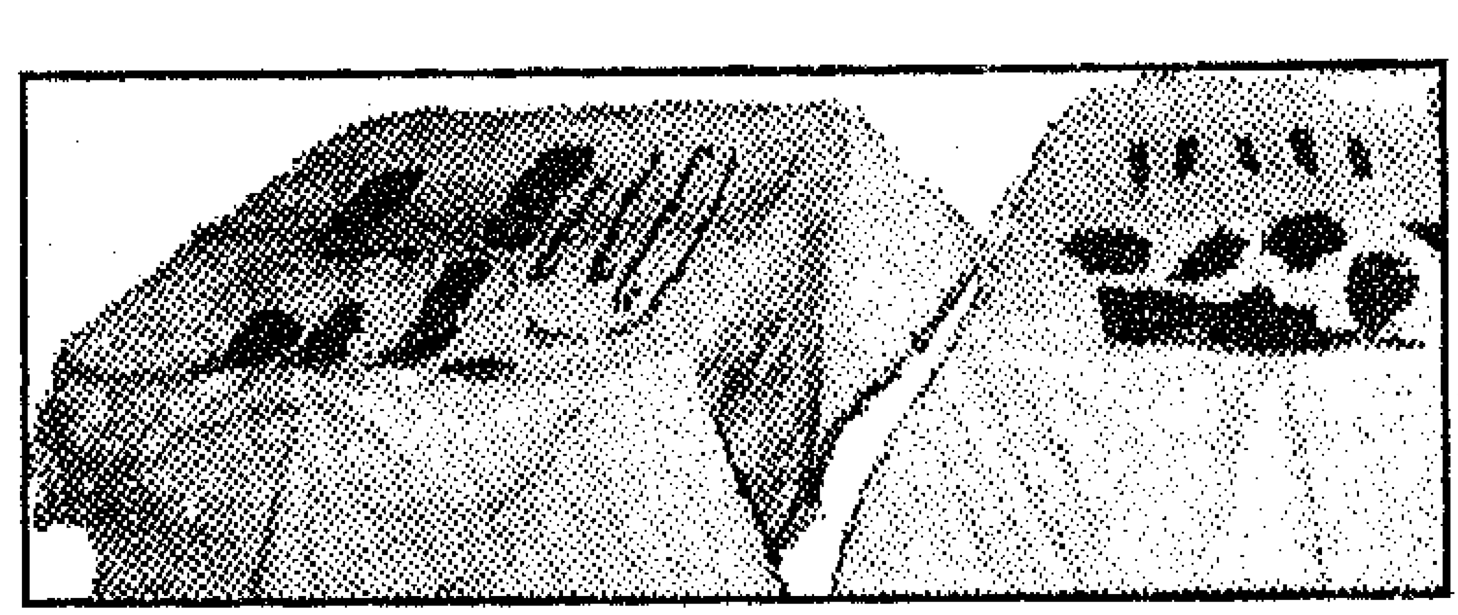
وتم بعدها تغطية الجسد كلية بملح النطرون مع الإحتفاظ بدرجات حرارة ورطوبة مشابهة لهما فى مصر آنذاك، واستكملت باقى الإجراءات بعد ملاحظة جفاف الجسد كلية وتغطيته باللفائف الكتانية، وهو يرقد حاليا بمتحف الإنسان بسان ديجو لمواصلة الملاحظة والمتابعة للتأكد من صحة عملية التحنيط وأنها مطابقة فى نتائجها لما قام به المصرى القديم.

وهذا مؤثر آخر للطب المصرى وللطبيب الذى أجاد من خلال عملية التشريح معرفة الصفة التشريحية للأعضاء المختلفة، مما سهل له التطبيق العملى فى المجال الجراحى بالتحديد.

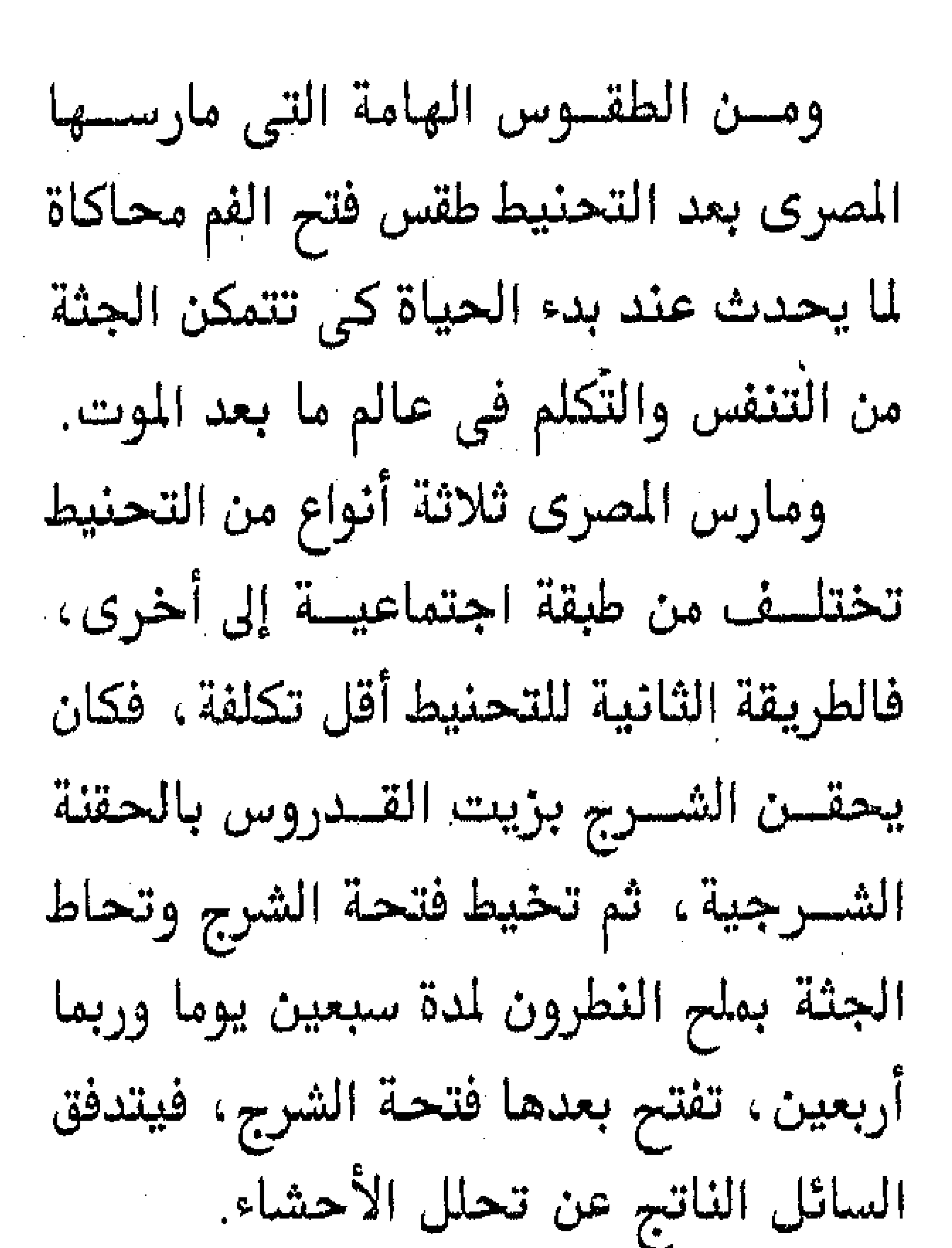
ومازالت ممارسات الطبيب المصرى موضع دراسة ولا سيما البرديات الطبية المتعددة لدى معظم الدوائر العلمية العالمية.



إحدى المومياوات فى الموقع الذى عثر عليها به ولفائف الكتان متناثرة حول الجثة

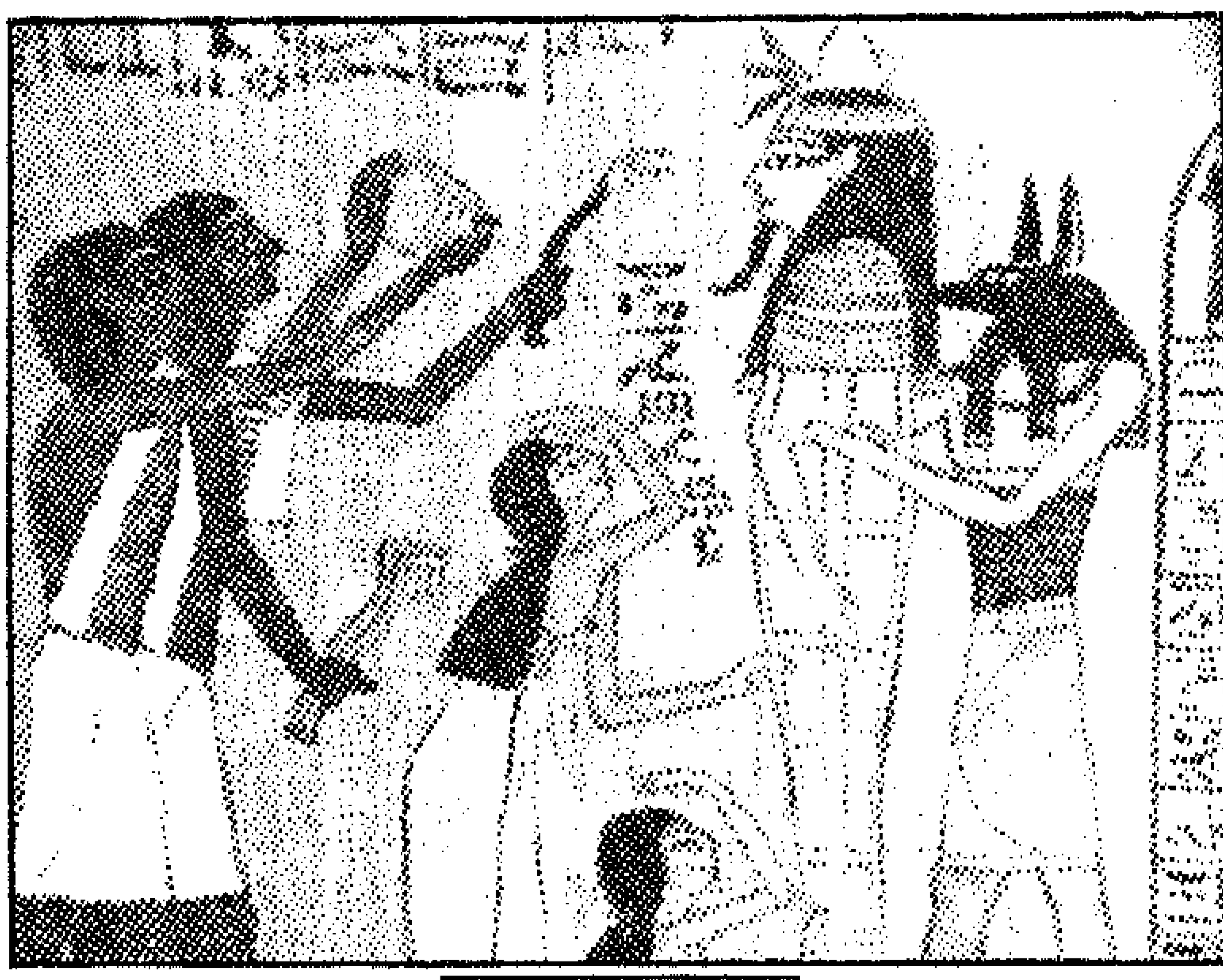


الأدوات الحديثة المستعملة فى تجربة التحنيط الحديثة

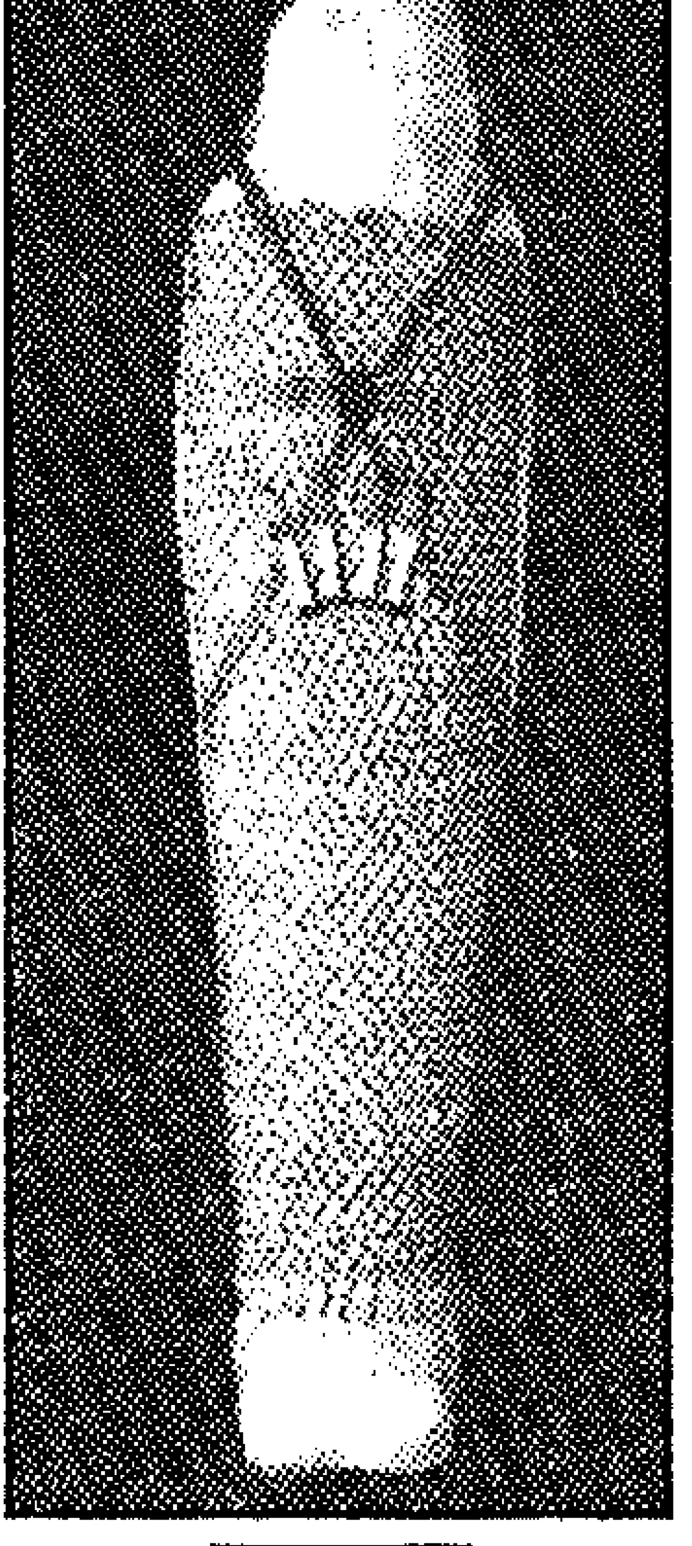


ومن الطقوس الهامة التى مارسها المصرى بعد التحنيط طقس فتح الفم محاكاة لما يحدث عند بدء الحياة كى تتمكن الجثة من التنفس والتكلم فى عالم ما بعد الموت.

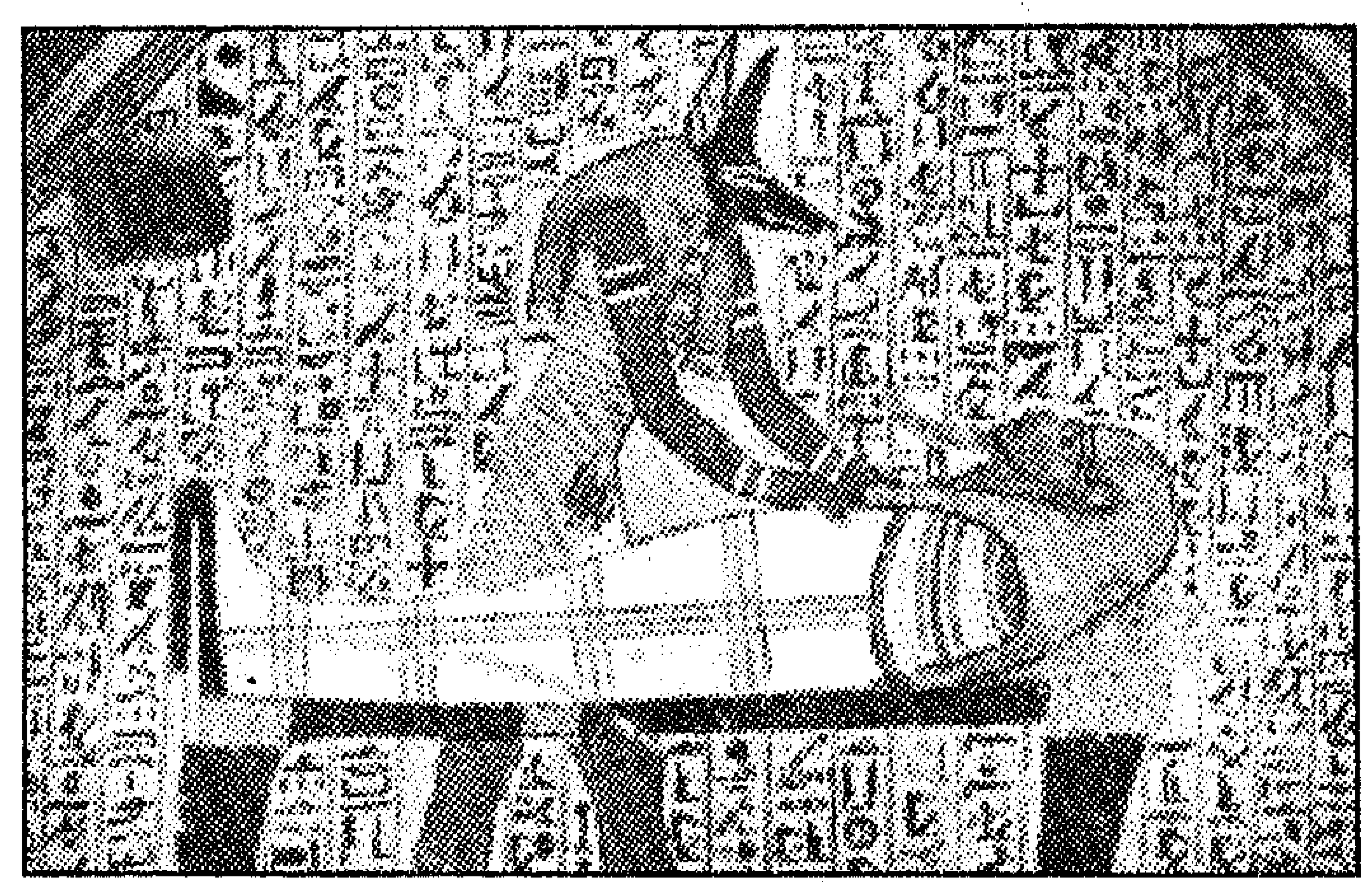
ومارس المصرى ثلاثة أنواع من التحنيط تختلف من طبقة اجتماعية إلى أخرى، فالطريقة الثانية للتحنيط أقل تكلفة، فكان يحقن الشرج بزيت القدروس بالحقنة الشرجية، ثم تخيط فتحة الشرج وتحاط الجثة بملح النطرون لمدة سبعين يوما وربما أربعين، تفتح بعدها فتحة الشرج، فيتدفق السائل الناتج عن تحلل الأحشاء.



طقوس فتح الفم



مومياء



عملية التحنيط

وتسـلم الجثة كهيكل عظمى يكسوه الجلد كى يتولى الأقارب ممارسة باقى الطقوس.

ويقتصر الأسـلوب الثالث للتحنيط على غسـل البطن بزيت الفجـل، ثـم توضـع الجثة سـبعين يوما فـى ملـح النطرون، ثم يستكمل الأقارب باقى الشعائر الخاصة بالدفن.

وقد خضعـت عملية التحنيط لعـدة عوامل وشملت خطوات رئيسية وهى استئصال الأحشاء الداخلية، تجفيف الجسد من أى رطوبة داخلية والحفاظ علـى الأعضاء، وخضعت هذه العمليات لظروف أسـرة المتوفى المادية والاجتماعية ولكنها لا تفتقر الدراية الكاملـة بالأعضاء البشـرية وبوظائف هذه الأعضـاء وأهميتها، كما عـرف الطبيب أهمية زيت الصنوبـر والتربنتين اللذان لجأ إليهما لتذويب الأحشـاء الداخلية للجسـد واكتشف أهمية شمع العسل والعسل كمادة حافظة.

وقـد روى هيرودوت أن البطن والصدر يغسـلان ويملآن بالمر والمواد المحنطة الأخرى، ثم يخاط الشـق ينقع الجسد بعدها فى ملح النطرون، مما يؤكد أن الجراح المصرى عرف خياطة الجروح ومارسها كما ضمد بعض الجروح بأن ضم فتحتى الجرح ولصقهما بشـمع النحل.وقد وردت طقوس التحنيط منقوشـة على جدران مقبرة توى بالأقصر، الأسرة ١٩.

وتلحـق حجرة التحنيـط عامة بالمدفن وهى مشـابهة لحجرة التشـريح بالمستشفيات المعاصرة، فكلاهما تؤديان نفس الغرض مع اختلاف المعنى أحدهما التشـريح لإعداد الجثة للدفن، والآخرى التشريح لمعرفة سبب الوفاة، ثم التصريح بالدفن.

وعرف المصرى ملح النطرون كمادة مجففة اسـتعملها الطبيب بخلاف التحنيط فى العديد من العلاجات، واعتبر الشـمع مادة عازلة تحمى الجسم من هجوم الميكروبات والبكتيريا.

وألم المصـرى إلماما تاما بالهيكل العظمى وتكوينه ووظيفة كل جزء منه، وذكر هذه الأجزاء المختلفة من خلال التشخيص للعديد من الحالات.



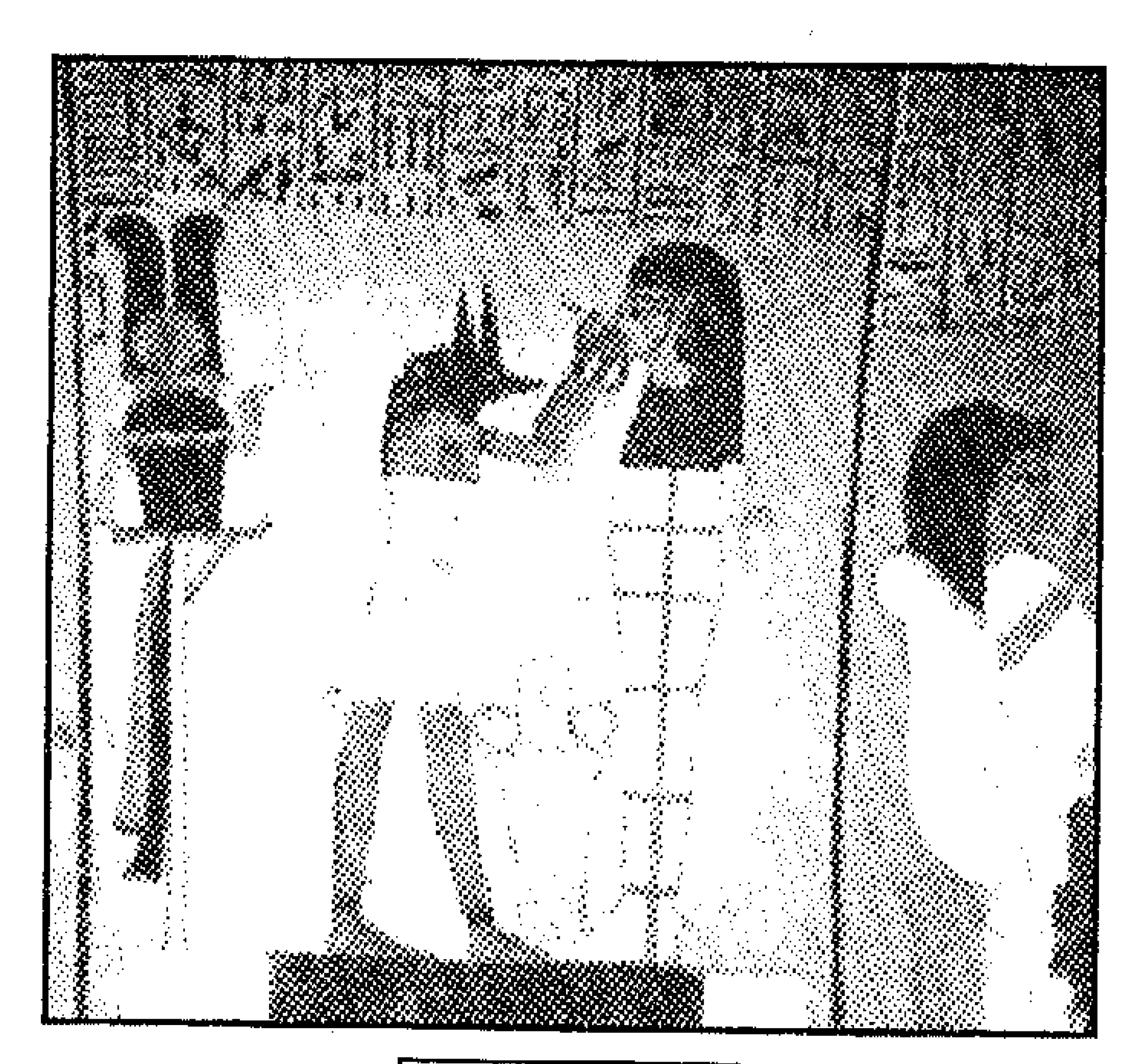
هيـكل عظمـى خـاص بإحدى المومياوات والملاحـظ الوضـع الأوزيرى للذراعين فوق الصدر



موميـاء يويا والـد الملكة تى زوجة أمنحتب الثالث ووالدة إخناتـون أو أمنحتب الـرابع

وهنا يبرز التساؤل المهم عن مغزى الاحتفاظ بالجثة لمدة سبعين يوما قبل دفنها، فالجثة تبقى بين يدى المحنط منذ ساعة الوفاة حتى موعد طقوس الدفن فترة سبعين يوما ترتبط ارتباطا وثيقا بالنجم الشعرى اليمانية أو سيريوس Sirius وهو ألمع نجم فى السماء ليلاً، فهو ألمع من الشمس ٢٦ مرة بالرغم من بعد المسافة بين الأرض وبينه والتى تبلغ ٨,٦ سنة ضوئية، وقد رصد المصرى القديم هذا النجم منذ عصور ما قبل التاريخ وتتبعه كهنة أون، أو هليوبوليس الملمين بعلم الفلك والمتبحرين فيه ورصدوا تحركاته، ولاحظوا أن هذا النجم يغرب مع غروب الشمس أثناء موسم التحاريق الذى يقابل ٢٧ مايو بالتقويم الحالى، ويختفى النجم فى سماء أون ومنف فترة تمتد لسبعين يوما، تمتد طبقا للتقويم الحالى من ٢٧ مايو حتى ٤ أغسطس من كل عام، ثم يمكن رؤية هذه النجم مرة أخرى فى سماء أون ومنف فى اتجاه الشرق قبيل شروق الشمس، وهى ما تسمى بظاهرة الاحتراق الشروقى أو الشروق الاحتراقى لنجم الشعرى اليمانية ويعتبر هذا بداية لموسم الفيضان الذى يقابل يوم ٤ أغسطس طبقا للتقويم الحالى، وقد عرف نجم الشعرى اليمانية لدى المصرى القديم بنجم إيزيس، سوبديت sobdet، فقد اقترن بها وبنيت المعابد المكرسة لها ومحاورها فى اتجاه هذا النجم عند شروقه.

واعتبر الكهنة غروب واختفاء نجم الشعرى اليمانية لمدة سبعين يوما هى موت مؤقت لهذا النجم والذى تبعث فيه الحياة مرة ثانية بعد سبعين يوما بظهوره فى ناحية الشرق قبيل شروق الشمس مع بداية فيضان النيل، لذلك اعتبروا أن موت الملوك الفراعنة والنبلاء هو موت مؤقت لحين إجراء التحنيط لهم فى سبعين يوما، أى المفهوم المتعارف عليه المتصل بالعقيدة المصرية القديمة وهى الموت والبعث الذى قرنه المصرى بفترة اختفاء النجم الشعارى اليمانية وظهوره مرة أخرى والارتباط بينه وبين فترة التحاريق ثم الفيضان لمياه النيل.

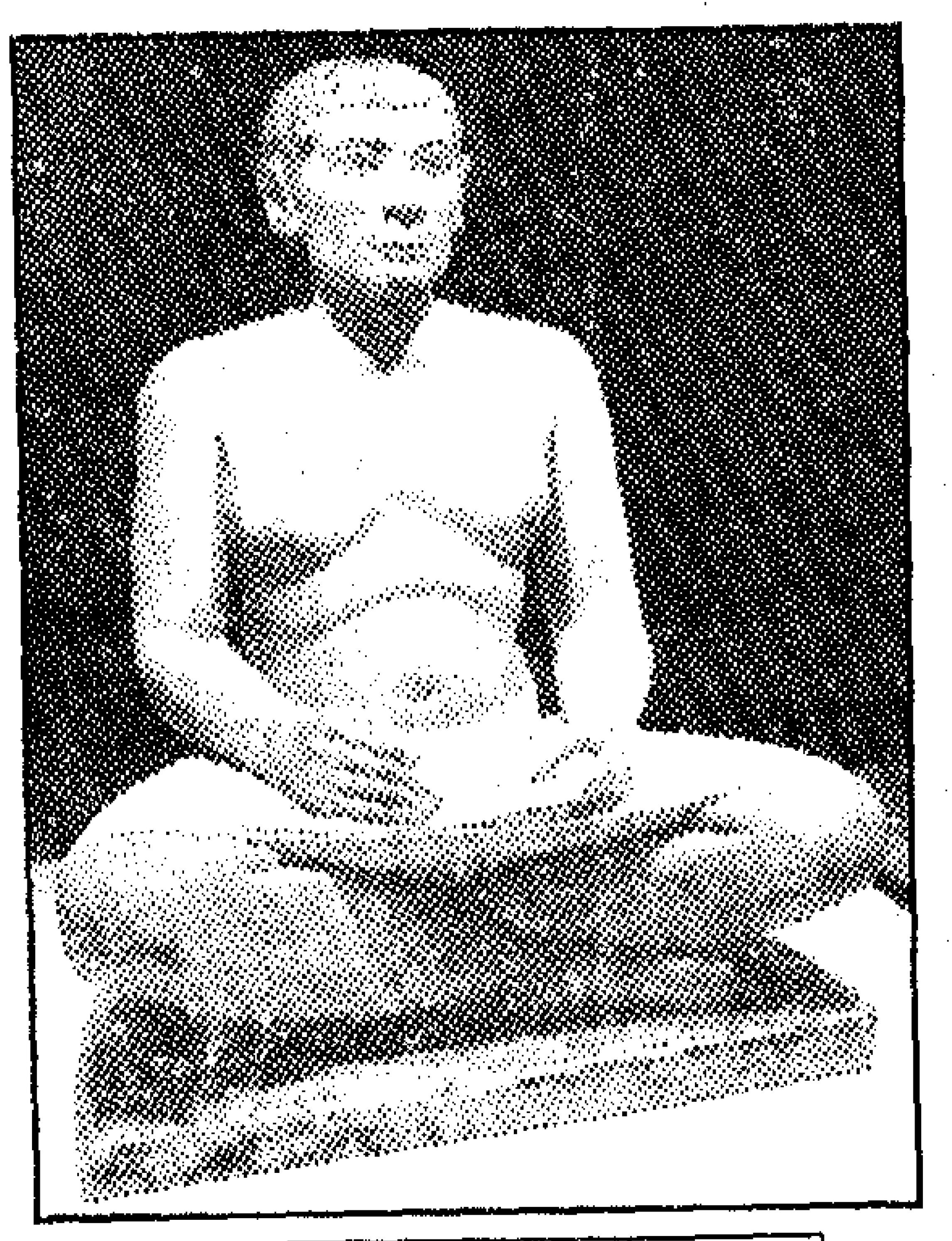


طقوس فتح الفم

وبعد انتهاء التحنيط، وفى اليوم السبعين بالتحديد، وقبل طقوس الدفن للملوك والنبلاء، كان يقام طقس فتح الفم للمتوفى، وهى عملية يقوم بها الكهنة لفتح فم المومياء بأدوات خاصة لهذا الغرض بهدف ادخال الهواء شكليا للمومياء حتى يمكن للروح أن تعود للجسد ليحيا من جديد. وكان الكهنة أثناء هذا الطقس ينادون على صاحب المومياء بأن حواسه قد عادت إليه فيستطيع الرؤية والسمع ويطلبون منه النهوض، وشكلت الأدوات المستعملة فى طقوس فتح الفم على هيئة المجموعة النجمية

المسماة بمجموعة المغرفة فى المحراث أو الدب الأكبر، وهى مجموعة قريبة من النجم القطبى وتسمى النجوم القطبية لأن هذه النجوم دائمة الرؤية فى السماء بعد غروب الشمس وحتى قبيل شروقها لأنها نجوم لا تشرق ولا تغرب ولكنها تدور حول النجم القطبى وثابتة فى السماء بالنسبة لكوكب الأرض، واعتبرها المصرى القديم رمزاً للخلود والبقاء لعدم شروقها أو غروبها.

وكانت عملية التحنيط تستمر فترة أربعين يوما للطبقات الأدنى ولباقى أفراد الشعب المصرى القديم، من هنا عادة الاحتفال بعد مرور أربعين يوما بالمتوفى الذى مازال قائما ليومنا هذا، فبعد الأربعين تحدث عملية الدفن وتبدأ الطقوس: طقس فتح الفم كى يتمكن المتوفى من النطق.

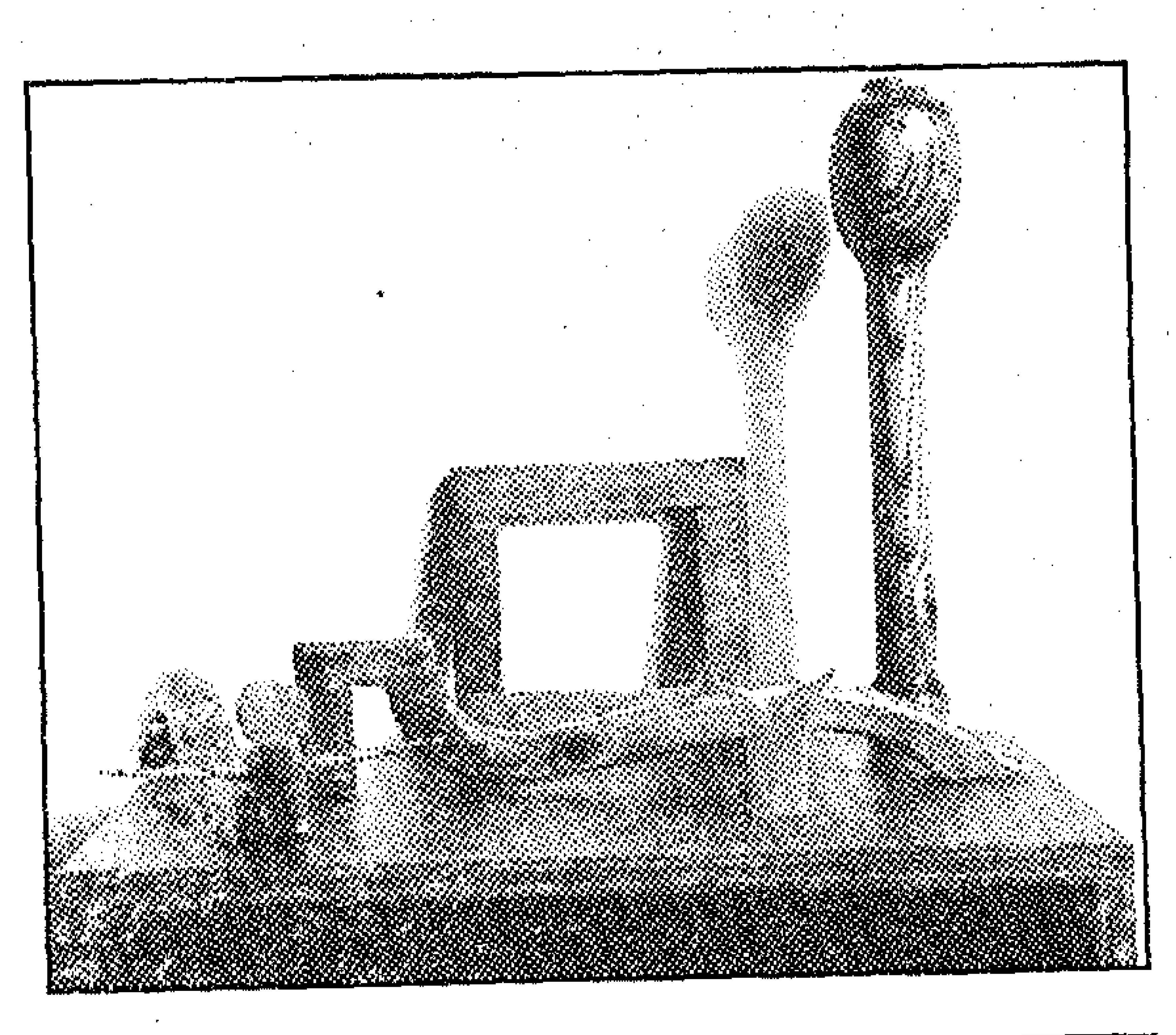


تمثال للكاتب المصرى ويعرض بمتحف اللوفر بباريس

وذكر ديودور الصقلى بخصوص عملية التحنيط والمحنط: «أولا من يطلق عليه الكاتب، يحدد على الجثة الممدة أمامه وعلى الجانب الأيسر مكان القطع، ثم يتولى من يطلق عليه مسمى القاطع، مستخدما حجرا أثيوبيا ويقطع طبقا لما هو متبع لحم الجسد،... ويستحق المحنط كل الاحترام والتمجيد مع الكهنة وهو مقبول داخل المعبد كرجل له مكانته..»..

وتأثر الكثيرين بعمليات التحنيط المصرية القديمة، أوجد نوعا من التحنيط الحديث الذى يمارسه البعض، فى الولايات المتحدة على سبيل المثال.

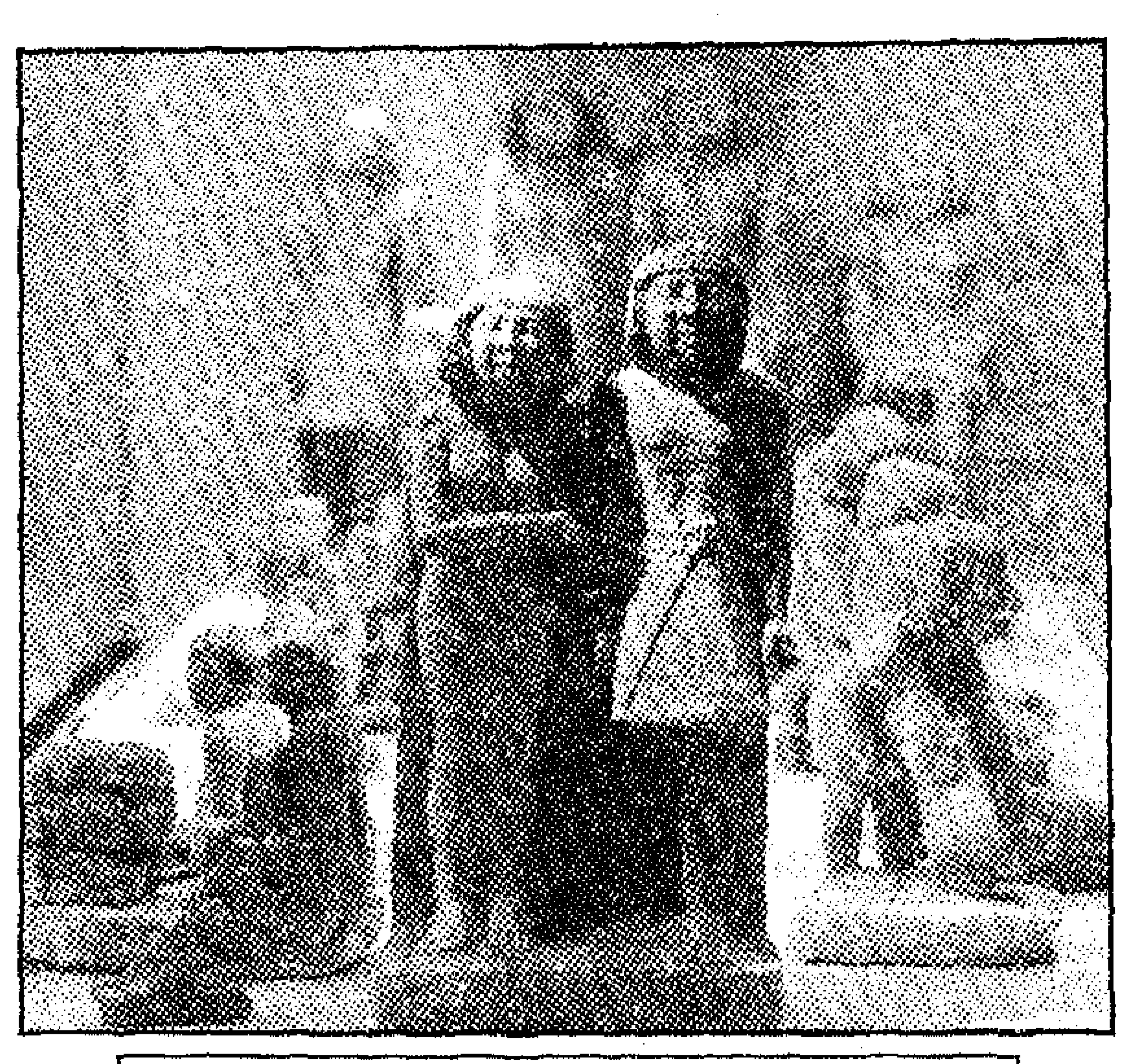
وتتلخص الخطوات المتبعة فى التأكد أولا من الوفاة، ثم حقن الشرايين بمواد كيميائية من خلال الشريان



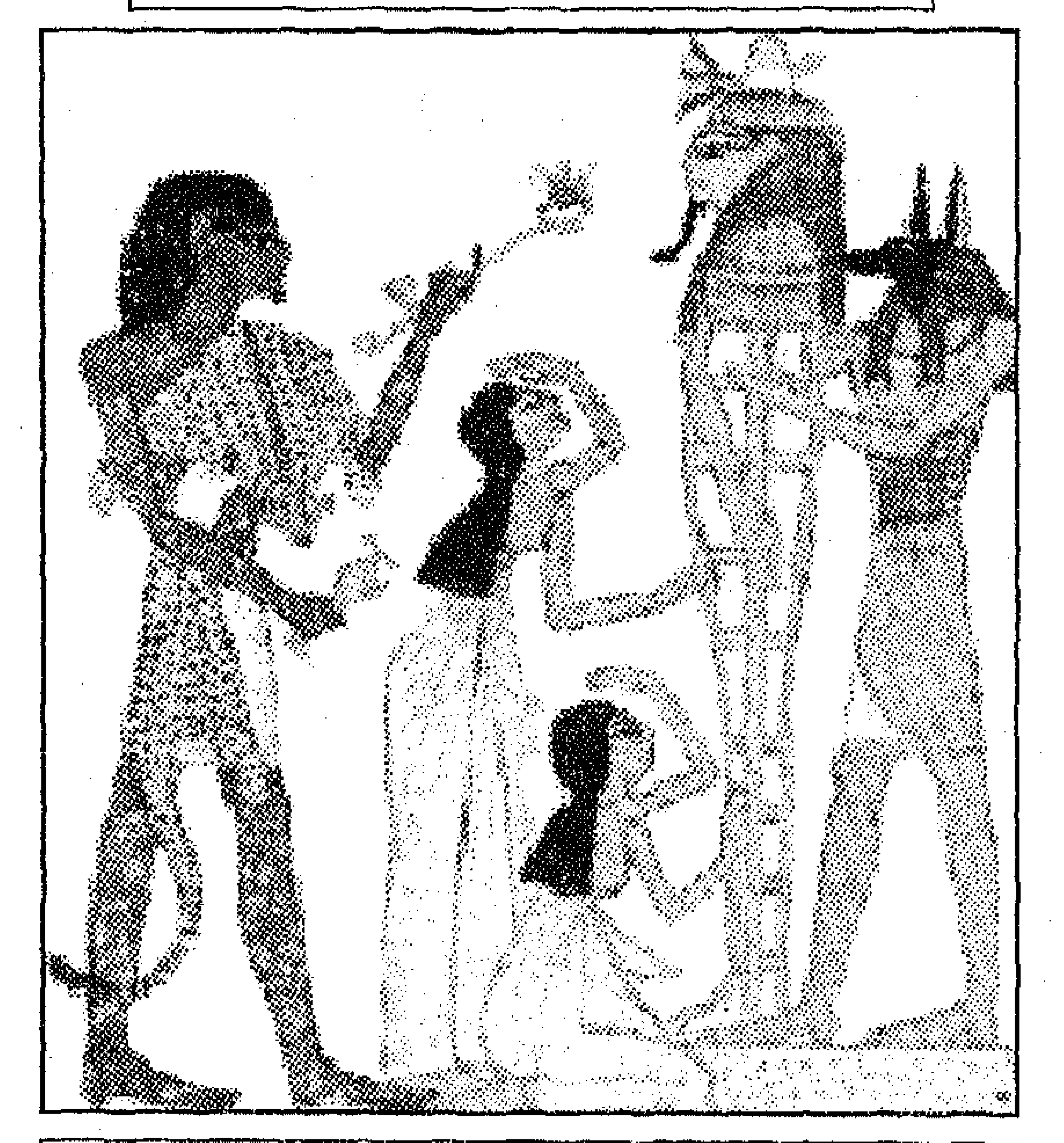
الأدوات المستعملة فى طقوس فتح الفم بعد الوفاة وبعد اتمام إجراءات التحنيط المختلفة ومباشرة قبل الدفن للجثة المحنطة التى تكتسب من خلال هذا الطقس القدرة على الكلام أو الماع خرو

السباتى عن طريق مضخة مركزية مع تدليك الجثة لتسهيل مرور السائل، ويتم شفط السوائل الداخلية للجسم، ثم حقن التجاويف بالمواد الكيماوية. يحدث المحنط الحديث شقا أعلى السرة ويزيح الأحشاء لأعلى وأسفل كى يتمكن من شفط السوائل ويملأ التجاويف بالكيماويات منها الفورمالين كمادة حافظة ويقفل الشق إما بالخياطة وإما باللصق. ويحقن الجسد بالمواد الكيماوية تحت الجلد، وتستغرق هذه العملية مدة ساعتين. وتشمل المواد الكيماوية المستعملة مجموعة من المواد الحافظة منها الفورمالين والإيثانول والميثانول، والمطهرة بهدف تأخير عملية التحلل وإعطاء الجسد مظهرا مقبولا كى يترك انطباعا لدى المعزيين، ويلجأ البعض إلى هذا الأسلوب إما للحفاظ المؤقت حتى الدفن وإما أبديا.

ويتم أحيانا الحفاظ على بعض الجثث بالتحنيط للاسهام فى العملية التعليمية لطلبة الدراسات الطبية، وهنا يركز المحنط على الحفاظ على الجثة أكثر من اهتمامه بالشكل الجمالى للجثة، وهذا امتداد للعلم المصرى القديم.



تعكس هذه المجموعة المعروضة بالمتحف المصرى بالقاهرة المظهر الصحى للمصرى القديم



يؤدى الكاهن طقوس فتح الفم أمام المتوفى فى حضور المحنط الذى يرتدى قناع آنوبيس، بينما الندابات يبكين ويعددن محاسن المتوفى

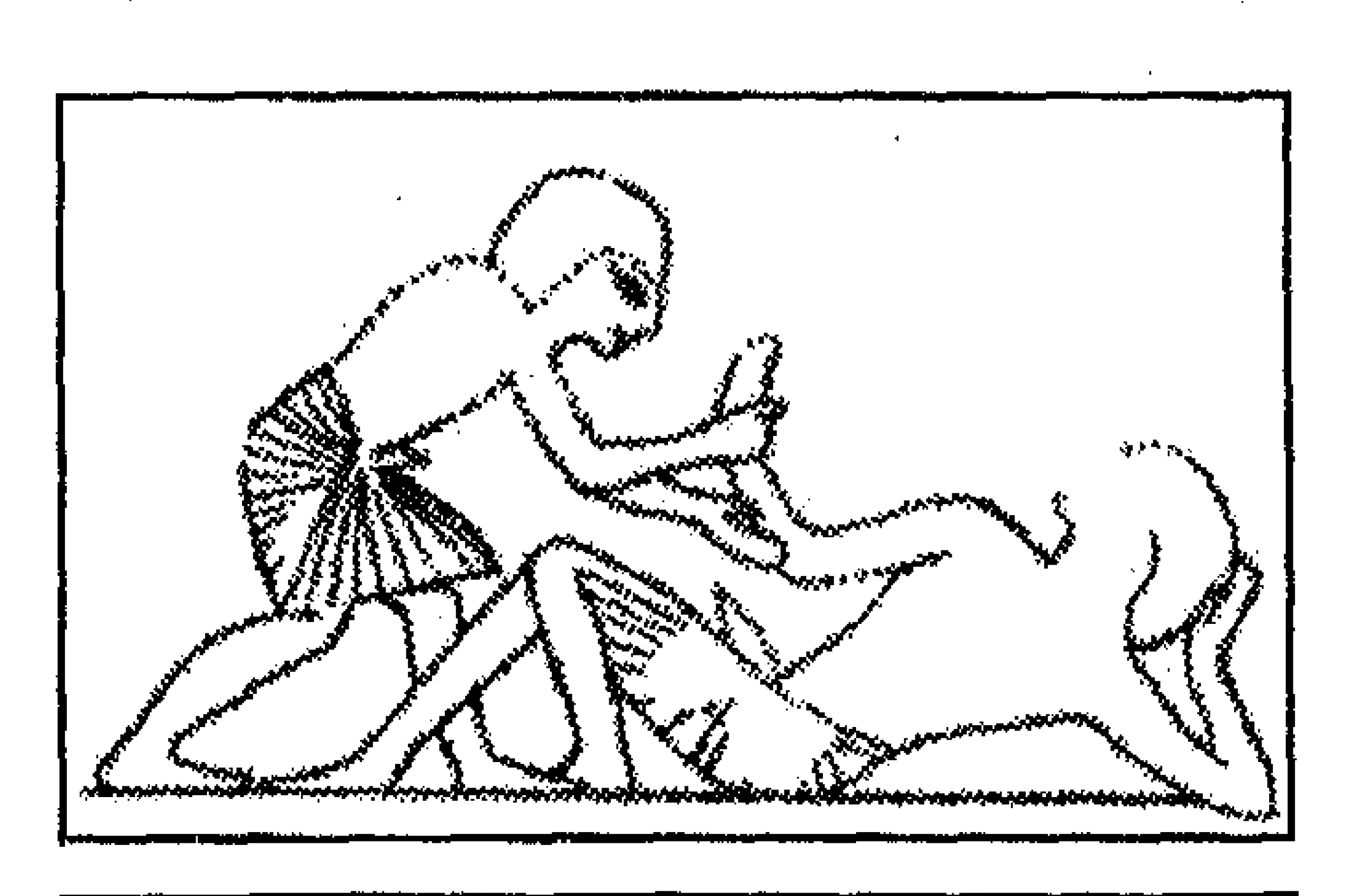
الفصل الخامس

علاج الكسور والعظام والجروح

تعرض العامل المصرى للكثير من الإصابات أثناء العمل، مما استدعى تركيز الجهود لمداواته بشتى السبل التى برع فيها الطبيب المصرى، وقد استنتج من تجاربه العلاجات المختلفة، وعندما استقر على أفضلها وضع أسسا محددة يتبعها كل ممارس لهذه المهنة بدقة يجب ألا يحيد عنها وإلا يخضع للمسائلة.

ففى مجال العظام تفوق الطبيب المصرى حتى إن معظم علاجاته مازالت تمارس فى الطب الحديث منها العلاج الكهربى والحرارى، وما يتعرض له المصاب من شرخ أو كسر، فتذكر بردية سميث حالة يلجأ الطب الحديث فى التعرف عليها بنفس الخبرات لتحديد مكان الإصابة:

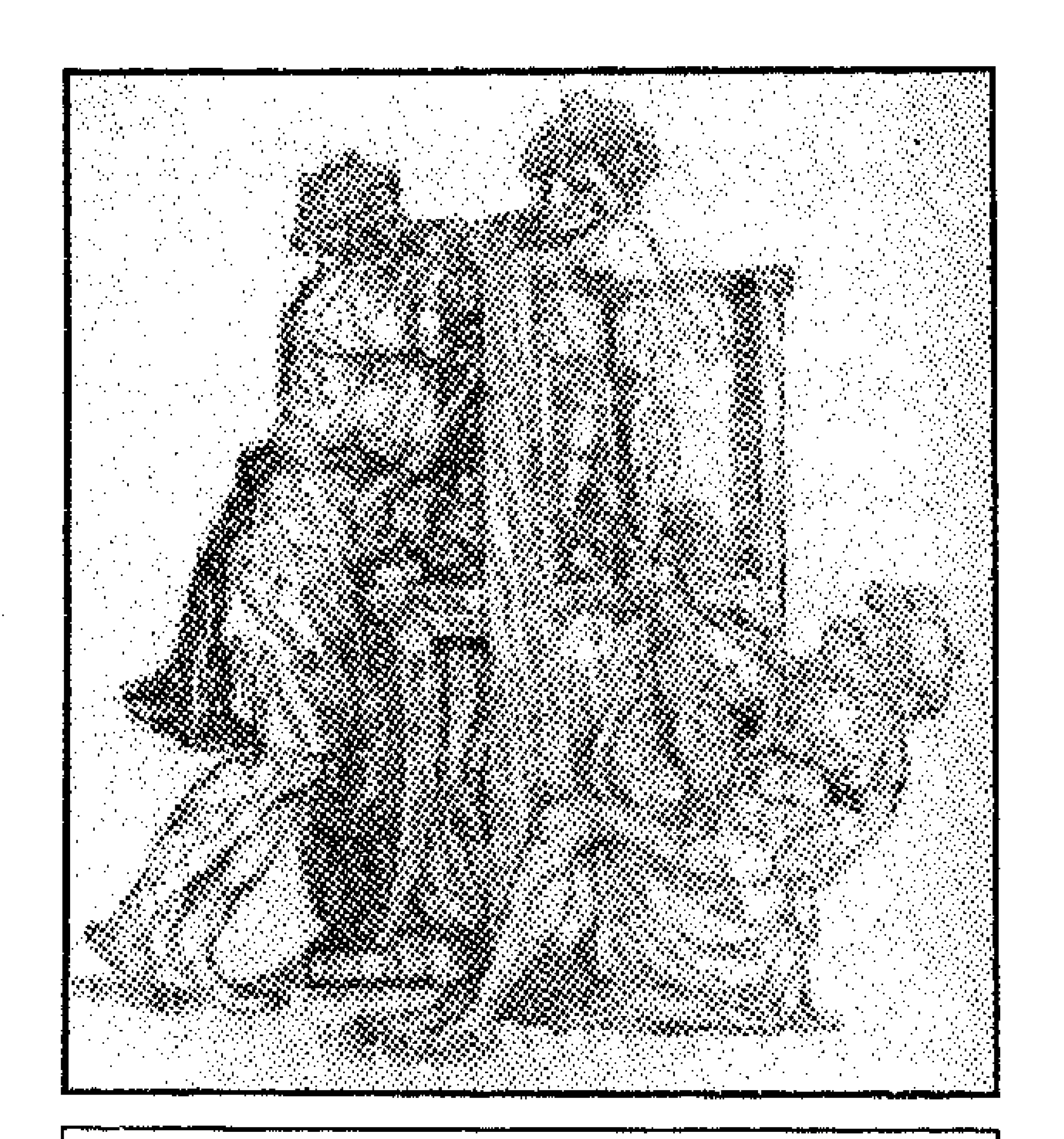
«إذا فحصت شخصا مصابا بزحزحة فقرة عنقية وكان وجهه ثابتا ولا يمكنه إدارة عنقه وجب عليك أن تقول له انظر إلى صدرك وإلى كتفيك، فإذا كان لا يقدر أن يدير وجهه ليرى صدره وكتفيه، فقل إنه مصاب بزحزحة فقرة عنقية»، ويلجأ الطبيب الحديث إلى هذا الطلب وهو تنى الرقبة للأمام أو النظر للصدر فى تشخيص الأمراض السحائية. وفى موضع آخر من بردية سميث يذكر: «إذا فحصت رجلا يتدلى فكه السفلى وفمه مفتوح ولا يستطيع إغلاقه، فعليك وضع أصابعك داخل الفك وتسنده بالإبهام، سوف يسقط الفك المخلوع ويعود إلى وضعه الطبيعى». وهناك حالة أخرى شخصها الطبيب ووصف لها العلاج اللازم: «إذا فحصت مصابا عنده شرخ فى خده مصحوبا بتورم «فالعلاج هو كرفس يصحن فى ماء بارد ويضعه المصاب على صدغه فيشفى حالا».



عملية استعدال لكتف مخلوع خلال الدولة الحديثة، فقد برع المصرى القديم فى استرجاع العظام وجبر الكسور وكل ما يتصل بهذا المجال نقش على مقبرة إيبوى يظهر الطبيب وهو يعالج كتف المريض.

وفى مقام آخر يذكر: «إذا كان حبل فكه السفلى منكمشا، فهذا يعنى توتر جزء من أوتار فرع فكه السفلى المثبت فى عظمة الصدغ أى عند نهاية الفك. فلا تتيسر الحركة إلى الأمام أو الخلف

فيتعــذر عليه فتح فمه نتيجــة ألمه» ، مما يبين معرفة الطبيب بالأوتار ، وأطلق الطبيب لفظ عرت على الفك السفلى ، كما وصف كمادات ساخنة للحالة السابقة.



يبين هذا الرسم كيفية استعدال كتف مخلوع مارسه الطبيب الإغريقى أبقراط ٣٧٧ - ٤٢٠ م

وانتقل الطبيــب المعلم إلى حالــة الكتف الذى قد يصاب بكسـر أو خلــع : «إذا فحصت رجلا به كسـر فى عظمة الكتف... فاجعل المصاب يســتند على ظهــره واضغط على كتفيه حتى يعود الكسـر إلى مكانه».

وعرف الطبيــب المصرى العديــد من الحالات التى تصيــب العمود الفقــرى : «إذا فحصت رجلا يعانــى من آلام فى عموده الفقرى ، فيجب ألا تقول له أفســح قدميك ثــم أرجعهما ، فإنــه إن أبعدهما يقربهما مســرعا بســبب الألم المتواجــد فى فقرات الحبل الشوكى ويجب أن تقول إنه مصاب بالتواء فى عموده الفقرى». ومازال هذا الأسلوب متبعا فى ممارسة الطب الحالى لتشخيص هذه الحالات.



تعانى هذه المومياء من التواء فــى العمود الفقرى

وربــط الطبيــب المصرى بــين إصابات المخ والفقــرات العنقية والأعراض المرضيــة التى تصيب الرجلين والأعضاء التناســلية ، هذا بخلاف معرفته بخروج الســائل المنــوى عند خلع العنق وهى حقيقة لم يفطن إليها العالم إلا حديثا عند تنفيذ حكم الإعدام شــنقا. ولكن الطبيب المصرى ذكر: «إذا فحصت شخصا عنده خلع فى فقرة عنقه ووجدتــه فاقدا لوعيــه من ناحية ذراعيه ورجليه بســبب ذلك وكان قضيبه منتصبا وبوله يقطر دون إرادته..» .

يــدل هذا على فحص ووصف دقيق للحالة وتشــخيص على أنها شــلل أصاب المريض نتيجة لخلع فى فقرة العنق. وهنا ربط الطبيب بين العرض ومسبباته حتى إن لم يكن فى موضع الإصابة.

وهنــاك حالــة أخرى مختلفــة لإصابة فى فقــرات العنق أيضا : «إذا فحصت شخصا مصابا بعنقه ، وهو يتألم من عضلتى عنقه ويتألم من رأسه ، وحلقات رأسه الفقرية متوترة ويشعر بثقل فى قفاه ولا يمكن أن يثنيه لينظر إلى بطنه من الألم» ، تم تشخيص هذه الحالة على أنها حالة روماتيزمية.

وورد فى إحدى الحالات المذكورة ببردية ادوين سميث حالة خلع إحدى فقرات العنق الذى نتج عنه شلل بطرفيه العلويين والسفليين وأدى إلى إفراز السائل المنوى وتسلسل البول دون إرادة، وهذا دليل على تمييز الجراح بين خلع يصيب إحدى الفقرات العنقية السفلى وبين الفقرة العنقية الوسطى التى تسبب إفراز السائل المنوى الذى يحدث خلال عملية الشنق ولم يفطن لها الطب الحديث إلا مؤخرا طبقا لما أورده د.حسن كمال.

ومن أعراض إصابات الفقرات العنقية التى لمسها الطبيب المصرى وذكرها فى بردياته عملية الربط بين الإصابة وما يصيب الأمعاء من انتفاخ وعدم خروج الغازات منها نتيجة لشلل يصيب عضلاتها: «إن لحمه أخذ ريحا».

وربط بين ما يصيب الرجلين من ألم وإصابة الفقرات: «إذا فحصت شخصا عنده وثى فى إحدى فقراته وجب عليك أن تقول له والآن امدد رجليك ثم اثنهما ثانيا فإذا مدهما فسرعان ما يثنيهما بسبب الألم الناجم من فقرة عموده الفقرى التى يتألم منها». ويعالج المريض فى هذه الحالة وهو ممدد على ظهره.

لقد تمكن الجراح المصرى من الربط بين مكان الإصابة والأعراض البعيدة عن مكان الإصابة ولكنها متصلة بها، كما أجاد الطبيب فى شرح المرض وتفاصيله المتنوعة.

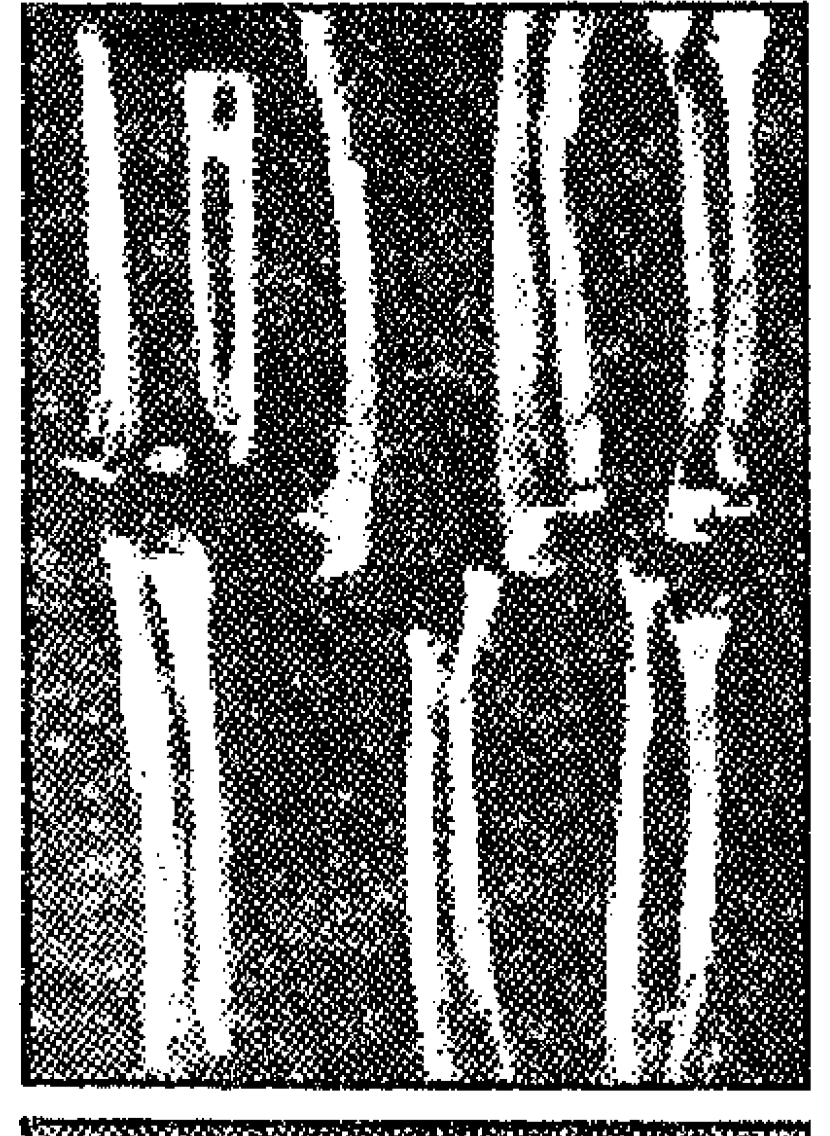
والكسر فى عظمة الترقوة له تعليماته الخاصة لاستعدال هذا الكسر: «يجب أن تجعله منبطحا على ظهره وبين لوحتى كتفيه لفافة، ثم توسع بين كتفيه لتشد خارجا بذلك عظمة ترقوته حتى يقع الجزء المكسور فى مكانه الطبيعى» أما الضلوع التى ذكرها المصرى لأول مرة فى التاريخ الإنسانى، فقد ذكرت من خلال هذه الحالة: «إذا فحصت شخصا عنده وثى فى ضلوع صدره وهو يتألم دون أن يكون هناك خلع أو كسر، بينما يستمر هذا الشخص فى ألمه ويبدأ يرتجف كثيرا، فيجب عليك أن تقول عنه إنه مصاب بوثى فى ضلوعه وسوف أعالجه، وضمده ثم استعمل العسل يوميا حتى يشفى». وينطبق نفس العلاج على الخلع الذى يصيب الضلوع.

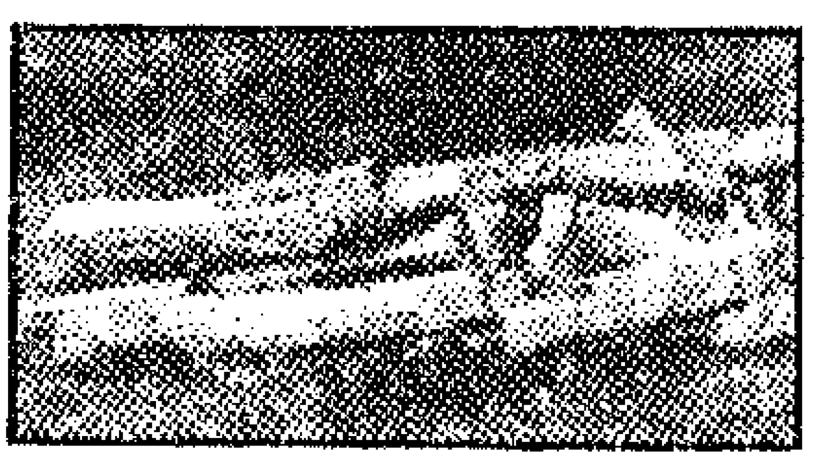
وتحدد بردية سميث كيفية رد خلع الفك الأسفل للمصاب: «ضع إبهامك على آخر فرع الفك السفلى داخل الفم وضع مخلبيك الآخرين تحت ذقن المريض. رد طرفى الفك المخلوع بإرجاعهما إلى مكانهما».

وقد سبق الطبيب المصرى أبقراط الإغريقى الذى نفذ حرفيا هذه التعاليم التى مارسها الطبيب المصرى منذ آلاف السنين، والفاصل الزمنى بين الممارس المصرى والإغريقى هو الفارق بين القرن الثالث ق. م. والقرن الخامس والعشرين ق. م. حين أجاد الطبيب المصرى عمله باقتدار، وقد حظى علاج كسور العظام باهتمام كبير من الطبيب المصرى كما ذكر فى بردية إدوين سميث، فقد كانت العظام المخلوعة تستعاد فى موضعها، أما الكسور، فترمم وتجبر بجبائر أجاد الطبيب إعدادها من المواد الطبيعية المتاحة أيضا.

وكشفت مقابر العمال فى منطقة بناة الأهرام عن العديد من الكسور التى عولجت، كما تدل على ذلك الهياكل العظمية للمومياوات حيث تظهر كسور العظام المرممة.

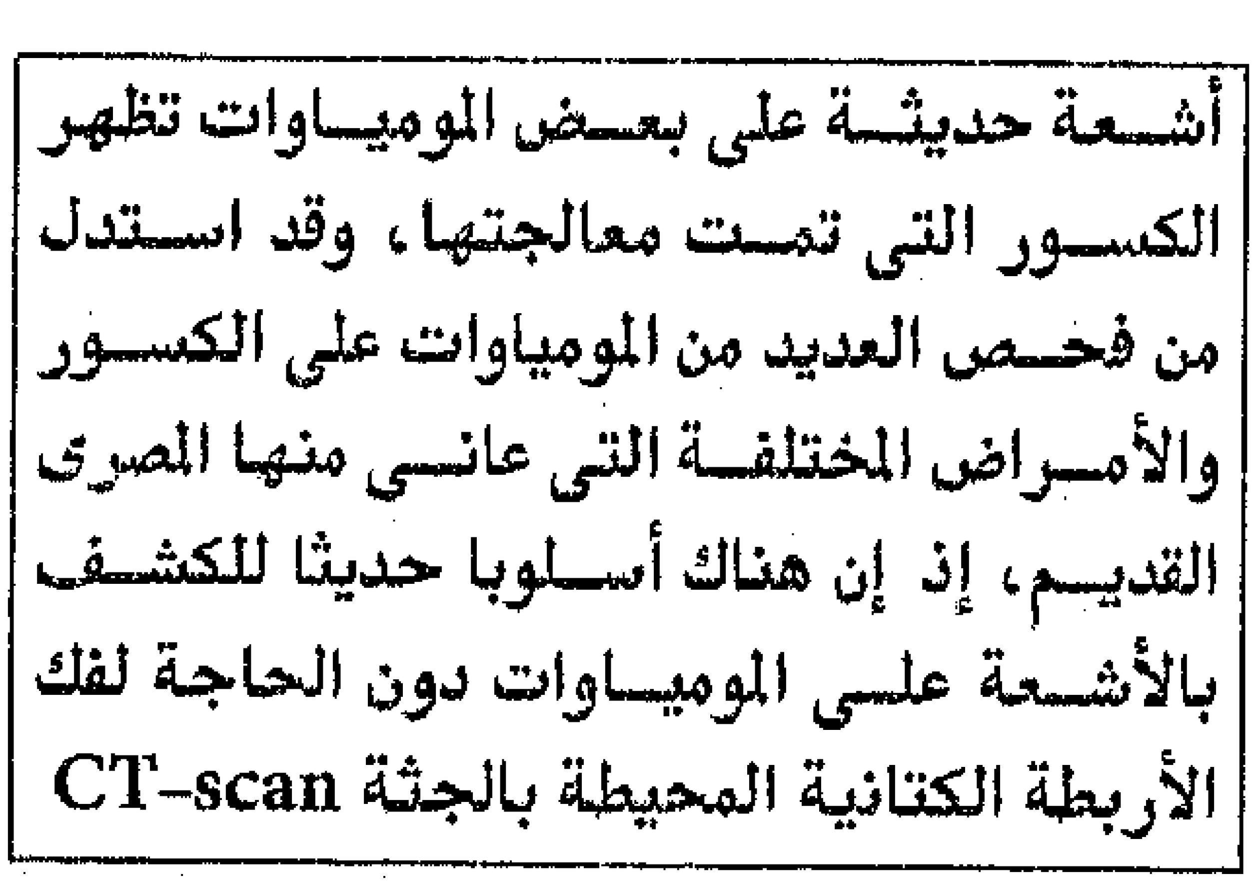
وقام الجراح المصرى بعمليات لبتر الأعضاء، منها حالة بتر قدم مارس المريض بعدها حياته الطبيعية لمدة أربعة عشر عاما، وتشمل هذه العملية جوانب جراحية كثيرة أداها الجراح المصرى باقتدار واضعا بهذا حجر الأساس لهذه الجراحات والجراحات المماثلة. وقد ذكر فى بردية هيرست عدة وصفات لإعادة بعض الكسور لوضعها الطبيعي بقدر الإمكان والاهتمام بهذه الكسور فيما بعد منها أن يغمس الرباط للف موضع الكسر فى دقيق الفول أو الشعير المغمور بالقشدة والعسل، مما يكسب الرباط بعد أن يجف صلابة تساعد على التئام الكسور. وعرفت مصر القديمة بعض الأمراض التى تصيب العظام منها نقص النمو فى كراديس العظام الطويلة والكساح وتشوه الأقدام وهذا حوالى ٣٠٠٠ ق. م.





تلاحظ الكسور الملتئمة





أشعة حديثة على بعض المومياوات تظهر الكسور التى تمت معالجتها، وقد استدل من فحص العديد من المومياوات على الكسور والأمراض المختلفة التى عانى منها المصرى القديم، إذ إن هناك أسلوبا حديثا للكشف بالأشعة على المومياوات دون الحاجة لفك الأربطة الكتانية المحيطة بالجثة CT-scan



وتم أيضا علاج الإصبع الأكبر للقدم: «... معالجة أخرى لإصبع القدم الذى يؤلم».

وكشف حديثا عن إصبع صناعى مصنوع بمهارة فائقة من الخشب يثبت مدى التقدم الطبى للمصرى القديم وضع هذا الإصبع كجزء تعويضى. ومن المحتمل أن السيدة، وترجع للأسرة ٢١ أو ٢٢ قد تم بتر أصبعها لإصابتها بمرض السكر وتعويضها بهذا الجزء الخشبى.

ولكن قبل أن يلجأ الطبيب لهذا الإجراء، فإنه يعالج الإصبع أولا: «إذا وجدت إصبع يد أو إصبع قدم فيها سائل متكون داخله ورائحته كريهة، قل إنه مريض وسوف أعالجه»، ويضمد الطبيب الإصبع بخليط من مصحون معدن من الصعيد ومعدن من الشمال يمزج فى زيت التربنتين أو علاج آخر وهو مزيج من نخاع وشحم وزيت وعسل. «بردية هيرست».

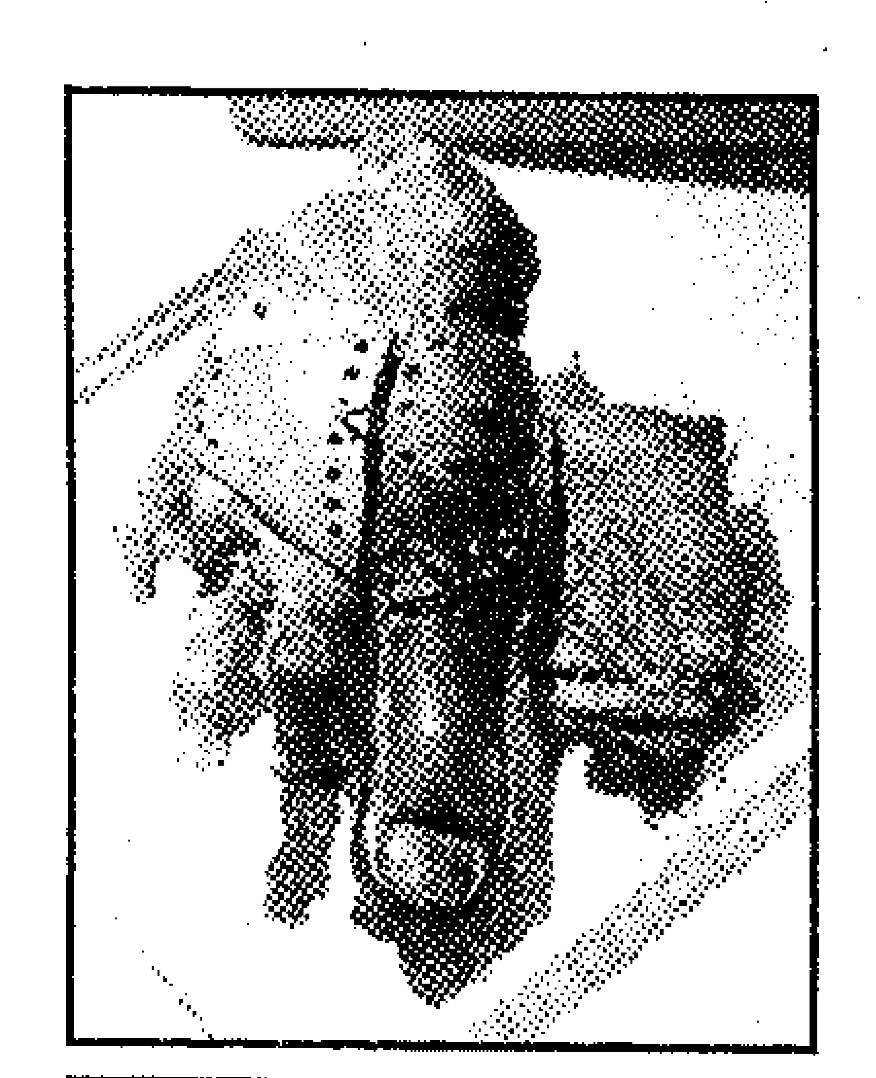
ولشفاء ظفر إصبع القدم الساقط ضمادة من النطرون وكندر ودهن وعسل ومغرة صفراء، وعلاج آخر من طبخ الشحم مع السنط. «بردية هيرست».

ولمنع النزف عن إصبع القدم راتنج السنط يصحن جيدا ويضمد به الإصبع. «بردية هيرست» أما الجرح المفتوح بإصبع القدم، فيضمد بمزيج مطبوخ من السنط والحنظل ومغرة حمراء أو أكسيد الحديد وملح بحرى مع سائل نباتى لزج متخمر.

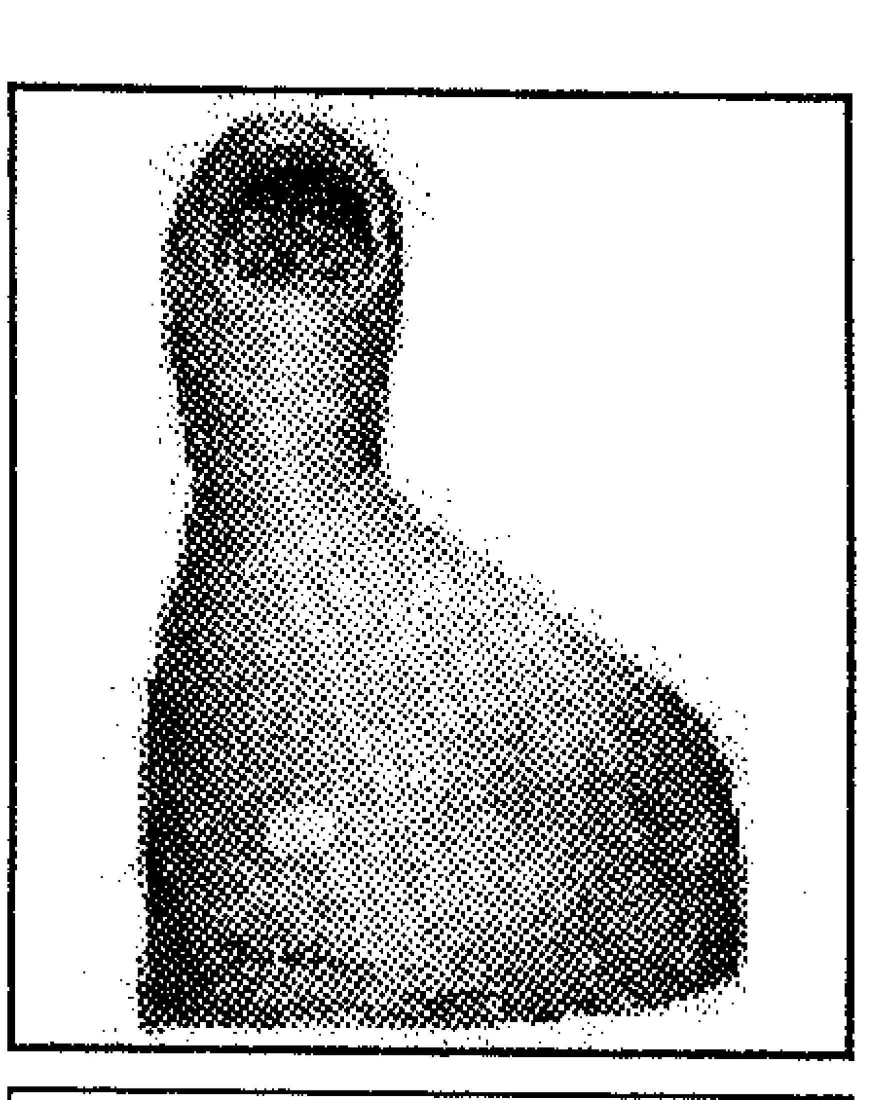
العديد من الوصفات لضمادات أصابع اليد والقدم فى حالة الإصابات المتنوعة حتى بين الأصابع لم يغفلها الطبيب ووصف لها العلاجات المتعددة.



وبفحص مومياء ترجع للقرن السادس ق. م، عثر بعض العلماء الأمريكيين على مسمار طوله ٢٣ سم يصل بين عظام الفخذ.



إصبع تعويضى والأسلوب الدقيق فى تركيبه على القدم ينم عن مدى التقدم التقنى للمصرى القديم



«إصبع» حاليا بالمتحف البريطانى يؤكد براعة الطبيب المصرى الذى ابتدع الأجزاء التعويضية كى لا يشعر المريض بأى نقص

وأوردت بردية هيرست وصفة علاجية لرعشة اليد بدهن الأصابع بالزيت وتضميدها بالبطيخ، ولإزالة عين السمكة من الإصبع يضمد هذا الأخير بالعسل المخلوط بالسيكران والملح من الشمال.

وتذكر بردية هيرست مستحضرا «لإزالة دودة فند، ربما يرقات الذباب، من إصبع اليد والقدم: مغرة حمراء (أكسيد الحديد)، حنظل، يضمد به اليد والقدم» وعلاج آخر تربنتينة ومخ حيوان بججت يستعمل كضمادة.

ولتجفيف الرطوبة من أصابع القدم ringworm، بسلة وحنظل يصحن مع العسل ويضمد.

حاول الطبيب علاج معظم عظام الجسم من الإصبع للعمود الفقرى للجمجمة وأورد معظم طرق العلاج والوصفات الدوائية المستخلصة من المواد الطبيعية فى بردياته المختلفة المستقاه من الكتب الطبية التى لم يعثر عليها بعد.

والوسيلة التي لجأ إليها الطبيب لالتئام العظام هى الجبيرة، فقد ذكر بريستد وهو أحد علماء الآثار ذوى المكانة العلمية الهامة، أنه عثر على حوالى ٦٠٠٠ هيكل عظمى لمحاربين قدماء أصيب ٣٪ منها بكسور خلال المعارك، ولم يقتصر استعمال الجراح للجبيرة على التئام الكسور، بل استعملها أيضا فى حالة مريض مصاب بجرح فاغر بالرأس يصل للعظم وثاقب للتداريز، وعند طلب الطبيب من المصاب فتح فمه، لم يتمكن وشخص الطبيب الحالة بأنها «إن المصاب يتألم من فتح فمه مما يعوق التغذية، وتغلب الجراح على هذا العائق بأن وضع جبيرة خشبية فى فم المصاب بين فكيه، وعلاجه بالكمادات الساخنة لأن «أوتار فكه متوترة» واستعملت الجبيرة فى هذه الحالة كى يتمكن المريض من إدخال الطعام فى فمه.

وبفحص الكسور، تبين أن الأطراف قربت من بعضها وأعيدت إلى وضعها الطبيعى، ثم تم تثبيتها بجبائر خشبية أو مصنعة من لحاء الشجر، أو قماش كتانى مقوى بمواد رغوية تم استخراجها من خليط العظام والغضاريف والأوتار، أو مكسوة بالجبس أو الصمغ.

وكان المصرى يحضر الغراء بغلى العظام والجلود والأوتار والغضاريف الحيوانية حتى تتركز، ثم يصب السائل فى قوالب حتى يتجمد، وقد عثر على غراء يرجع لعصر بناء الأهرام القرن ٢٨-٢٢ ق. م.

وورد ببردية هيرست هذا الأسلوب العلاجى: **علاج أول:** «جبيرة للعظم المكسور: لليوم الأول دقيق الحنظل، دقيق الفول، ماء عجينة، يمزج ويضمد به.

علاج ثان: دقيق حنظل، دقيق عمم، خبز بسن يطبخ معا ويضمد به.

علاج ثالث: لبن بقرى، دقيق شعير أخضر، يمزج ويضمد به لمدة أربعة أيام.

وعلاج آخر: كسبرة، ملح سيال، عسل، خبز بسن، يمزج ويضمد به أربعة أيام.

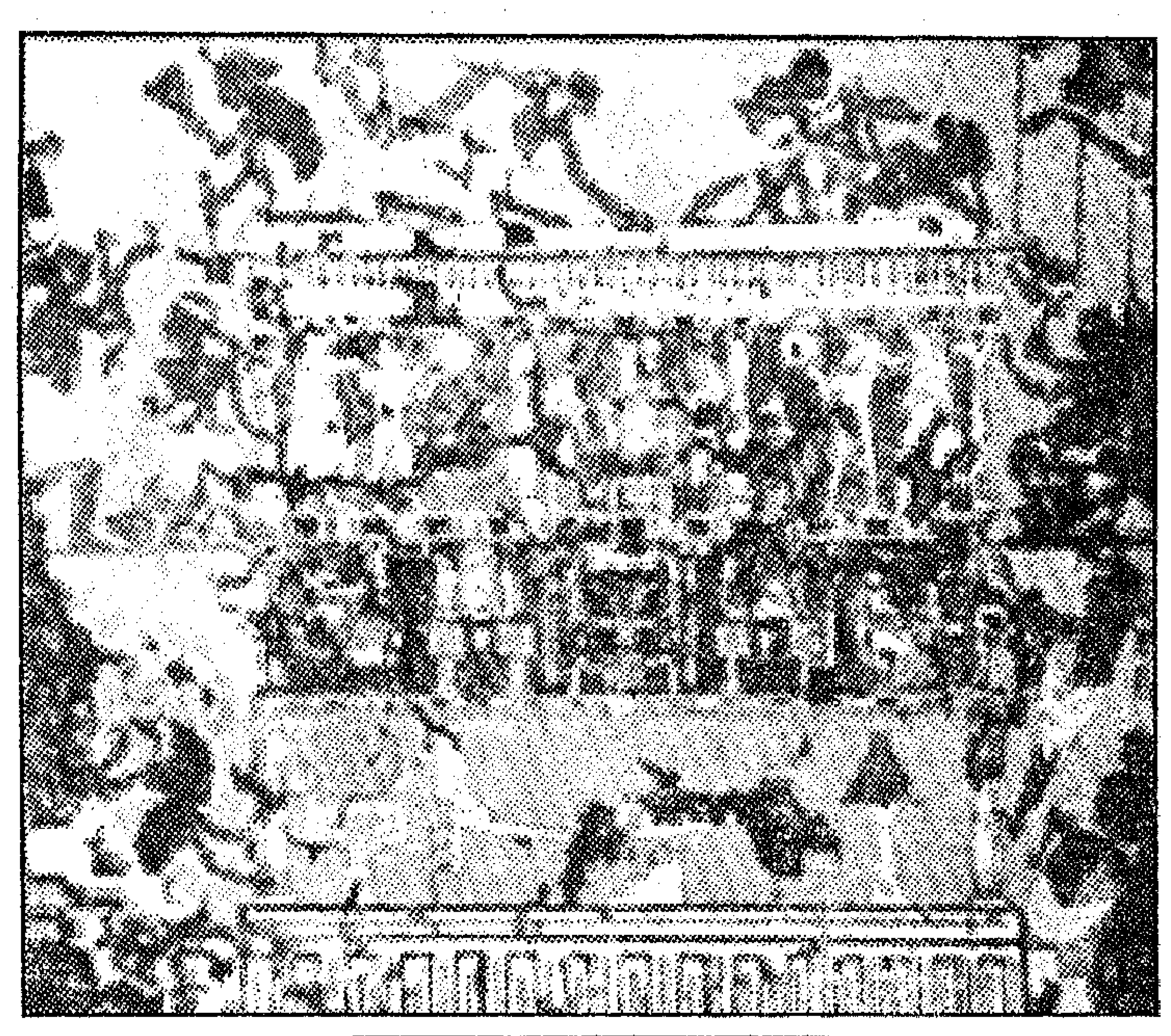
وعلاج آخر: مادة فخار، ورق جميز، حب النبق، حب الطرفة tamarisk، ورق سنط، عسل، صمغ سنط، يمزج ويضمد.

وكانت الكسور تضمد أحيانا بجزء من الزيت بقرو ويترك فى الندى طوال الليل ويضمد به.

«ولتبريد العظمة بعد ردها إلى وضعها فى أى عضو من المصاب: دقيق الحنظل، بذر الزيتون، بذر النبق، بذر الجميز، قلب القمح، ماء يضمد به».

وعلاج آخر: «لحم ثور حى، سسكا صعيدى، دهن وعل، ملح بحرى، شراب سخبت، زيت، شمع، ملكيت، يمزج ويضمد به لمدة أربعة أيام».

وتمكن الطبيب المصرى القديم من إعادة فقرات عنقية خلعت أو زحزحت من مكانها كما ورد ذكره فى بردية سميث، وما يؤكد براعة الجراح المصرى تلك العملية الجراحية فى مخ أحد المرضى من عمال بناة الأهرامات الذين كانوا يتمتعون بالعلاج المجانى فى موقع العمل عند الإصابة، إذ إن العلاج كان مكفولا للعمال فى موقع عملهم كما هو مسجل، وقد كان يحق للعامل التغيب عن العمل لمرضه وتقاضى تعويضا عن إصابته إذا ما أصيب أثناء العمل.



يحظى العاملون بالعلاج فى الموقع

ومن الإصابات المتنوعة للعامل المصرى حالة كسر الأنف يصحبها ورم ونزف وقد أجاد الطبيب مداواة هذا الجرح بأن أوصى بتنظيفه بفتيلتين من الكتان «مشبعين بالدهن فى داخل طاقتى أنفه احفظه عند أوتاد مرساه حتى يتضائل الورم، حضر له لفائف صلبة من الكتان لتثبت بها أنفه، عالجه بعد ذلك بالدهن والعسل والكتان يوميا حتى يشفى».

وانتقل الجراح من كسر غضروف الأنف إلى كسر فى عظمة الأنف التى طالب بأن ترد العظمة «لتسقط فى وضعها وتنظف طاقتى أنفه بفتيلين من الكتان حتى تخرج كل دودة دم متجلط بداخل طاقتيه»، ويستكمل العلاج كما ورد سابقا.

وذكر الطبيب فى بردية سميث حالة تهشم الأنف تهشما كليا واعتبرها حالة لا تعالج.

وقد ذكر الطبيب المصرى وجود أربعة أوعية فى الخيشومين اثنان يعطيان المخاط واثنان يوصلان الدم، أما بخصوص النفس، فالهواء يدلف من الأنف إلى القلب ثم الرئة وهذان يوصلانه لكل الجسم، بهذا وصل الطبيب إلى درجة عالية من الحقيقة المعروفة حاليا من ذوبان الأوكسيجين فى الدم، فينتقل من الرئة إلى القلب الذى يتولى مهمة توزيعه على باقى أعضاء الجسم.وقد أطلق المصرى لفظ مسدتى على تجويف الأنف وشتيت نت فنز على عظمة الأنف، أما الأنف فهو فنز.

وأورد الطبيب فى كل من بردية هيرست وإيبرز وصفة علاجية لما أسماه تبريد العظم بعد الالتئام فى كل أعضاء الجسم، وهى خليط من ملح نطرون الواحة وسائل عجين مع نواة البلح وعسل يضمد به المكان الملتئم لمدة أربعة أيام، ووصفة أخرى من بذور السنط وحب الصفصاف وحب الجميز وقمح يخلط بصمغ سائل.


تمثال لسخمت

وقد عالج الطبيب بعض الجروح القطعية بالخياطة على خلاف ما اعتقد البعض، وذكر هذا بوضوح من خلال الحالات الواردة بالبرديات.

وعرفت طبقة الجراحين بكهنة سخمت وكان تخصصهم علاج الجروح الخارجية والكسور والخلع وتعتبر وصفاتهم العلاجية مشابهة إلى حد كبير معظم ما هو متبع الآن فى علاجات الطب الحديث.

وسخمت شخصية أسطورية تمثل أحد تطورات حتحور حيث تشتد أشعة الشمس الحارقة فوق أرض مصر خلال الدورة الصيفية للشمس، فتحدثنا الأسطورة عن سخمت اللبؤة التى تتعطش للدماء وتجوب الصحارى ترتوى من دماء البشر، وهو تشبيه يعكس مدى حرارة الجو وحدة أشعة الشمس القاتلة، ومن هذا المنطلق اعتبرت سخمت دموية النزعة واعتبرها العامة رمزا للمداواة من الجروح لارتباطها بالدم.

واعتبر الطبيب الجراح من كهنة سخمت ومهمته مداواة الجروح واجراء العمليات المتعددة المذكورة فى البرديات المختلفة.

وقد ذكر أحد كهنة سخمت هذه الجملة: «أنا كاهن على دراية بالأسرار التى لا يفصح صدره عما يراه»، وسرية المعلومات الخاصة بالمريض مبدأ أخلاقى يتحلى به من يمارس هذه المهنة قديما وحديثا.

والأسلوب المذكور للعمليات يدل دلالة واضحة على المستوى المتقدم للممارس لهذه العمليات، فقد عالج الطبيب المصرى حالات الفتق وأورام تحت الجلد والاستسقاء.

وعن عمليات الفتق يذكر: «إذا فحصت ورما على جدار المعدة ويعلو العضو التناسلى، فسوف تضع أصابعك فوقه وتفحص المعدة، ثم تنقر فوق أصابعك ثم تفحص ما يخرج وناتج عن كحته، ثم نستنتج أنه التهاب فى جدار المعدة. إنه مرض سوف أعالجه».



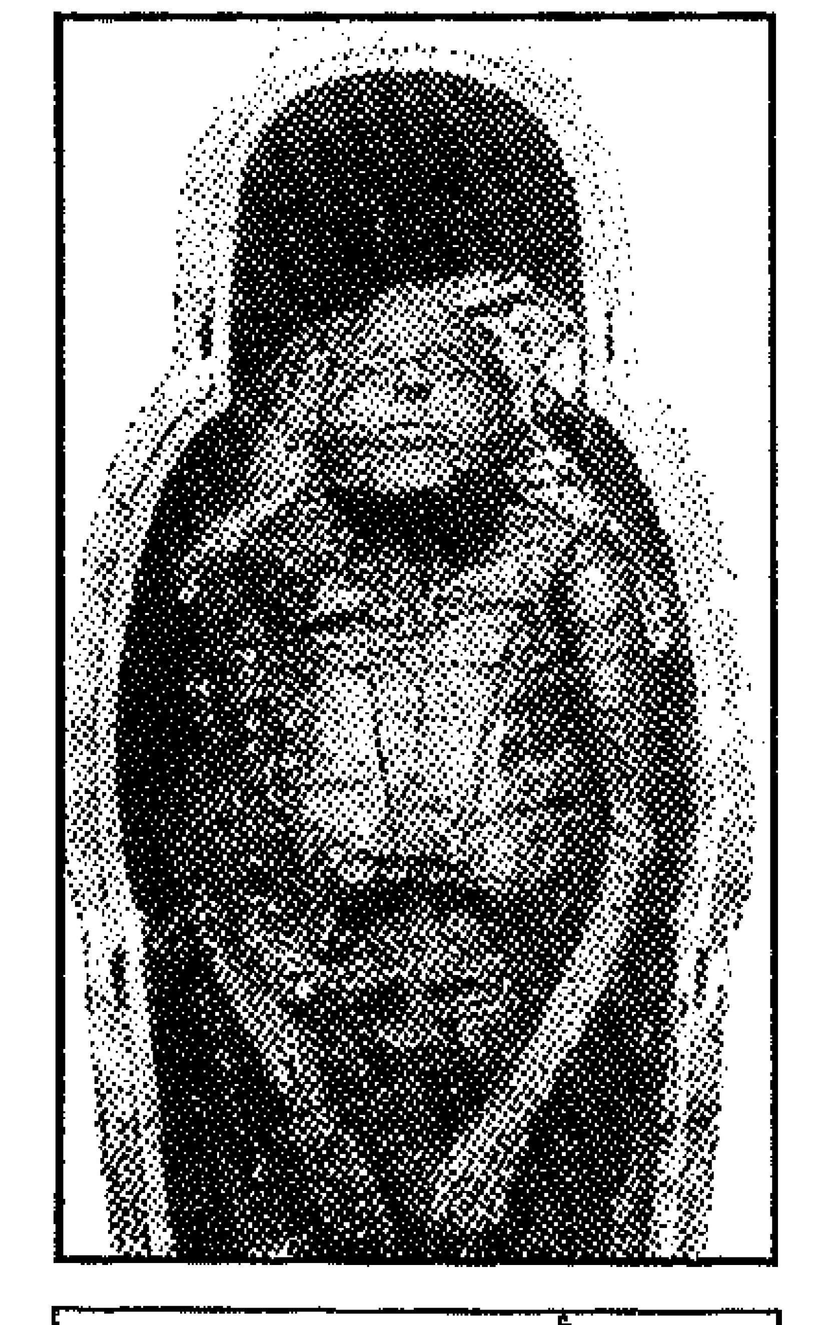
عالج الطبيب المصرى أورام تحت الجلد والاستسقاء ببراعة نادرة

وذكرت بردية إيبرز فى موقع آخر: «إذا فحصت ورما بغطاء قرنى بطنه أعلى الأعضاء التناسلية، فضع اصبعك عليه وافحص بطنه، ونقر على أصابعك، فإذا فحصت ما يخرج ويبرز نتيجة لسعاله... إن حرارة المثانة بمقدم بطنه هى التى جعلته يتحرك إلى أسفل والعكس بالعكس» وكانت تعالج هذه الحالة بالحرارة، «اكوه حتى يحتبس فى بطنه، ثم عالجه كما يعالج سحمم». مما يتطابق مع العلم الحديث فى علاج الفتق الذى عالجه المصرى القديم أيضا بالتدخل الجراحى كما هو ملاحظ على مومياء مرنبتاح، الأسرة ١٩.

وحالة أخرى قال عنها د.حسن كمال أنها استسقاء زقى: «تعاليم خاصة بتورم الجزء السفلى من بطنه:... ووجدت ماءً فى بطنه يصعد وينزل، فقل أنها إصابة بحروثاو بالجزء السفلى من بطنه، إنها الحرارة فى مثانته التى تسببه. أرجعه فيه بواسطة آلة حمم حتى لا ينزل فى سرته، ثم عالجه كما يعالج سحمم».

والنقر بالأصابع عند الفحص هو أحد السبل الحديثة فى الكشف على المريض. وافحص معدته ثم انقر على أصابعك....

وظهــرت على العديد مــن المومياوات التى تنتمى للأســرة ٢١ جروحــا خضعت للخياطــة، فقد ورد فى برديــة سميث أقدم ذكر لخياطــة الجروح إذ أوصى الطبيــب: «والآن بعد أن تخيطه يجب عليك أن تضع لحما صابحا فى اليوم الأول».



مومياء أحد الكهنة وترجع للأسـرة ٢١، ويلاحظ وضع اليديـن لتغطيــة منطقــة الحــوض، وتعــرض حاليا بمتحف التحنيط بالأقصر، والكاهن موساهارتا هو كبير الكهنة فى عهد بينجم الأول.

وقد أطلق المصرى مســمى خت على منطقــة البطن، وأوبت إن خــت لمنطقة أعلى البطن، أما أســفل البطــن فهو خرى إن خت، مما يدل على دقة الطبيب فى التشخيص وتحديد موضع الألم.

ولجــأ الطبيــب للكى بالمعدات الســاخنة وخاصــة فى حالات النزيــف الحــاد، ثم يضــع على الجرح ضمــادة من العســل لمنع التقيحــات المكنة وجعل الجرح يندمل. واســتعمل الطبيب الكندر أو السنط ليطهر الجروح واعتبر العسل أفضل مادة يدهن بها الجرح لقدرته على امتصاص الارتشــاح الناتج عن الجرح، ثم يلجأ لزيت التربنتينة لتليين موضع الالتئام.

ومن وســائل الجراحة التى لجأ إليها الطبيب، طبقا لما ورد فى بردية سميث بخلاف الكى، عمل الضمادات والفتيل لحشــو بعض الجروح والخياطة أحيانا.



خياطة لقطع علــى الجانب الأيســـر مــن المومياء

وقد ورد وصف دقيق لإحدى العمليات فى بردية إيبرز:

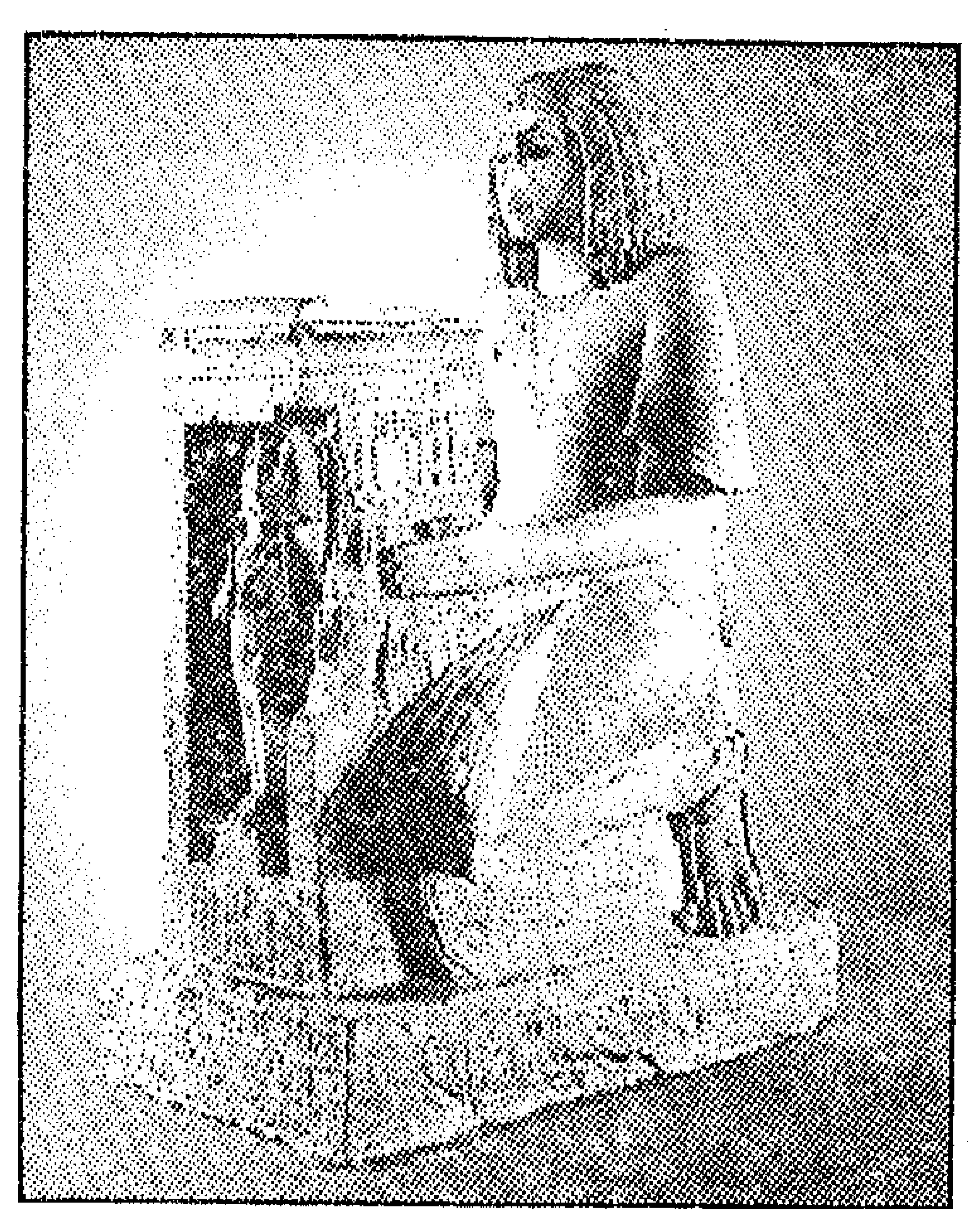
«إذا فحصــت ورما بأى عضو بالإنســان فضمــده، فإذا وجدته يذهب ويجىء مخترقا اللحم أســفله، فــإن بداخله يرقات اعمل له العملية. شقه بسكين وأمسك على ما بداخله بالملقاط ثم أزله بالسكين فتجد فيه شيئا مثل مخ الفأر».

وتذكــر بردية إيبرز حالة ورم حددها د.حســن كمال بأنها ورم تحــت الجلد يتحرك بســهولة: easily movable sub fibroma cutaneous tumour.

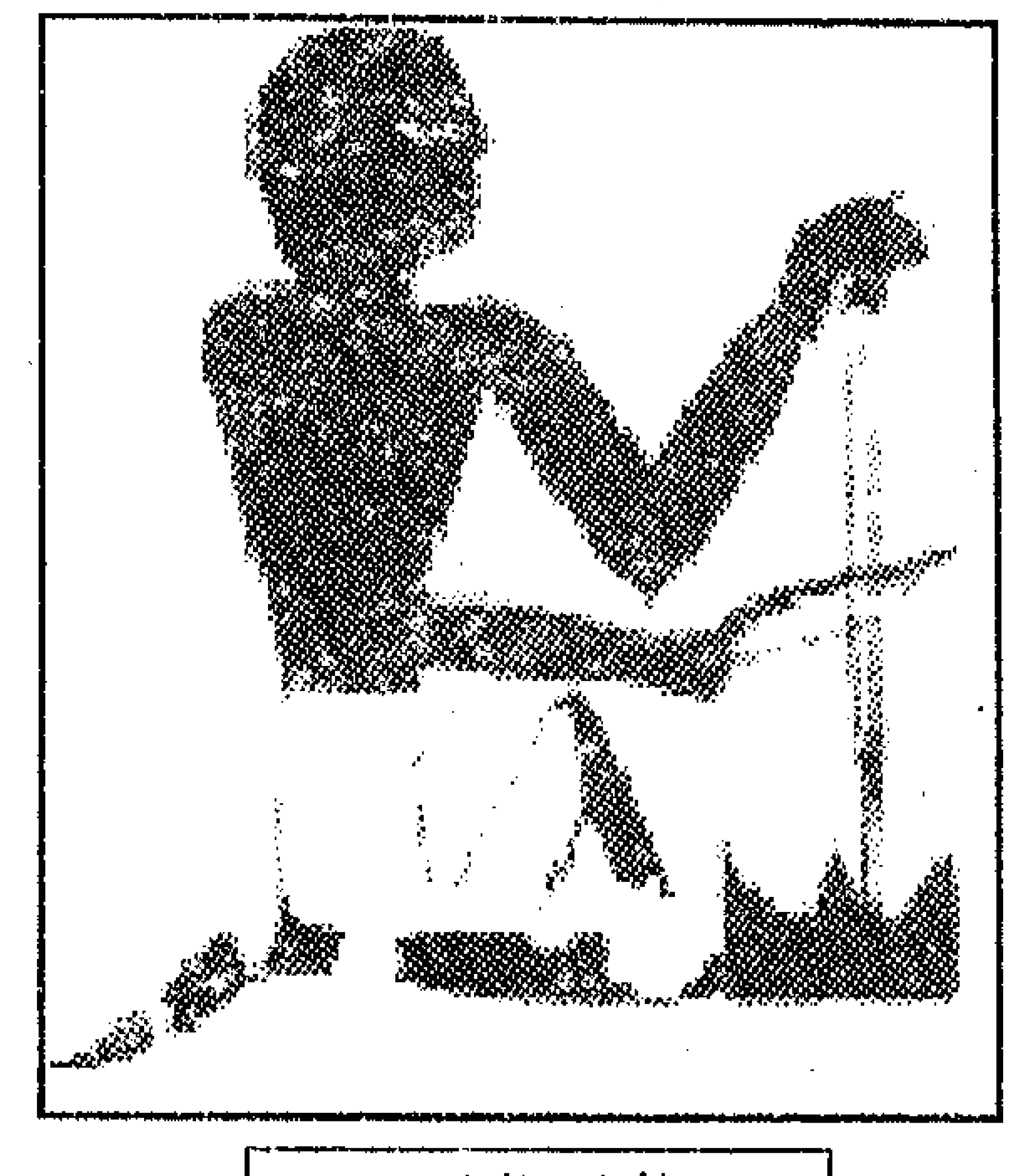
وأوصــى الطبيب بعلاجه بالكى ثم جراحيا كما يعالجه الجراح سحمم.

وأورد الطبيب المعلم بعضا من الأدوات الجراحية المســتعملة منها الســكين والملقاط، كما أورد فى بردية سميث ذكر أقدم حالة لجأ فيها المعالج للكى بالمثقاب النارى fire drill، وهى مكونة

من قطعة خشبية يلف طرفها فتتولد الحرارة ويتوهج الطرف المعدنى الدائر، كما استعمل الجراح، طبقا لما ورد فى بردية إيبرز المشرط الساخن فى جراحاته.



تمثال ليونى، أحد كهنة سخمت وابن جراح مشهور خلال الأسرة ١٩ عهد سيتى الأول، عثر على التمثال فى دير درونكا بأسيوط ويعرض حاليا بمتحف المتروبوليتان بنيويورك.



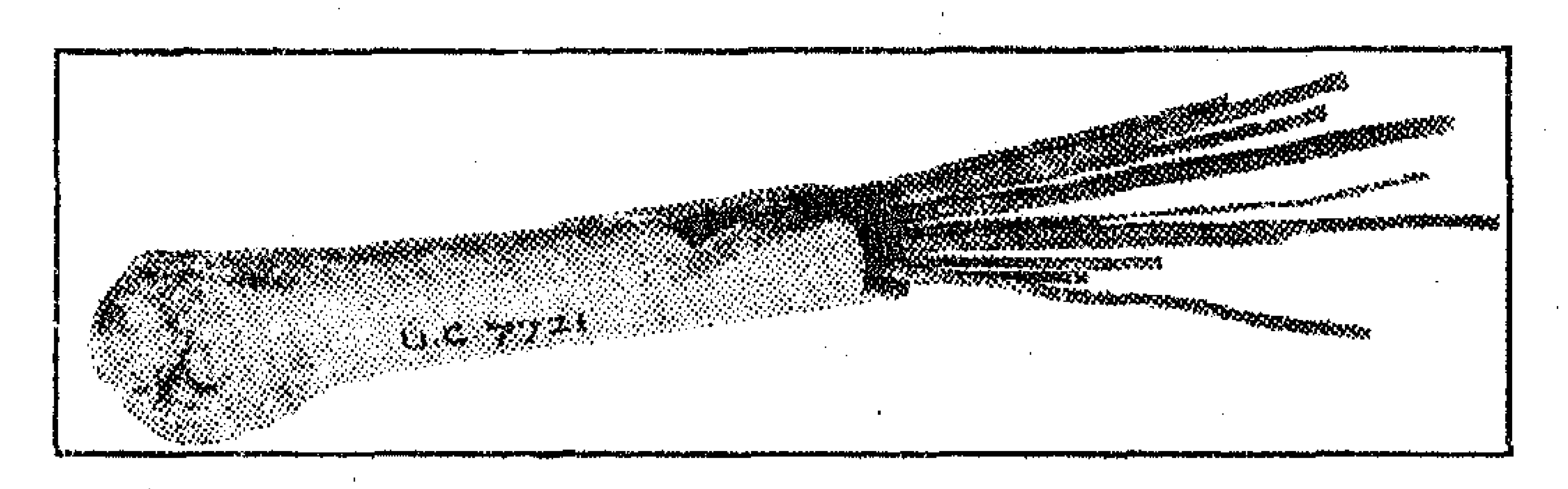
المثقاب النارى

وتتلخص الحالة فى كونها أوراما برأس بارزة فى الصدر محدثة أكياسا من الصديد..». يجب أن تكويه فوق صدره وفوق هذه الأورام التى على صدره، يجب أن تعالجه علاج الجرح، ويجب ألا تمنع فتحها من نفسها حتى لا تكون هناك امرو فى جرحه، كل جرح يظهر فى صدره يجف حالما يفتح من نفسه».

وقد عالج الطبيب جراحيا حالة ورم يحوى سائلا hygroma chronic abscess، وحالة أخرى لزوائد مكونة لورم pelypoid tumours الذى أطلق عليه لفظ سا، وورم مادى متكيس يجرى فى جسمه وبه سائل لزج، وحالة أثروما بفروة الرأس، وخراج أوغلفمونى أوصى الطبيب: «اعمل له العملية ولكن احترس من الوعاء،...لاتترك من الكيس شيئا».

وفى حالة تعذر التدخل الجراحى للمصاب مثل حالة الفتق الشــريانى الوريدى، فإن بردية إيبرز تحدد : «إياك أن تقدم بيدك نحو هذا الشيء»، وتم وصف مرهم موضعى على الفتق وبعض الأوراد يذكرها المريض، والغرض منها فى المقام الأول تهدئة النفس وبعث الطمأنينة لدى المريض نظــرا لصعوبة التدخل الجراحى أو العلاجى، مما يعكس دراية المصرى التامة بالحالة النفســية للبشر عند المرض وحاجة المريض الماسة للمؤازرة والاطمئنان.

وتعتبر هذه الرقى والأوراد تعزيزا للعلاج فى بعض الحالات، إذ إن الحالة النفســية للمريض عامل مساعد مهم فى الشفاء كما اكتشف حديثا تطبيقا لتلقائية الطبيب المصرى القديم وملاحظاته الدقيقة على ردود أفعال المرضى.



بعض الأدوات التى استعملها الطبيب المصرى خلال العمليات الجراحية المختلفة

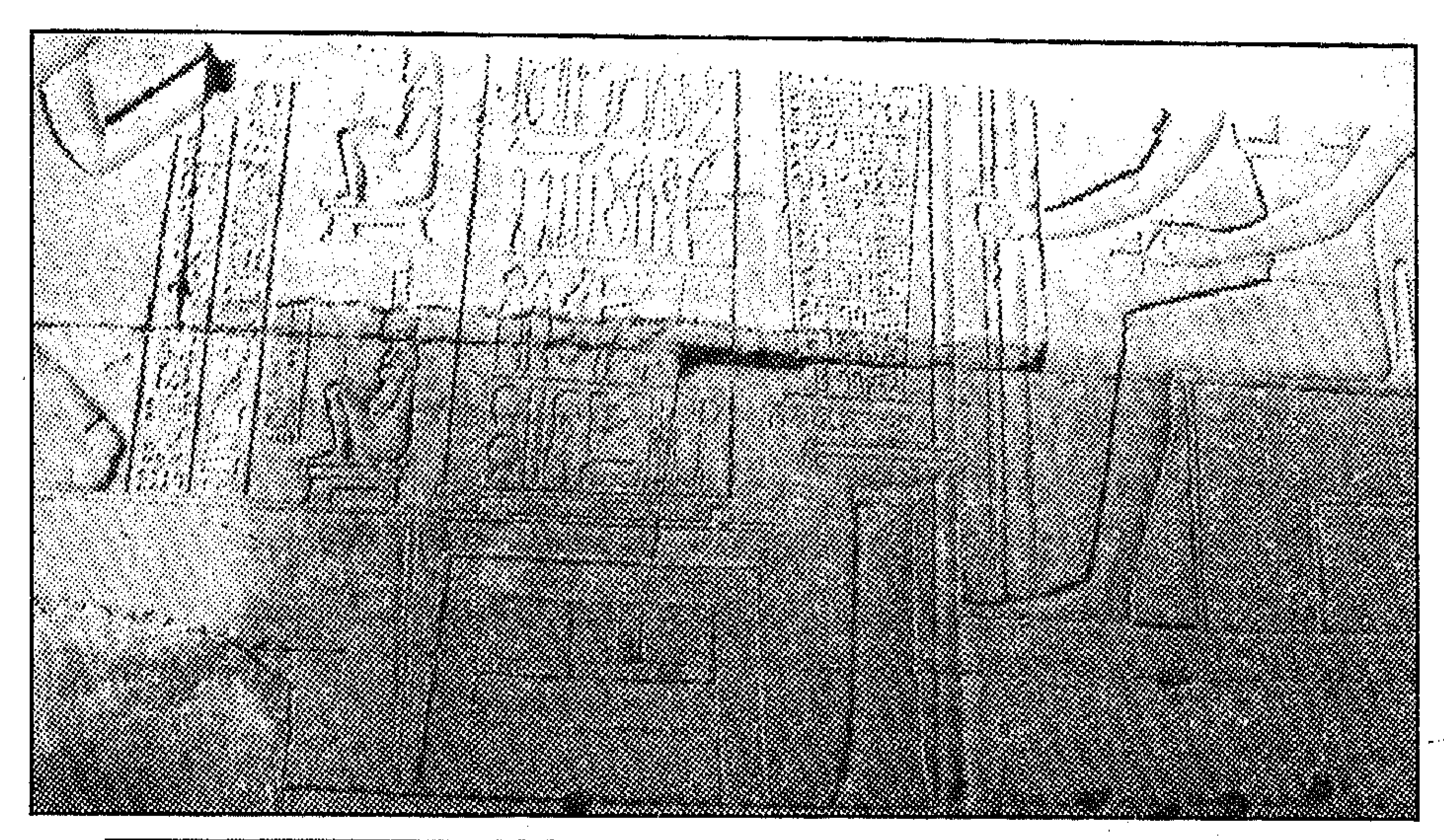
وقد أثرت ممارسات الطب المصرى القديم فى الأجيال المتعاقبة، فعلى سبيل المثال يدين العالم للطبيب المصرى باكتشــاف البنســلين المستوحى من إســتخدام الخبز المخمر، إذ إنه كان، لمداواة الجروح بصفة عامة، يلجأ الطبيب لعدة خطوات منها استعمال اللحم النيء فى اليوم الأول لوقف نزف الجرح، حيث يوضع على الجرح كوسادة لينة ضاغطة تمنع النزف، ثم يليه فى اليوم التالى دهان بالعســل للمنطقة المصابة لتجفيف الماء الراشح، فللعسل خاصية امتصاص الماء وتحفيز كرات الدم البيضاء على الإفراز، ثم تغطيته بالخبز أو العجين المخمر لاستبعاد الميكروبات الضارة والقضاء عليها، وقد ثبت فيما بعد فعالية هذه الخطوات وأهمية الخميرة فى هذا النوع من العلاج.

ولجـــأ المصرى لبعــض المــواد الطبيعية كمطهر للجــروح، مثل الصمغ العربى أو الســنط ونبيذ البلح وزيت التربنتينة والعسل وغيرهم.

والســنط نبات شــجرى تســيل من جزعــه مادة صمغيــة وعصير ثمــاره عبارة عن مــادة قابضة توقف النزف وتقضى على الالتهابات واستعمله المصرى أيضا كحقنة مهبلية لانقبــاض الرحم، لقد عايش المصرى الطبيعة واستغل كل امكانياتها.



شجر الأكاسيا أو الصمغ العربى أو السنط



الآلات الجراحية، وعددها ٣٧، كما وردت على جدران معبد كوم أمبو، وقد عثر في سقارة على العديد من الأدوات الطبية التي ترجع لـ ٤٢٠٠ ق. م. وتعرض في متحف امحتب بسقارة

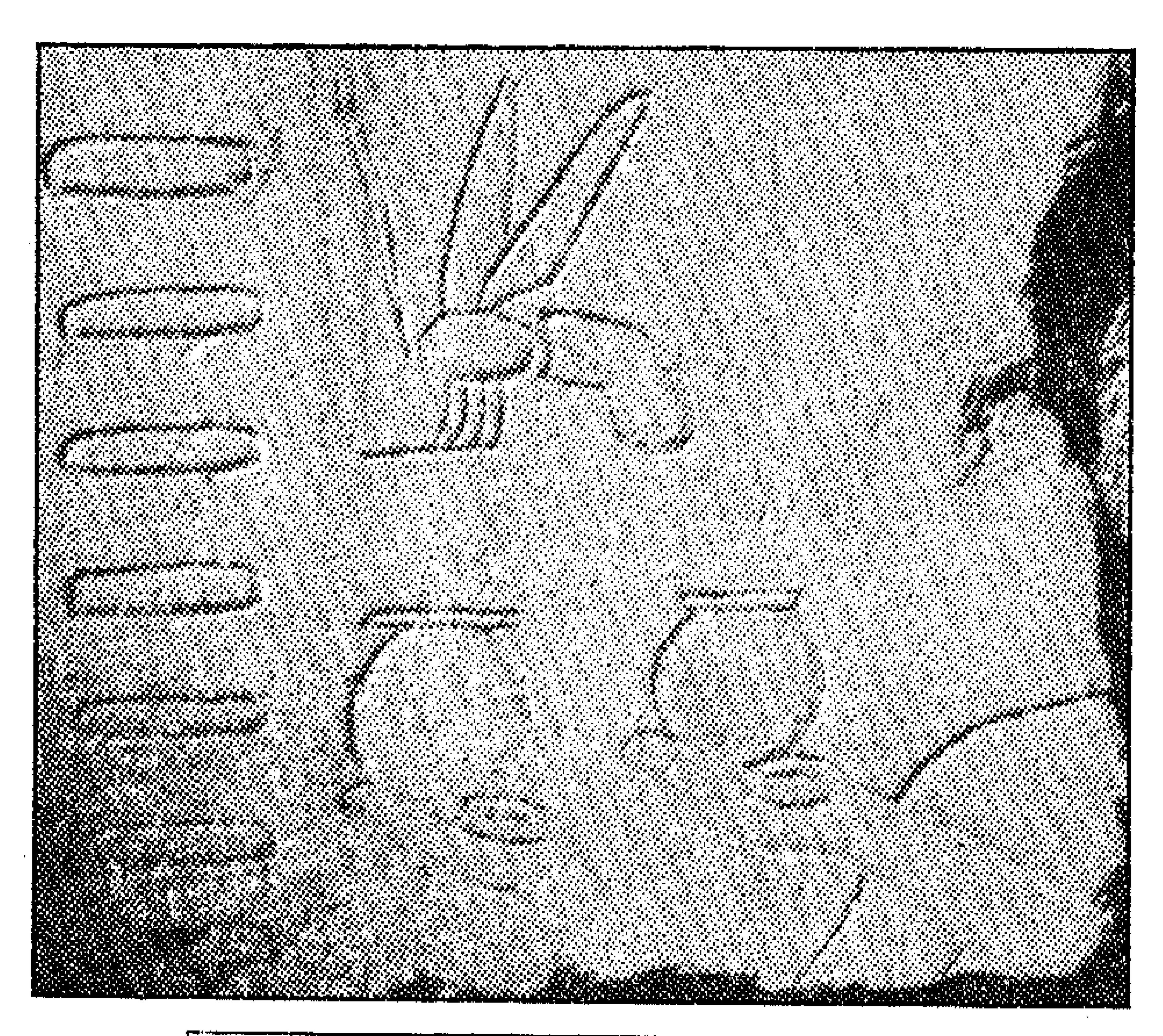
والآلات الجراحية متعددة ذكر بعضها من خلال توصيف الحالات المرضية:

«إذا كانت الأذن تفرز سائلا يسيل مع الخلط مثل سائل العجين فلف حولها بالمشرط إلى نهاية كل تلف بها، ثم جهز زيتا وعسلا وفتيلا وضع ذلك فيها، ثم ضع غيارا من الكتان وضمدها به حتى تشفى».

والأدوات الجراحية متعددة، ومازال بعض منها يستعمل، منها المشرط، والسكين، والملقاط، والضمادات، والفتيل، والإبرة للخياطة، والمشبك لضم طرفي الجرح، والمثقاب الذى استعمل فى عملية التربنة وغيره وبعض الأدوات التى استعملها المصرى لاستخراج المخ قبل التحنيط ترجع إلى ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد.

وقد ثبت حديثا الفوائد المتعددة لعسل النحل، منها أنه مطهر، ومعقم، ومضاد طبيعى للميكروبات، وقد كان العسل أحد مكونات ٩٠٠ علاج طبى للطبيب المصرى القديم خلال الجراحات المتعددة التى قام بها، مثل عمليات الفتق وتمدد الأوعية الدموية، انفزيما.

وتذكر البرديات عمليات جراحية للمخ منذ ٣٠٠٠ عام ق. م، كما ذكر المخ فى حالة محددة فى بردية إدوين سميث، التى تبرز حالة خياطة جرح قطعى بالغلاف الخارجى للمخ، والنبض فى هذا الجزء الحيوى، ومدى تأثير إصابات المخ فى باقى أعضاء الجسم، وخاصة الأعضاء السفلية، مثل الشلل الذى يصيب الأطراف نتيجة للإصابة.



جمع العسل، مقبرة عنخ حور، العساسيف الأقصر



رأس مومياء

وقد ذكر المخ بهذا المسمى إس إن زننت بمعنى أحشاء الجمجمة، وأما الحبل الشوكى وهو امتداد المخ فى القناة الفقرية، فهو أيماخ، والسائل المخى الشوكى عرف بنخ، وعرف المصريون الأم الجافية وهى أحد أغشية المخ بكلمة نت نت: «التهشم كبير فاتح داخل الجمجمة والسجايا الكاسية للمخ، حتى تدفق السائل بداخل الرأس وخرج إلى خارجها».

وتعطى بردية سميث تفصيلا دقيقا للمخ، مما يعكس معرفة المصرى بدقة لهذه التفاصيل، فقد ذكر بخلاف هذا فى مواقع أخرى كل أجزاء الجسم وعلاجاتها الفعالة نسبيا كل طبقا لحالته، كما تذكر البردية ١١حالة إصابة بالمخ اثنين منها جرح قطعى، وأربعة كسر متفتت، وأربعة كسور متفتتة مضاعفة، وإصابة داخلية غير ظاهرية، فالكسر الداخلى لا يصحبه جرح خارجى.

وكان الجراح المصرى على دراية بوظائف مراكز المخ ومدى تأثيرها فى باقى الأعضاء، وأظهر مهارة فائقة فى علاج حالة تهشم جمجمة أسفل فروة الجمجمة، ولم يبد ظاهريا أى عرض لهذا التهشم: «إذا وجدت شخصا مصابا بتهشم جمجمته تحت فروة رأسه غير مصحوب بشىء

أعلاه فتحسسه، فإن وجدت ورما خارجا من تكسير جمجمته بينما عينه تنحرف نتيجة لذلك إلى الجانـب الذى حدثت فيه الإصابة، وإذا مشـى جر معه أخمـص قدمه فى نفس الجانب، فيجب أن تعتبره شخصا صدم بشيء من الخارج مثل من لا يستطيع أن يخلص رأسه من شوكة كتفه، وكالذى لا يسـقط وأظافره وسـط راحته، هو ينزف دما من فتحتى أنفه ومن أذنيه ويتألم من تصلب عنقه، وهى حالة لا تعالج علاجه هو جلوسـه حتى يسـترد لونه وحتى تعرف أنه وصل للنقطة الحاسمة» والمقصود هنا هو الانتظار حتى تعمل الطبيعة عملها إما بالإتجاه للشـفاء أو خلافه.

ويعتبر حديثا تهشـم الجمجمة هو إصابتها بكسر متفتت مضاعف، وهذا ما استنتجه الجراح المصرى الذى تمكن من تحسس تلافيف المخ وإحساسه بنبضه، فقد عرف الطبيب أن المخ ينبض مثل نافوخ الطفل الرضيع، وهذا مؤكد من خلال الطب الحديث.

ولاحظ الطبيب صدى الألم الناتج عن مرض أحد الأعضاء الذى يمكن أن يشعر به المريض فى منطقة الرأس وحتى المخ: «إن المصاب يشعر بتكسير العظام وبصداع شديد متلف للجمجمة واصل لنخاع العظام ومسبب المرض للسبع فتحات التى بالجمجمة» مما مكن الطبيب من علاج المسبب الأصلى للمرض، وهى حالة إنفلونزا.

وقرب الطبيب بين توتر العنق واسـتحالة إدارة الرأس إثـر الإصابة أو ثنيها للأمام أو جانبا وحدد السبب بإصابة عضلات العنق، كما قرب أيضا بين حركة الأطراف وإصابة المخ وبين حركة العينين وإصابة المخ.

ومن هنا لا يمكن القول بأن الطبيب المصرى لم يعرف أهمية المخ كما يدعى البعض من خلال تفسير عملية استبعاد المخ وتفتيته خلال عملية التحنيط.

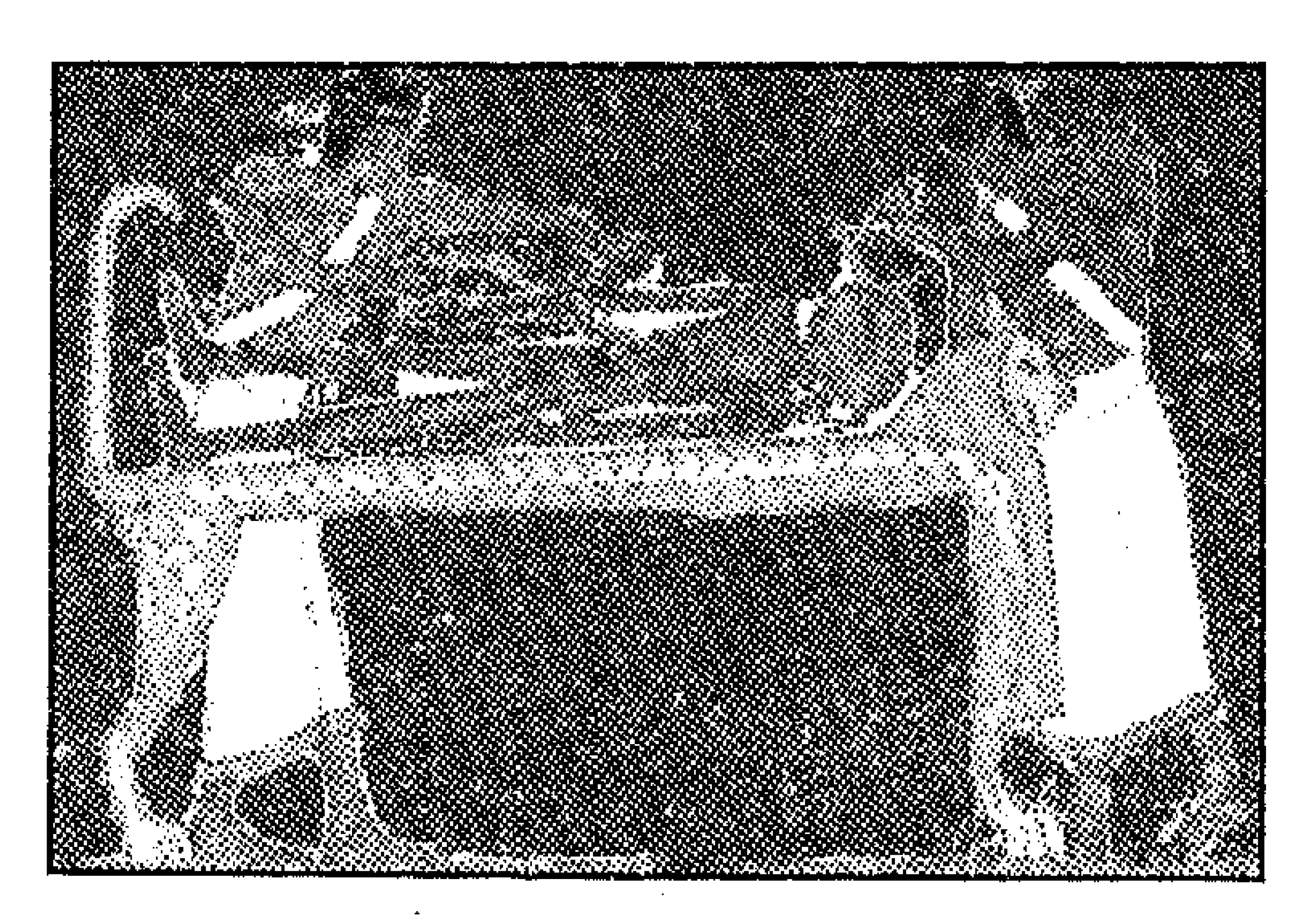
وربـط الطبيـب بين حالة إصابة بالشـلل ناتجة عـن إصابة المريض بكسـر تفتتى مضاعف بالجمجمة: «فإذا مشى دلف بباطن قدمه».

وذكـرت البرديات بعض حـالات إصابة بالبكم نتيجة لبعض الإصابات منها كسـور تفتتية بالأنف أو الفك العلوى أو العظم الصدغى أو حشر فقرة عنقية فى أخرى: «إذا ناديته لا يجبك فهو أبكم لا يتكلم».، وتعرف الطبيب إلى بعض حالات البكم نتيجة لإصابات المخ.

وأثبت الكشـف مؤخرا على إحدى مومياوات عامل مـن بناة الأهرامات آثار عملية جراحية أجريـت لـه فى المخ، كما أبرزت مومياوات أخرى تنتمى لنفس الموقع تفوق ودقة العناية الطبية التى منحت لهؤلاء العاملين فى موقع عملهم، إذ إن المومياوات تعكس بعض حالات الكسور التى عولجت. ومعرفة المصرى بأسرار التحنيط سهلت عليه الكثير خلال ممارساته الطبية.

وتبرز بردية سميث تفاصيل دقيقة لإصابات المخ تعتبر بحثا علميا فريدا صنفها الطبيب على أنها حالات يمكن علاجها، وحالات غير مؤكدة، وحالات سيئة لا يمكن علاجها.

فكان يبدأ فحصه بفحص الإصابة لمعرفة مدى عمق الجرح ويتتبع مدى تأثير هذه الإصابة على باقى الأعضاء: ضعف النبض، الحرارة، إصابة السمع أو الحبسة.



يستخرج المخ من الأنف خلال عملية التحنيط التى سهلت كثيرا على الطبيب معرفة الجسد وتشريحه

ويستقى الطبيب معلوماته من المريض أولا ثم من رد فعل بعض الحركات التى يطلب منه تأديتها ويدون كل هذا مع ملاحظاته الشخصية بعد أن يتحسس المريض ويقيس النبض، وقد شبه الطبيب تلافيف المخ بتعرقصات الرغوة المعدنية، وهذا تشبيه دقيق جدا.



نقش على جدران معبد إدفو يبرز الطبيب وهو يقدم الدواء بعد إعداده ويحيط النص الهيروغليفى بالمنظر

ولاحظ الجراح تأثير إصابة المخ فى الأعضاء السفلية للجسم بالتحديد وأن هذا التأثير يختلف من جانب إلى آخر طبقا للجانب المصاب من الرأس، وقد سجل هذا فى البردية من خلال إحدى الحالات المدونة: «إذا فحصت إنسانا مصابا بجرح فى رأسه يصل لعظمة جمجمته ولكنه

غير فاغر، فتحسس جرحه، فإن وجدت جمجمته سليمة وغير مثقوبة ولا مشروخة ولا مهشمة، فقل إنه مصاب بجرح فى رأسه وليس لجرحه شفتان ولا هو فاغر مع أن الجرح يصل إلى عظمة رأسه، هذا المرض أعالجه».

وقد ذكر فى بردية إدوين سميث: «... والغشاء المحيط بالمخ، يقطع ويسيل السائل داخل الرأس» وفى قول آخر: «إذا قمت بفحص رجل مصاب بجرح قطعى فى رأسه، فيجب ألا تضغط على الجرح...»..

ويؤكد ما تقدم كلمات هوميروس فى الأوديسا: «فيما يختص بالمعلومات الطبية يسبق المصرى كل العالم» وهذا ما يتأكد بذكر كلمة مخ لأول مرة فى التاريخ فى بردية سميث، فقد فسر الجراح المصرى بعناية الفروق بين أنواع إصابات الجمجمة الثلاث المعروفة حاليا: جرح قطعى، ووخزى وغائر، ولمس الطبيب المصرى للمرة الأولى أهمية المخ كمركز لحركة الجسم وأن الحبل الشوكى مركز عصبى هام بالجسم البشرى «إذا فحصت مريضا بجرح غير مشقوق يصل للعظم، فأدخل فيه الأصبع فإن وجدت عظمة الوجنة سليمة، فشخص الحالة بأنها جرح فوق عظمة الوجنة وهى حالة قابلة للعلاج»، بردية سميث».

ووصف العلاج بتغطية الجرح باللحم النيء فى اليوم الأول ثم العسل والزيت يوميا إلى أن يلتئم الجرح.

وأما جرح الرأس الذى يصل إلى العظم ثم الجمجمة «فعليك أن تتحسس جرحه فإن وجدت شيئا يضطرب تحت اصبعك وهو يرتجف بينما الورم فوقه يبرز وهو يفرز دما من طاقتى أنفه ومن أذنيه ويتألم من توتر عنقه حتى إنه لا يقدر أن ينظر إلى كتفيه وصدره...

والآن بعد أن تجد جمجمة هذا الشخص مشروخة يجب ألا تربطها بل أرسه فى أوتاد مرساه حتى تنتهى فترة إصابته، علاجه جلوسه، اجعل له وسادتين من الطوب اللبن حتى تعلم أنه بلغ نقطة حاسمة، يجب أن تضمده بدهن على رأسه وأن تلين رقبته به وأيضا كتفيه، افعل مثل هذا لكل شخص تجده مصابا بشرخ فى الجمجمة».

ويعكس ذكر الحالات الميؤوس من علاجها اهتمام الجراح ورغبته فى معرفة المزيد لتخفيف الألم والعلاج، فمن الملاحظ متابعة الطبيب للحالة حتى أقصى الدرجات ويعد اهتمام الطبيب هذا هاما فى علم التطبيب ساعد بدرجة عالية على الاطمئنان الذى يؤدى بدوره للشفاء كعامل مساعد للعلاج.

وتعتبر دراسة الطب المصرى القديم هى حجر الأساس فى الطب الحديث، فقد ذكرت البرديات العديد من الأمراض وعلاجاتها بعد التشخيص الدقيق للحالة والمضاعفات التى قد تصيبها فى بعض الأحيان، فمتابعة الطبيب لمريضه على درجة كبيرة من الأهمية لم يغفلها قط الممارس المصرى.

وذكرت بردية إيبرز بعض العمليات الخاصة باستئصال أكياس دهنية وأورام، وقد تم ذلك من خلال عمليات متنوعة حسـبما اقتضت الحالة. ومن المتبع تسخين الأدوات المستعملة لاستئصال أى ورم أو كيـس دهنـى أو أيـة عملية جراحية حتى يحمر النصـل، وكان لهذا الإجراء هدفان أحدهما تعقيم الأدوات المستعملة، والآخر إيقاف النزيف الحاد.

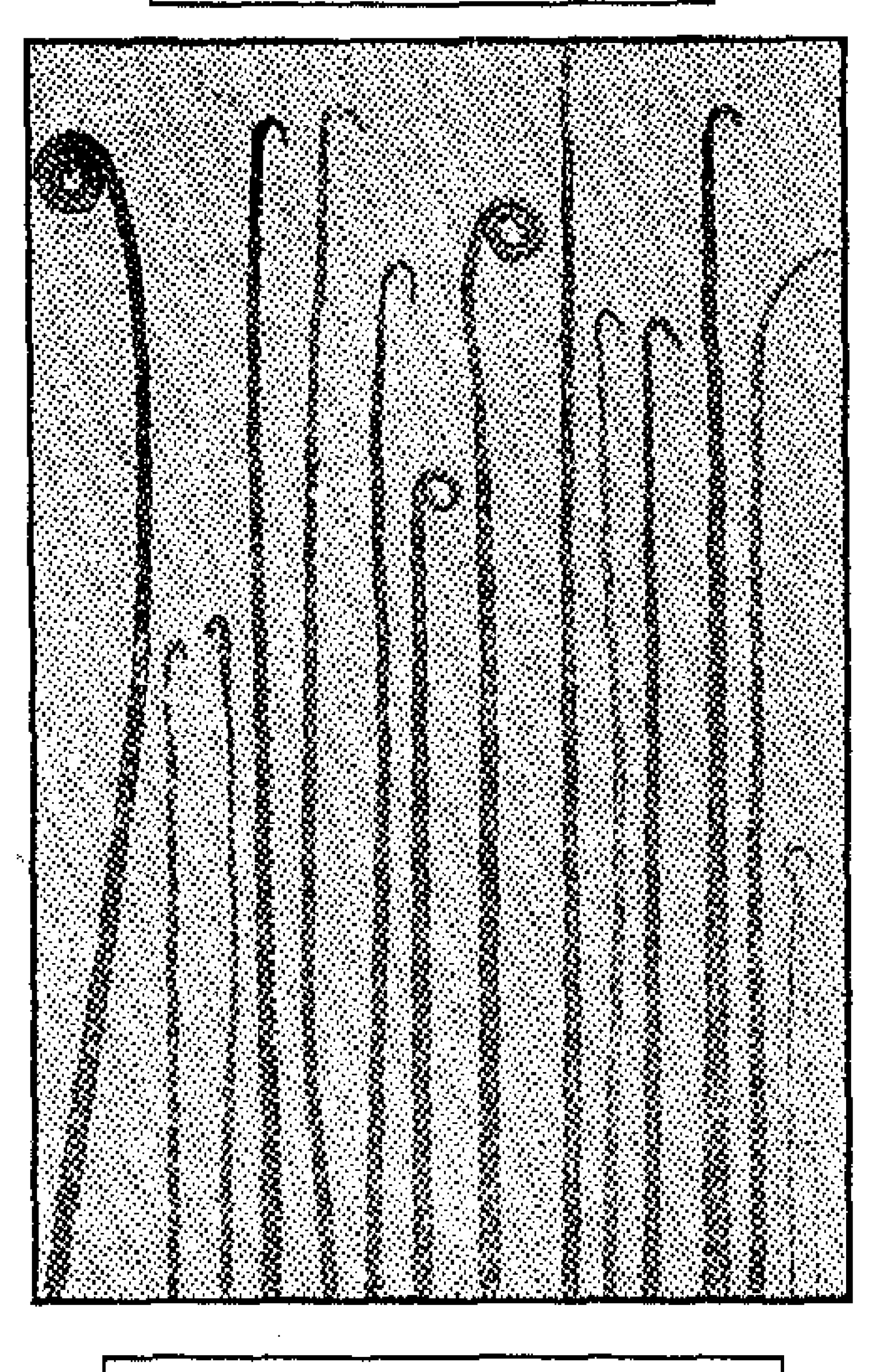


عملية تربنة كان كثيرا ما يلجأ إليها الطبيب

وقـد ثبت أيضا أن الطبيب المصرى قد أجرى العديد من عمليات التربنة فى الجمجمة لتخفيف الرشح علي المخ.

وبرديـة سميث هى فى الواقع بحـث فى الجراحة يذكر الحالات المتعـددة وتطورات كل حالة وكيفيـة التعامل معها طبقا لتطورهـا، فيبدأ علاج الجرح بوضـع الفتيل، فإذا كان الإفـراز غزيرا، وضع الطبيب مادة مجففة للجرح، وفى حالة جفاف الجرح، يوضع عليه الشحم أو التربنتينة لتليينه.

وإذا كان الجـرح غائـرا، فعلـى الجراح ضـم حافتيه بالمصيص اللاصـق، ثم تطورت مهـارات الطبيب والجراح المصـرى ليخيـط الجرح، كما اكتشـف حديثـا على بعض المومياوات التى تظهر خياطات لجروح أسفل منطقة البطن.

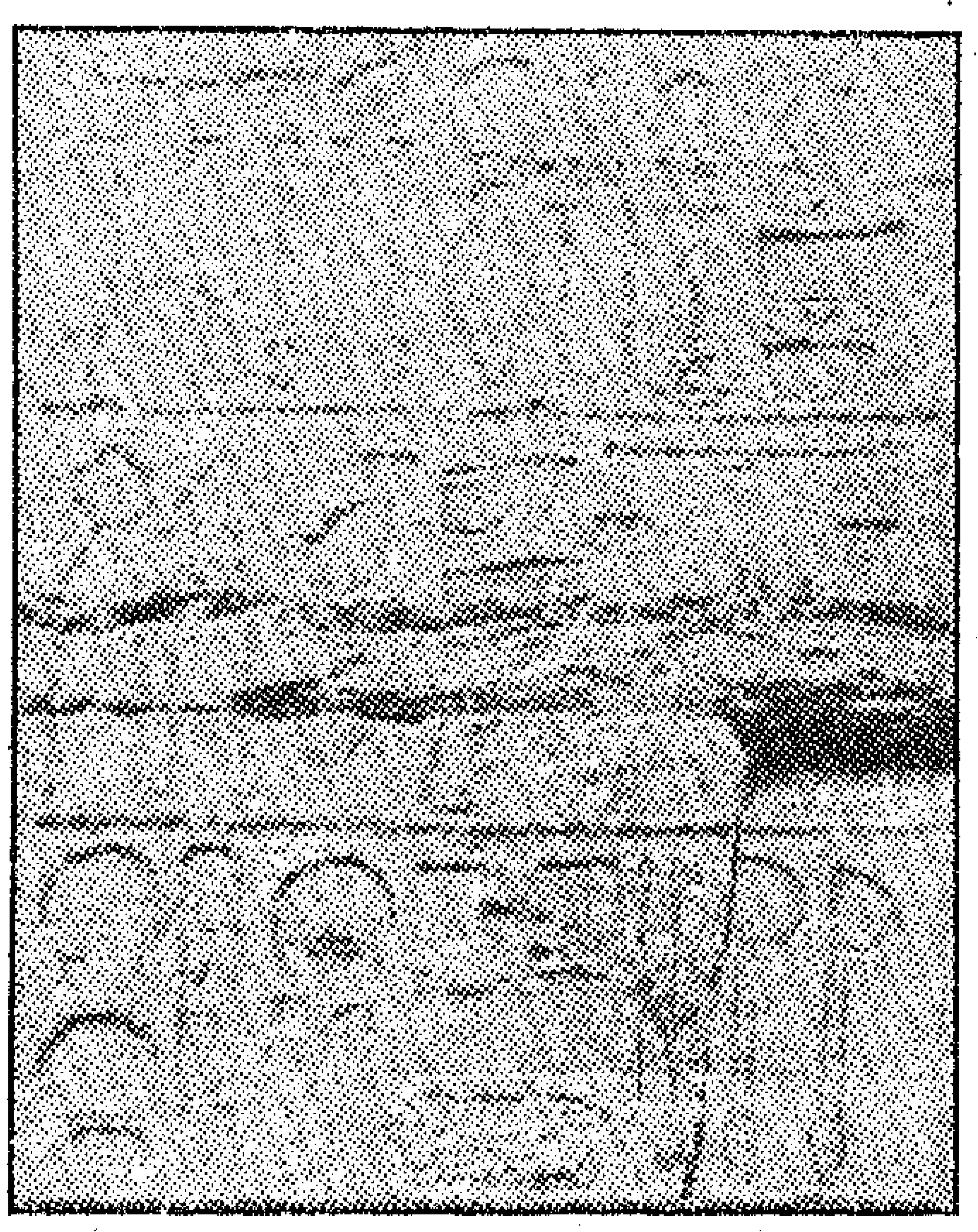


بعض الأدوات المستعملة لاستخراج المخ عند التحنيط

وتعتـبر البرديـات مرجعـا غنيا بالحـالات الجراحية المتنوعة تشمل على سبيل المثال تعليمات خاصة بحالة غدة متضخمة فـى عنق مريض: «إذا وجـدت هذا بعنق مريض سبق إصابته بنوبة صفراوية ووجدته كالمحشو بالخيش وهو لين عند الجس ويعلوه شـىء مثل الحويصلات، فقل بشأنه إنه شـخص مصاب بغدة متضخمة متكيسـة نتيجة الإصابة بنزلة صفراوية بقفا الشخص وهو مرض سأعالجه، حضر له الأدوية لتصرفه بالعلاج القوى. بردية إيبرز.

وهـذا الوصف الدقيق يتطابق مع ما يعرف حديثا بالغدة المتضخمة التى تحتوى على سائل أو Cystoid enlarged gland، والوصفـة العلاجية تتضمن عمل ضمادة لمدة أربعة أيام مـن الملح البحرى ومسـحوق الفول ومـرارة ودم ذبابة وطلح سيال.

وذكـــرت بردية إيـــبرز حالة إصابة بخراج برأس بارز على الصدر، دون الطبيب المعلم العديد من الملاحظات لتفســير كل احتمالات الحالة وتحديد معنى كل خطوة مدونة بهذا الشأن، ويبدأ الطبيب بتحديد الحالة:



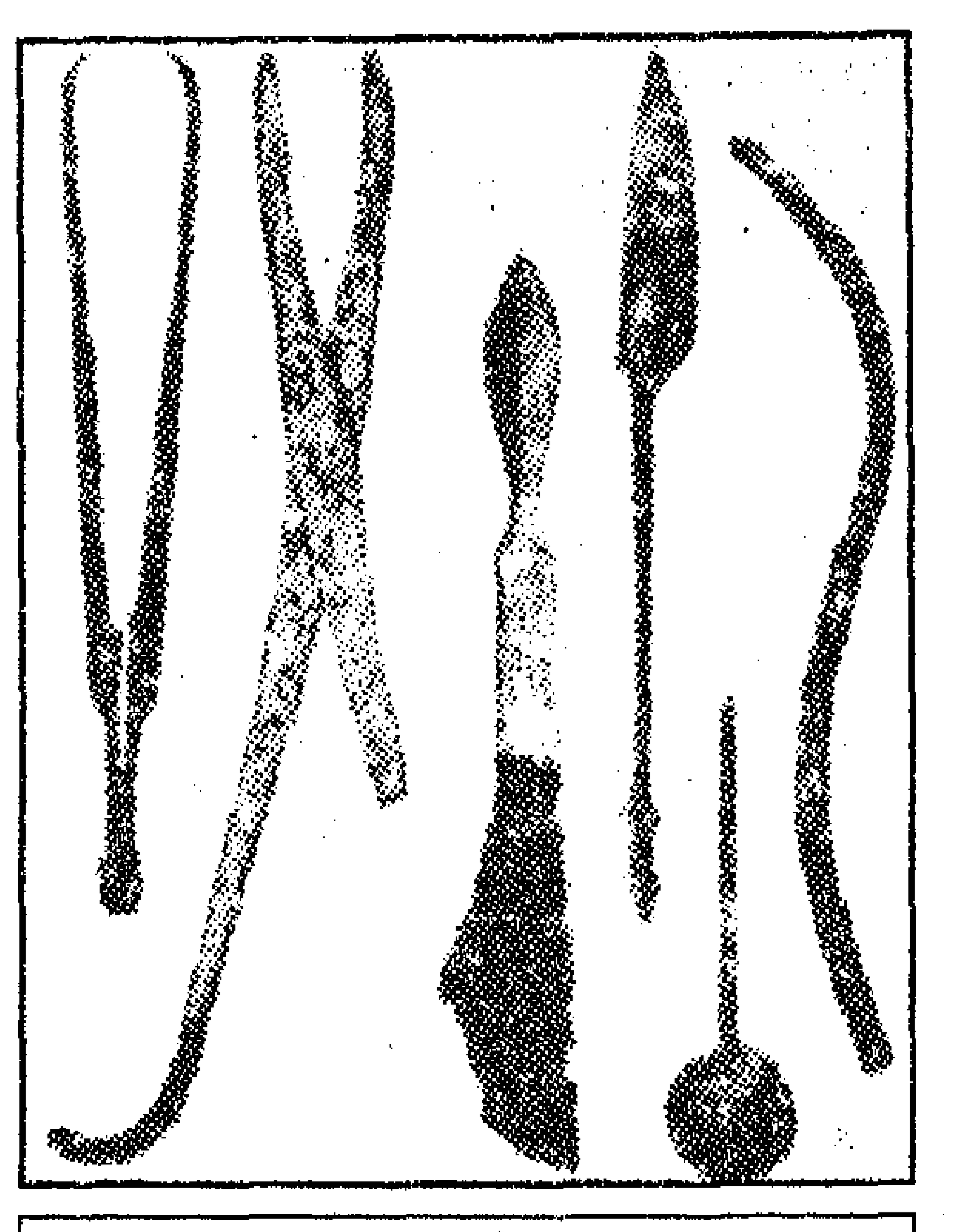
نقش علـى جدران معبد كوم أمبـو يظهر الأدوات المتنوعة التى اسـتعملت فى الجراحات المختلفة، وقـد كان نصـل الأدوات من الحجر المســن ولكن مع استعمال المعادن، كان علـى الطبيب تعقيمها بتعريضهـا للنـار حتـى يحمـر النصـل، ويبين الرسـم السـفلى بعـض الأدوات الـتـى تـرجـع إلى ٤٠٠٠ عـــام منهـا الملقـاط والمقص والسـكين



«قار» جـــراح يرجع للدولة القديمة، ويحمل لقـب كاهـن واب، وقد عثر داخـل مقبرته بسـقارة على العديد مـن الآلات الجراحية الدقيقة التى ترجع ربما لعهد الملك خوفو.

«إذا فحصــت شــخصا عنده خراج برأس بارز فى صــدره ووجدت ورما كبيرا جدا بارزا على صدره وهو زيتى كالسائل تحت يدك ويحدث بعض لزوجة على السطح ولا احمرار فيه، فيجب عليك أن تقول عنه إنه واحد عنده خراج بارز فى صدره، هو مرض سأعالجه بالكمادات الباردة على هذا الخراج الذى فى صدره». «فإذا كانت هناك مقاومة لهذه الكمادات الباردة، فتجنب هذه الأدوية حتى يخرج كل السائل الذى فى الخراج ذى الرأس، عالجه علاج الجرح علاجا موضعيا لإزالة الالتهاب من فم الجرح»، ويضمد بخليط من ورق السنط وورق جميز وعصير ورق وبراز ثور وخنيتا، ومن المؤكد أن هذه المكونات لها ما يماثلها فى العلاج الحديث بمركبات كيميائية، وكان الطبيب فى مثل هذه الحالات يؤكد على أهمية الغذاء.

فالغـذاء من العلاجـات الرئيسـية التى لجأ لها الطبيـب المصرى كثيرا خاصة فـى الأمراض الباطنية منعا لتدهور الصحة العامة للمريض.


صور لبعض أدوات الجراحة

وقدم الطبيب فى تفسيراته الملحقة ببعض الحالات مفهومه لشـرخ العظم فى الجمجمة، فهو فصل صدفة عن صدفة فى جمجمة المصاب، بينما الأجزاء لا تزال لاصقـة بلحم رأسـه ولا تخـرج، (أى فتـات العظام الناتجـة عن شـدة الصدمة التى أحدثـت الجرح)، واعتبرت هذه الحالة «إصابة سـأكافحها»، مما يلقى الضـوء على اجتهاد الطبيـب ودرايته فى المقام الأول بأبعـاد الحالة الماثلة أمامه ومـدى قدراته فى العلاج الذى كان دائم التطلع لتطويره.

وتـدرج الجـرَّاح فى تقييمـه للحالات من حالة سـوف أعالجها، تليها حالة سـأكافحها، ثـم الحالـة الأخيرة هو مرض لا يعـالج، مثل حالة مصاب بجرح تهشـمى فى عظام الجمجمة ذى كسـر تفتيتـى مضاعف، وتدخـل الطبيب فى هذه الحالة هو تهيئة المناخ المناسـب لراحة المصاب مع الاهتمام بغذائه، ويترك الجسـم لطبيعته إلى أن تتحسـن الحالة أو تسوء، اذ إن ربط الإصابة غير مستحب وغير مجد.

وأكـد الطبيـب على دقة الفحـص للحصول على التشـخيص الأمثل، فيبـدأ بجس الجرح، ثم ملاحظة حقائق الحالة، وهى حالة تهشـم جمجمة بكسـر تفتتـى مضاعف بالجمجمة وتمزق سـحايا المخ «ووجدت شـيئا ينبض ويرتجف تحت أصابعك مثل المكان الضعيف فى قبوة الرضيع قبل انسـداده، وإذا ما انسـد امتنع النبض والارتجاف تحت أصابعـك إلا إذا انفتحت جمجمته وانكشف مخه ونزف من طاقتى أنفه وتألم من تصلب عنقه، يجب أن تقول هذا مرض لا يعالج».

وهذه حالة تؤكد المعلومات التشـريحية لدى الجـراح، فوصفه لتفاصيل التغيرات التى حدثت للمصاب تظهر بوضوح المامه بالأجزاء المختلفة من جسـم الإنسان، فعندما يذكر «جرح فاغر واصل للعظم وثاقب لتداريز جمجمته»، فإنه يقدم من خلال الفقرة التفسيرية، أنها الجلد أو الغضروف، وينتقل الجراح فى فحصه ليلمس لزوجة الوجه من العرق المتصبب من المريض كدليل الضعف العام، ويتحسـس أوتار العنق ويتيقن من توترها، ثم يسترسـل: «ووجدت أسنانه وظهره ورائحة صندوق رأسه مثل بول الغنم، ووجدت فمه مقيدا وحاجبيه مسحوبتين ومحياه كمحيا من يبكى».

ووصــف الطبيب لانكماش الفكين كمادات ســاخنة حتى ينفتح الفم، تليها جبيرة خشــبية صغيرة مكسوة بالكتان تدخل في الفم، وتتم تغذيته بعصير الفاكهة مع الراحة التامة، والجبيرة غنية عن التعريف، فهى الأســاس فى بعض الأجهــزة المتطورة لتغذية المريض بالفم فى حالات تعذر هذا.

لقــد تابع الطبيب ألم ومعاناة المريض من خــلال محياه وتعبيرات وجهه وكل هذه الأعراض هى فى الواقع أعراض التيتانوس الذى أصاب المخ، وبالرغم من معرفة الطبيب أنها حالة ميئوس منهــا ومن الصعب علاجها، إلا أنــه اجتهد فى تخفيف ألم المصاب بأن يقلل من توتر عضلات الفك السفلى، ولم يحاول لمس الجرح.

ويلجأ الجراح لعدة طرق فى حالة الجروح الغائرة، فإما يخيط هذا الجرح وإما يضمده بأن يضم حافتيه بشــريحتين من الكتان على فتحة الجرح، ثم يدهن بالدهن والعســل والكتان يوميا حتى يشــفى، وإذا تضاعف الجرح وزاد التهابه وتتحلل الخياطــة وإفرازاته باردة مثل عصير أونش. والمريض يعانى من الحمى، يصبح التشخيص فى هذه الحالة أن المريض: «إنه واحد عنده جرح فاغر وهو ملتهب والمصاب محموم باستمرار بسببه، هو مرض سأكافحه».

وناقش الطبيب باستفاضة حالة جرح عفن ناخر فى الصدر وتشير البردية لأحد الكتب الطبية وهى كتاب الجرح، مما يؤكد أن هذه الكتب ذكرت باســتفاضة الحالات المختلفة وأن كل كتاب متخصص فى مجاله ومنظم فى سرد هذا العلاج، فيبدأ الطبيب بالقضاء على الالتهاب باستعمال ورق الصفصاف الذى يحتوى على حامض السليسليك، ثم قابض موضعى لجفاف الجرح مكون من أملاح تحتوى على النحاس والصوديوم، يليه اللبخات التى تحتوى إحدى عناصرها على ورق الجميز والحنظل.

والعلاج الموضعى لتجفيف الجرح هو مســحوق الشــبت مع الدهن أو ملح من الشمال مع دهن وعل وكانت تضاف الدهون لمكونات الدواء للحصول على مراهم ســهلة الاســتعمال فوق الجرح، ويحتفظ الطبيب المصرى بالسبق فى هذا المجال أيضا.

ومن علاجات المصرى القديم التى مازالت معروفة للآن هى ضرورة إفراغ محتوى الالتهابات. فتذكــر بردية إيبرز: «... تعليمات لإخراج الصديد،...مرض يعالج بالســكين، فإذا بقى شــىء داخل الجيب، عاد الخراج مرة أخرى».

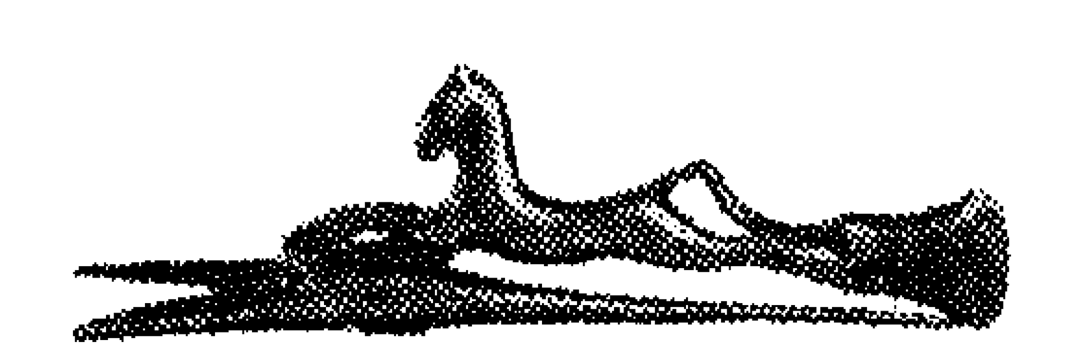
وهذه حالة إصابة يرقية طفيلية تحت الجلد بأى عضو بالإنســان: «إذا فحصت ورما عاوت أى يرقــات طبقا لدكتور حســن كمال، بأى عضو بإنســان فضمــده، وإذا وجدته يذهب ويجىء مخترقا اللحم أسفله، فقل إن اليرقات دخلته، اعمل له العملية، شقه بمشرط دس، اقبض عليه بالجفت وأمسك على ما بداخله بالملقاط، ثم أزله بمشرط دس، فستجد فيه ما يحوى مادة تشبه مخ الفأر، أزل ذلك بمشــرط شاس، دون أن تستأصل الكيس الذى يحوطه والذى يلاصق اللحم،

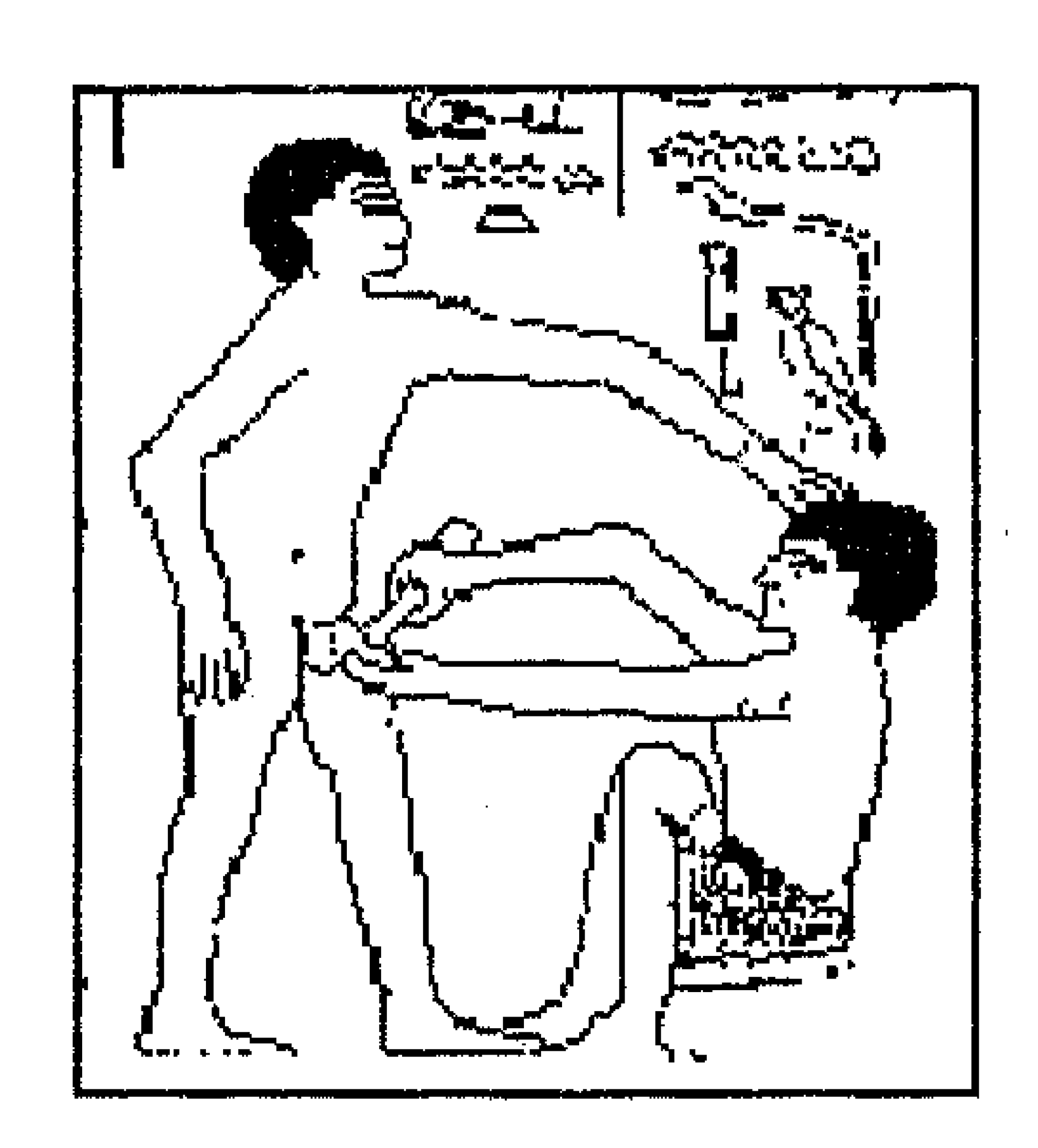
امســك ما يشـبه الرأس بواســطة حنويت من أى ظرت»
إنه وصف دقيق للعملية وللخطوات المتبعة.

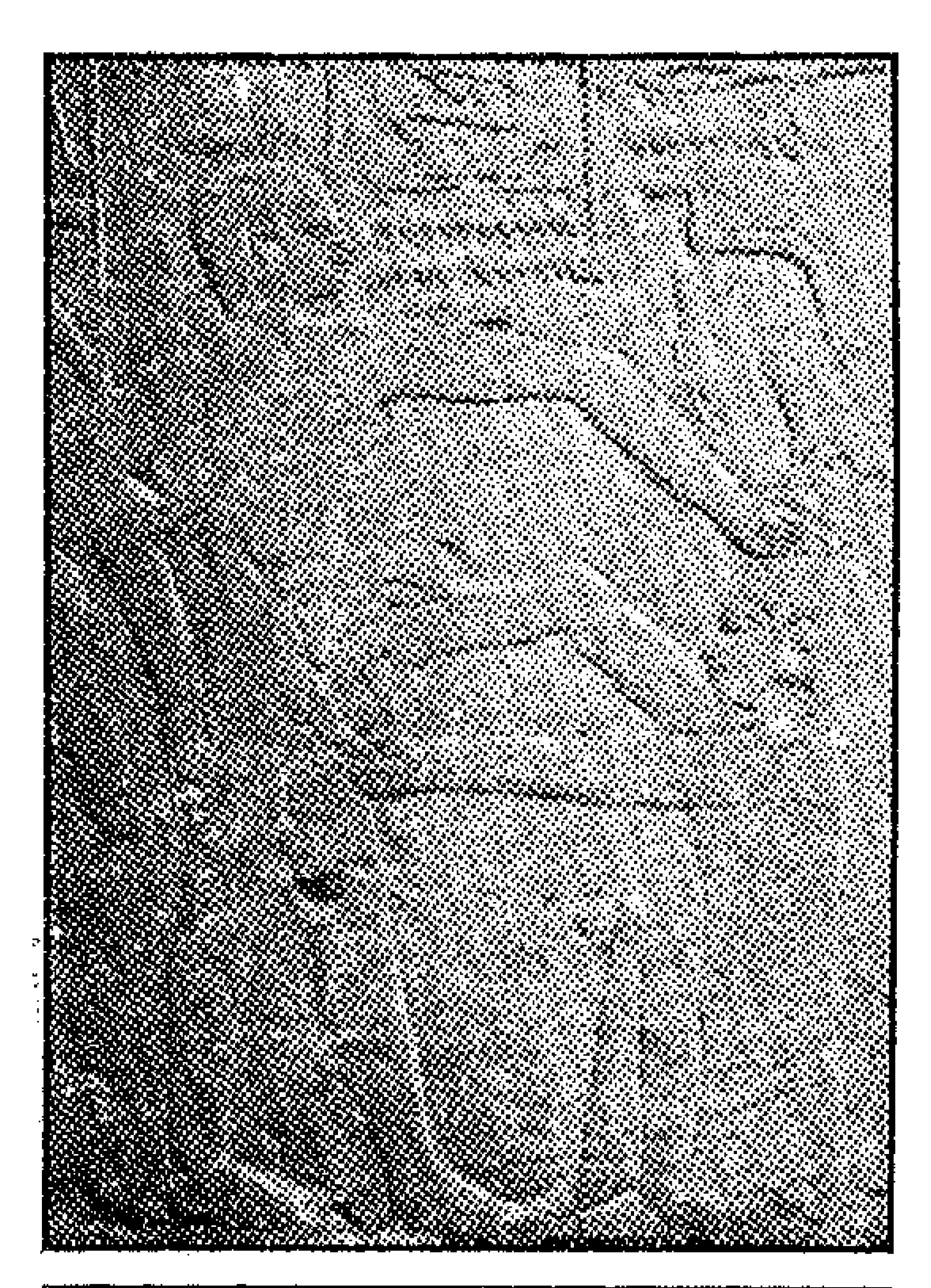
والكدمة النازة haematoma، «إذا فحصت نزا من وعــاء بأى عضــو، ووجدته أحمر ضاربــا للزرقة ومحدبا hemispherical، نتيجــة ضربة عصــا أو أية ضربة، فبعد عمل ٧ عقدات...اعمل له العملية بغاب سوت الذى يســتعمل فى العمليات، فإذا نزف كثيرا، اكوه بالنار ثم عالجه علاج سحمم».

ولم يتعامــل الطبيب جراحيا مــع كل التقيحات ولكن حالة الغدة المتضخمة الصفراوية التى شخصها د. حسن كمال على أنها ناسور بعد خراج fistula after abscess.

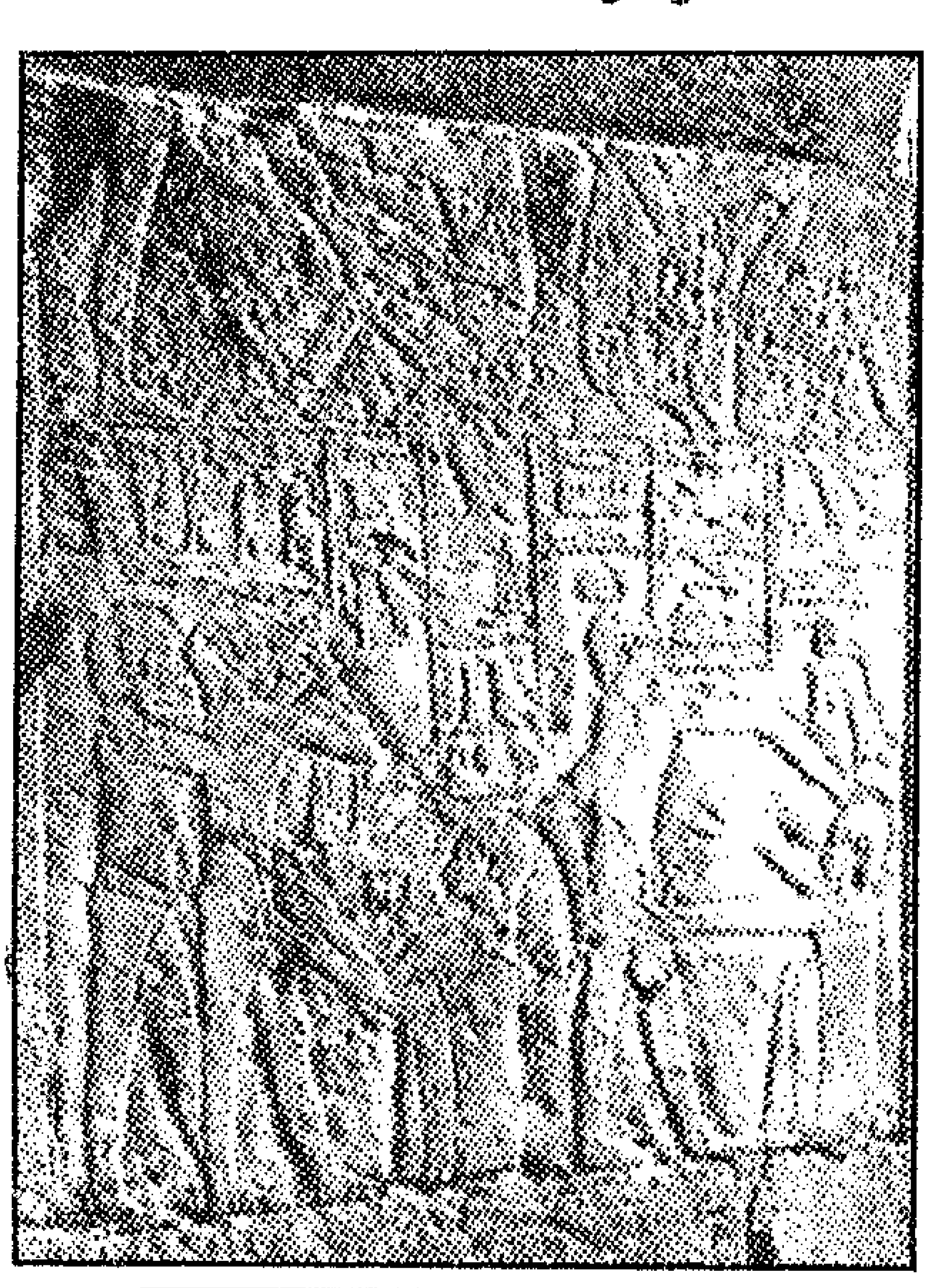
«إذا فحصــت غــدة متضخمة صفراويــة دامت أياما عديــدة ظهر فيها إيمو الذى كون داخلها ســائلا وجلدا متقيحا أكثره ســاخن، فقل: إنه مصــاب بغدة متقيحة صفراوية كونت بداخلها ناسورا ظهر فيه إيمو وهو ساخن نتيجة لذلك، هو مرض أعالجه».







عملية الطهارة كما وردت على جدران مقبرة عنخ ماحور ويظهر السـكين المسـتعمل وفى منظر آخر الرباط الذى يحيط بالعضو للتعقيم بعـد عملية القطـع. ولم يكن عنـخ ما حور طبيبا بالرغم من المناظر الطبية التى نقشـت على أعتاب مدخل المسـطبة بسـقارة وتظهر الصعوبة التى يلاقيها الشـخص الواضح من إمســاك اليـدين على يـسار المـنـظر.



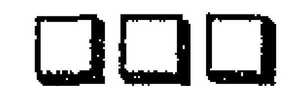
جدران مقبرة عنخ ما حور

ويتلخص العلاج فى مسحوق من كمون، وزيت ظرت، وحنظل، وعصير السنط، ولسان البحر، وهباب من نحاس لاخراج الإيمو.

واعتبرت عملية طهارة الشباب من الذكور جزءا من التطهر، وكانت تمارس على يدى طبيب جراح باستعمال سكين خاص ودهان العضو بمراهم معدة خصيصا لهذا الغرض لتطهير المنطقة قبل القطع، ودهانها بالمراهم اللازمة بعد القطع.

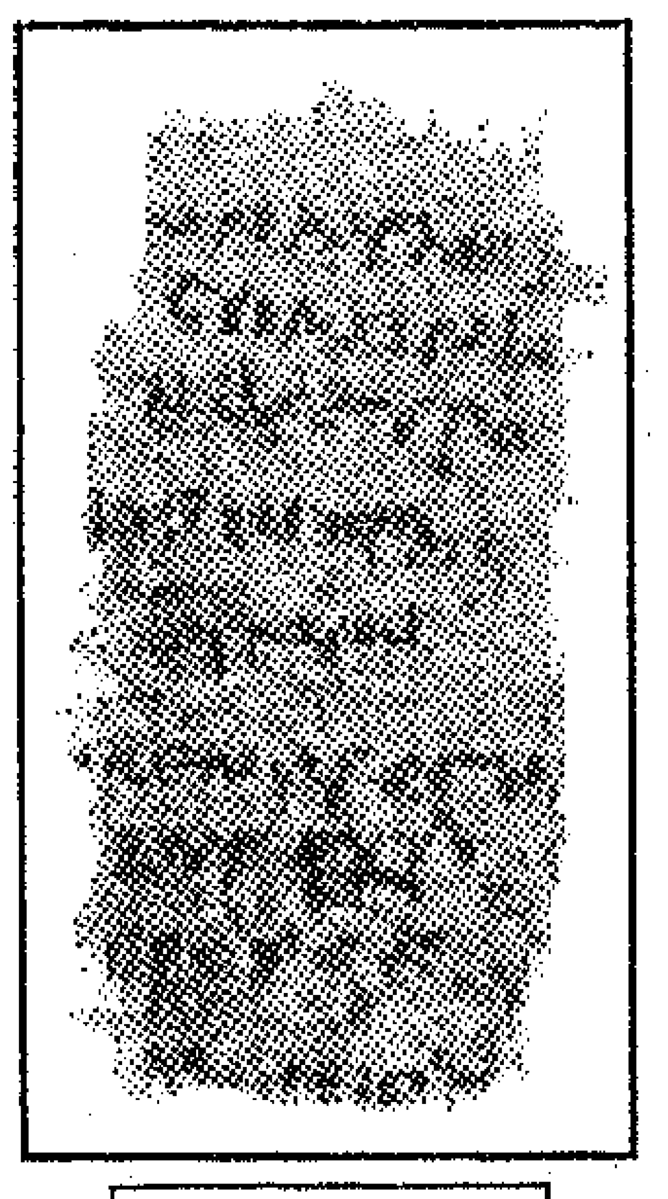
وهناك علاج: «للغلفة المقطوعة والتى يخرج الدم من مكانها: حنظل، عسل، لسان البحر، وهو حيوان يقال له أم الحبر، جميز، فاكهة ظايس، يمزج معا ويضمد الجرح» بردية إيبرز.

لقد طرق الممارس معظم مجالات الجراحة وتفوق فى علاجاته المتدرجة طبقا لتطور الحالات، وكانت العلاجات تتضمن بخلاف الجراحة والأدوية، العلاج الغذائى أيضا، فقد عرف الطبيب المصرى فوائد الأغذية المتنوعة ومدى فعالياتها فى بعض الحالات.



الفصل السادس

الأمراض الباطنية



تذكرة طبية

والمعرفة بالتشـــريح من المهام الأولى للطبيب، فمعرفته بأعضاء الجسم البشـــرى المختلفة ســـهلت عليه عملية تشـــخيص المرض وإعداد الدواء اللازم له.

وقد أطلق المصرى مسمى ايس على الأحشاء، والفم حنجج، ورا أب للمعدة التى عالج العديد من الحالات التى تصيبها: «إذا فحصت إنسانا مريضا بفم معدته وكل أعضائه ثقيلة من دخول الضعف، فضع يدك على فـــم معدته، فإذا وجدتـــه يطبل ويروح ويجىء تحت أصابعك، فقل عن الحالـــة إنهـــا تلبك معدى منعـــه من تعاطى الطعـــام، وعندئذ امنعه من تعاطى الطعام».

ويدل لفظ وضع اليد على فم المعدة على أن الطبيب على دراية تامة بمكان المعدة وأن وضع اليد مازال الأسلوب الأمثل للكشف على المعدة.

وقد لخص الطبيب أعراض عســـر الهضم فى بردية إيبرز فى الإمســـاك، وتمدد المعدة نتيجة لانتفاخها والقرقرة والضعف العام. ومن المواد الطبيعية التى تسهل على المريض استرجاع شهيته خليطا من التين والعرعر والكمون والنبيذ والعسل والمن والبوظة.

كما تذكر إحدى البرديات كيفية التعرف إلى داء آخر للمعدة وعلاجه أيضا: «إذا كان شخص ما يعانى من الإمساك ووجهه شاحب وضربات القلب متلاحقة، وبفحصه تجد أن حرارته مرتفعة ولديـــه إنتفاخ، فهذه أعـــراض قرحة ناتجة عن أكل طعام حريف. قم بتحضير الدواء بعد تفريغ المعدة، ويتناول المريض الدواء لمدة أربعة أيام».

ومن أعراض النزلة المعدية ثقل الجسم وألم فى فم المعدة نتيجة لمعدة ملتهبة وتأخر فى عملية الهضم، فيشـــعر المريض بثقل ملابسه بالرغم من إحساســـه بالبرد، ويشعر المريض بالظمأ بالليل وبطعم فى فمه كمن أكل جميزا ويشعر بالتعب ويثقل شرجه عند التبرز. وصف الطبيب خليطا من الخروب والحنظل والعرعر والعسل واللبن والليمون والعنب والتين لتحسين مثل هذه الحالة.

وانتقــل الطبيــب من خلال فحصه للمعدة مــن التلبك المعوى إلى القرحة، ثم إلى تشــخيص مرض كبدى: «إذا فحصت مصابا بسدة فى فم المعدة وكان متضايقا ولا يتناول طعاما وكان بطنه ضعيفــا وهو تعس كالمصاب بحرقة فى دبره، فافحصه راقدا على ظهره، فإذا وجدت بطنه دافئا وفم معدته يقاومك، فقل: إنه مصاب بكبده».

ربط الطبيب بين كل من المعدة والكبد وتابع الحالة بعد وصف العلاج اللازم، ثم تحسس جانبى البطن «فإن وجدت بعد ذلك جانب بطنه الأيمن دافئا والأيسر باردا، فقل: إن المرض بدأ يختفى».

ولم تقتصر توصية الطبيب عند هذا الحد، بل تابع مريضه: «افحصه بعد ذلك، فإن وجدت كل بطنه قد برد فقل أن الكبد قد أفرغ وأن العلاج نجح».

يعكــس هــذا الجدية والدقة والقدرة على التشــخيص مــع ربط الأعــراض بالأعضاء: المعدة والكبــد والأمعاء، فقد عرف الطبيب العلاقة بين الكبد ومرض الصفراء ووصف الأدوية العشــبية اللازمة للعلاج التى تتلخص فى العنب والجميز وراتنج التربنتينة والصنوبر والمغرة الصفراء والنبيذ والنبق وورق اللوتس.

وقد ذكر الطبيب المصرى حالات تدهور كبدى متقدم يعانى أصحابها من الاستســقاء الشــديد بالبطن وهو امتلاء البطن بالســائل البريتونى كنتيجة لتليف الكبد ونقص الألبومين بالدم وارتفاع ضغط الوريد البابلى وعوامل أخرى طبقا للطب الحديث.

وقــد عــالج الطبيب أمراض البطن بالطعــام مثل هذه الوصفة: تــين وزبيب وصنوبر يحمص ثم يرطب فى زيت اهليلج طازج، يمزج معا ويأكله المريض مع شرب أى سائل.

أمــا حالــة الالتهاب المصحوب بمغص وتوتــر فى البطن فيحددها الطبيــب المعلم: «إن كان الالتهــاب فى بطنــه لم يخرج وليس هناك طريق لخروجه، فإن الالتهاب ســيتعفن فى بطنه»، ووضــع الطبيب احتمالين، إما أن يتحول الالتهاب إلى التواء أو إلى أون مت، وعندئذ ســيتبرزه المريض ويشفى، وفى حالة عدم خروج الالتهاب، ينصح الطبيب بإفراغ الأمعاء فورا، وكان يلجأ الطبيب فى هذه الحالة إلى الحقنة الشــرجية لإفراغ الأمعاء أو شــراب مسهل مثل زيت الخروع يؤدى نفس الغرض.

وهناك علاج لفتح الأمعاء يتكون من فاكهة الجميز التى تغلى مع اللبن وتحلى بالعسل ثم تصفى وتشرب على مدى أربعة أيام، كما أن العسل والحنظل كلبوس فى الشرج يؤدى نفس الغرض.

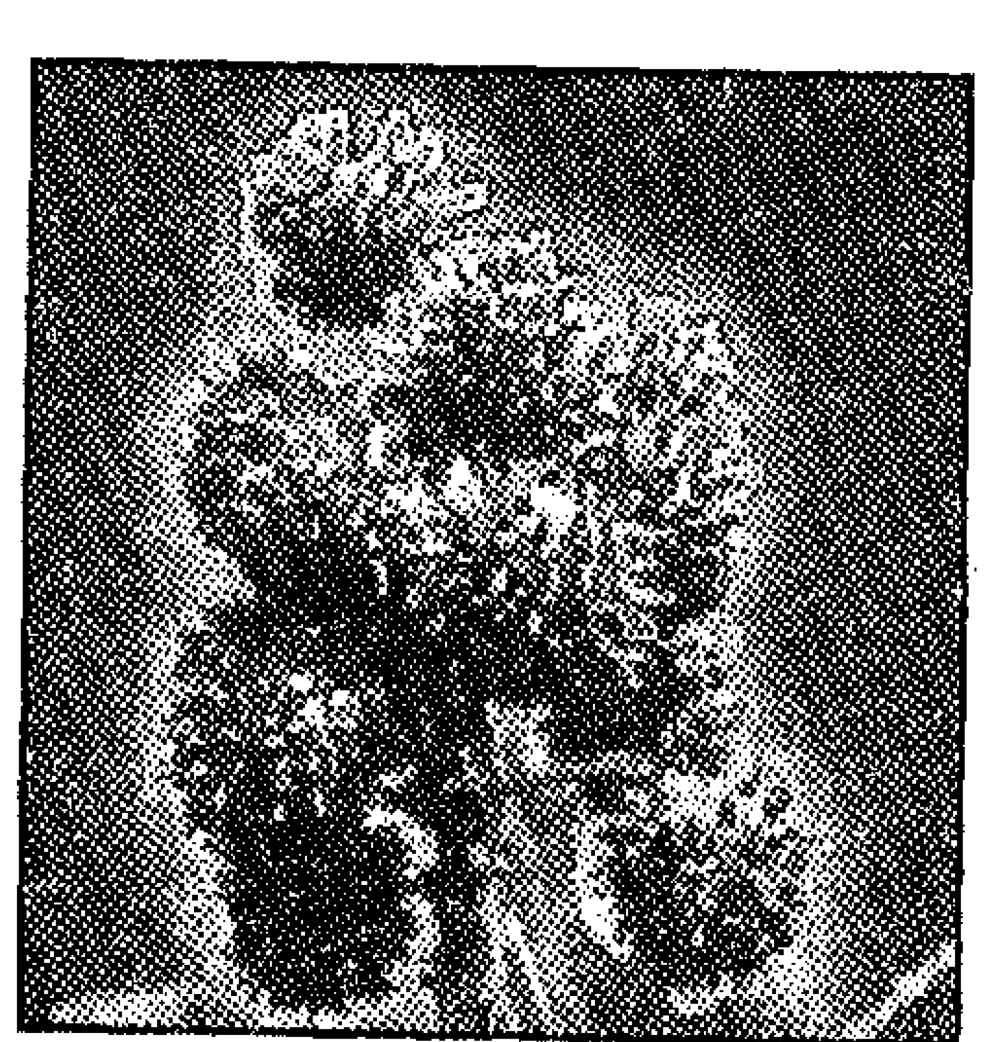
ومن المسهلات مواد طبيعية متعددة استعملها الطبيب المصرى مثل السنامكة ونبيذ البلح والحنظل والعسل والكمون والجميز والخروع والكزبرة والزعتر والصنوبر وحب العزيز وفاكهة العرعر... إلخ

وهذه وصفة لمسهل فعال تحضر من مزيج مغلى من الحنظل والسنامكى والبيرة العذبة وتشرب بعد أن يصفى الخليط، فيخرج الإنسان طبيعيا محتوى بطنه.

وتتلخص مهمة الطبيب الأولى فى مثل هذه الحالات فى تنظيف الجوف والقضاء على المواد المسببة للمرض بطردها من الجسم، وهذا ما تؤديه المضادات الحيوية اليوم، وقد أوصى الطب الحديث للحالات الكبدية المتدهورة بالتحديد مسهلات لتنظيف الجوف وعمل حقن شرجية بانتظام مع مراقبة لون البراز لأن البراز أسود اللون اللزج هو انعكاس لوجود نزيف من المرىء والمعدة، وهذا ما لمسه الطبيب المصرى من خلال هذه الحالة: «عندئذ يخرج من فمه ومن دبره ما يشبه دم الخنزير المشوى»، أى الدم المكتوم بالمفهوم الحالى.

والاستسقاء ناتج عن مرض كبدى وصف له الطبيب هذا المستحضر: «حنظل أو ظرت يصحن مع عسل ويشرب مع بيرة».

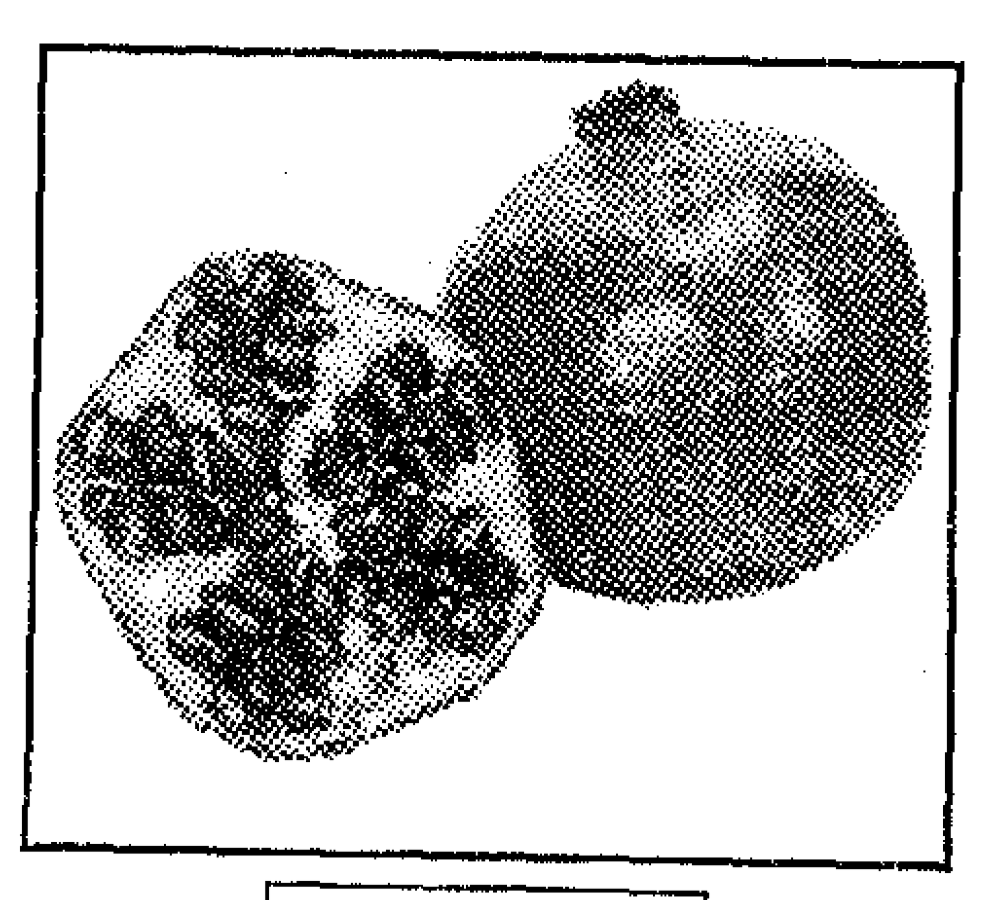
وحدد الطبيب مكان الطحال فى البطن وعرف أنه لا يجس: «إذا فحصت مصابا بصلابة فى جانبه الأيسر تحت خاصرته ولا يتعدى إلى الجانب الآخر من بطنه فقل: إن المرض أحدث ما يشبه الشاطىء وكون ما يشبه كعكة..».، ومن المعروف حديثا أن أمراض الأحشاء الهشة تعرف بالعين المجردة.



نبات الخروع، وكان الطبيب يضيف التيت والبلح لزيت الخروع لاستعماله كمسهل فى الحالات التى تقتضى تنظيف جوف المريض واستبعاد مخلفات الطعام المتعفنة، واستعمل المصرى الورق والزهرة والزيت كملين ومدر للبول ومزيل للارتشاح.

أما مصحون الملاكايت مع عجينة الخبز، فيشكل على هيئة كور صغيرة يبتلعها المريض مع البيرة، وأعتقد أن هذا التصرف هو اللبنة الأولى لصناعة أقراص الدواء، كذلك حبوب الخروع التى يبتلعها المريض مع البيرة، طبقا لرأى د. حسن كمال.

وتؤكد هذه الوصفة لخلط الكمون مع نبات وام تعمل حبة واحدة يبلعها المريض وأوردت بردية هيرست وصفة دوائية للإسهال تتلخص فى عمل ٧حبات من الريانا الممزوج بسائل نباتى لزج تغمس فى العسل ويبلعها المريض وقد وصف الطبيب المسهلات لتخليص البطن من الصديد على حد قوله كما وصف لحالات الدوسنتاريا والإسهال جذر الرمان حيث أنه نبات شجيرى ثماره قابضة تحتوى على مادة الكينين، أما قشر الرمان، فهو طارد للديدان وقد لجأ اليه المصرى فى حالات الإصابة بثعبان البطن والدودة الشريطية.



حب الرمان

ولم يغفل الطبيب الشرج، فوصف لعلاجه خليطا من دقيق الحنظل الطازج وملح النطرون وملح بحرى وملح شرقى يعجن بالعسل، ثم يدهن الشرج لمدة أربعة أيام.

ولسـقوط المسـتقيم دقيق الفول واللبلاب وملح بحرى ودهن أوز مع حثالة العسـل والشعير، يعجن الخليط ويوضع كلبوس فى الشرج مدة ٤ أيام.

وأوصى الطبيب لإبعاد التهابات المثانة والشرج بحقن الشرج بالزيت والعسل واللبن، وكانت هذه الالتهابات ناتجة عن مرض البلهارسيا لدى الفلاح المصرى القديم. وقد عالج الطبيب باقتدار أمراض البواسير والنواسير والتشقق التى تصيب الشرج أو تتسبب فى حدوث عرض بالمثانة أو منطقة البطن أو الفـم أو الفخذين، كما وردت درايته التامة بالصلة بين القلب والشـرج وبين هذا الأخير وانتفاخ الأمعاء، وأكد الطبيب فى بردية برلين: «إذا بلغ المرض منطقة الشـرج، فإن ذلك يعنى أن أوعية الشـرج بدأت تمـوت». ومن المعروف أن منطقة الشـرج كان لها المتخصـص لمعالجة كل ما يتصل بهـذه المنطقـة، وقد حرص المصرى كنوع من الوقاية من الأمراض أن ينظف جوفه عن طريق الحقنة الشرجية بصفة مستمرة كى يمنع الالتهابات والتقيحات من الحدوث داخل الأمعاء أو المعدة.

وذكر مرض البلهارسيا الذى كان متفشيا فى مصر القديمة، وتمكن الطبيب من اكتشاف دودة البلهارسـيا فـى الأوردة الباطنية حرو، وربط بينها وبين البـول الدموى وهو أحد أعراض المرض «لعـلاج المريـض الذى يحوى بوله دما كثـيرا»، وصف الطبيب العرعر والخلة لتوسـيع مجرى البول وتأكد أن سـرعة دقات القلب وتلبك المعدة تشـير لهذا المرض الذى أطلق عليه كلمة عاع، ولم يسـتدل على عقار يقتل الديدان المسـببة للمرض والتى تسـتوطن الكبد، ويؤدى هذا المرض للضعف العام والوهن نتيجة للنزف.

وانحصر العلاج فى مدرات البول وتوسـيع مجارى البول وملطف، واعتبر الطبيب المصرى أول من لجأ للأنتيمون أو كبريتيد الأنتيمون المصنع منه الكحل لمرضى البلهارسيا حوالى ١٣٥٥ ق. م.

وكان الطبيب المصرى يؤمن بنظرية ما أسماه أوخدو وتعنى التسمم الدموى الصديدى الذى يمر خلال ٢٢ وعاءً «وكلها تتجه لقلبه وتتفرق فى أنفه وتجتمع فى دبره. فإذا مرض دبره بسببها وكان السائل يتجه لوعاء القدمين نحو الموت فافعل له أدوية العلاج الذى وصفه الحكيم نتر حوتب».

فقد عرف الطبيب أن الأرجل هى الجزء الذى يبدأ بالموت.

وقد حدد الطبيب فى بردية إيبرز ماهية الكشـف الطبى وهو فن يقتضى معرفة حركة القلب لوجود أوعية تخرج منه لكل عضو، أما بخصوصها فإن أى طبيب باطنى وأى كاهن سخمت وأى ساحر يضع يديه أو أصابعه على الرأس أو على مؤخرة الرأس أو على اليدين أو على مكان المعدة أو على الذراعين أو على القدمين، فإنه بذلك يفحص القلب لأن كل أعضائه تحوى أوعيته».

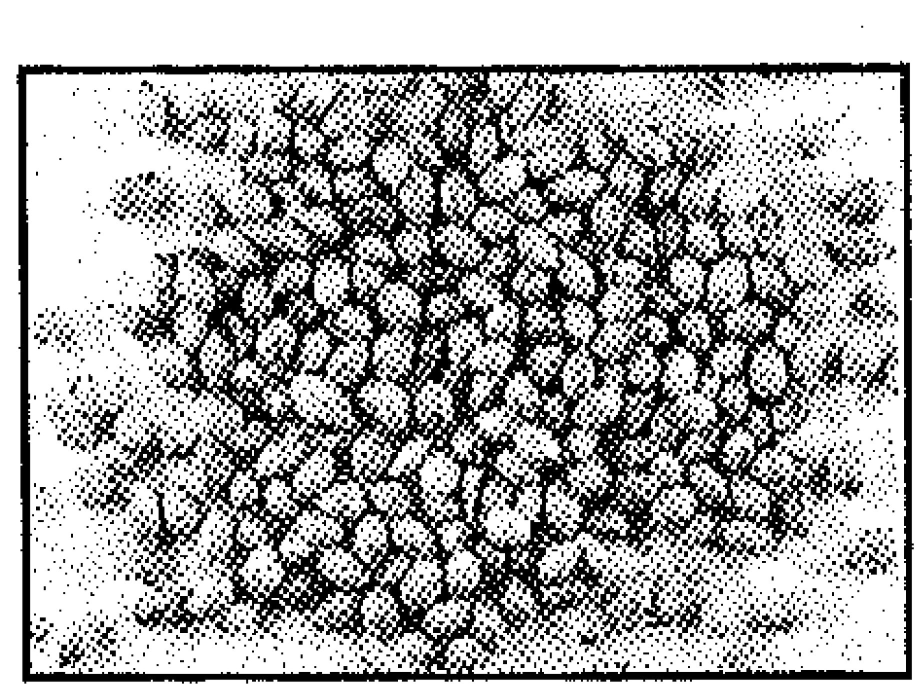
وتحدد البردية أن المعدة تمتلىء من لعاب الفم فتضعف كل أعضاء الجسم».

وعرف الغثيان كنتيجة لضعف القلب من حرارة الشرج، فإذا وجدت ذلك شديدا، فإن هناك شـيئا يـدور فى معدته كما يحدث فى العين». ومن المرجـح أن الطبيب يصف حالة نزلة معوية وأعراضهـا الدوار والحمى والغثيان والتهاب الشـرج ولإزالة الأوخدو، وهى المادة المسـببة للألم

خليــط من نباتات تمزج مع الفواكه، والحنظل، والجميز، والكندر، يتعاطاها المريض على مدى أربعة أيام. أما إذا سبب الأوخدو ألم الضرس فيصحن ورق الصفصاف، وورق نبات شمس مجفف ويبلل بالبيرة العذبة ثم يبخر به المريض، وقد أثبت العلم الحديث أن البخور يعقم الجو فيتسبب فى قتل الميكروبات. وللقضاء على الحمى يعطى المريض دواء مكونا من جذر الفاشرا، والصنوبر، والبيرة، فيساعده على التقيؤ، فتهدأ حرارة الجسم.

ولجأ الطبيب لطرد الحمى إلى أحد العلاجات التى مازالت مؤثرة، فقد أوصى بمزج مسحوق البلح والحنظل والعجينة السائلة، وهى مكون غنى بالفيتامينات لوجود عنصر الخميرة بداخله التى تحضر حاليا على شكل أقراص ويتعاطاها المريض لتعقيم الجوف وإمداد الجسم بالفيتامينات.

وعــالج الطبيب حالات انتفاخ البطن، والقضاء على الطفيليات، والإســهال، والغثيان، كما حدد أعراض النزلة المعدية بثقل البطن وألم داخل المعدة وقلبه ساخن ومؤلم وملابسه ثقيلة عليه لا تدفئه ملابســه الكثــيرة، وعالج الطبيب هذه الحالة بمزج الطعام المكــون من البليلة الطازجة والبلح والعرعر والعسل وصحنه ناعما فيتناوله المريض.


حــبات الكسبرة الــتى استعملها المصرى لمنع الانتفاخ عن البطن ولمساعدة عمليــة الهضــم وعرفــت الكسبرة بمفعولها على الجهاز البولى.

والعلاج بالغذاء متنوع، فيمكن للمريض أيضا فى هذه الحالة تناول خليط من تين، وعنب، وفاكهة الوعر والسكران، والزعتر، والجميز، والكندر، والبرسيم، والكرفس الجبلى، وخبز صابح، ولحم سمين مع دهن وز، يصحن ويصفى ويأكله المريض.

تحتوى معظم هــذه الوصفات على العديد من الفيتامينات الطبيعيــة التى تهدف إلى تقوية جهاز مناعة الجســم لمقاومة المــرض طبيعيا، يســاعد الطبيب المريض بالدواء وبالمســاندة المعنويــة اللازمة أيضا وبالغذاء. ولكن تتلى الرقية المذكورة فى البرديــة على مكونات الدواء عند تحضيره: «يا حيوان، بتو، يا حيوان، بتت وتكرر عكســيا، يا عظن، يا عظنيت، وتكرر عكســيا، ثم يتناول المريض الدواء لمدة أربعة أيام بعد تعريضه للندى طوال الليل. هنا امتزجت العقيدة مع العلم.

ووصــف الطبيب الملكايــت لطرد ثعبان البطــن، وهى مادة خام مكونــة لكربونات النحاس القاعدى الأخضر الناتج عن تأكســد وتحلل كبريتيد النحــاس، وهى أغنى الخامات بالنحاس، وقــد أوصى الطبيــب بصحنها ناعما وإضافتهــا لعجين الخبز أى الخمــيرة، وتكور إلى حبوب يبتلعها المريض مع البيرة العذبة.

ولحالات الإمساك حقن الشرج بالعديد من المواد الطبيعية مثل العسل وزيت الاهليلج يضاف لهما الملح البحرى، أو دقيق الفول المنخول بخرقة مضافا له الماء الساخن ويحقن فى دبره، أما من يتألم من بوله، فيحقن دبره على مدى أربعة أيام بمزيج من زيت الهجليج وملح بحرى مع سائل نباتى لزج.

وتحتوى بردية هيرست على العديد من الوصفات لعلاج الأمراض الباطنية منها الإسهال والشرج والفم، ووصفات ضد لدغات الحشرات ومكافحة القمل، حتى رائحة العرق خلال فصل الصيف ذكرت الوصفات التى تزيلها وأصبح المصرى أول من استعمل مزيل العرق فى الصيف المكون من خليط من شبة وكندر وصنوبر وراتنج المر.

ومعظم الوصفات العلاجية للطبيب المصرى أثبتت فاعليتها لعلاج الحالات الموصوفة لها وهى فى مجملها عقاقير خالية من السموم.

ووردت فى بردية هيرست أقدم اشارة لاستعمال الفطريات ضد الميكروبات الحيوية، فقد لجأ الطبيب لإزالة الهبرية Scurf إلى دهان الرأس بمزيج من مسحوق الشعير والقمح والدهن الطرى، ثم توضع الحنة على الرأس التى تدهن فى اليوم التالى بزيت السمك، وشحم الثور فى اليوم الثالث، ثم بلبلاب القمح يوميا.

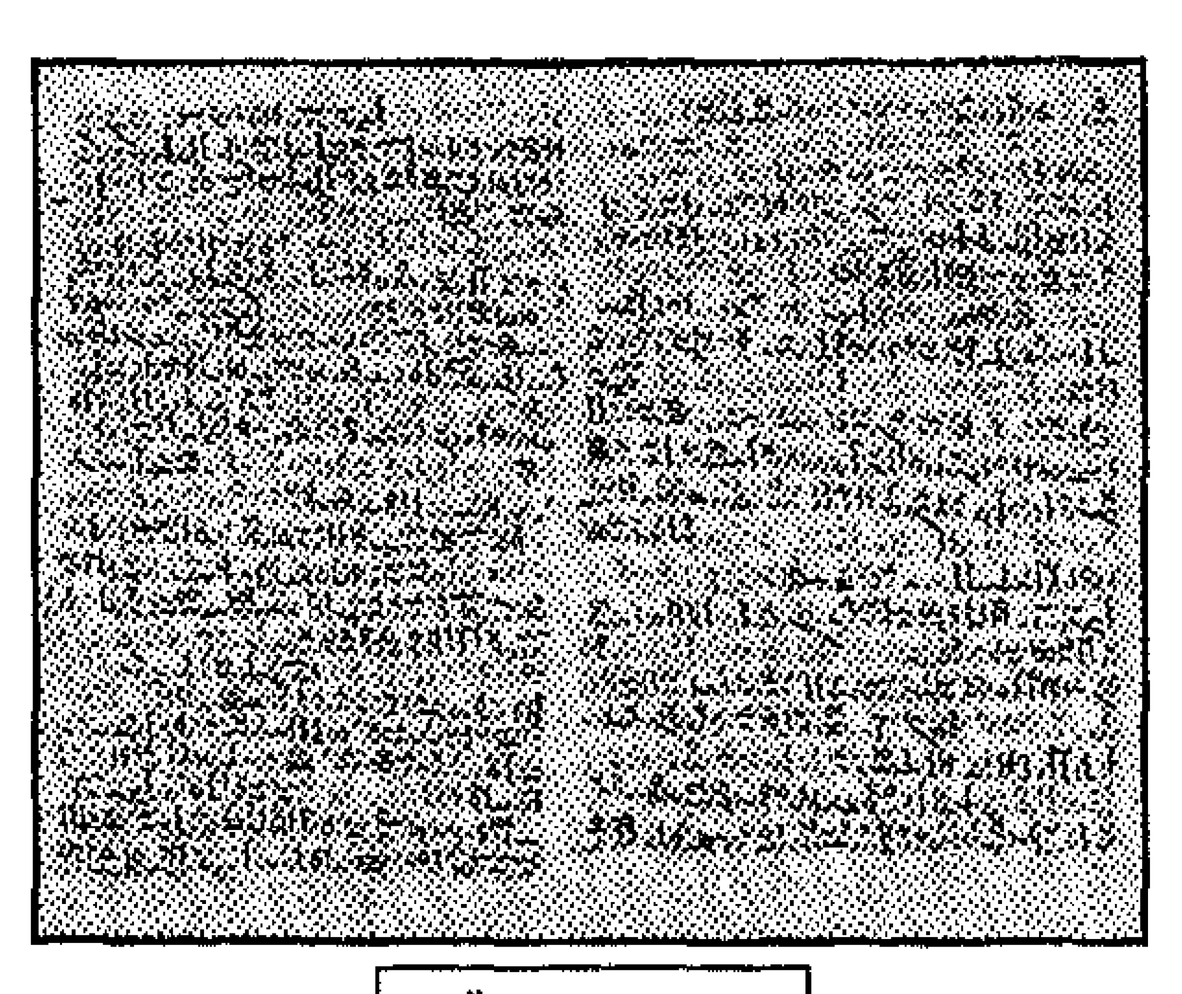
وابتدع الطب المصرى القديم الدهانات والمراهم لعلاج بعض الحالات منها الحمرة، وقدم من خلال البرديات العديد من الوصفات التحضيرية لدهانات تستعمل لمدة تتراوح بين سبعة وعشرة أيام، ومعظمها مزيج من نباتات وزيوت منها عصير السنط، وهى مادة قابضة وملح النطرون وهو مادة معقمة، وعسل وهى مادة مجففة، وزيت وهى مادة ملينة، كما وصف مزيج من المواد الطبيعية يدهن به الجسم للقضاء على الحمى، ومجموعة أكاسيد الحديد للقضاء على الالتهاب، ولكن فى حالة ما استعصى الالتهاب ومازال مستمرا، تتلى الرقية التالية وهى اعلان المريض لنفسه عن رغبته فى الشفاء: «إن الالتهاب سوف يخرج كما خرج...عن ذراعى، كما أدوس بالقدم مدينة أبو صير وكما أقلب مدينة مندس، سأصعد للسماء وأرى ماذا يجرى هناك لأنه لم يعمل شيئا فى مدينة العرابة المدفونة لطرد المرض الذى سببه معبود أو معبودة أو كل أنواع الالتهاب أو رجل ميت أو امرأة ميتة، لطرد الإصابات وكل السوء من جسمى هذا وفى لحمى هذا وفى أعضائى هذه... إذا طردت هذه نفسها فإننى لن أتلو هذه الرقية ولا أعيد تلاوتها. ابصق وتقيأ ومت إذا ما هممت». تتلى هذه الرقية أربع مرات ويبصق على الجزء المريض.

وهنا إشارة إلى أن الجسم أحيانا يتغلب على المرض تلقائيا بفضل إرادة المريض.

ووصف الطبيب بخلاف الدهانات، اللبوس لعلاج الغازات المعوية وحرقة الشرج، فيمزج الملح والعسل بالبطيخ ويدخل اللبوس فى فتحة الشرج.

وتتغير المواد المستعملة فى حالة وجود خراج بالشرج، فيتكون اللبوس من تين وملح بحرى وكندر ونخاع شوكى من الثور، كما أعد الطبيب مزيجا من العسل والملح يشرب لعلاج البطن.

واعتقد الطبيب فى وجود وعاءين فى الشرج فى الضفيرة الوردية الظاهرة إلى ثديه، شرتيو، هى التى تحدث الالتهاب فى الشرج، وتمده بالحرارة، لذا أوصى بلبن صابح مع جزء من الجميز وجزء من الخروع، تصحن المكونات وتصفى ويتناولها المريض لمدة أربعة أيام.



تذكرة طبية

«هنـاك وعـاءان لفخذه، فـإذا مـرض بفخذه أو بقدميه، فقل بخصوصه: إن ذلك نجم من وعاء شرتيو أو الضفـيرة الوردية الظاهرة بأعلى فخذه، ويحضر له سائل لزج، نبات سـعم، نطرون، تغلى معا ويشربها المريض مدة أربعة أيام». بردية برلين.

«إذا ضعـف فخذا المريـض وضعفت ذراعاه فتكون أوعية فخذيه أصابها مرض» وشرتيو، هو حاليا التفرع الوريدى الظاهر أعلى الفخذ.

ولعلاج فم المعدة، را – اب، والتلبك المعوى، الامتناع عن الطعام ومتابعة الحالة: «افحصه وهو نائم منبسط على ظهره» ولكن «إذا وجدت بطنه دافئة ووجدت فم معدته يقاومك، فقل له أنها حالة كبديـة» وعلاجـه البلح لمدة أربعة أيام مع العلاج العشـبى الذى يحضره الطبيب «فإذا فعلت هذا ثم وجدت جانبى بطنه الأيمن دفيئا والأيسـر باردا فقل إن هذا هو مرض مخت وأنه يصغر أى يشـفى» ويوصـى الطبيـب المعلم بتكرار الفحص: «فـإن وجدت كل بطنه باردة، فقـل أن كبده انفتح، وأن الموجود الآن هو نزاز، حينئذ يكون قد أخذ الدواء».

ووصف الطبيب البلح مدعوكا فى البيرة لاستعادة الشهية للطعام مرة أخرى.

تولى الطبيب جسم الإنسان من قمة رأسه إلى إخمص قدمه وأوجد لكل علاجه ووضع بهذا اللبنة الأولى للعلم فى مجال الطب والأسس المهمة لعمل الطبيب ومتابعة المريض، ومدى المعرفة الواجب به على ممارس مهنة الطب الإلمام بها، فهو لا يكتفى بعلم التشريح الجسدى بل بالنفسى أيضا.

ويصف الطبيب المعلم فى برديته حالة قد تكون ذبحة صدرية، فهو يصفها: «إذا فحصت إنسانا مصابا بمرض فى فم معدته، ولديه آلام فى ذراعه وفى صدره، وفى جانب من منطقة فم معدته، يقال له مرض واز، فقل: إن هذه حالة نتيجة دخول شـىء فى فمه وأنه مهدد بالموت. صف له أعشـابا علاجية منبهة: فاكهة تحوى، بسلة، زعتر، حب خردل أحمر، يغلى فى زيت ويشربه المريض».

«بعـد ذلك ضع يدك مبسـوطة عليه حتى تشـفى ذراعه وتزول عنـه الآلام، عند ذلك قل: إن المرض قد تسرب إلى الشرج والمستقيم. ولا أكرر الدواء مطلقا».

وفحص وتشـخيص البرد الذى يصيب المخ كالآتى: «إذا فحصت شـخصا مصابا بمرض فى فـم معدتـه ويفرز إفرازا غزيـرا وهو مركز فى محيـاه، فعيناه واهنتان وأنفه يسـيل منه إفراز، فقل: إنه مصاب بتعفن بلغمه الذى يسقط إلى عجزه فحضر له: كعكة مصنوعة من القمح، ملء إناء من بصل يضاف لسـعم يعمل بالبيرة ولحم بقرى سمين، يأكله المريض ويشرب البيرة إلى أن تنتفتح عيناه وتزول النزلة التى تتركه بشكل بلغم».

والدهون التى يصفها الطبيب المصرى ذات أهمية قصوى إذ إنها مصدر مهم للطاقة، فهى غنية بالسعرات الحرارية اللازمة للجسم مثل حالة المريض المذكورة أعلاه، فهى تسهم فى بناء الأغشية ونوايا خلايا الجسم، كما أثبت من خلال العلم الحديث، وتفيد فى عزل الأعصاب والأوعية الدموية وتكون غطاءً للجسم الموجود فى الأنسجة الشحمية تحت الجلد.

واللحم السمين بصفة عامة يعطى إحساسا بالشبع، فلا يفرط المريض فى الطعام، كما أنه يمد الجسم بالفيتامينات الهامة أ، د، ك، و E التى لا تذوب إلا فى الدهون وتوجد الدهون فى اللبن الذى أوصى به الطبيب فى كثير من الحالات، كذلك الزيوت النباتية المختلفة.

وعالج الطبيب القشعريرة بدون أعراض موضعية بعد أن شخصها، وانتقل إلى وصف حالة قشعريرة «التى دامت ساعات كالتقيح الملتهم، وبالضعف كإنسان فى آخر نفسه.

«فقل: إن ذلك نتيجة احتباس تجمعات لا يمكن اخراجها ولا تخضع للعلاج البسيط، إن هذه التجمعات قد أحدثت دملا تعفن فيه الصديد، وأن المرض قد أصاب المريض فى الصميم، اعمل له الوسائل العلاجية لفتحه بواسطة الدواء» وتعتبر هذه الحالة بالمنظور الحديث حالة طاعون دملى مؤكدة، طبقا لرأى د.حسن كمال.

وورد ببردية إيبرز وصف لحالة من المحتمل أنها حالة درن بالعامود الفقرى: «إذا فحصت شخصا لمرضه بفم المعدة، ووجدت ظهره كالملدوغ من عقرب أو ما شابهه، فقل: إن التقيح أتلف ظهره، وأن هذه الحالة أعالجها بالأدوية للظهر».

ويوصى الطبيب المعلم الطبيب المعالج: «لازمه ولا تتركه» ثم صف له الدواء وضمادة من عصير السنط وجبس البناء وهو مكون من hydrated calcium sulphate ورمل وكربونات الجير وكربونات الماغنيزيا وأكسيد الحديد والألومنيوم، ويخلط المواد بالبيرة، ثم يغلى هذا الخليط ويضمد به الظهر وتدخل المعادن فى تكوين الخلايا المختلفة، كما تساعد أعضاء الجسم على القيام بوظائفها، من هنا واستنتاجا من تجاربه، أوصى الطبيب بالكثير من المعادن فى تحضير دوائه وفى علاجاته المتنوعة، فالكالسيوم والفوسفور ضروريان للعظام والأسنان، كذلك الحديد والنحاس لازمان للمادة الموجودة فى كرات الدم الحمراء التى تنقل الأوكسيجين للأنسجة «إذا فحصت شخصا مريضا بفم المعدة وكان ممتقع اللون كمن عدى البرزخ للدار الآخرة، وهو يتألم من جانبيه وبطنه ضامر لا يسمح بدخول الغذاء ومعدته متضايقة إذا دخلها شىء، فقل: إنه مصاب بدود، بثو، حارب المرض بالعقاقير العنيفة بعد أن تعمل له لبخة بماء الشعير.

وبعدما يصبح تحت إشرافك العلاجى حضر له طبقا زسفو على أربعة أصبحة، اذهب اليه ونبه اصبعه: صمغ ومغرة صفراء يغلى مع زيت وعسل ويأكلها المريض مدة أربعة أيام، وبعدما تتفتح تحت أصابعك كالقرار الرملى، وكل أعضائه تئن من الارتشاح (حضر له) خبزا متخمرا وأشياء معب، وخبز دجاج، لازمه ولا تتركه».

وتذكر البرديات مستحضرا لطرد البلغم من بطن الرجل والمرأة: تين، سبستان، زبيب، كندر، كمون، حنظل، عسل، بيرة عذبة، يصفى ويؤخذ» علاج آخر لطرد المرض من كل أعضاء الإنسان: سائل لزج من شبب، يصحن ناعما ويمزج مع سائل لزج من شراب متخمر يضمد به».

وقد وردت وصفة خاصة بمرض الاستسقاء الذى حدده الطبيب بهذه الكلمات: «إذا فحصت الجزء الأسفل من بطن المريض ووجدت ماء ببطنه يصعد وينزل..». «لطرد الاستسقاء: ظرت أو حنظل يصحن مع عسل ويشرب مع بيرة».

وتذكر بردية هيرست: «مبدأ الأدوية التى تجعل المعدة تقبل الطعام: لحم سمين، مسحوق المداد، تين، فاكهة العرعر،كندر، كمون، سمت، تعم، دهن أوز، عنب، بيرة دشرت، بيرة عذبة. يغلى ويصفى ويؤخذ على أربعة أيام» ومستحضر آخر يخدم نفس الغرض: «بيرة عذبة، سخبت، بيرة دشرت، مسحوق البلح، مسحوق القمح، فاكهة العرعر، كندر، زبيب، تين، دهن أوز، يغلى ويصفى ويؤخذ على أربعة أيام». ووصفة أخرى من عود الرقة مع البيرة العذبة يغلى ويصفى ويؤخذ فى يوم واحد» أما النبيذ فيترك مع القمح طوال الليل ثم يصفى ويؤخذ فى يوم واحد».

ووصفة أخرى: تعم، من، كندر، نخاع العظم، مغرة صفراء، نبيذ، يغلى ويصفى ويؤخذ على أربعة أيام ولتنظيم حركة الأمعاء مستحضر من شاشا والريانا وشمس وملكيت مع قليل من العسل.

«لطرد انتفاخ البطن تين وسبستان وزبيب ولبن وجميز وفاكهة خسيت مع مغرة صفراء (تراب حديدى) وكندر وماء ويترك طوال الليل فى الندى ثم يؤخذ لمدة أربعة أيام» ولطرد كل الأمراض من البطن تين يحمص ثم يرطب فى زيت اهليلج طازج، زبيب وصنوبر يمزج معا ويأكله الإنسان المريض ببطنه، اجعله يشرب شيئا» واعتقد الطبيب أن البلغم هو أحد السوائل المسببة للمرض مثل الخلط، وقد تتبع الطبيب صدى الألم كما أوجد علاجا للهربس: يوضع على الجلد رأس سمكة اسمها زدب مقلية فى الزيت.

ولطرد الدودة من البطن المستحضرات المتنوعة التى وصف الطبيب أحدها كى يتناوله المصاب بثعبان البطن بعد يوم صيام وقبل النوم، وهو جذر الرمان مع مورنجا أو الحبة الغالية يصحنا فى هاون حجرى ويشربه الإنسان ووصف علاجا بعد طرد الدودة مكونا من كندر صابح مع زيت تربنتينة يمزج مع راتنج السرخس ومعدن أحمر ويدهن الشرج أو يصحن الشعير ويمزج مع خميرة العسل ويضمد به، ذكرت الوصفة فى بردية برلين التى عثر عليها فى سقارة وترجع ١٣٥٠ ق. م.

وهناك وصفة أخرى «من فاكهة الجميز الجافة غير الناضجة مع بلح من على أمه، يصحن معا ويوضع فى بيرة غليظة ويشربه الإنسان». بردية إيبرز

«وللآلام المسببة من ثعبان البطن أو من الدودة الشريطية: مسحوق السيكران، أجود صنف من عمامو، دهن أوز، يخلط معا ويصفى ويؤخذ على أربعة أيام». ولعلاج الدودة الشريطية:

ردة البلح، سـعم، حب العزيز، ثمرة السرخس، عود الرقة، زعفران، عماو، كمون، بيرة عذبة تغلـى وتصفى وتؤخذ على أربعة أيام». وقـد اعتقد الطبيب المصرى أن الصديد والحمرة والحمى تقطن البطن وتسببها مادة تحدث المرض، فكان هدفه القضاء على هذه المادة داخل البطن «وصفة لصرف الصديد من البطن: «لحم ثور طازج، كندر، برسـيم حلو، فاكهة العرعر مع خبز صابح وبيرة عذبة يؤخذ على أربعة أيام».

وتعـد الحمـرة التهابا فى الخلايا والأوعية الليمفاوية بالجلد ناتج عن الإصابة بنوع معين من البكتيريـا، ويتميز مكان الإصابة بإحمرار الجلد وصلابتـه، وحواف الإصابة مرتفعة قليلا، وقد يصاحب ذلك ارتفاع فى درجة حرارة الجسـم مع قيء ولطرد الحمرة من البطن: حجر سـبدو، ثمرة سرخس، بسبس، سسكا، شمع، تربنتينة، تصحن وتخلط معا ويدهن بها، ثم تحضر علاجا مسهلا بعد احتباس أمعائه: حنظل، سنامكة، فاكهة الجميز، تصحن وتخلط معا وتعمل على هيئة ٤ كعكات من نوع فكا واتركه يأكل منها».

عالج الطبيب الحمرة بالطعام مثل هذه الوصفة من التين والملح البحرى والخبز الصابح والبيرة العذبـة، تغلى وتصفـى وتؤخذ على يوم واحد لجأ الطبيب للخمـيرة الغنية بالفيتامينات لعلاج الحمرة والحمى، واسـتخدم البلح فى العلاج لاحتوائه على كميات كبيرة من البوتاسـيوم ولزيت الخـروع فوائد عديدة اسـتغلها الطبيب فى الكثير من علاجاته منهـا: «زيت الخروع يدهن به الشخص المصاب بالحمرة المصحوبة بعفونة، اتتت، بعد ذلك ريؤمو الجلد كأنه لم يصب بشيء، ولكن عالجه بالدهان لمدة عشرة أيام على أن يكون الدهان فى الصباح المبكر حتى تطرد الحمرة. هذا علاج عظيم حقيقة. مؤكد مرات عديدة».

وتم حاليا تشـخيص الحمرة على أنها التهاب جلدى حاد يحدث نتيجة للعدوى بالميكروب السـبحى ويصيب الجلد والنسـيج الضام تحت الجلد، وأكثر الأماكن عرضة للإصابة هى الوجه والساقين، وتبدأ الأعراض بارتفاع حاد فى درجة الحرارة تصحبه قشعريرة، واحساس بالغثيان. ويشـعر المريض بالتهاب حاد فى الجزء المصاب مع احمرار وسـخونة وألم وتورم، ويظهر الجزء المصاب على شكل بقعة حمراء لامعة متورمة ومرتفعة عن سطح الجلد وذات حافة محددة، وقد تتكون على سـطح الجلد حويصلات أو فقاقيع صغيرة، ويميل هذا الالتهاب إلى الامتداد بسـرعة وبعد حوالى أسبوع أو أسبوعين يتوقف انتشار المرض وتبدأ درجة الحرارة فى الانخفاض تدريجيا، ويقل التورم والاحمرار تاركا الجلد طبيعيا أو مغطى بقشـور على سـطحه تزول بعد فترة وجيزة، وكان لاكتشاف المضادات الحيوية أثر كبير فى التغلب على هذا المرض والإقلال من مضاعفاته.

وقد وصف الطبيب المصرى القديم مسـتحضرا لشـفاء الالتهاب من البطن وإبادة الحمرة من جسم الرجل أو المرأة: «مسحوق المن المجفف، حنظل، مسحوق البلح، دهن أوز، عسل، يصحن ويؤكل كل يوم».

يخاطب الطبيب المعلم الطبيب المارس ويرشده بالتأكيد على فاعلية الدواء كي يلتزم به الطبيب المعالج، وقد ذكرت البردية العديد من العلاجات للقضاء على الأعراض المذكورة وهي الحمى والحمرة وآلام البطن.

وقد ذكرت البرديات في الفقرة الخاصة «مبدأ سر الطبيب» معرفة القلب وحركته، فبفحص النبض يفحص الطبيب في الواقع حركة القلب: «أما بخصوص رقص القلب،أي دقات القلب في موضع غير طبيعي طبقا لما أورده د.حسن كمال، فإن ذلك يعني أن القلب يتحرك نحو الثدي الأيسر وأنه يندفع من مكانه».



مكان القلب والرئتين

ويستطرد د.حسن كمال قائلا: «ومكانه هذا قد يعني الكيس الدهني بالجانب الأيسر من الصدر، أي التامور، المجاور للكتف. والاندفاع هنا قد يعني انقباض العضلة القلبية بسرعة ووضوح والإنقباض يصحبه طبعا الانبساط».

ويؤكد د.حسن كمال أن ذكر الطبيب لعبارة القلب في محله السليم، أن التامور أو الكيس الدهني للقلب في محله السليم في الجانب الأيسر ولا يتحرك، مما يشير إلى معرفة الطبيب المصري القديم بأن تغير موضع القلب دليل مرضه، وهذا قول سليم من وجهة نظر د.حسن كمال الذي يؤكد أن ذكر كلمة شسيو القلب أي وعاء القلب المستلم الذي يعطي القلب الماء، ويفترض أن الطبيب المصري ربما يشير للأورطي أو الشريان التاجي.

وتذكر بردية إيبرز موضع القلب بدقة مع ابراز ما قد يصيبه من أمراض مثل ضعف ضربات القلب: «لطرد البول المدمم من القلب، يغلي الكرفس مع بيرة عذبة ويؤخذ مدة أربعة أيام».

ووصفة أخرى: «لطرد البول المدمم من القلب وطرد النسيان وتوهان العقل وإصابة العقل، ينسون وتبن وكرفس ومغرة صفراء iron hydroxyd مع العسل والماء».

وعصير الكباتة لطرد البول المدمم من البطن ومن القلب: مسحوق أبو، ومسحوق الكسبرة مع البيرة العذبة. ويشرب قبل النوم».

ولعلاج القلب بنجاح: «عصير الكباته مع تين ومغرة صفراء وصمغ وماء».

«وصفة لعلاج القلب وطرد القيح خليط من المغرة الصفراء مع الصمغ والتين والزبيب والقمح والسبستان والماء، يغلي ويؤخذ على أربعة أيام» «ولتبريد القلب عصير الكباتة مع الينسون والمغرة الصفراء والعسل والماء».

وقد ذكر الطبيب القلب بهذه الكلمات: «إنه هنا حيث يجب على كل طبيب وكل كاهن أن يضع أصابعه... إنه يشعر بشيء ما من القلب». وتذكر بردية إيبرز فى موقع آخر:

«إذا وضع كهنة سخمت أو الطبيب أصابعة على الرأس، أو خلف الرأس، أو على اليدين أو النبض أو القدمين، فإنه يشعر بالقلب، لأن أوعيته توجد خلف الرأس، وفى النبض ولأن نبضه فى كل وعاء لكل عضو من الجسد».

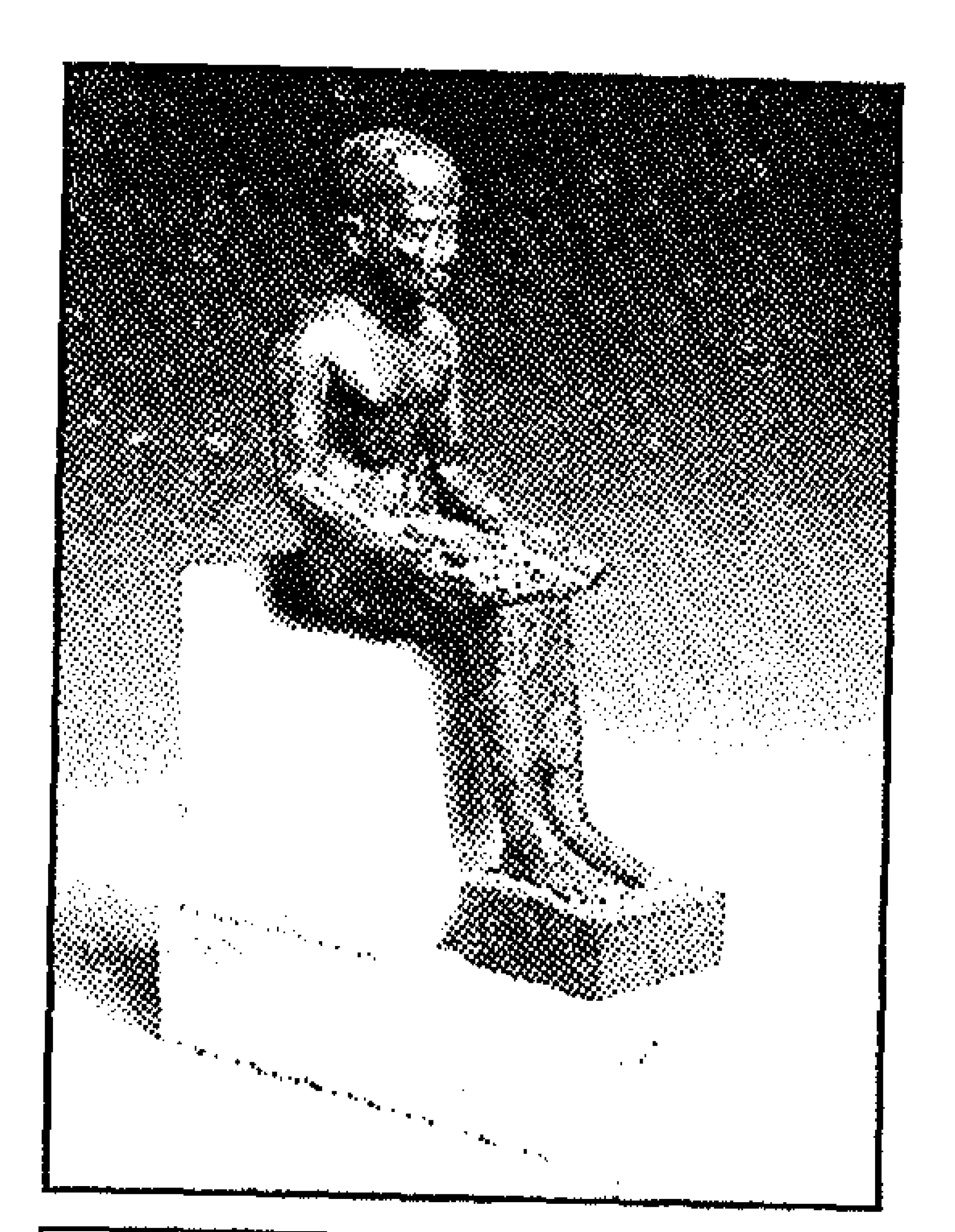
وقد عرف الطبيب المصرى تجلط الدم وذكره بهذه الكلمات فى بردية إيبرز: «على الطبيب أن ينظف الأنف من كل دودة دموية تكونت من التجلط داخل الأنف».

وتذكر بردية إيبرز الأوعية الدموية المختلفة: «يخرج من القلب ٤٦ وعاء لأجزاء الجسم المختلفة، فإذا وضع الطبيب يده أو أصابعه خلف الرأس أو اليدين أو المعدة أو الذراعين أو القدمين، فهو يسمع القلب، إن القلب يتكلم فى كل أجزاء الجسم».

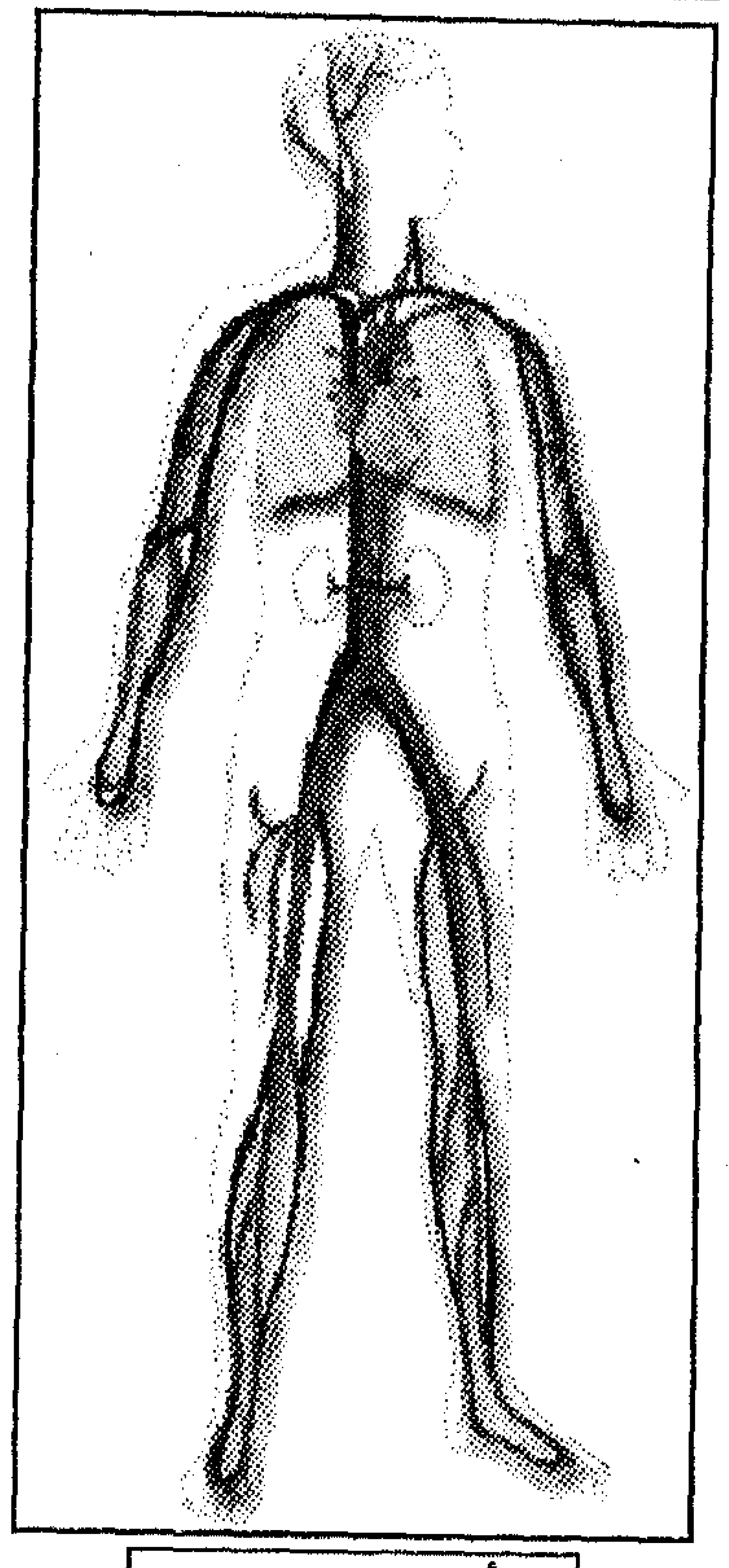
وقد استفاد الطبيب من التشريح ليعرف أن الأوعية الدموية جوفاء ولها فتحة تمر الدماء من خلالها، وتمكن من خلال جس النبض استشعار أحوال المريض: «هناك أوعية فى كل أجزاء الجسم تتكلم عن كل جزء من أجزاء الجسم»، بردية إيبرز

ولأهمية الأوعية تذكر بردية هيرست: «بدء كتاب تلطيف أى مرض: وصفة لتهدئة الأوعية: دهن ثور، حثالة النبيذ، بصل، هباب من الحائط، فاكهة الفاشرا، فاكهة البازلاء، فاكهة ظايس، معدن سيا من الصعيد، يطبخ كتلة واحدة ويضمد به».

وقد ذكرت بردية إيبرز مستحضرا مشابها، ووصفة أخرى لتبريد الأوعية: «ورق النبق، ورق الصفصاف، ورق



تمثال لإمحوتب المعروف بأبى الطب



الأوعية داخل الجسم

السنط، نبات ظايس، ملح بحرى، بصل، يصحن معا ويعمل كتلة واحدة ويضمد به».

وذكـــرت هذه الوصفة فى بردية كل من إيبرز وهيرســـت: «مبدأ الدهان لتقوية الوعاء، علاج لتليين الوعاء: دهن قط، صبر، راتنج، يصحن ويعمل كتلة واحدة ويدهن به».

ويضمد الوعاء أيضا بنتاج صحن فاكهة الكزبرة وجلد الحذاء وفاكهة سسكا، أو ضمادة أخرى بالمر للوعاء ثم خليط من دهن الثعبان ونبات سعم وكبريتيد الرصاص والعسل. وورد هذا المستحضر فى كل من بردية هيرست وإيبرز.

«خس اللادن، طلحة أى acacie seyal، حثالة عســل متخمرة، يمزج معا ويضمد به»، وهذا العلاج ذكر فى حالة: الذى يعمله الإنسان ضد أى وعاء ينبض فى أى عضو فى جسم الإنسان».

ويوضــع على الوعــاء لتلطيف قلبه: نبات أبو، وفاشــرا، وملح بحــرى، وفاكهة الجميز، ويصحن الخليط مع فتات خبز بسن ويضمد به».

وتتعــدد المســتحضرات التى تهــدف إلى تلطيف الأوعيــة لجأ الطبيب فيهــا إلى العديد من النباتات مثل القرفة، الكســبرة، الجميز، العرعــر، tamarisk، الخروع، وغيره، ومن المعادن كبريتيد الرصاص ومعدن حتم وأيدروكسيد الحديد والملكيت وغيرة، كما استعمل الزيوت النباتية ودهن الحيوان والعسل واللبن وغيره.

أما الوعاء المتصلب، فضمادة من نبات نيايا، لسان البحر أو pondweed، وذكر فى بردية ايبرز مســتحضرا مشابها يؤدى نفس الغرض. «ولجعل الوعاء يقبل الدواء لبن امرأة وضعت ذكرا مع ملح بحرى، يوضع فى إناء ويترك طوال الليل حتى تنفصل القشدة، يدهن به كل مكان مؤلم، ولتورم الوعاء يصحن كرفس فى زيت ويضمد به الوعاء»،

أما لتليين الوعاء فيضمد بطحال ثور وعجينة قمح ويبروح ودهن وعل ومساريق ثور».

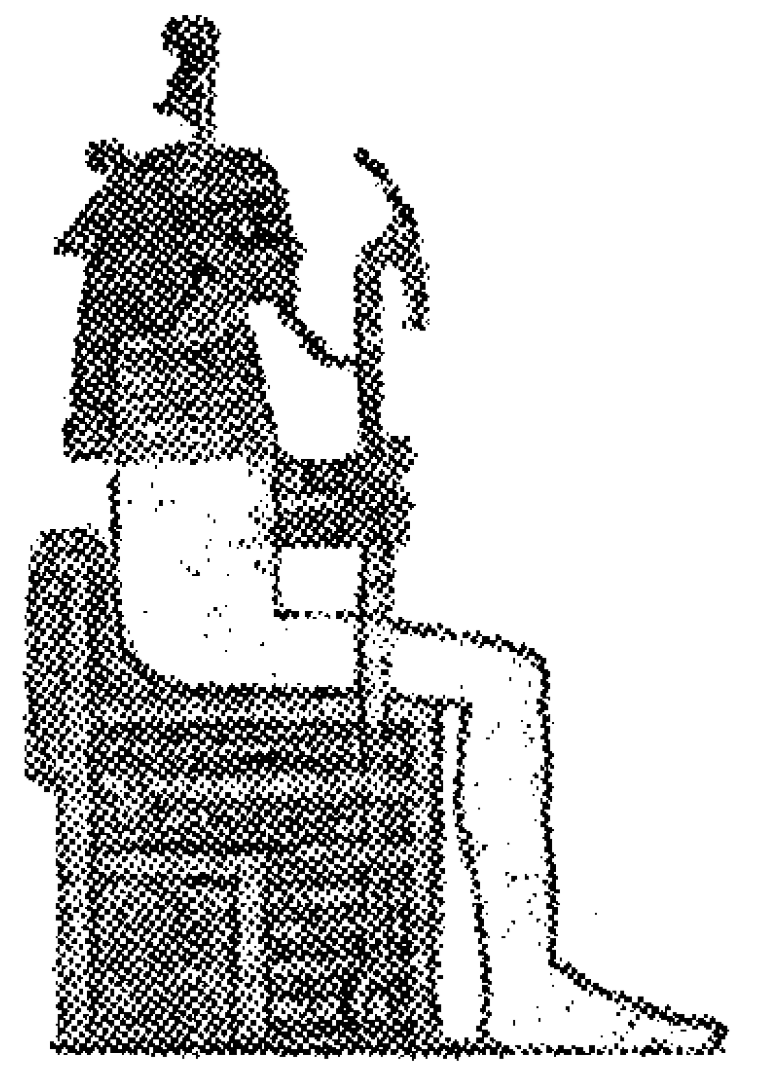
وتتعدد الوصفات والعلاجات التى تميز بين حالة كل وعاء وآخر، ويترك هذا لتقدير الطبيب وخبرته فى التشخيص الدقيق بعد الفحص كما هو وارد.

ولم يكتف الطبيب بالحالات المرضية فى شــكلها المادى فقط، بل حاول أن يؤثر فى نفســية المريض بالإيحاء بأن الدواء ووصفاته إلهية المصدر، فتزيد لدى المريض الرغبة الإيمانية فى شفاء عاجل، وتذكر بردية إيبرز مبدأ الأدوية التى صنعها رع شــخصيا، وتتكون من العســل الدافىء، والشــمع، وفتات الكندر، وفاكهة ســارى، وحنظل، وحب العزيــز، وفاكهة زايس، والكندر، والســلاقون، والكســبرة، ونبات العرعر، وفتات الصنوبر، وبليلة طازجة، تمزج معا وتضمد بها مواضع المرض. «إنها تطرد الأمراض المســببة من معبود أو رجل ميت أو امرأة ميتة، وأيضا تطرد جميع أنواع القيح من جميع أعضاء الإنسان فيشفى حالا».

ويمكن إطلاق مسمى الوصفة السحرية على هذا المستحضر الذى يشفى فورا الأمراض بتنوعاتها.

ورع طبقا للمفهوم المصرى القديم هو الشمس مصدر الطاقة الحيوية اللازمة للحياة ولاستمرارية الحياة الكونية.

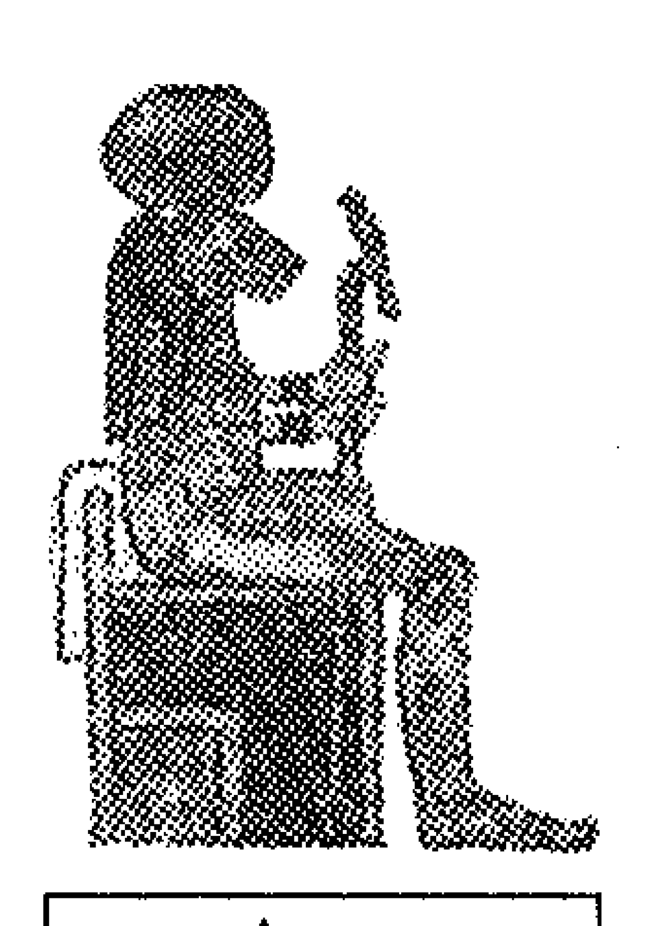
ومن هذا المنطلق ألحق بكل معبد فناء خاص للتعرض لأشعة الشمس والإفادة من مؤثراتها.



شو رمز الهواء

أما علاج شو وهو رمز الهواء، فمكون من مسحوق القمح، والملح البحرى، ومسحوق الكسبرة، وزيت، ومسحوق حنظل، ومسحوق فول، وكندر، وقسط، ومغرة صفراء يضاف له سائل لزج وتضمد به المواضع المريضة.

و «تفنوت» رمز لرطوبة الجو، فخلطتها السحرية التى أعدتها لرع شخصيا، تتكون من مسحوق عمع، وعود الرقة، ودهن أوز، توضع داخل أى شىء وتضمد به كل المواضع المريضة ولكل الأمراض المسببة من معبود أو معبودة، فيشفى المريض حالا. بردية هيرست وإيبرز.



تجسيد يمثل شو جفاف الجو ويمثل الوجه الآخر لتفنوت أو الرطوبة فى الجو

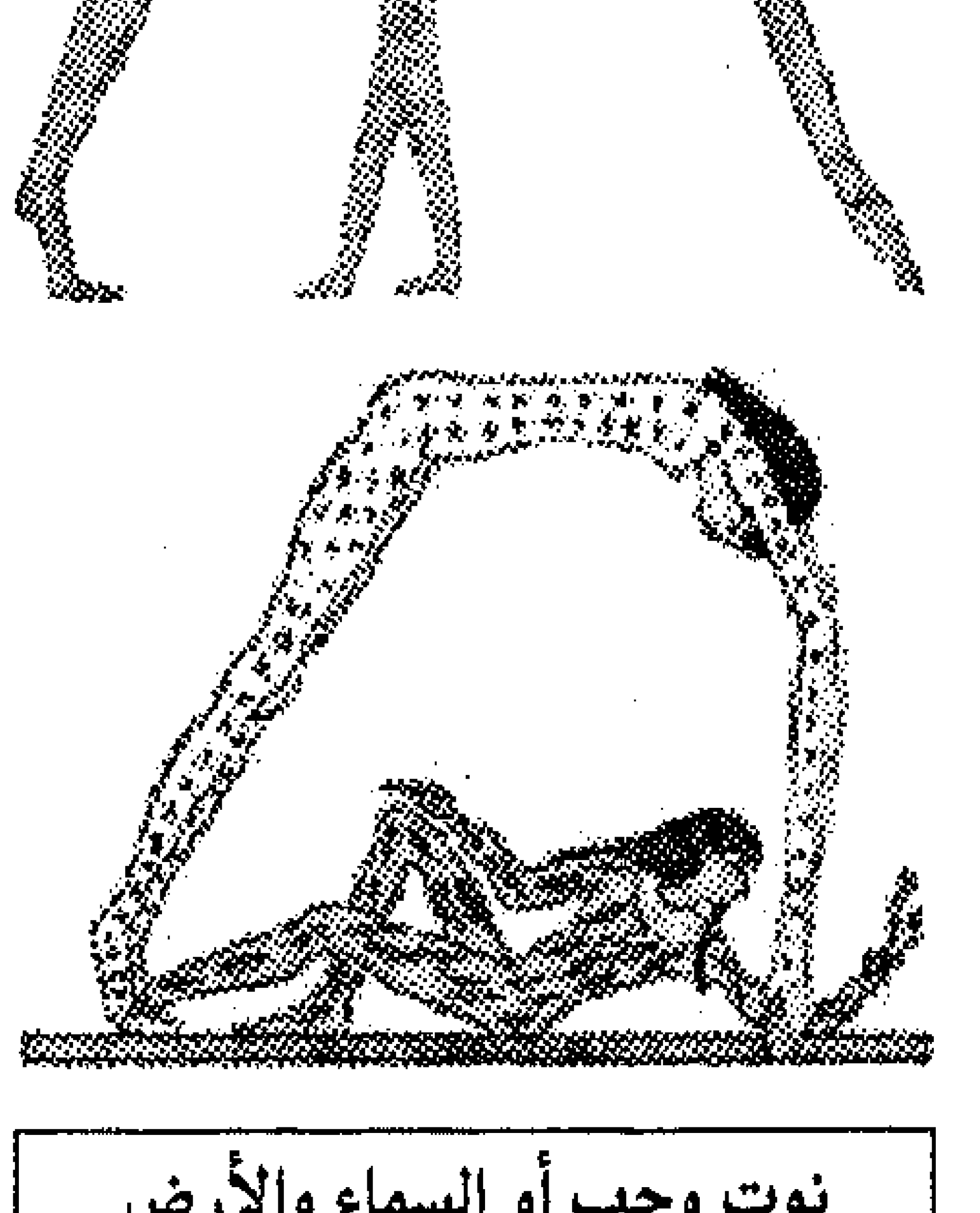
وتتوالى اللبخات ذات المؤثر الفعال طبقا لعقيدة كل من الطبيب والمريض معا ولها بالتأكيد صدى علمى لفعالية بعض المكونات وتأثيرها على الجلد وامتصاصه لها فنجد وصفة أخرى أعدتها نوت، وهى السماء تتكون من لبنة حائط، وأطراف القثاء، وحجر جيرى من ساحل البحر، وملح النطرون، وملح بحرى، وبليلة طازجة، وزيت صمغ، وزيت تربنتينة، وعجينة خبز، تدفأ المكونات وتمزج جيدا وتضمد بها كل المواضع المريضة للشفاء من كل الأشياء الخبيثة ولبخة جب أو الأرض هى مسحوق الحنظل والبسلة وآس يصحن ناعما ويضاف لحثالة النبيذ. ويتناول المريض هذا الدواء إلهى المصدر، فيحفز فى داخله الرغبة الملحة فى شفاء عاجل.

ولآلام الرأس أو الصداع، وصفة إيزيس السحرية التى أعدتها خصيصا لرع طبقا للأسطورة لطرد المرض من رأسه: فاكهة الكسبرة، وفاكهة شمس، وسعم، وصنوبر وعسل، يمزج الخليط جيدا وتضمد الرأس فتشفى الآلام فورا، «بردية هيرست وإيبرز»، ولآلام الرأس عامة مزيج من مسحوق الحنظل والتمر حنة، وملح النطرون، وعظمة سمك القشر محروقة وعظمة محروقة من سمكة شال مع العسل واللادن وتدهن الرأس لمدة أربعة أيام. «بردية هيرست وإيبرز».

وللصداع النصفى جمجمة سمكة رعادة تغلى فى الزيت ويدهن بها الرأس لمدة أربعة أيام.

وكان الطبيب ينسب آلام الصداع لآلام الأسنان والعيون، ولكنه حدد وصفة طبقا لبردية إيبرز «لتبريد الرأس المريض كندر، وصبر، وكمون، وقرن ايل، وصمغ، وملح النطرون، والماء،

ودبن البناء، يصحن مع الحنظل ويوضع على الرأس». ولآلام الرأس والصدغ وصفة أخرى: «كندر، وميعة، وملح النطرون، بلسان، ملاكايت، إثمد كبريتيد الرصاص، مغنطيط وماء، يصحن ويوضع على الصدغ.



نوت وجب أو السماء والأرض

وأدخل الطبيب الملح في معظم علاجاته، فهو بخلاف فائدته كمطهر، غني باليود الذى تحتاجه خلايا الغدة الدرقية «لطرد آلام الرعشة من الرأس: إذا أصاب رأس إنسان ألم فضع يدك على رأسه دون أن يراها، حضر له ملح النطرون المصحون فى الزيت والعسل والشمع، يمزج معا ويضمد به».

وقد أورد الطبيب ما يثبت معرفته بالجهاز البولى ومكوناته، فذكر الكلية بمسمى بخد طبقا لبريستد والمثانة شبتيت وحدد مكانها فى مقدمة البطن، كما ذكر أن هناك وعائين يوصلان البول إلى المثانة وبالتالى عرف أن البول من إفراز الكلية، فقد وردت وصفات عديدة تهتم بعملية تنظيم البول، منها ما ورد فى بردية إيبرز: «مبدأ علاج احتباس البول عندما يتألم المريض من أسفل بطنه: قمح، بلح، من مشوى، ماء، يصحن ويصفى ويؤخذ على أربعة أيام».

وفى وصفة أخرى لتنظيم التبول: سنبلة غاب، بلح، عسل، فاكهة العرعر، ماء يصفى ويؤخذ على أربعة أيام».

وللحد من كثرة التبول وصفة أخرى تتكون من حب العزيز وصنوبر وجذر بحح تدق معا وتترك طوال الليل فى بيرة ثم تشرب.

وشخص الطبيب مرضا يصيب المثانة: «لطرد الحرارة من المثانة نتيجة للإصابة بمرض بالبول: ملح بحرى، وزيت أهليلج وعسل وبيرة عذبة يحقن بها الشرج».

والملح البحرى غنى باليود فقد حدد الطبيب ملح بحرى لعلمه بمؤثراته فى الغدة الدرقية بالتحديد وفى تثبيت معدل الماء بالجسم.

وقد لجأ الطبيب كثيرا للملح البحرى فى علاجاته وحدده بالذات من منطقة الدلتا لعلمه بالتجربة العملية مؤثراته فى الجسم.

وقد أثبت العلم الحديث أهمية الملح البحرى المستخرج من المحيطات والبحار لغناه بمادة الصوديوم وبالعديد من المعادن الأخرى اللازمة لتوازن الجسم الصحى، فكلوريد الصوديوم ضرورى لبلازما الدم والسائل الليمفاوى والسائل extracellular المحيط بالخلايا، ويساعد على نمو المشيمة embryo، وهو مادة ضرورية للحياة تساعد على وجود تعادل مع معادن أخرى مثل

المنجنيز، والكالسيوم، والبوتاسيوم، وغيرها ويحدث نوعا من التوازن معها. ويساعد على طرد المخاط من الجسم سواء من الأنف أم الشعب الهوائية.

وينشط الملح البحرى الأنزيمات اللعابية بالفم ويساعد على تكوين حامض الهيدروكلوريد اللازم لعملية الهضم، ويتولى الصوديوم مهمة تغذية الغدد بالأدرينالين بتحفيز إفرازه، مما يسهل المقاومة للأمراض بصفة عامة، كما يحد من الرغبة فى التبول وينظم البول واخراجه من الجسم.

ويجب التمييز بين ملح الطعام المكرر والملح البحرى لاختلاف كلى فى مؤثراتهم فالملح البحرى، بخلاف ملح المائدة المكرر، يخفف من الضغط ويحدث توازن فى خلايا المخ، ويحافظ على مستوى السكر فى الدم كما يساعد على امتصاص الكالسيوم، وبالتالى يسهل نمو العظام.

ولا شىء يعادل الملح الطبيعى فى مكوناته، الملح المستخرج من البحار والمحيطات، ومن الصعب تحضيره معمليا بنفس المكونات.

ويستعمل فى حالات الحروق الشديدة ولعلاج الصدمة والنزيف الجراحى والصدمة الجسدية.

ولجأ المصرى إلى مواد أخرى «لإصلاح البول عندما يكون غير منتظم: فاكهة العرعر شاشا والريانا، شحم أوز، عسل، بلح، وبلح صابح، يترك فى الندى طوال الليل ويصفى ويؤخذ على أربعة أيام».

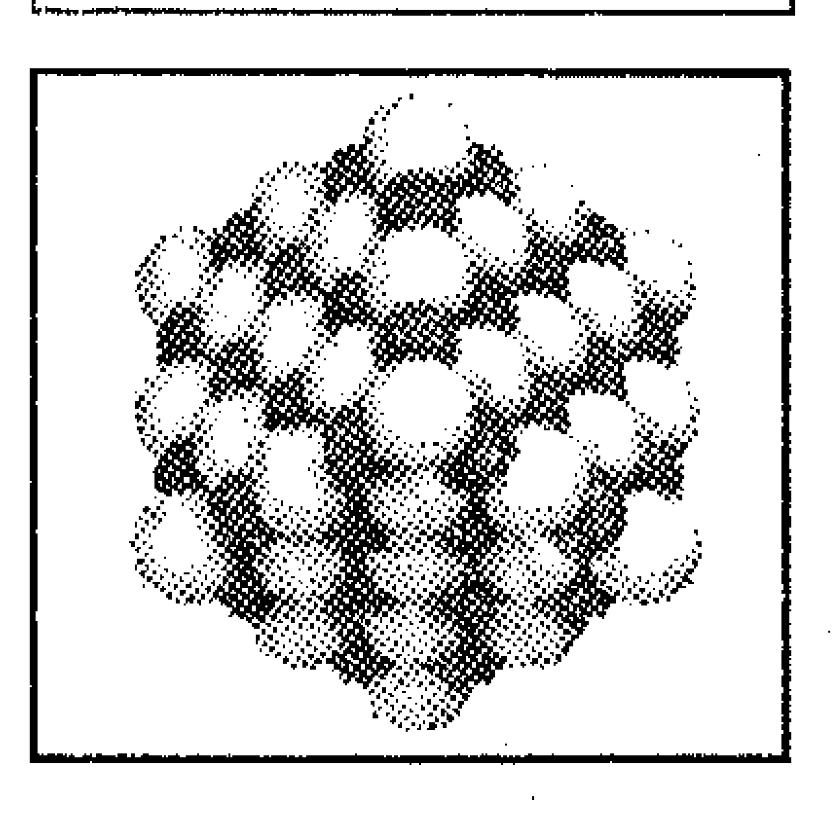
وسكر البلح له فوائد عظيمة لا تنحصر فى ضخ الحرارة والقدرة والنشاط، بل إنها مدرة للبول وتغسل الكلى وتنظف الكبد كما ثبت من خلال الطب الحديث.

واستعمل الطبيب الخلة لتمديد المجارى البولية والبيرة والبوظة ونبات العرعر لإدرار البول.

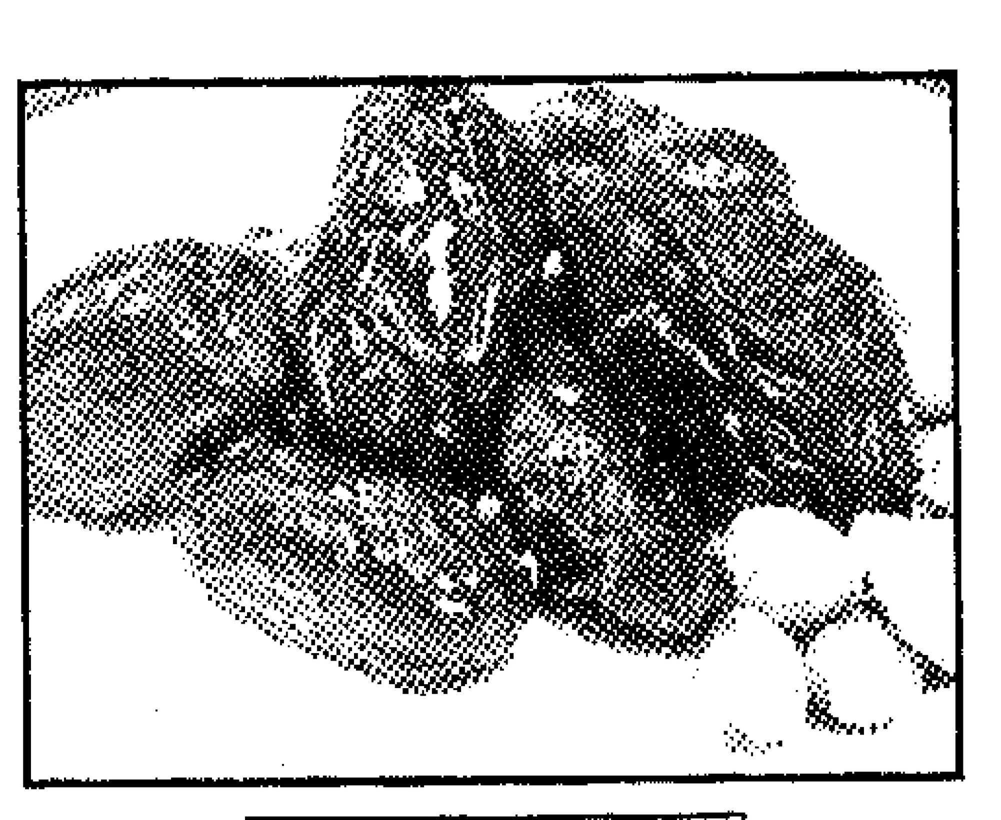
وهناك وصفة ببردية إيبرز: «بلح صابح، ملح بحرى، سائل يمزج مع ماء ويوضع فى وعاء ويضاف مسحوق السنامكة، يغلى معا ويوضع فى صندوق أو وعاء يأكله الإنسان دافئا بالقدر الذى تحتمله الأصبع ويبلع مع بيرة عذبة».



إيزيس ترضع ابنها حورس، وتعتبر إيزيس هى همزة الوصل بين الخالق والبشر، بين ما هو حسي ومعنوى، إنها تمثل المعنى المطلق للأمومة والوفاء كزوجة ولها القدرة على الشفاء طبقا للأسطورة التى قربت إلى الأذهان أهمية الدواء والعلاج والشفاء



ولتنظيم بول الرجل آس يسـحق مع سـائل لزج ويوضع على القضيب. أو علاج آخر من فول محمص يوضع فى زيت ويدهـن بـه القضيب. أو يدهن القضيـب بعجينة مكونة من خشب النبق الذى يصحن مع خمت نى.



التمر أو البلح

أو ملء إناء من ماء المستنقع، صنوبر، سائل لزج، البيرة، ورق خيـار، بلح صابح، يمزج معا ويصفى ويؤخذ على مدى أربعة أيام.

ولتنظيـم بـول الطفل لب الغاب الـذى يدهك جيدا مع البيرة العذبة داخل وعاء خاص باو وتشـربه المرأة والطفل، أما الطفل الرضيع، فيحرق الخزف حتى يصبح كرة تدهك فى لبن المرضعة الطازج يتناوله الطفل لمدة أربعة أيام.

ولم يغفل الطبيب الضعف الجنسـى، فيذكر من خلال بردية إيبرز مستحضرا: «لضعف عضو التذكير، ويقصد الوعاء، سـيكران، فول، ردة، ظرت أو حنظل، نشـارة الصنوبر، نشارة مرى، نشارة الصفصاف، نشارة النبق، نشارة الجميز، نشارة العرعر، عصير السنط، عصير النبق، عصير الطرفاء، عصير الجميز، بذر كتان، فاكهة الطرفاء، زيت أبيض، دهن أوز، براز خنزير، صنوبر، مر، بصل، حنظل الجيت، بطيخ، تيو، بسبس، نيت الكتان، ملح بحرى، ملح من واحة، انب، مغرة حمراء أو أكسيد الحديد، مغرة صفراء أو ايدرات أكسيد الحديد، ملح النطرون، دهن ثور، شاشـا، والريانا، يمزج معا ويضمد به» «ولطرد الإفراز من عضو التذكير، السـيلان gonorrhea من خروب يمضغه الإنسان مع مح بيضة بطة، ويضمد بخليط من خبز وشمع وعسل».

واستعمل الطبيب لتهدئة الأعصاب بصفة عامة كبريتيد الرصاص، والكندر، والحنظل، والمر، ومسحوق القمح...

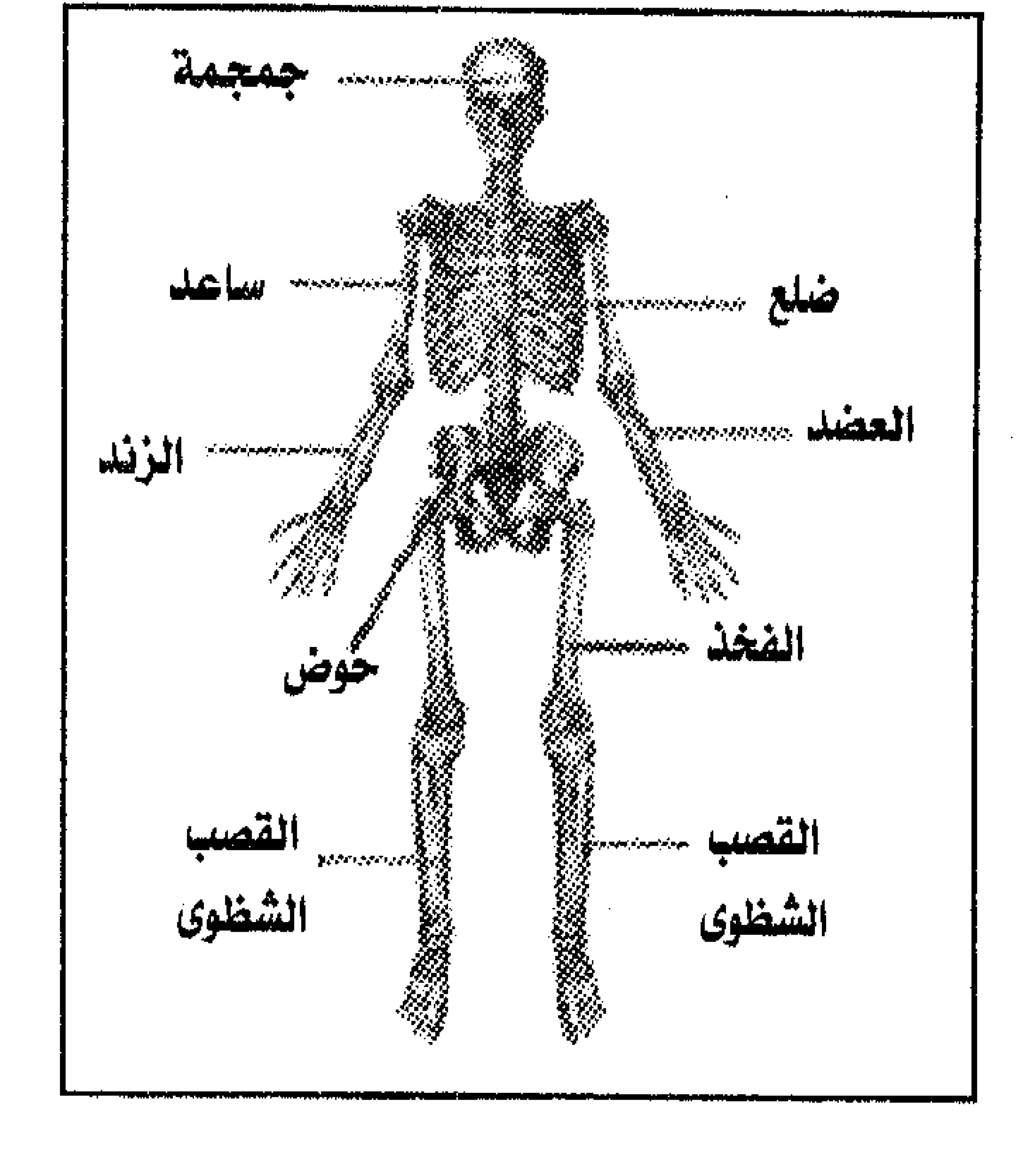
ولعلاج كثرة التبول مسـتحضر آخر: «قمح، سبستان ومغرة صفراء وماء تترك طوال الليل فى الندى، يصفى ويؤخذ على مدى أربعة أيام» وهناك علاج ليوم واحد يمنع سـلس البول الدائم: «صنوبـر وحب العزيـز، يغلى مع البيرة ويصفـى» ولحجز البول كرفس جبلـى وكرفس شمالى مـن الصعيد، فاكهة العرعر من الدلتا، بشـنت، وام، دوات، ماء ويترك طوال الليل فى الندى ويؤخذ على مدى أربعة أيام».

وتذكر بردية برلين علاجا لإزالة مرض شبن، السيلان من البول: نبيذ، برادة النحاس، ملح بحرى ويحقن فى الشـرج مدة أربعة أيام» ويليه «علاج للشـرب يعمل بعد الذى أمر به: مقشور القمح، ماء، دهن، عسل، ماء فى قدر وبعد أن يغلى أول مرة، ويسخن اطبخ فيه مقشور القمح، ثم يكرر الغليان بعد السـخونة، أضف إليه الدهن إلى أن يسـتوى فيه، صب عليه العسـل حالا وانزعه من على النار متى تكثف، يبيت فى الندى ويتناوله المريض».

ويعالج حديثا تضخم البروستاتا بالمستحضرات الدوائية أو بالجراحة الضوئية باستخدام أشعة الليزر.

وورد فى بردية هيرست مستحضر سريع لعلاج المثانة واصلاح البول يتكون من الخروع، وبلح مبتدئ فى الخروج، وفاكهة الصنوبر، عصيدة، فاشرا، ورق الخيار، وحبوب المن، سائل أعيت، يترك طوال الليل فى الندى ويشرب على مدى أربعة أيام».

وللتقليل من كثرة التبول، تذكر نفس البردية مستحضرا من الصمغ، ومجروش القمح، وخبز صابح، ومغرة صفراء، وماء، ثم يحضر الخليط كسابقه. ولإصلاح البول لبن وعسل وفاكهة العرعر ونبات القثاء وبيرة عذبة، يصفى الخليط ويشرب لمدة أربعة أيام.



أما علاج البول المحبوس وهو Cystitis حاليا، أى التهاب المثانة، فخليط من كرفس بحرى ونبات أبو صعيدى وفاكهة العرعر وعصيدة طازجة وأبو بحرى، ايشنت، وام، ودوات، وهى نباتات، ماء، يترك فى الندى طوال الليل ويصفى ويشرب على أربعة أيام.

وهناك وصفة أخرى فى بردية هيرست: «علاج لاخراج الحرقة من المثانة: حنطة بيضاء ومطبوخة، فاكهة أحو، دهن أوز، ماء، يترك فى الندى طوال الليل ويصفى ويشرب على أربعة أيام.

ولإقناع المريض ورفع معنوياته مستحضر أعده الرمز شو يتكون من دقيق الحنطة البيضاء، ملح بحرى، دهن، دقيق الكسبرة، هباب حائط، دقيق الحنظل، دقيق الفول، كندر، نبات قسط، مغرة صفراء، سائل نباتى، يمزج معا ويضمد به المكان المؤلم».

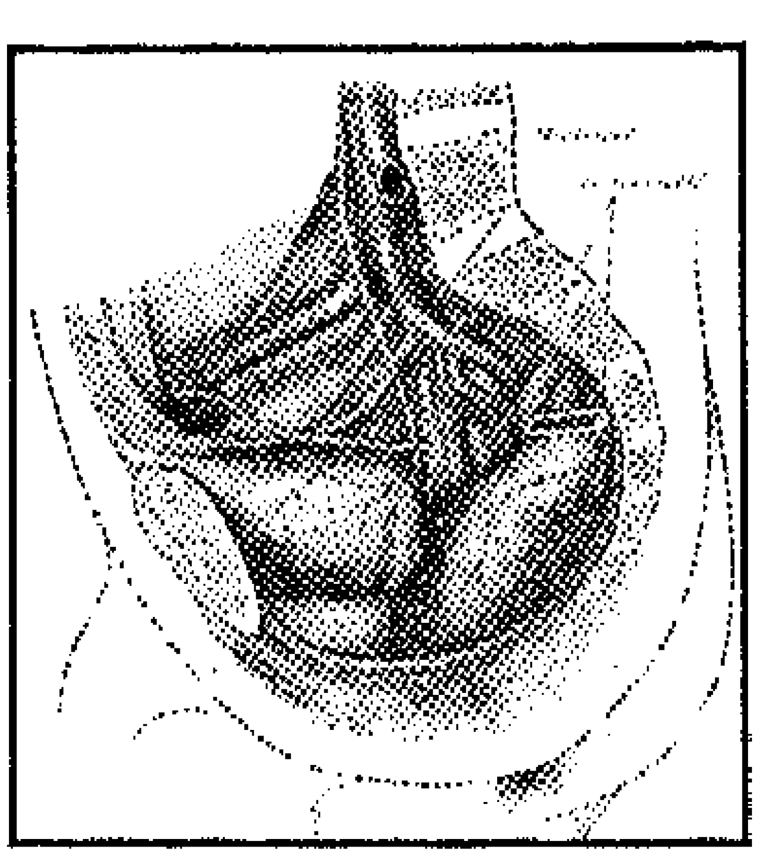
وتعتبر نصوص بردية هيرست مجموعة لوصفات علاجية بدون ذكر أى فحص أو تشخيص وتعتمد على معرفة الطبيب المسبقة بكل هذه التفاصيل، وتشمل معظم مستحضرات البردية على علاجات للأمراض الباطنية، والأمراض الروماتيزمية، والجلدية وتعتبر معظم الوصفات لعلاج الجلد مكونة من مواد موضعية قلوية أو قابضة أو مطهرة معظمها من الأعشاب أو المعادن.

ويرجع تاريخ نسخ البردية للأسرة الثامنة عشر ١٥٥٠ ق. م. وقد نسخ كاتب البردية، وهو ليس بالضرورة طبيبا، المستحضرات واستعمالاتها المتعددة فى العلاج.

وتتضمن بردية إيبرز وصفة «لتنظيم البول عندما يتألم المريض لأول مرة من الإقليم المربضى hypogastric: عسل، كندر، صنوبر، حب العزيز، اشف الخباز، خس الجميز، جذر الخروع،

مغرة صفراء، بلح صابح، جذر خسـيت، بليلة، يسـخن ويصفى، ويوضع فى إناء ثاب، يحضر فى الصباح المبكر إلى أن يحين وقت الإفطار، يشرب هكذا حتى يشفى لتوه».

ويقـع الإقليـم المربضى فى المنطقة المبينة فى الرسـم والتى تحتوى على الغـدد الليمفاوية، والحالب والكلى وفتحة الشرج والبروستاتا.



شـكل يوضح أماكـن الحالب والـكـلـى وفـتحـة الـشـرج

وقد ذكر الطبيب الشريان الفخذى: «يوجد وعاءان فى فخذيه، فإذا تـألم من فخذيه وهمـد عضواه فيكون الوعاء السـرى لفخذيه قد مرض»، بردية برلين.

وتذكر البردية عن الأوعية «وكلها تتجه إلى قلبه وتتفرق فى أنفه وتتجمع فى دبره ويمرض دبره بسـببها، ان البراز هو الذى يحدث المـرض له، ان وعـاء الرجلين هو أول ما يمـوت، فإذا مرض دبره بسـببها وكان السـائل يتجه إلى وعاء القدمين نحو الموت فافعل له أدوية العلاج حسـبما صنعه الحكيم العاقل نتر حوتب: «لبن بقرى يوضـع فـى وعاء ويطبخ وبعدما يغلى يضاف على شـراب باور ثم يصفى فى خرقة ويضاف إليه عسـل ويشـرب على مدى أربعة أيام ثم يحضر بعد ذلك لبن غنم ساخن وعسل وبعد ذلك يعطى جزء من دهن مهو أو لبن امرأة ويحقن فى دبره وينام الليل للصباح، ويعمل بعد ذلك زيت طازج وعسل وسائل لزج نباتى متخمر وملح بحرى ويحقن فى دبره لمدة أربعة أيام،

ويحقـن الدبر بخليط من العسـل وزيت اهليلـج مع البيرة العذبة لإزالـة الوخز من الجوف ومرض حدبو وهو الوخز وسدة الشرج. ومن المستحضرات المهمة للشرج «علاج لكل حالات الشرج السيئة: دقيق الحنظل الطازج، ملح بحرى، ملح النطرون، ملح شرقى، عسل، بأجزاء متساوية» علاج آخر لتشقق البنو وإبعاد حرقة الشرج والمثانة ودخول المشاووت عند الرجل والمرأة: نطرون، مغرة حمراء أى أكسـيد الحديد، كندر، تربنتينة، عسل مر جاف، مر حلو، حب العزيز، طلح سيال، صنوبر، ساق الغاب، ادهن به حتى يشفى».

والبواسـير مرض يتميز بتوسـع فى الأوردة الكائنة تحت الغشـاء المخاطى للمستقيم وفتحة الشرج، وهى انتفاخات مؤلمة فى الأوردة المتواجدة فى الجزء السفلى للمستقيم، بعضها خارجى مقره تحت فتحة الشرج ويبدو بشكل ورم صغير مستدير ذى ذنب صغير، وبعضها داخلى ويوجد بباطن المستقيم ويستدل عليه بما يشعر به المريض من ثقل الشرج، وقد تصاب البواسير بالإحتقان أو اختناق، مما يؤدى إلى النزيف وقد تلتهب فتسيل صديدا. وتنشأ البواسير نتيجة لتجمع الدم بطريقة غير طبيعية فى أوردة منطقة الشرج، مما يؤدى إلى ارتفاع ضغط الدم فى هذه الأوردة فتبدأ فى الانتفاخ وفى التمدد محدثة الآلام عند الجلوس وعند عملية الإخراج. كما تسبب حالات فشل

الكبد الناتجة عن تليفه يؤدى إلى احتقان أوردة المستقيم، وارتفاع الضغط فى البطن فى حالات الحمل يحدث التهابات الأوردة فى المنطقة مسببا آلام البواسير.

«علاج آخر لأجل...المثانة وإبعاد ورم شنفت وإبعاد كل الأورام من الشرج عند الرجل والمرأة: زيت، دهن، عسل، ملح بحرى، لبن آدمى، يحقن فى الشرج أربعة أيام» «الذى يعمل ضمادا بعد ذلك: مر، زيت مرحت، كمون، كندر، عسل، أجزاء متساوية يمزج معا ويضمد به حتى يشفى» فإذا ظهر أو خرج على المثانة بشكل بنو الذى يؤثر فى كل المفاصل بشكل سكنت ويولد إفراز مائى بين الفخذين واعترت أعضاؤه حمى مع تألم بالبول، فإن هذا المرض سوف يزول ويكون دبره ثقيلا وإحليله مرتخيا، فقل عن حالته أنها ثقل فى شرجه، وأنها حالة أعالجها وأصنع لها العلاج الشافى: زيت مرحت، عسل، لبن آدمى، يحقن فى الشرج على مدى أربعة أيام».

وقد رأى د.حسن كمال أنها حالة التهاب مثانى بلهارسى مضاعف بعدة نواسير تفرز بولا حول المثانة انعدمت حاليا بعد اكتشاف علاج البلهارسيا النوعى.

وتعالج البواسير حاليا بكريم يحتوى على هيدروكورتيزون يدهن به المريض فتحة الشرج، ويعمل هذا المستحضر على تخفيف الشعور بالألم والتقليل من الإنتفاخ أما الطبيب المصرى فقد وصف مستحضرا من سائل نحاو يصحن معه عشب يعجن ويصفى ثم يمزج فى عسل ويكور ويدخل كلبوس فى الشرج فيشفى ويستخدم حاليا دهان يحتوى على مادة ليدوكين المخدرة لتسكين الألم، أما المصرى فقد وصف الكثير من المستحضرات لعلاج الشرج وتسكين آلامه منها حقن الشرج بمزيج من زيت اهليلج وعسل وبيرة عذبة.

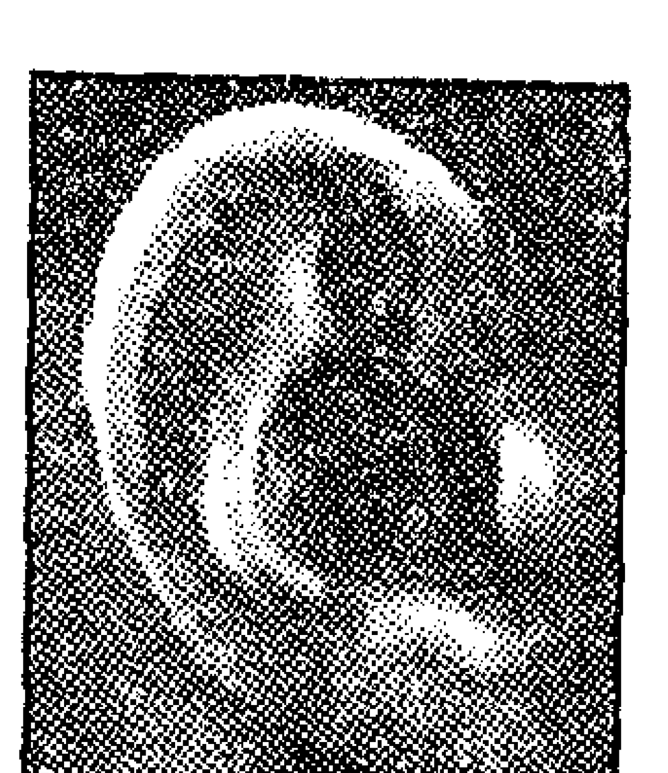
تصدى محتوى بردية هيرست لحالات البواسير والنواسير والتشققات فى منطقة الشرج والأعراض التى تصيب المثانة نتيجة لإصابة الشرج وأدرك الطبيب الصلة بين أمراض الشرج والقلب والصدر والإقليم الضلعى، وقد تُحدث أمراض الشرج أعراضا بالفم والمثانة والفخذين، وانتفاخ الأمعاء يؤدى إلى تقلص الشرج، كما أورد أنه إذا بلغ المرض منطقة الشرج، فإن أوعية الشرج بدأت تموت.

وفى حالة إصابة العجز بالروماتيزم ورد بالبردية: «مبدأ الأدوية لإزالة الروماتيزم من العجز: عشب اسمه سنوت الذى يزحف على بصلته، ربما الزعفران، مثل القثاء، ويخرج زهرة كزهرة اللوتس إلى أن تظهر الأوراق، يبحث عنه ويدلك به العجز، عندئذ يذهب الروماتيزم لتوه، وزيادة على ذلك فإن فاكهته توضع على الخبز لأجل المريض فإن ذلك يجعل المرض يختفى من منطقة العجز»، «بردية هيرست». وشخص الطبيب روماتيزم فقرات العنق وحددها بهذه الكلمات: «إذا فحصت مصابا بالروماتيزم فى عنقه وهو يتألم من عضوى عنقه ومن رأسه وكانت فقرات عنقه يابسة وقفاه ثقيلا وهو لا يقدر أن ينظر إلى بطنه لما تحدثه هذه الحركة من ألم، عندئذ قل أنه مصاب بروماتيزم فى عنقه. اجعله يدلك نفسه ويدهن نفسه حتى يشفى حالا.

وأشار الطبيب إلى الروماتيزم بكلمة سنت وهناك مستحضر: «الذى يعمل للنزلات بالرأس ولروماتيزم القفا: لادن، خسيت، قشرا، فرع عرعر، كندر، كبريتيد الرصاص اثمد، مغرة صفراء، دهن وعل، يوضع فى شبكة رأس ويوضع على الرأس». ومن المعروف أن الرقبة هى الجزء الأكثر حركة فى العامود الفقرى وبالتالى الجزء الأكثر تعرضا للألم وللإصابة أيضا وهناك وصفة «لتليين الركبة: سسكا، حثالة نبيذ البلح، فاكهة تحوا، ملح بحرى، دهن ثور، لحم ثور، طحال ثور، حثالة بيرة عذبة، عسل، آس myrtle، تضم لبعضها ويضمد بها».

وأوصى الطبيب بالتدليك والدهان لفقرات العنق أو العجز المصابة بالروماتيزم، وأدويتها الزعفران وزهرة تشبه زهرة اللوتس تدهن بها المواضع المؤلمة.

ولتليين المفصل فى أى عضو: «عسل، شمع، خنتت الكندر، لادن، مهوى، مسحوق الحنظل، الريانا، نبات ظاس، يصحن معا ويطبخ ويضمد به».



ومن العجيب هذه الوصفة ضد روماتيزم الأذن: «المادة المؤلمة بالأذن: برسيم حلو مع لادن يوضع على الأذن» وهناك علاج آخر لروماتيزم الأذن: صديد الأذن: كبريتيد الرصاص يوضع على الأذن.

وقد ذكرت بعض الكتابات الطبية طبلة الأذن: «إن الأذن التى تحتوى على غشاء الطبلة تصاب بالصمم من الأوعية الدموية للعين».



نى عنخ، أول طبيب أنف وأذن وحنجرة فى التاريخ الإنسانى، الأسرة الخامسة

وذكر فى بردية إيبرز أن: «للأذنين أربعة أوعية دموية تصل لقناة الأذن. اثنان للأذن اليمنى واثنان للأذن اليسرى، ويمر شهيق الحياة من الأذن اليمنى وشهيق الموت من الأذن اليسرى».

ودراية الطبيب المصرى بالعلاقة بين السمع والكلام مؤكدة بهذه الكلمات المدونة فى بردية إيبرز: «عندما يكون المريض فاقد السمع، فهو لا يستطيع أن يفتح فمه أى يتكلم» «وإذا فقد السمع فقد النطق» «أما بخصوص النفس الذى يدخل الأذنين، فهناك وعاءان يسببانه وهما الوعاءان الواصلان لجذر العين». «أما بخصوص سبب صمم الأذنين، فإن هذه الأوعية بصدغى الإنسان».

«بدء أدوية الأذن ضعيفة السمع: مغرة حمراء أو أكسيد الحديد، عصير الطرفاء يصحن ناعما فى زيت اهليلج طازج ويوضع على الأذن».

ولإزالة ضعف السمع طبقا لبردية هيرست: «فاكهة بسلة وملح نطرون نقى، يمزج معا ويدهن به» وللأذن التى يخرج منها سائل نتن: كندر مع دهن أوز، قشدة بقرة، نسل يصحن ناعما يمزج معا ويوضع على الأذن». «لعلاج الأذن: عالجها بالأدوية الباردة،

لا تسخنها، إذا كان مجرى الأذن الخارجى مؤلما، فحضر له برادة الملكيت، يصحن ويوضع عليه لمدة أربعة أيام. بعد ذلك حضر له شعر البذر مع زيت وعسل، صفه عليها عدة مرات، فإذا نزل من فتحتها إفراز، فحضر لها مسحوقا يجفف الجرح: عصير سنط، عصير نبق، فاكهة الصفصاف، كمون يصحن ويعطى له» فإذا تورمت، فحضر لها الأدوية ضد جفاف الجروح. تعالج الأذن المشقوقة حضر لها شبكة كتانية وثبتها بها مع عصارة الجميز حتى تلتحم الأذن إلى دمائها ولا تضع عليها زيتا أو عسل «اقطع ناحية منها حتى يخرج منها الدم من أحد جانبيها ولا تدعها تتقيح أبدا، وبعدما تلاحظ أن طرفى الجرح التأما، حضر زيتا وشمعا واصهرهما وضمدها بهما بمقدار قليل، استعمل هذا فى كل حالة تقيح نتيجة لشق، فإذا أصيب الجرح بنخيرة، جهز له شريحة كتانية واربطها على ظهر رأسه» متابعة دقيقة من الطبيب وتوجيه سليم من الطبيب المعلم ورد فى بردية إيبرز.

وقد تمت العديد من العمليات التى تشمل الأذن بخلاف الرأس، حيث كانت الخياطة للجروح تتم فى الغشاء الخلفى للأذن «لعلاج الصديد الخارج من الأذن: إذا كانت الأذن تخرج إفرازا قذرا لأنه يسيل منها كسائل العجين الشبيه بالخلط، فلف حولها بالمشرط حتى ينتهى التلف منها، جهز له زيتا وعسلا وخيوطا، ضع ذلك فيها بواسطة فتيلة من الكتان وضمدها به حتى تشفى» وتذكر البردية وصفة أخرى من زيت الإهليلج والكندر يصب فى الأذن أو ملح بحرى مع سخبت» أو تعالج بكبريتيد الرصاص مع مهو يوضع على الأذن.

ولتجفيف الأذن التى بها إفراز: مغرة حمرا أو أكسيد الحديد، كمون، أذن حمار، أنقى زيت، زيت اهليلج، يسكب فى الأذن» ومن المعروف حديثا أن الأذن تتعرض لألم بارد وهو اصطلاح أطلقه القدماء على الألم الناتج من التهاب غير بكتيرى نتيجة لدخول الماء فى بوق الأذن الخارجية ووصوله إلى الطبلة، فيعمل على نمو بعض الفطريات العفنية التى تسبب حكة شديدة مزعجة ومؤلمة.

ووجع الأذن الحار، وهو اصطلاح أطلقه القدماء على الألم الناتج من الالتهاب البكتيرى، وهو عادة التهاب الأذن الوسطى، ويتميز الالتهاب الحاد بوجود حرارة وألم فى الأذن، وانخفاض أو فقد السمع مع نزول سائل صديدى من الأذن المصابة. وتذكر بردية برلين وصفة لدرء ثقل السمع: «سعتر، كندر، كرفس، خبز بسن، مرارة ثور، تصنع قرص وتوضع على الأذن».

وتذكر بردية إيبرز العديد من المستحضرات العلاجية الخاصة بأمراض الجهاز التنفسى منها: «مبدأ الأدوية لطرد السعال: ظرت أو حنظل صابح مع ماء فى إناء هن ويشرب على أربعة أيام، أو يغلى الحنظل مع البيرة ويشرب على مدى أربعة أيام» «مسحوق البلح يعمل بهيئة عجينة اسمها خاد ثم يوضع فوق النار فتتكون عجينة تنزع من النار ويضاف اليها دهن وزيت اهليلج حتى تصبح بليلة معروفة باسم أمعت، يأكلها المريض وهى ساخنة سخونة ملائمة فيشفى فورا».

وقــد أثبــت العلم الحديــث أن البلح يقضى على التهاب الأغشــية المخاطيــة لتجويف الفم والتهاب الشــفتين لاحتوائــه على فيتامين ب٢ ووصفت بردية إيبرز أيضــا الإفرازات المصاحبة للبرد والإنفلونزا.

ولكــن الرقية ضرورية فى حالة الإنفلونزا: «إذهب بعيدا يا من تكســر العظام والرأس وتنخر فى النخاع وتصيب الثقوب السبع للرأس»

والثقوب السبع المشار اليها هم العينان وفتحتا الأنف والأذنين والفم.

وعــلاج الأنــف المخاطية هو نبيذ البلح الذى يتم ادخاله فى تجويف الأنف، ومارس المصرى علاجــات متنوعة لإصابات الأنف كان يســتعمل خلالها الكتان كضمادات للجروح «بدء الأدوية ضد نتانة الأنف أى الزكام، نبيذ بلح، تملأ به فتحتها».

ولطــرد العطس من الأنــف: نياياو يدهك مع الملح ويوضع علــى الأنف» ويمزج الطبيب مرة أخــرى العلم بالإيمان: «اخــرج أيها الأنف المنتن، اخرج يا ابن الأنف المنتن، اخرج يا كاســر العظام ومتلف الجمجمة، ويا آكل نخاع العظام ويا فاعل سبعة ثقوب فى الرأس المريضة:

يــا خــدم رع امدحوا تحوت ها قــد أحضرت علاجك المضــاد لك ومشــروبك الواقى منك: لــبن امرأة وضعت ذكرا، كندر صمغى هو يطردك ويزيلــك، تكرر بالعكس، اذهب للأرض أيها النتن، أيها النتن أربعة مرات، يتلى هذا على لبن امرأة وكندر يوضع فى الأنف».

يمــزج الطبيــب العلم بالعقيــدة فى حالة صعوبة العلاج الشــافى، ومن المعــروف حديثا أن الأنفلونزا يوصف لها المسكنات ولا يقضى على مسبباتها.

وكان الطبيب على دراية بالقفص الصدرى ولديه العديد من الوصفات لعلاج الرئة والسعال والربو والالتهابات الرئوية: «إذا فحصت شــخصا مصابا بســدة وكان يســعل ويبصق ومرضه تحت جانبى صدره كالمرحاض فقل عنه: إن ذلك نتيجة تجمعات بجانبى صدره وإن هناك ضيقا بإقليم معدته».

وكانت علاجات الجهاز التنفسى تنحصر فى دواء هو مستحضر عشبى وآخر يستنشق، وكل من التشخيص والعلاج لا يختلف كثيرا عن معلوماتنا الحالية.

واستنشاق البخار كان أحد العلاجات للكحة والحساسية الشعبية، فتذكر بردية إيبرز:

«... يجب أن تحضر ســبعة حجارة وتســخنها على النار، خذ واحدة منها وضع فوقها هذه الأدويــة ثــم غطها بوعاء به ثقب أدخل فيه عصا من البوص، ضع فمك على البوص واستنشــق البخار وكرر هذا لكل حجر..».

أما حالات الربو، فاستنشــاق دخان رهج أصفر sulfide of arsenic، أى سلفات الزرنيخ، يصحن مع قطران sandarac ويوضع على حصوة: «ضع بعضا من هذا الدواء عليها، غطها بإناء مثقــوب، أدخــل غابة فى هذا الثقب وضع فمك عند طرف الغاب لتتمكن من استنشــاق الدخان

الصاعد منه». ويتكرر هذا سبع مرات يأكل بعدها المريض لحما سمينا أو زيت ويعالج الربو أيضا بمزيج من التين، والعنب، والجميز، والسبستان، وكمون، وعرعر، وبيرة عذبة، يصفى الخليط ويشربه المريض مدة أربعة أيام ومستحضر آخر من خبز صابح ومغرة صفراء أو ايدرات أكسيد الحديد، iron hydroxyd وفاكهة العرعر يمزج مع زيت وملح ويصفى ويؤخذ مدة أربعة أيام.

العديد من الوصفات المتنوعة التى تعتمد على الفاكهة والأعشاب والمعادن هى الأساس فى تصنيع الدواء للعلاج، بخلاف الحالات السابقة، علاج القيح من المنطقة الوداجية العنقية، وضعف الهضم، والطاعون الدملى، والنزف المعدى، وتضخم الطحال، والأنكلستوما، والأنيميا،... إلخ

وقد أطلق المصرى مسمى عشعش على الحنجرة، ومؤخرة الرأس مقحا، والأضلاع شوتى أما «لطرد التهاب الغدة النكفية: حثالة العسل تدهن بها الغدة النكفية الملتهبة».. مسحوق عصير السنط ونشارة البطم يضمد به لمدة أربعة أيام».

لقد تمتع الطبيب المصرى بقدرة فائقة على تشخيص المرض ووصف أعراضه، مما ساعده على التمييز بين مرض وآخر بالرغم من تشابه بعض الأعراض،ففرق بين السعال والربو ليميز بين أمراض الرئة، ففى بردية إيبرز ذكر مرضا رئويا مصحوبا ببصاق منتن ووصف للقضاء على السعال حنظل صابح مع ماء فى إناء ويشرب لمدة أربعة أيام أو الحنظل مع البيرة أو علاجا ثالثا من مسحوق البلح يوضع فوق النار فتتكون عجينة يضاف اليها دهن وزيت اهليلج ويأكلها المريض وهى ساخنة.

وصف الطبيب العقاقير المختلفة بأسلوب سليم مع تحديد الجرعات اللازمة للأمراض الباطنية، كما وصف بدقة بالغة مسكنات الألم واللبخات واللبوس المهبلى والشرجى، وحدد كيفية إعداد الأقراص الدوائية، وركز على كيفية استنشاق دخان العلاج الربوى وعلاج الرئة، ووصف كيفية إعداد المراهم لدهانات الجلد باقتدار، والشراب الدوائى...

وهناك حالة شخصها الطبيب المصرى على أنها غدة متورمة نتيجة لإصابة مرارية، وقد عرفها د.حسن كمال بكونها دمل بالزور angina phlegmonosa boil in the throat.

«إذا فحصت غدة متورمة فى حنجرة إنسان نتيجة لإصابه مرارية لأى مادة أخرى بأى عضو بالإنسان، ووجدت قمتها بارزة بروز حلمة الثدى، وبها سائل يجرى، فقل عنه: إنه واحد مصاب بتورم غدة بزوره بها مادة تجرى، وهى مرض أعالجه. ثم حضر له الأدوية ليتحلل بواسطتها: بصل، نبيذ بلح، كمون، ملح بحرى، سائل عجين، مسحوق الفول، فاكهة شمس، عسل، زيت، تمزج معا ويضمد بها لمدة أربعة أيام حتى يشفى.

وتعامل الطبيب مع غدد متضخمة متنوعة منها غدة متضخمة متكسية فى عنقه، وقد حددها د.حسن كمال بكونها غدة درنية لينة، وأوصى الطبيب المصرى القديم بالتدخل الجراحى لحماية الأوعية، ثم يضمد بخليط من المواد المتعددة.

ووردت تعاليم خاصة بغدة متورمة متقيحة بعنق إنســان بعدما كبرت أزالت الجلد الذى كان يكسـوها فيســقط وأخذت مكانه أزرار لحمية أى suppurating granulations، واسـتمرت سنين وأشهرا، يخرج منها إفراز مثل السائل المنوى لسمكة الشال synodontis، فقل عنه: إنه مصاب بغدة متقيحة وإنه مرض سأكافحه.

وقد حددها د. حسن كمال بكونها scrofuloderma. كما حدد حالة fistula after abscess، «إذا فحصت غدة متضخمة صفراوية دامت أياما عديدة ظهر فيها إيمو الذى كون داخلها سـائلا وجلدا متقيحا أكثره ساخن، فقل عنه: إنه ناسور ظهر فيه إيمو، هو مرض أعالجه».

حضر له الأدوية لعلاجه بقدر ما يمكن تلك الأدوية أن تخرجه: كمون، زيت ظرت، حنظل، عصير السنط، لسان البحر، هباب من نحاس، ويعمل مسحوقا.

ولجـأ الطبيب لأسـلوب ثالث لعـلاج الأورام: «تعاليم بخصـوص ورم باللحم بأى عضو فى الإنسان cutaneous tumour: easily movable sub fibroma: إذا فحصت ورما فى أى عضو بالإنسان، ووجدته شبيها بجلد جسمه، وإذا دعكته ذهب ثم عاد بواسطة أصابعك وامتنع عن تحركه، فقل: إنه ورم باللحم وإنه مرض أعالجه.

وبعدما تعالجه بالنار أى بالكى، عالجه جراحيا كما يعالجه الجراح سـعمم، وعالج الطبيب الفتق بغطاء البطن: اكوه حتى يحتبس فى بطنه. عالجه كما يعالج سحمم.

وينطبق هذا خلال الفحص «على ورم بغطاء قرنى بطنه أعلى أعضائه التناسلية، ضع إصبعك عليه وافحص بطنه ونقر على أصابعك، فإذا فحصت الذى يخرج ويبرز نتيجة لسـعاله، فقل: إنــه ورمــا بغطاء بطنه، وهو مرض أعالجه. إن حرارة المثانة بمقدم بطنه هى التى جعلته يتحرك إلى أسفل والعكس بالعكس».

وحدد د. كمال حالة تورم الجزء الأسفل من البطن بأنها مطابقة للاستسقاء الزقى ascites، ويحــدد الطبيــب المصرى القديم من خــلال الفحص وجود ماء فى البطــن يصعد وينزل، وحدد الإصابة بأنها حروثاو، إنها الحرارة فى المثانة التى تسببه، إنه مرض سوف أعالجه.

وهنــا تبرز خــبرة الطبيب المعلم الذى حــدد الأورام وصنفها وأقر قدرتــه على علاج البعض جراحيا أو بالكى أو بالضمادات، كما أقر مكافحته لبعض الأورام وعدم لمس أورام أخرى.

وينتقل الطبيب ليعطى تعاليم خاصة بتورم ارتشـاحى بأعضاء تذكير الإنسـان، ويكتشـف بالفحــص بجس الورم بأصابعه، «ووجدت الورم مثـل حبع تحت أصابعك وهو يهرب تحتها، فقل: إنه ورم بالأعضاء التناسلية للرجل، وهو مرض أعالجه جراحيا».

ولا يقتصـر العلاج علـى الجراحة، بل يضمد الجـرح بعدها بالدهن، وتعـالج الجروح كما ورد سابقا.

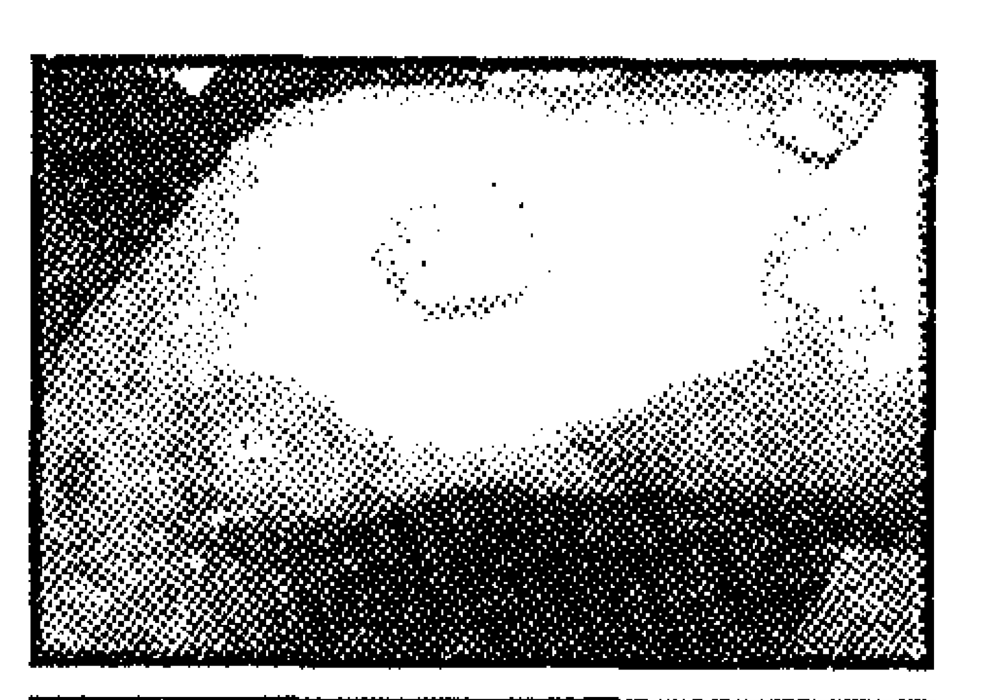
وتنـــاول المصرى حالة hygroma chronic abscess من خلال تعاليم خاصة بورم متكيس بأى عضو بالإنسان «ووجدته يذهب ويرجع تحت أصابعك وهو مقسم أجزاء، افحصه باليد عندما يثبت...إنـــه مرض أعالجـــه». عالج الطبيب هذه الحالة وأخرى لـــورم pelipoid tumours، جراحيا مع متابعة الجرح إلى أن يلتئم.

شـــخص الطبيـــب الدمامـــل والخراريـــج ووصـــف كل حالة وصفـــا دقيقا حتـــى لا يخطىء الطبيـــب المعالج، فهنـــاك وصف لورم مادى يصيب أى عضو بالإنســـان، فإن كانت قمته بارزة ومتصلة ونصف دائرية، وفى داخله مثل ســـائل لزج، ثم يخرج مادة كالشـــمع، والورم متكيس، فلا يترك فى كيسه شىء وإلا سيرجع ثانية.

وتصيب هذه الدمامل أو أثروما athroma فروة الرأس أحيانا وعالجها الطبيب باقتدار.

ويؤكد الطبيب على أهمية إخراج الســـائل المتقيح داخل الكيس حتى لا تتكاثر المادة بداخله مرة أخرى، فإذا عاد الورم بعد اســـتئصاله، فهذا دليل انتشار الالتهاب الذى يعالج غالبا بالكى مع مراعاة وقف النزف، ثم معالجة الوعاء معالجة الجروح إلى أن يشفى.

أما حالة انفريزما شريانية وريدية anevrysma arteriovenosum، فيصفها الطبيب على أنهـــا ورم بالأوعية بالطبقات الجلدية لأى عضـــو ومظهره يكبر لالتفافه كالحية، وأوعيته كونت عقدا كالشـــىء المنفوخ هواء، «لا تضع يدك على مثل هذا الشـــىء فإن ذلك يضر عضو الإنســـان. حضر له الدواء المعروف باســـم شـــفاء الأوعية بكل أعضاء الإنسان، وهذه رقيته الناجحة: اخرج يا وعاء شرتيو، أى الضفيرة الوريدية السطحية، ...والذى يحدث النبض فى وسط هذه الأعضاء، لأنـــك متصل باتصـــالات خونس...وإذا فحصـــت ورم خونس... اجعلنى أحضـــر هدايا قربانية إلى رع، تتلى هذه لأربعة مرات.



الجـذام مـرض يصيـب الجلـد والأعصـاب ويحـدث تلفـا إن لم يعـالج، والتلـف يصيـب الجلد والأعصاب والأطراف والعيون.

يلجـــأ الطبيب لهذا عندما يســـتعصى العلاج، فيبحث عن قوى عليا تنقذ مريضه الذى يزرع فى نفسه الإيمان والرغبة فى الشـــفاء ربما تعمل الطبيعة لصالحه، ولا يضير الإنســـان معرفة قدراته.

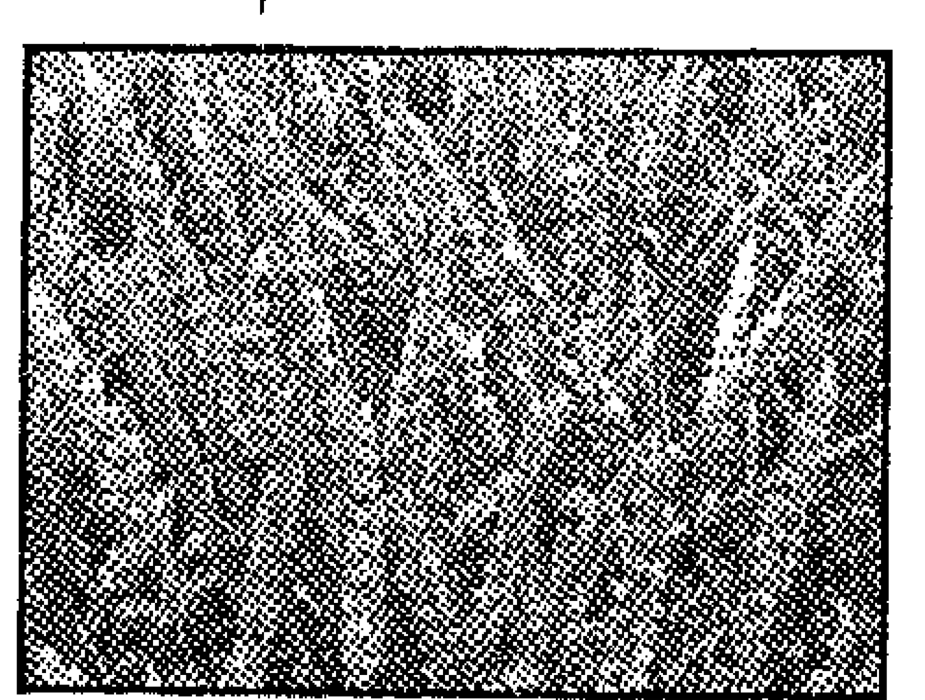
وقد حـــدد الطبيب مرض خونس وهو طفح أكال حددها د. كمال lepra mutians or anaesthetic leprosy.

«إذا فحصـــت طفحا.... وكانت عيناه خضراوتين ومرتخيتين ولحمه يحترق بســـبب ذلك، وكان هنـــاك نزاع: فإذا وجدت من ناحية تلونا على لوحتى الكتفين والذراعين والعجز والفخذين، فلا تعمل له شيئا، أما إذا وجدته شبيها بإفراز أية قرحة أو إفراز جرح سطحى على الثدى أو الحلمتين أو علـــى أى عضو وهـــو يذهب ويجىء ورطب تحت الإصبع ويحوى ســـائلا بأعلاه، فقل عنه: إنه

باليد، أى يمكن علاجه، حضر له علاجا لطرد المرض: براز ذبابة، وهو ربما اسم مادة ما لاستحالة الحصول على براز الذبابة فلا تؤخذ الكلمة بحرفيتها، مسحوق القمح، نطرون، دقيق خبز بسن، فول أثمد أى كبريتيد الرصاص وزيت، يمزج مع عماو دون اضافة ماء ويضمد به حتى يشفى».

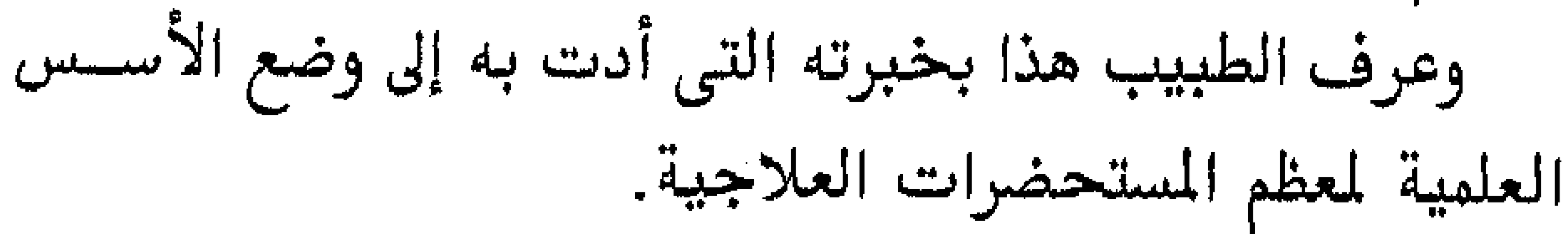
وقدرة الطبيب العالية على إعداد الضمادات المؤثرة علاجيا، دفعته لتحضير ضمادة: «بدء أدوية الشق الأيمن فى حالة شلل نصفى: بليلة صابحة، زيت خردل وبيرة».

وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن لكل ١٠٠جم من القمح ١٢,٦جم من البروتين، ١,٥ دهون، ٧١جم كاربوهايدريت، ١٢,٢ ألياف، ٣,٢ حديد الذى يمثل ١٧٪ من احتياجات الجسم اليومية.



نبات القمح

وجنين القمح غنى بمجموعة فيتامينات B complex، التى تسهل عملية التمثيل الغذائى وتساعد على تقليل الضغط، وهو غنى أيضا بالأنزيمات والمعادن، وفيتامين E الذى يقوى العضلات ويحمى الرئتين ويمنع تجلط الدم ويقوى جهاز مناعة الجسم، ونقص هذا الفيتامين يسبب الشلل.



وعرف الطبيب هذا بخبرته التى أدت به إلى وضع الأسس العلمية لمعظم المستحضرات العلاجية.

وقد لجأ الطب المصرى القديم إلى البليلة الصابحة فى كثير من علاجاته، إذ إنه يلجأ إلى القمح كاملا بلا تقشير ويصفه علاجا للعديد من الأمراض لعلمه من خلال الخبرة بفوائده، لم يعرف كلمة فيتامينات، ولكنه لمس فوائد المواد الطبيعية المتنوعة، فوصفها فى علاجاته واعتبرت مستحضراته اللبنة الأولى التى طورتها الأجيال وصولا إلى الطب الحديث وإلى التطبيب وتحضير الدواء وعلم العقاقير.

وهناك ضمادة أخرى من كندر، فاكهة العرعر، أبو من مصر السفلى، ابخى، كرفس من بلاد التل، كرفس بحرى، بشنت، تيعم، سوت binse rush، خبو، زيت خردل أبيض، زيت مسطردة خضراء، قطران الصنوبر، سيكران، آس، عسل».

والتفاعل الكيميائى لهذه المواد هو ما عرف بالسحر لمعرفة الطبيب فقط بهذه الخلطات والظروف اللازمة لاستعمالها والأنواع المراد تحضيرها ومكوناتها وكذلك تأثير هذه الخلطات فى الجسم البشرى.

وهناك أدوية أو علاج يتناوله المريض كطعام يزوده بالفيتامينات اللازمة لتقوية مناعة الجسم ضد المرض ووصفات تستعمل كضمادة للعضو المصاب أو لبخة تؤثر من خلال الجلد فى الأعضاء، ففى حالة التهاب الخصية، أوصى الطبيب بفاكهة ظايس، ممت، تدهك ويأكلها الشخص المصاب بالتهاب الخصية» وبتحليل المواد المكونة لهذه العناصر أمكن حديثا تطوير هذه العناصر وتحضيرها كيميائيا.

أما الضمادة لعلاج هذه الحالة، فهى ممت مع عسـل، يدهك مع العصير الموجود ويدهن به القضيب. يضمد به لمدة ليلة حتى ذراعيه ورجليه».

وذكر الطبيب السـبب فى حدوث الصلع كما ترآى له: «هناك أربعة أوعية منتشـرة بالرأس تصب فى مؤخرة الرأس هى التى تحدث الصلع وسـقوط الشـعر»، وقد حددها د.حسـن كمال بشـريانى الصـدغ temporal arteries، وشـريانى مؤخـرى occipital arteries، ووصف بعض المسـتحضرات العلاجية: «لإبعاد الصلع المبقع: شـوك القنفد، يحـرق ويوضع فى زيت ويوضع عليه».

ولإزالة الصلع البقعى من الرأس: تين، سبسـتان، وام، مغرة صفراء، كندر، دهن أوز، بيرة عذبة، يغلى ويصفى ويؤخذ على أربعة أيام».

وتصاحـب التعويذة هذا العلاج: أيها الواحد المضىء الذى يقف سـاكنا، احترس من سـيد تاج رأسـى، يتلى هذا على مغرة حمراء أى أكسـيد الحديد، وظرت، ومرمر، وعسل، تمزج معا وتوضع عليه».

ومن فروة الرأس لما يصيب الجلد نتيجة لعضة من إنسـان أو حيوان: «لعلاج عضة الإنسان: قشـرة من إناء عنـزو، كرات، تدهك تمزج معا ويضمد به» والمسـتحضر الثانـى: «كندر، مغرة صفـراء، مـرارة معزة، يمزج معا ويضمد به» «علاج لعضة التمسـاح: إذا فحصت عضة تمسـاح ووجدت اللحم مشقوقا متهتكا وكان جانبا الجرح مفصولين، فضمده أول يوم بلحم صابح. يعمل هذا مع كل جرح بالإنسان».

وكان الطبيـب يعالج الجـروح بتضميدها بلحم صابح فى اليوم الأول، ثم يدهن الجرح بزيت وعسل إلى أن يشفى ثم يدهن بالزيت والشحم حتى يشفى لتوه.

وتطرق الطبيب لمرض القراع المخاطى وهو أحد الأمراض الجلدية الناتجة من إصابة فروة الرأس بالفطريات ويعتبر القراع مرضا معديا ينتقل من المريض إلى السـليم ومن الحيوانات إلى الإنسـان «مبـدأ لإزالـة إفراز القراع المخاطى achor، يمزج بذر خروع مـع دهن وزيت اهليلج ويدهن به يوميا».


بذور الخروع

ولجـأ الطبيـب إلى العديد من المـواد الطبيعيـة لعلاج هذا المرض الجلدى منها سـارى مع عسـل كضمادة أو مغرة حمراء مع عسـل، أو ضمادة مـن نبيذ البلح والعسـل، أو كلاهما مع عود الرقة،... إلخ

ولجأ الطبيب المصرى كثيرا إلى الخروع فى علاجاته المتنوعة، فـإذا دهكت أصول نبات الخـروع فى الماء ووضعت على الرأس المصاب، فإن المريض يشفى لتوه كأنه لم يمرض.

وإن مضغ إنسـان بعض حبوب الخروع مع البيرة العذبة عند إصابته بإسـهال، فإنها تطرد المرض من بطنه، كما أن شعر المرأة ينمو بتأثير حبوب الخروع بعد سحقها ومزجها بزيت.

ويسـتعمل الزيـت المتواجد داخل حبوب الخروع كدهان لمـرض الحمرة، ولطرد مرض اتتت حيث يستعمل زيت الخروع كدهان فى الصباح الباكر لمدة عشرة أيام.

وتدل الدراسـات الحديثة على الفوائد المتعددة لزيت الخروع المسـتخلص من الحبوب، منها القضاء على التهابات المثانة، والإمساك، وبعض الحالات الكبدية، مثل التليف الكبدى والكسل فـى الكبد، والصرع، والصداع، وتيبس الجلد، وأمراض الأمعاء مثل عدم التناسـق بين الإخراج وعملية الامتصاص داخل الأمعاء، والتهاب المفاصل.

ويسـتعمل زيت الخـروع حاليا لزيادة تدفق اللبن لدى السـيدة المرضع عنـد دهان الثدى، كما يقضى على التهاب حلمة الثدى، ويسـتعمل أيضا لمنع إجهاض السـيدة الحامل، ويوقف النزيف الرحمى، ويقضى على التهاب الأكياس فى الثدى Cystic breast disease، والتهابات الأوعية الدموية varicose veins.

وانتقل الطبيب من جلد الرأس إلى الشعر: «بدء أدوية لإزالة الشيب من الشعر: مشيمة قطة، بيضة غراب، زيت، لادن، يغلى ويدهن به رأس الإنسان».

العديد من المسـتحضرات التى تهدف لإزالة الشـيب من الشـعر وأخرى للحفاظ عليه وعدم حدوث الصلع ومعظمها دهون حيوانية المصدر أو من الأحياء المائية أو كبريتيد الرصاص أو زيت تربنتينة، أو زيت سمك أو عجين الخبز الحامض.

ومن أبرز مميزات الإنسـان المصرى القديم الذى لم يغفل الحروق ومؤثراتها، العناية بالصحة العامة وبالمظهر العام على الجلد، فأوجد لها المستحضرات اللازمة كما ورد فى البرديات.

وتذكر بردية إيبرز: «مبدء أدوية الحروق»: الذى يعمل فى اليوم الأول: طين أسـود، يوضع عليه، وفى اليوم الثانى: براز الغنم يحرق ويصحن جيدا مع سـائل خميرة ويوضع عليه، وفى اليوم الثالث: جوزة عفص السنط جافة تصحن فى ماء الشعير وحنظل، يوضع فى زيت ويضمد به أو قطران الصنوبر يصحن مع تربنتينة ويضمد به، وإذا سـاءت الحروق، فبرادة النحاس مع ملاكايت ومسـحوق المداد، كندر صابح، كمون، قسـنتى، نطرون، صمغ الكلخ، شمع، قرفة، مر عطرى، ترابنتينة، عسل، يصحن ناعما ويمزج ثم يضمد به.

ويلجأ الطبيب إلى المسـتحضر السـابق فى حالة الحرق المصاحب بالغرغرينة كما يلجأ إلى دهان الجلد المحروق فى اليوم الأول بالعسل أو عشب الكتان يغلى فى زيت ويصحن ويوضع على الجلد.

أعد الطبيب الدهانات للحروق لتلطيفها ومزج معها المواد المطهرة والمواد القاتلة للميكروبات.

لقـد أثبت العلم الحديث أن الماء البارد أفضل علاج وأسـرعه للحـروق التى يصاب بها الإصبع أو اليـد، مع أن صـب الماء البارد على الحرق ينبغى أن يتم خـلال دقيقة واحدة من الإصابة،

وأن يســتمر صب الماء على الجزء المصاب لمدة ربع ســاعة. وقد ثبت أن الماء البارد يخفف التورم ويزيل الألم والإحمرار.

وكان المصرى يتلو الرقية التالية فى حالة الحرق: «ابنى حورس أصيب بحرق فى الصحراء، ليس هناك ماء، ولست هناك، احضرى أيتها المرأة ماء من الشاطىء، وسائلا لإطفاء النار».

وتتلى هذه الرقية على لبن امرأة ولدت ذكرا: «بعد ذلك اعمل قطع الطبيب أى التشــريط ثم يضمد بكرات مدهوك مع فاكهة البسلة».

وتطرق الطبيب المصرى القديم للقرحة الأكالة، وهى قرح صغيرة الحجم مؤلمة تنشأ فى الفم وبالأخص فى اللسان أو الجوانب الداخلية من الشفتين، أو فى أحد جانبى الخد الداخلى أو كليهما.

وأول دليل على تكون القرحة الأكالة الشــعور بنوع من الحرارة أو الوخز فى المكان المصاب، ثم تظهر بقعة حمراء وتلتهب فى وسطها ويتحول لونها إلى رمادى أو بيضاء ولها حواف صفراء، ثــم تغطى بمزيج متجلط أصفر من البكتيريا والســوائل وكرات الــدم البيضاء يتراوح حجمها من صغيرة إلى كبيرة، فقد تكون فى حجم بذرة الخردل أو فى حجم بذرة الكستناء، انها تظهر فجأة وتختفى بسرعة وتستمر من خمسة أيام وحتى عشرين يوماً والمستحضر الذى وصفه الطبيب المصرى القديم للقرحة المتواجدة بأى عضو من أعضاء الجسم: دقيق خبز بسن، ملح بحرى، عسل، يدهن به مرارا. أو حنظل مع عسل يصحن ناعما ويشرب» «ولطرد تلف قرحة اللثة الأكالة: كمون، صمغ، عســل، زيت يضمد به. «لطرد قرحة اللثة الأكالة ولجعل اللحم ينمو: بســبس، فاكهة الجميز، أنيس أو ينسون، عسل، كندر، ماء، يترك طوال الليل فى الندى ويمضمض به».

وفى مواجهة الإكزيما وتهدئة الحكة، استحضر الطبيب نطرون مع جبس من القمينة وحنظل وكنــدر مع نواة البلح ويمزج معا وتضمد به «بدء أدوية إزالة الإفرازات أى الأورام وتهدئة الحكة فى كل عضو من الإنسان: نشا الشعير، عود الرقة، يمزج مع سائل لزج ويضمد به».

وتظهر إصابة الإكزيما الجافة، فى شكل بقع حمراء بالجلد مصحوبة بنزيف سطحى خفيف وقد يكون سطح الإصابة جافا وبه قشور تظهر واضحة عند حكه، وهناك نوع آخر يتميز برطوبة الجلد الواضحة عند حكه وفى الحالات الشــديدة منه قد تظهر فقاعات مملوءة بســائل وهذه هى الإكزيما الرطبة.

وعادة يصاحب الإصابة بالإكزيما رغبة فى حك الجلد المصاب، وقد تكون رغبة شديدة تؤدى إلى نزيــف دموى خفيف من الجلد، والحكة نتيجة قصور فى وظائف الغدة الدرقية، وفى بعض أمــراض الدم، وقد يعكس وجود الحكة انهياراً فى وظائف أعضاء أخرى، كما يحدث فى هبوط الكلى والكبد، وقد تكون مظهراً لأمراض أخطر مثل سرطان الدم، أو تظهر الحكة كأحد أعراض الإدمان على المخدرات.

وعالج الطبيب المصرى باقتدار الحكة الناتجة عن الإكزيما الرطبة بكتلة طين توضع فى ماء وتعجن مع حنظل مسحوق ويوضع الخليط فى قماش ويغلى المحتوى، تعمل منها عجينة ويضمد بها «أو ردة الحنطة البيضاء تحمص مع وام، يصحن، يعجن فى سائل لزج ويمزج بالزيت ويضمد به».

أما للرجلين المريضتين اللتين تفرزان سائلا، أى الرجلان المتورمتان، نطرون أحمر يمزج مع حثالة نبيذ البلح ويضمد به» «مستحضرا لمنع الإفراز ومنع الحكة فى كل الأعضاء: حب العزيز، حنظل، بلح صابح، ملح بحرى، سائل لزج من مشروب متخمر، عود الرقة، كمون، يغلى ويدهن به» أو تعد نفس الضمادة من فحم نباتى ونبيذ البلح وملح نطرون من الشمال، مع حثالة البيرة.

وضمادة أخرى من ملح الشمال مع دقيق خبز بسن وملح النطرون يخلط بعجينة من قمح مقشور ويضمد به لإزالة الماء».

وورد ببردية إيبرز هذا المستحضر: «لتسكين الحكة أى التآكل حب العزيز، مسحوق حنظل، كندر، حثالة نبيذ البلح، يمزج معا ويوضع على مكان الإفراز. اصنعه وسترى، اسمع، هذا علاج حقيقى وجد أثناء التفتيش بمعبد أوزوريس، هو علاج لطرد الإفراز من كل أعضاء الإنسان، هو سوف يشفيها اصنعه وسترى».



مارس المصرى تدليك الأطراف

ومعرفة الطبيب المصرى بأهمية الأوعية الدموية وأنها تنبع من القلب إلى أجزاء الجسم المختلفة، أدى به إلى ممارسة التدليك للقدمين واليدين حيث تتجمع الشرايين والأعصاب، وذلك لتنشيط الدورة الدموية كنوع من العلاج والضغط على الأعصاب للتخفيف من حدة توترها، ولم يلجأ الطبيب لأى من الأدوات خلال هذه الممارسة، فقد كان يستعمل يديه فقط فى تدليك الأطراف ومازال هذا الجانب الطبى يطبق على مستوى عالمى يعرف بالـ Reflexology كما يدل نقش على جدران مقبرة عنخ ماحور حيث نقشت هذه الكلمات: «لاتؤلمنى» فيجيبه الطبيب الممارس: سوف أعمل طبقا لرغبتك».

وتذكر العديد من البرديات حالات تدليك لأعضاء الجسم المختلفة خاصة فى الحالات الروماتيزمية والمصابين بتصلب فى عضلات الرقبة وحول الفكين.

وكما ورد فى بردية كاهون أو الاهون فإن التدليك كان يمارس على الأعضاء المريضة لتخفيف الألم تدريجيا حتى الشفاء، وكان الطبيب يلجأ إلى عدة مواد تساعده على التدليك منها الدهانات أو الطفلة أحيانا أو الزيوت النباتية فى أحيان أخرى.



ممارسة تدليك أطراف وباطن القدم

«إذا جاءتك امرأة تشـكو من قدميها ومفاصلها... فيجـب أن تقول إنه الرحم، وتقـوم بتدليك القدمين بالطفلة حتى تتحسن».

وتبرز بردية إيـبرز اهتمام الطبيب بالأطراف فقد أورد بها علاجاته لتليين الركبة، فالمسـتحضر مزيج من العسل، ومسـحوق القمح، ولحم سمين، يصحن معا وتضمد به الركبة.

وتتعـدد الوصفات وهي ضمادات ودهانات لمنطقة الركبة لأجل الركبة المنعطفة للخلف، أو لطرد الأمراض من الركبة، أو لطرد الضعف الجزئي...

ومن مكوناته العلاجية الأعشـاب وبعض الفاكهـة، والدقيق، والملح وغيره الذى يمزج، إما مع البيرة العذبة، أو حثالة نبيذ البلح، أو العسل، أو الماء أحيانا.

وهناك وصفة لطرد الاستسقاء من الإنسان: «وادو من الغيط وأبو زنيمة من البركة، يقليان فى الزيت وتدهن بهم الأرجل».

وللرسغ المريض: «دهن وعسل وكندر ونشارة الملكايت ومر جاف، يسخن ويضمد به».

ولدرء عين السمك من القدمين: «صنوبر، فاكهة تحوى أى بسلة، فاكهة شمس، تسخن وتضمد بهـا» «بدء أدوية أصابع اليد والقدم: مغرة حمراء أى أكسـيد الحديد، شـقفة من إناء هن جديد، حثالة العسل، يضمد به، بعد ذلك حضر له علاج التبريد: عصير السنط، عصير النبق، مغرة صفراء أى ايدرات أكسـيد الحديد، مسحوق الملكيت، وزيت، يصحن ويضمد» وإذا تطورت الحالة: «فإذا وجدت إصبع اليد أو القدم مريضة متقيحة عفنة وبها دود صغير، فقل عنه إنه مرض سوف أعالجه، حضر له الأدوية القاتلة لدود سـب: سـيا الصعيدى، سـيا بحرى، تربنتينة، يصحن ويضمد به». ولظفر إصبع القدم علاجه أيضا من العسل والمغرة الصفراء أى ايدرات أكسيد الحديد، مع زيت.

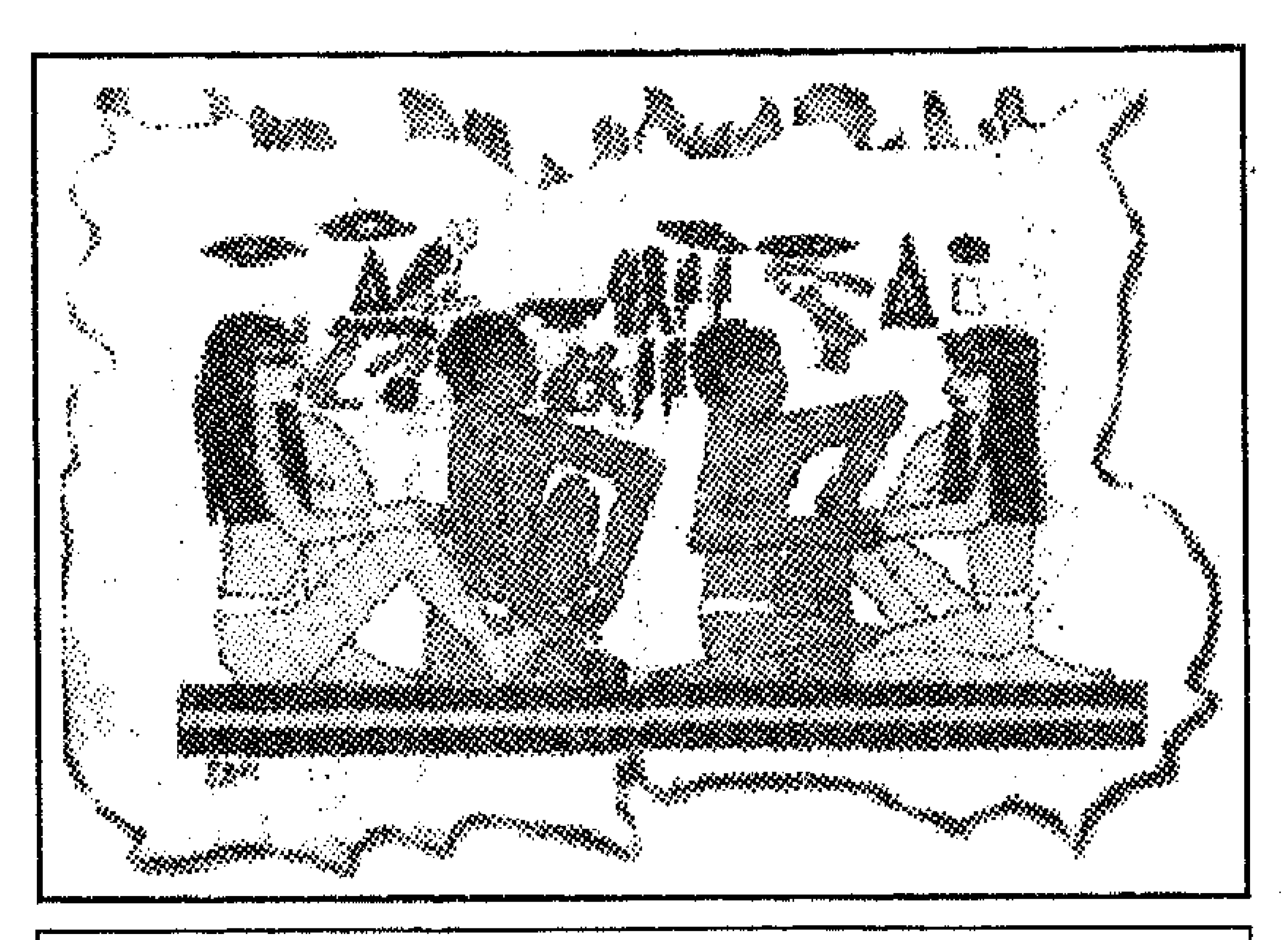
وتتوالى المسـتحضرات الخاصة بإصبع القدم المريضة أو الظفر الساقط أى المنفصل الذى أوصى الطبيـب بـرش ملح النطرون عليـه لتعقيمه، ولدرء الرعشـة من الأصبع، فاكهة طلح سـوداء، دهن ثور، سسكا، لبن، ملح بحرى، جميز، تغلى وتمزج معا ويضمد بها».

والتهاب الأعصاب الطرفية كما ثبت حديثا هو ناتج عن أمراض متعددة، أهمها مرض السـكر التى تتباين أعراضه والتى يمكن أن تكون بسيطة مثل الوخز أو الضعف والخذلان: وقد وردت هذه الوصفة فى بردية برلين: «علاج لإزالة الوخز: زيت اهليلج صابح، عسل، ورق السنط، ورق النبق، آس، بيرة عذبة ويحقن فى الدبر لمدة أربعة أيام» «علاج لمرض منحن الذى يصيب الرجلين: عسل، زيت اهليلج صابح، ملح، بحرى، بيرة عذبة، يحقن بها الدبر لمدة أربعة أيام».

وذكر الطبيب علاجا للوعاء المصاب باختلاج أى ارتعاد ويسير ببطء ولطرد الوخز.

ويشعر مريض السكر أحيانا بحرقان وآلام مبرحة تجعله لا يستطيع النوم أحيانا، ولا يعنى زوال هذه الأعراض شفاء المريض، بل هى مؤشر لموت الأعصاب وفقد المريض القدرة على الإحساس بالألم، مما يؤدى لتآكل الأنسجة بما فيها عظام القدمين.

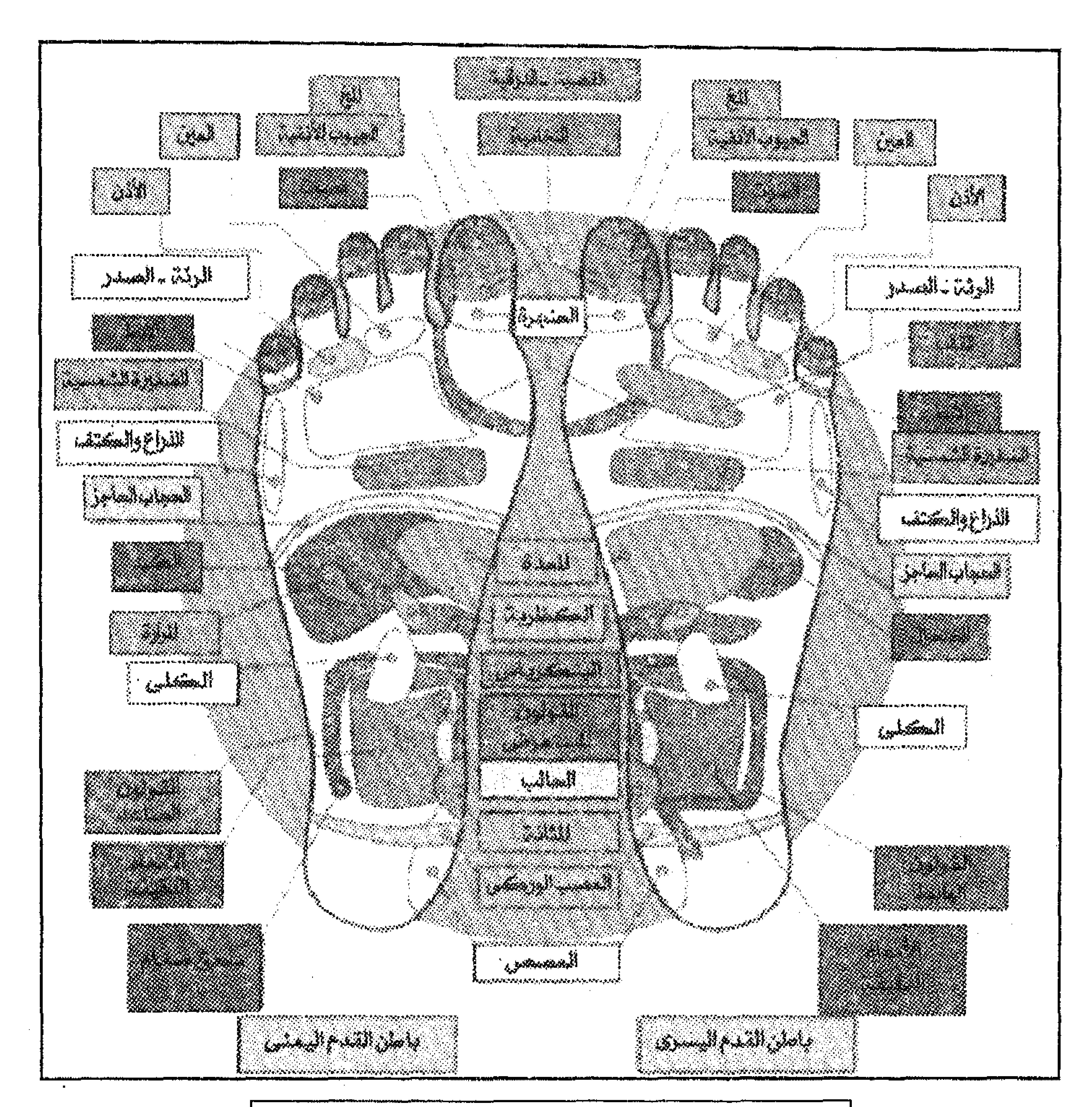
وتصدى الطبيب للعضلات والأوتار والأربطة بدون تحديد مسمى خاص لكل منها، فقد ذكرها فى مجملها بكلمة متو، التى ترجمت بكلمة عضو «بدء المراهم المنظمة للأعضاء أى المقوية: علاج لتلطيف الأعضاء: دهن قط، صبر، جوزة عفص الأكرو، يمزج معا ويدلك به». بردية إيبرز وهيرسست أو تدلك الأعضاء بحب الكسبرة وجلد سروجى، الذى تصنع منه الأحذية، يصحن معا ويدلك به.



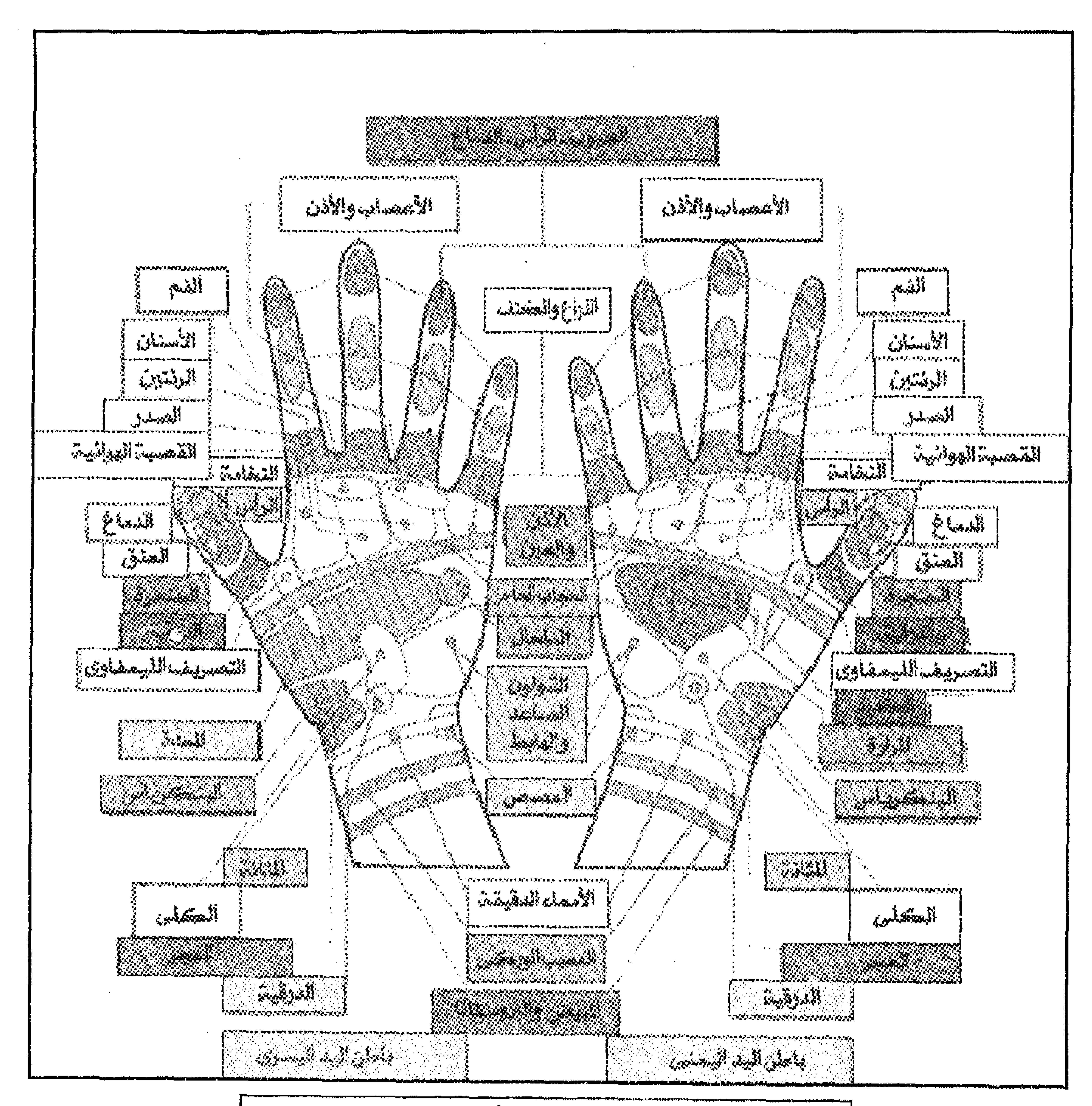
تظهر هذه البردية الممارسة المصرية القديمة لتدليك الأيدى والأرجل

ويدلك الجسم حاليا، المساج، بمراهم ودهانات حديثة، ويعتبر هذا امتدادا لما كلن متبعا منذ آلاف السنين فى مصر، وقد أورد الطبيب كلمة لجعل كل الأشياء متحركة ربما يقصد تنشيطها ومساعدة الدم على السريان فى العروق، ولم يكتف بالضمادات والدهانات، بل أوصى بمستحضر يصفى ويؤخذ على أربعة أيام: «لعلاج العضو بالجهة اليسرى: تين، سبستان، عنب، أسو، غاب، نبيذ، ينسون، فاكهة العرعر، بنطاطو، كندر، كمون، حنظل، مغرة صفراء، خبز نبق، ورق الخيار، بيرة عذبة، يترك طوال الليل فى الندى ثم يصفى».

ولتدليك كل أعضاء الجسم: «مرهم آخر لعلاج العظم بكل أعضاء الإنسان: عظيم حقيقة: نطرون، دهن، صوان أسود، عسل، يمزج معا ويضمد به».



المواقع التقريبية لنقاط رد الفعل لأجزاء الجسم فى القدمين



المواقع التقريبية لنقاط رد الفعل لأجزاء الجسم في الكفين

وهـذا الدهان لجعل الأعضاء تقبل الأدوية : لبن امرأة وضعت ذكرا، يترك في إناء هن جديد طوال الليل إلى أن تتكون فيه القشدة، وتدهن به كل المواضع المريضة».

ويدهن الوعاء الدموى المرتجف بخليط من حثالة عسل مع طلحة سوداء وخس الطرفاء.

وتتعدد أسباب آلام القدمين لدى مرضى السكر، فقد تكون إما نتيجة لالتهاب الأعصاب الطرفية، وإما خلل في سريان الدم في أنسجة القدمين أو حتى تآكل والتهاب بعظام القدمين.

وترسـيب المواد البروتينية المتسـكرة الناتجة من دمج السكر بالبروتينات في الدم يؤثر سلبيا علـى وظائـف الأعصاب التى تتأثر أيضا بضمور الأوعية الدموية الدقيقة المغذية للأعصاب الناتج عن زيادة نسـبة تأكسـد الأعصاب وندرة تكون مادة أكسيد النيتريد اللازم لعمل الأوعية الدموية وتغذية الأنسجة بالدم، ويضاف لذلك خلل تمثيل الفركتوز في الأعصاب.

واسـتهدفت المستحضرات المختلفة المذكورة في بردية إيبرز، من دهانات وضمادات، أعضاء إصبـع القـدم، وأعضاء الكتـف، ولتلطيف الأعضاء فـي كل عضو، ولتليـين المفاصل، ولتليين التيبس في كل أعضاء الجسـم، ولتلطيف انتعاظ عضو التذكير، ولتسكين الحكة بعضو التذكير، ولتليين التصلب في أعضاء الجسم،.. ومن المواد المتعددة التى استعملها الطبيب في هذا الغرض وأثبتت حديثا فعالياتها الملح، والعسل، والكندر، والجميز، والعجين الغنى بالخميرة، الكمون، الينسـون، ورق الخيار: يستعمل حاليا كماسك للوجه، سبستان، حنظل، اللبن، زيت اهليلج، الردة، البلح الصابح، البيرة، الكسبرة، طحال الثور، نبيذ البلح، الدهون الحيوانية... الخ.

ولجأ الطبيب للمقيئات لطرد الصديد، رهنو، من ذراع يتألم، كما ورد في بردية إيبرز، والمقيء مكون من شعير حامض يشرب دافئا فيسبب القيء مدة أربعة أيام، وطبقا لرأى د.حسن كمال، ربما يكون أقدم مقيء في التاريخ.

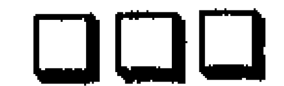
والمضمضـة مـن العلاجات التى لجأ اليها الطـب المصرى القديم لعلاج ما يصيب اللسـان: «بـدء أدوية طرد المرض من اللسـان: لبن يمضمض به في الفـم ويبصق». ويضاف الدهن أحيانا للبن مع الخبز الطازج، أو مزيج من كندر ودهن أوز وكمون ومغرة صفراء وعسل يمضمض به لمدة تسعة أيام. ومضمضة أخرى تستغرق نفس المدة من الجميز والحنظل والعسل والماء.

لم يغفـل الطبيـب المصرى تجميل جلد الجسـم، فكانت الوصفات بتدليكـه بمزيج من ملح النطرون والعسل والملح البحرى أو باضافة مسحوق المرمر للخليط السابق يدهن به الجسم.

أما الوجه «لإزالة أسارير الوجه»: يصحن الكندر مع حب العزيز ويخلط بزيت اهليلج وشمع وسائل لزج، يدهن به الوجه يوميا، ويضيف الطبيب المعلم في بردية إيبرز اصنعه وسترى.

ولنفـس الهدف وهو شـد أسـارير الوجه، تصنع عجينـة من بيضة نعامـة، وزيت صمغ،

ومرارة ثور، ويغسل بها الوجه يوميا ثم يوضع على الوجه مسحوق الصمغ فى ماء بادو. وتعتبر هذه الخلطات مستحضرات التجميل الأولى فى العالم التى تطورت لتصل إلى ما هو عليه الآن فى هذا المجال. وبخلاف الدهانات والعجائن الممزوجة لنعومة بشرة الوجه، أعد الطبيب مزيجا آخر لإزالة البقع من الوجه، وهو خليط من قلب كسبت ومغرة حمراء يوضع على الوجه عدة مرات.



الفصل السابع

بعض الأمراض السرطانية والمستعصية

واجه الطبيب المصرى الكثير من الأمراض التى عرفها وأوجد العلاج لمعظمها، وكافح بعضها وعجز عن علاج البعض الآخر، منها الحمى المعدية، والتسمم الدموى، والحمرة، والدوسنتاريا، والروماتيزم، والتهابات الغدة النكفية، والطاعون، والشلل، والجذام، والدرن والتيتانوس، وعسر الهضم، وسقوط المستقيم، وغيرها من الأمراض.

وذكرت البرديات بعض حالات السرطان التى واجهها الطبيب المصرى القديم منها السرطان المعدى أو سرطان القصبة الهوائية، وقد تم حديثا رصد ٣٩ حالة سرطان على المومياوات التى تم فحصها.

«إذا فحصت إنسانا مصابا بسدة فى معدته وإذا دخل معدته شىء تألم، فإذا تناول طعاما ضاقت الفتحة ويشكو المريض من ألم فى رجليه وإليته. وإذا ذهبت إليه ووجدت معدته تغيرت وانكمش وجهه، فقل: إنه مصاب بسدة صديدية... اذهب إليه ولا تتركه». وهى توصية تعكس إنسانية عالية واهتماما بالغا بالمريض.

الجزء الخاص بعلاج السرطان فى بردية إيبرز

وتذكر بردية إيبرز أيضا وصفا لسرطان الرحم: «وهذه واحدة أخرى لديها تآكل فى الرحم وظهرت التقيحات على المثانة».

ودرايته بالأورام الصدرية مثبتة بهذه الكلمات: «إذا فحصت صدر رجل به أورام، وتتحسس هذه الأورام فتجدها باردة، وعند لمسه لا تجد لديه حرارة. ولا توجد أية حبيبات فى هذه الأورام أو سائل أو إفراز يخرج منها، فيجب أن تقول إنه مصاب بأورام، يجب ألا أقربها».

ولكن ليست كل الأورام سرطانية، فتعرف الطبيب المصرى إلى معظمها وعالج كما كبيرا ومتنوعا منها.

وعـــالج الطاعون الدملى الذى وصفه: «إذا فحصت مصابا بالقشـعريرة التى دامت ســاعات كالتقيــح الملتهم، وبالضعف كإنســان فى آخر أنفاســه، فقل إن ذلــك نتيجة احتباس تجمعات لا يمكن إخراجها ولا تخضع للعلاج البسيط، إن هذه التجمعات أحدثت دملا تعفن فيه الصديد، وإن المرض قد تمكن من المريض، اعمل له الوسائل لفتحه بواسطة الأدوية».

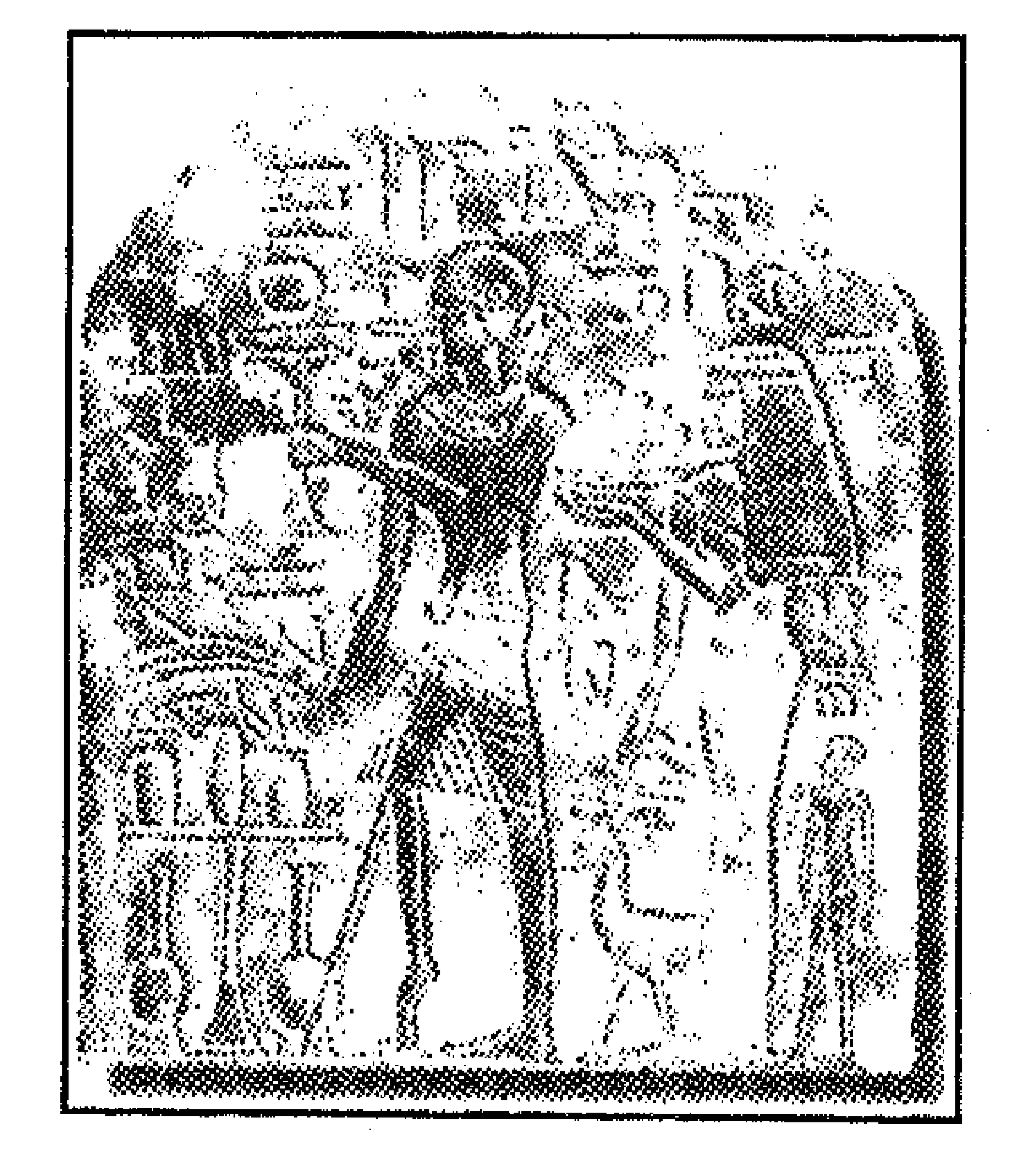
كما أن مرض النقرس ذكر فى البرديات: «...علاج إصبع القدم إذا كان مؤلما». وقد اكتشــف النقرس gout فى جثة رجل بجزيرة فيلة بها أملاح راسبة فوق العظام المشطية لأصابع القدمين وفوق عظمتى الساقين والشظيتين والأوتار الخلفية للساقين وعظام اليدين والذراعين.

وكان الطبيب يعد مزيجا من مغرة صفراء، ملح نطرون، ســرخس، مغرة حمراء حب دشــر، ليضمد به إصبع القدم إذا مرضت.

وقــد وصــف الطبيب بدقة بالغة أعراض القلب المريض: «إذا قمت بفحص مريض بمرض فى المعدة ويتألم من ذراعيه وصدره وجانبا من معدته، فإنك تقول الموت يهدده... صف له أعشــابا علاجية منبهة»، عرف الطبيب المرض بكلمة واز، ويوصى الطبيب بوضع يده على ذراع المريض حتى تزول آلامه، أى أن المرض تسرب للشرج والمستقيم، ولا يكرر الدواء اطلاقا.

واعتــبر الطبيــب حالة النزف المعدى مرضا مســتعصيا «إذا فحصت ســدته فــى فم معدته، ووجدتــه قــد تغير واجتاز البرزخ إلى الآخرة، ففقد ذاكرته وجف فم معدته، فقل عنه إنه مصاب بتجمع دموى لم يلتصق، أزله بالعلاج: حضر له سعم، صنوبر، سبستان، شاشا والريانا، تغلى معا فى بيرة ويشربها الإنسان، عندئذ يخرج من فمه أو من دبره ما يشبه دم الخنزير المشوى.

ويذكــر من الأمراض العديدة المســتعصية الشــلل الذى أصاب الكثيرين مثل ســبتاح، القرن ١٤ ق. م، وهى عدوى فيروســية تصيب النخاع الشــوكى، ويدخل الفيروس الجســم مع الطعام ويخرج مع البراز.



وعاصــر الطبيب الحمى التيفودية، والتيفوس ووباء الإنفلونــزا والملاريا لكثرة البعوض والناموس، كما واجه حــالات نســيان وتوهان العقل وإصابــة العقل، وعالج الحمى الصفراء بعد أن قرن بينها وبين الكبد.

والمرض الآســيوى مرض مســتعصٍ لــدى الطبيب لــذا لجأ إلى درئه عن الإنســان بالرقى معلنا بذلك عدم معرفتــه به: «من الذى يعرف مثل الرمز رع؟ من الذى يعــرف مثله؟ هذا الرمز الذى يملاء الجســم بالفحم إلى أن يمتلىء، وكما أن ســت ســحر البحر، فست سوف يسحرك، ســت هو رمز العواصف والتقلبات الجوية،

أيها المرض الآسيوى لا تدخل، لا تدخل جسم فلان ابن فلان. تتلى هذه الرقية أربع مرات على زيـت طازج وعلى خبز القدح، وهو خبز يوضع فى قدح ثم يخبز، سـوف تطرده بذلك، ويعمل حجاب شنتوت».

ويلجأ الإنسـان عـادة إلى مثل هذا التصرف إعلانا عن عدم قدرتـه أو لمحدودية أداؤه تجاه موقف ما، فيسـتنجد بالقوى العليا الخفية فى حالة المصرى القديم الذى استشعر وجود قدرات الخالق بحسه وعقله.

لقد شـخص الطبيب ببراعة العديد من الأمراض وحـدد إمكانية علاج بعضها وعدم إمكانية علاج البعض الآخر، وكان محركه الأول الضمير والرغبة فى تخفيف الألم، وورد ببردية سميث حالـة حددها الطبيب بمرض لا يعالج، ولكن الملابسـات أثـارت انتباهه وذكرها: «إذا فحصت شـخصا عنده فقرة مهشـمة فى عنقه، ووجدت هذه الفقرة سـقطت فى أخرى وهو فاقد الصوت ولا يمكنه أن يتكلم، فإن سقوطه ورأسه لأسفل هو الذى تسبب فى تهشم فقرة فى الفقرة التالية، فإذا وجدته فاقد الوعى بذراعيه ورجليه بسـبب ذلك، فيجب عليك أن تقول عنه... هو مرض لا يعـالج». ولم تذكـر أية رقية لمثل هذه الحـالات فالعلم وحده هو المحرك هنا أمام الشـواهد المادية الملموسة.

وتصـدى الطبيب لحالتى خلع وكسـر بعظمتى الترقوة، فكافح لعـلاج الحالة الأولى واعتبر الثانية ميئوسا منها: «إذا فحصت شخصا عنده خلع فى عظمتى ترقوته ووجدت كتفيه مقلوبتين ورأسـى عظمتـى ترقوته مقلوبين نحـو وجهه...يجب عليك أن تردهما حتـى يرجعا لمكانهما، ثم ربطهما بلفائف كتانية صلبة، ثم عالجه بالدهن والعسـل حتى يشـفى. وإذا وجدت عظمتى ترقوتـه مصحوبتين بتمزق الأنسـجة الرخوة التى عليها، وهما نافذتـان للداخل، فيجب عليك أن تقـول عنه أنه مرض سـوف أعالجـه» ووردت فقرة تفسـيرية يقدمها الطبيب المعلم لشـرح خلـع عظمتى الترقوة التى أطلـق عليها العظمة المنجلية: يكون رأسـاهما متصلين بأعلى عظمة صـدره وواصلـين لحنجرته الذى يكسـوه لحم مقدم الصـدر، وهناك وعاءان تحتـه واحد على اليمين وواحد على يسـار الحنجرة وصدره وهما ذاهبان إلى رئتيه». وصفا تشريحيا دقيقا للمنطقة الداخلية للصدر. «إذا فحصت شـخصا عنده كسـر فى عضده ومصابا بجرح فوقه، ووجدت هذا الجرح يطقطق تحت أصابعك،...هو مرض سـأكافحه، وتقابله حالة أشـد: «إذا وجدت الجرح فوق الكسـر ينزف دما وأنه واصل إلى داخل إصابته، وشـخص الطبيب المعلم بأنه كسر بالعضد وفوقه جرح وخزى لا يعالج.

ومن الحالات المسـتعصية التى واجهها الطبيب المصرى القديم العيوب الخلقية كما ورد على جنـين عثر عليـه فى مقبرة توت عنخ آمون، واسـتدل بالفحص على إصابتـه spinal bifida أو انقسام فى العمود الفقرى.

كمـا تم الاسـتدلال علـى حـالات تشـوه فـى القـدم clubfoot،واستسـقاء فـى الرأس hydrocephalus، وبخلاف الجدرى عانى المصرى من البلهارسيا، التى عثر على آثارها على العديـد مـن المومياوات، وكذلك الدرن الذى أمكن تتبعه منذ عصـور ما قبل التاريخ، وهو مرض ينتقل من الحيوان إلى الإنسان.


فقـرة من فقرات أحـد الأطفال تـظهـر عليها أعـراض الدرن

وصـف الطبيـب فـى برديـة إيبرز حالـة قد تكـون طبقا لـ د. حسـن كمال، حالة مرض بالظهر ربمـا درن بالعمود الفقرى: «إذا فحصت شـخصا لمرضـه بفم معدته ووجـدت ظهره كالملدوغ مـن عقرب أو ما شـابه، فقل إن التقيح أتلف ظهـره، وإن هذه الحالة أعالجها بالأدوية للظهر، لازمه ولا تتركه: حضر له خمتو الظسـفو، وبعد ذلك أعطه الأدوية: آس، نيويو، عصير السـنط، جبـس البناء، المكون آنـذاك مـن hydrate calcium sulfate وشـوائبه وهى رمل وكربونات الجير وكربونات المانيزيا وأكسـيد الحديـد والألومنيوم، اصحن واغلى فى حثالة البيرة، ضمده بذلك لمدة أربعة أيام حتى يشفى تماما».

وقـد أظهـرت موميـاء أحد الأطفـال عيبـا خلقيا نـادرا وهو تحجـر العظام المعـروف بـ Osteoporosis.

وتم تصوير حالة سـيدة مصابة بتشـوه خلقى ناتج عن مرض يصيب النخاع الشـوكى، من الأمراض التى عرفت لدى المصرى القديم وهو لإحدى السيدات العاملات.


صورة لأحد الأقزام

ومن التشوهات الخلقية العديدة التى عايشها المصرى ما يصيب الأقزام الذين تم نقش أشكالهم وتجسيدهم من خلال بعض التماثيل، وكان الأقزام مقبولين فى الحياة الاجتماعية المصرية بصورة طبيعية.

وتزوج القزم من امرأة طبيعية وأنجب أبناء طبيعى التكوين.

وبفحص مومياء ترجع للأسـرة الثانية عشـر، وجد أنها مصابة بالتهاب تشـوهى بالعمـود الفقرى فى الجزء الأمامـى من الفقرتين التاسعة والعاشرة الصدريتين.

كما اسـتدل علـى المـرض osteo arthritis، و spondilitis deformans، فى النتوء الخلفى لبعض الفقرات.

وواجه الطبيب أيضا قروح الفراش التى استدل عليها فى إحدى المومياوات التى ترجع إلى الأسـرة ٢١، والقروح منتشـرة فى منطقة الظهر، وخلف إحدى الرجلين.

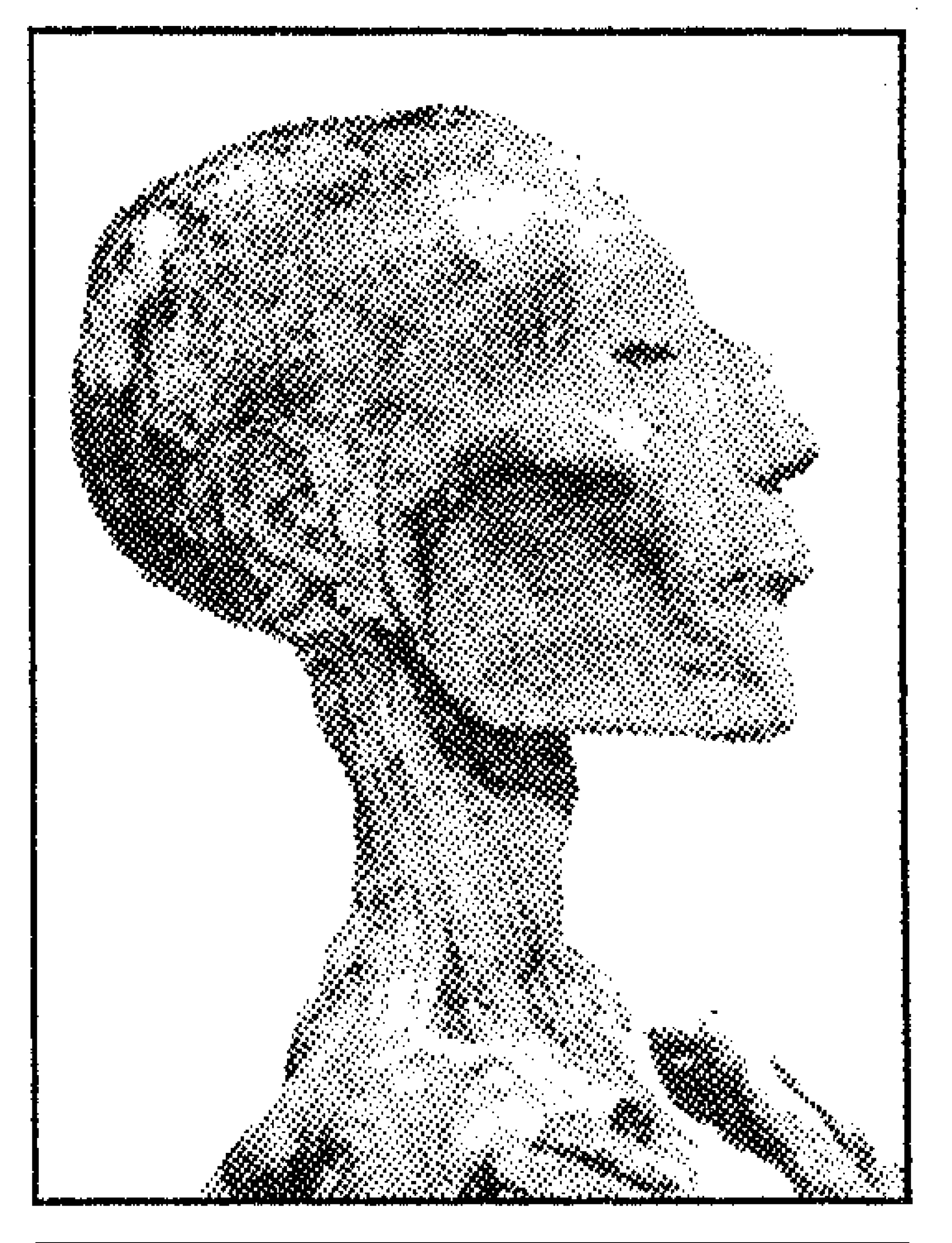
وأبـرز فحـص بعـض المومياوات وجـود طفيليـات Schistosomiasis، كما تم رصد حالات مرض فيروسـى ينقلـه الحيوان إلى الإنسـان Smallpox أو الجدرى الذى أظهرت مومياء رمسيس الخامس آثاره على الوجه.



قزم متزوج من سـيدة طبيعية التكوين وأنجـبا أبـنـاء سـليـمـى البـنـيـة

وبفحـص المومياء وجـد العديد مـن البكتيريا بطبقات الجلد بالرغم من مرور الزمن، وعثر على حليمات متفصصة على الجلد.

وعثر على بعض حالات شـلل الأطفال، ولكن التهاب المفاصـل كان أكثر شـيوعا ويصيب مفاصـل الركب التى اجتهـد الطبيب فى وصف الدهانات اللازمة لتخفيف آلام هذه المفاصل، وعثر فى معظم المومياوات التهابات مفصلية مزمنة تصيب الأنسجة الليفية حول المفاصل وتتطور لتحدث تلفا بالغضاريف، وعادة ما يصحبه بؤرة صديدية بالأسنان أو الأمعاء.



مومياء رمسيس الخامس، ١٩٢٥ ق. م. حيث تظهر عليه آثار مرض الجدرى، ومن المـرجـح أنـه تـوفـى بهذا المرض

وواجـه الطبيـب بعض الحـالات الحرجـة الأخرى والتـى أوصى بعدم المسـاس بها منها حالـة دوالى وريدية varicose veins «إذا وجدت بالجلد بأى عضو تعرجات ثعبانية مليئة بهوائها، والمشـار اليه هنا هو الدم، فقل إنه نتيجـة عـدو الوعاء، لا تضع يدك على شـىء مثل هذا، تنقلب الحالة رأسا على عقب».

وحالة الإنفريزما الشـريانية الوريديـة: «إذا فحصت ورما بالأوعيـة بالطبقات الجلدية لأى عضو ومظهره يكبر لالتفافـه كالحيـة، وأوعيته كونت عقدا كالشـىء المنفوخ هـواء، لا تضع يدك على هذا الشـىء فإن ذلك يضر عضو الإنسـان»، ووصـف الطبيب العلاج مـع الرقية المصاحبة والذى يحدث النبض فى هذه الأعضاء.

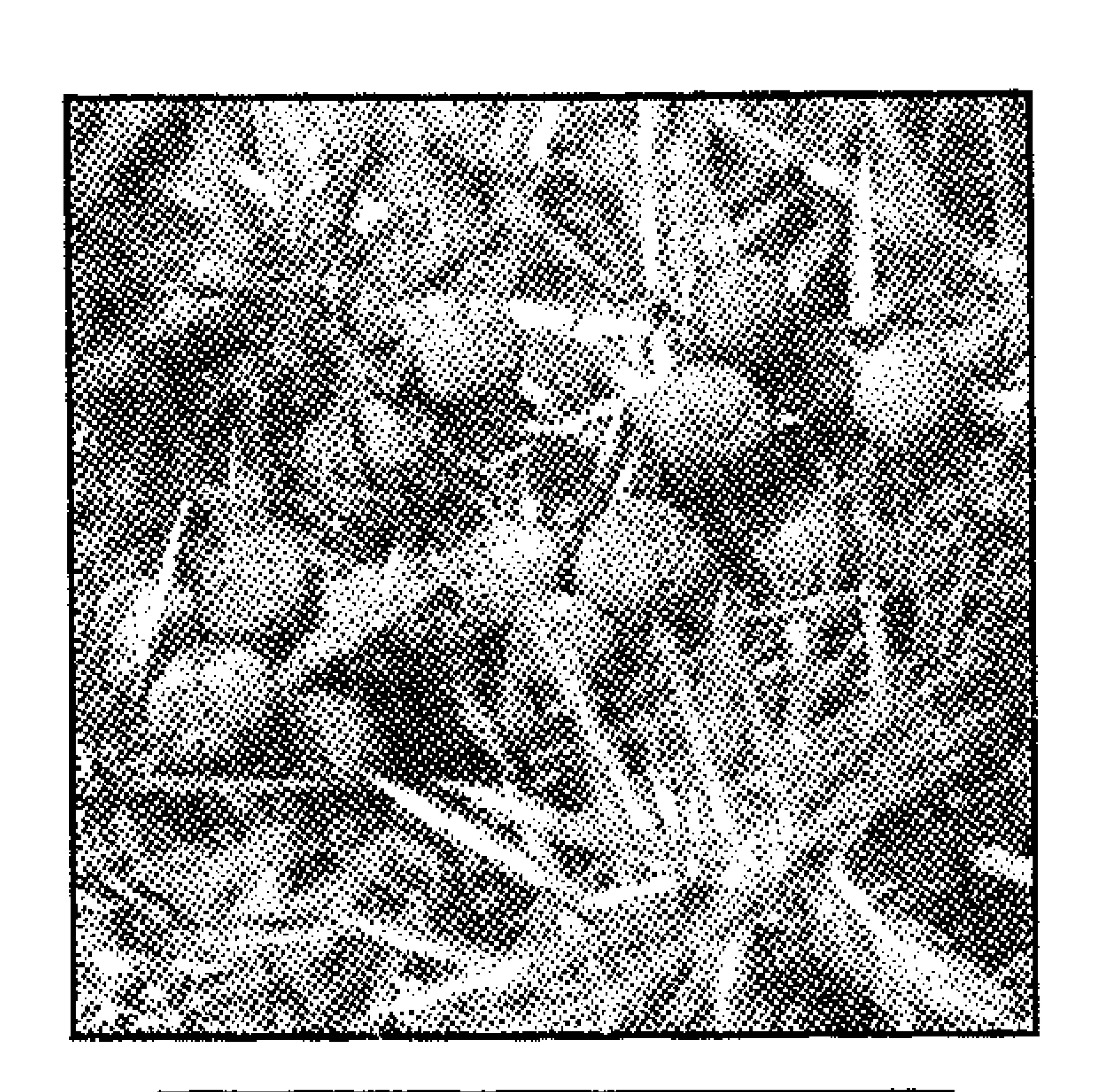
ولكن الإصابة بالتيتانوس تمثل للطبيب استحالة فى العلاج، وقد ذكرت الحالة: «إذا أصيب أحدهم بجرح غائر فى المخ واصل حتى العظم، وتطور الجرح وأصبح فمه مزموما وعنقه به تيبس وأصبح لديه تيه، فإنك تقول هذا مرض يجب ألا أعالجه».

وواجــه حالات الصرع بشــجاعة ووصف العلاجات المهدئــة لحــالات الصرع ونوباتــه: «لطــرد الصرع من العينين: بسباسـا، برسـيم حلو، ظايــس، بيرة عذبة، يصفى ويأخذه الشـخص المصاب بالصرع». وعلاج آخر لطرد الصرع من الإنســان: عــود الرقة، خردل، فاكهة العرعر، خسيت، فاشرا، يمزج معا ويؤخذ.

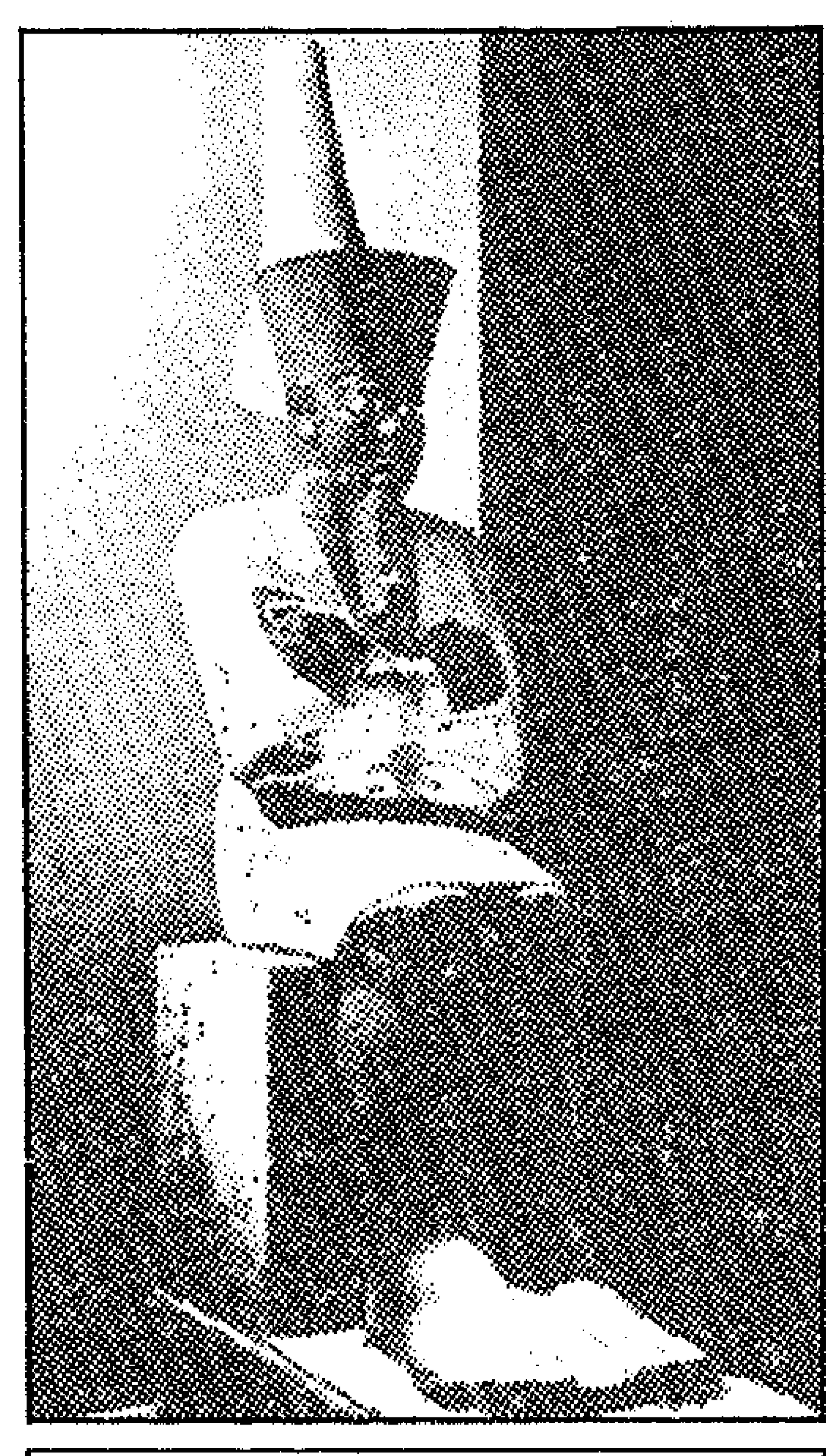
ومــن الحالات التى اقتضت مــن الطبيب الكثير من الثقة هى مواجهته لتجاعيد الوجه باستحضاره للمركبات التى تزيل أسارير الوجه على حد تعبيره.

ويســتهل الطبيب وصفاته فــى بردية سميث بهذا العنوان الشــيق: «بدء كتاب تحويل الشيخ إلى شاب: أحضر مقدارا كبيرا من الفاكهة، همايت، ربما الحلبة، وشــقها وعرضها للشــمس، فإذا جفت تماما، قشــرها كما يقشــر الحب ودرها حتى تبقى الفاكهة، كيل كل ما يتحصل عليه من ذلــك، ثم انخله بطريقة المنخل، كيــل بالضبــط كل ما ينتج من هذا وقســمه قســمين، أحدهما مكــون من هذه الفاكهــة والآخر كذلك، عالج كل قسم كالآخر.

ثم يذكــر الطبيب بدقة بالغة الخطوات الإرشــادية لغسل وتبخير الفاكهة: «خذ القسم الأول، وامزجه بالماء، حوله إلى مــادة طرية، وضعه فى إناء جديد على النار، اطبخه جيــدا، وتأكد من غليانــه، اجعله يتبخر حتى يجف دون أن تتبقى فيه رطوبة، ثم أخرجه من الإناء، وبعدمــا يبرد، ضعه فى إنــاء آخر لتغســله فى النهر. اغســله جيدا، وتأكد من غســله بتذوق طعــم الماء الذى بالإنــاء حتى يختفى أثــر المرارة فيه. ضعه بعد ذلك فى الشمس ثم انثره على كتان الغسال، وبعدما يجف اطحنه فى طاحون حجرى».



فاكهة العرعر التــى أكثر المصرى من اســتعمالها فى مســتحضرات متــنوعــة ولأغــراض عــديــدة



تمثال للملــك منتوحتب معروض بالمتحف المصــرى بالقاهــرة، وقــد عثــر عليه فى الديــر البحرى، ويلاحظ ضخامة الأطراف الســفلية وربمــا يكون مصابا بــداء الفيل. ويرجع للأســـرة ١١، الــقرن ٢٢ ق. م.

«اجعل القسم الثانى فى ماء، اجعل ما يشبه مادة طرية وضعه فى جرة على النار، اصحنه جيدا وتأكد من غليانه حتى تفور رغوته منه، استخرج المادة الموجودة بالإناء وغطسه بمغرفة. وبعدما يتحول إلى مادة يشبه قوامها الطين، ضعه فى إناء هن، استخرج المادة وانشرها على قماش من الكتان على فوهة هذه الجرة، بعد ذلك ضع هذه المادة فى إناء مصنوع من حجر ثمين».

ويوصى الطبيب بتعليمات خاصة للاستعمال: «ادهن الشخص فهو يزيل أسارير الرأس، فإذا دهن اللحم به، فإنه سيجمل البشرة، ويزيل الشوائب، وكل التشوهات وكل أعراض الشيخوخة وكل أنواع الضعف الموجودة باللحم، وجد ناجعا ملايين المرات».

ويستعمل حاليا البوتكس والليزر لعلاج أثار التجاعيد وإزالتها.



يرجع هذا الإناء إلى عصور ما قبل التاريخ، وقد شكل من الطفلة النيلية على شكل الحرف الهيروغليفى الذى يعنى كلمة احضر، ويرجع الإناء إلى ٣٧٥٠ ق. م، نقادة الأولى. ويحفظ هذا الإناء حاليا بمتحف المتروبوليتان

الفصل الثامن

علاج الأسنان









كان الاهتمام عاليا بعلاج الأسنان، إذ إن أسنان المصرى القديم كانت سليمة فى العصور الأولى، ثم بدأ التدهور مع التغير فى نوع الغذاء، وبدأت الأسنان تعانى من العديد من الأمراض، منها التسوس، والتهابات اللثة، وخلافه كما ذكر فى الكثير من البرديات، وقد تم التوصل- بعد فحص مومياء ترجع للأسرة الرابعة- إلى أن الجراح كان يحدث ثقوبا أسفل الضرس المصاب بالالتهاب لتفريغ الصديد.

وتم العثور على مومياء أخرى ترجع إلى الأسرة الرابعة أيضا وهى تحمل ضرسا صناعيا مغطى بغطاء ذهبى ومثبتا بسلك ذهبى فى باقى الأسنان، مما يعكس تقدم الطب فى هذا المجال.

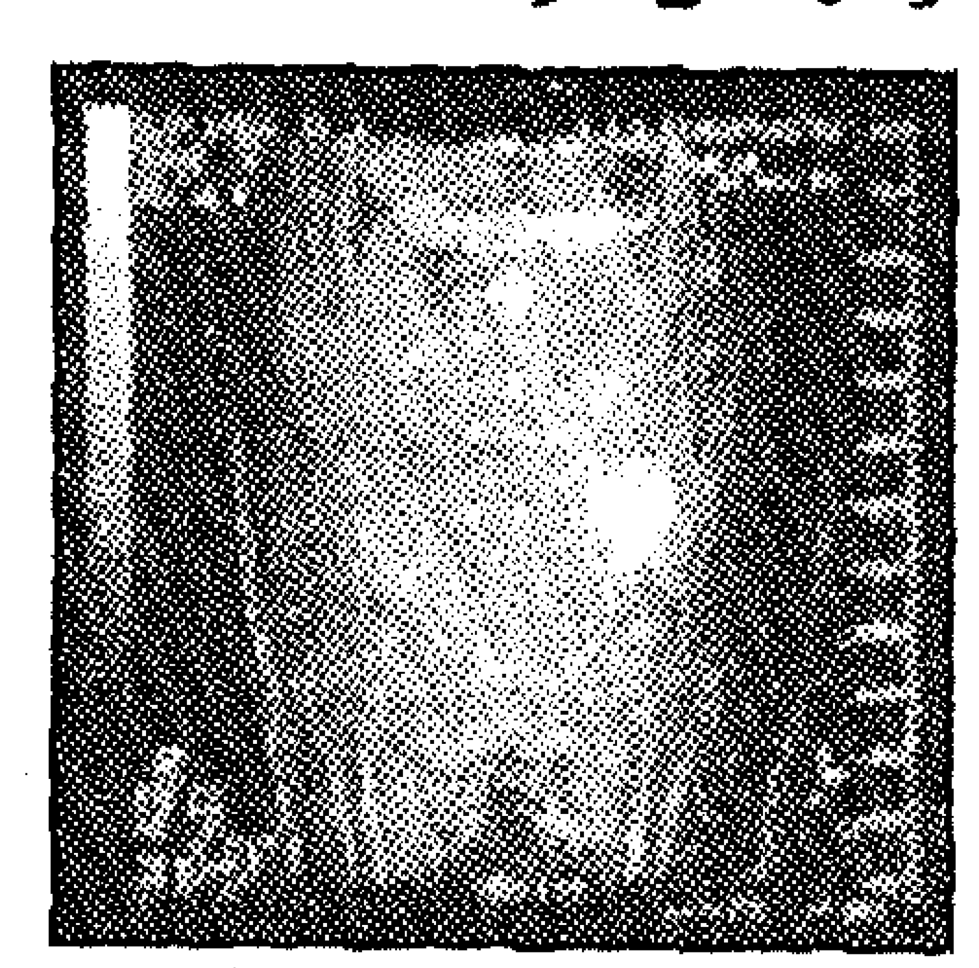
وما يؤكد هذا التقدم هو الطقم الصناعى المثبت فى الفك بأسلاك فضية والذى عثر عليه فى فم إحدى المومياوات ويرجع إلى العصر المتأخر.

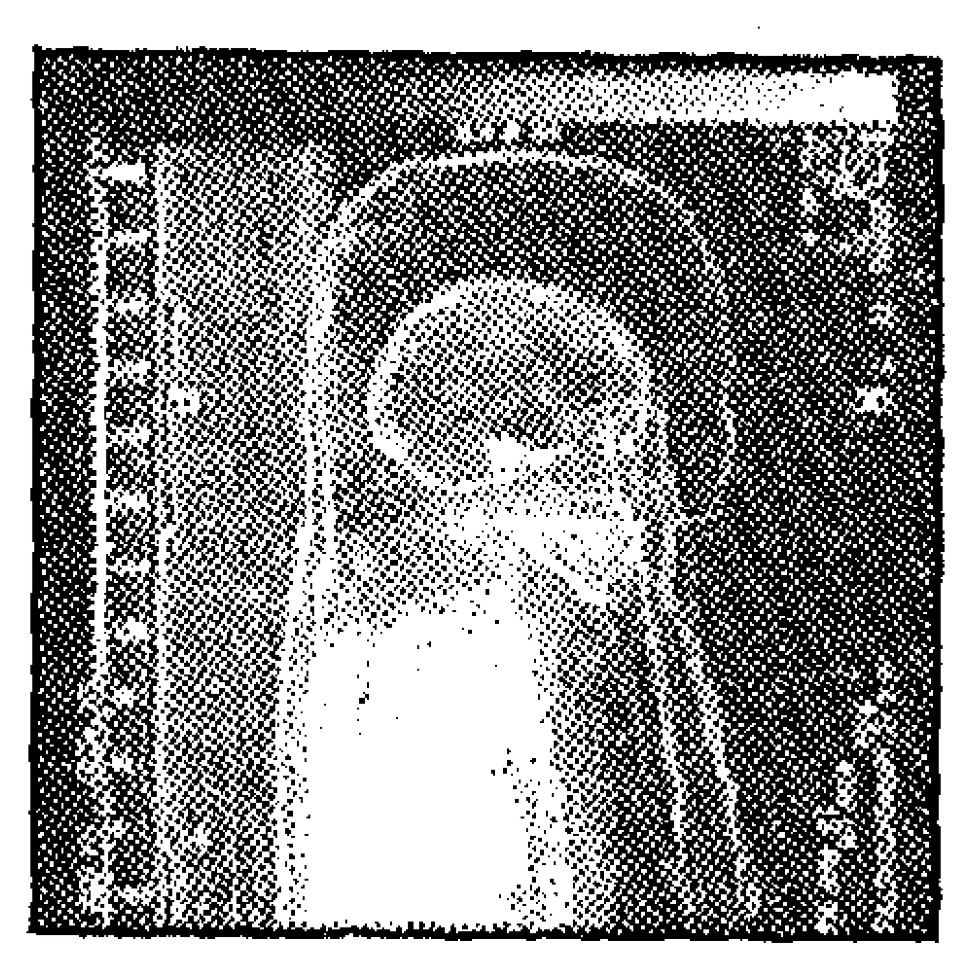
وتذكر كل من برديتى سميث وإيبرز العديد من حالات خلع الأسنان وعلاج اللثة والفك، وقد مارس الطبيب المصرى بكفاءة خلع الأسنان وعلاج تقيحات الفم واللثة واستعادة الفك المخلوع لموضعه.

وتقيح اللثة هو فى الواقع التهاب حاد بجيوب الأسنان يعرف بالبيوريا، ويؤدى بلع الصديد فى المعدة إلى مرضها، كما يؤثر فى المفاصل والعينين.

وقد أدى الكشف الحديث على إحدى المومياوات، مومياء للسيدة دجد ماعت سانخ إصابتها بتقيحات فى اللثة ناتجة عن التهابات الجيوب. دجد ماعت سانخ، كانت سيدة تعانى من العديد من التقيحات حول اللثة كما أثبتت الكشوفات الحديثة

التى أجريت على المومياء فى أونتاريو بكندا، وكانت دجد ماعت سانخ إحدى العازفات فى معبد آمون خلال الأسـرة ٢٢ القرن العاشر ق. م. وتوفيـت عن عمر يناهز الـ ٣٥ عاما بتسـمم فى الـدم ناتج عن بعض التقيحات التى أدت إلى التهاب شـديد بالخد الأيسر وسريان الصديد فـى الدم، ممـا أدى إلى الوفاة، طبقا للفحوصـات الحديثة التى تمت مؤخرا على المومياء بالأشعة المقطعية.





دجد ماعت سانخ وبعض الشرائح الناتجة عن CT- scan أو الأشعة المقطعية

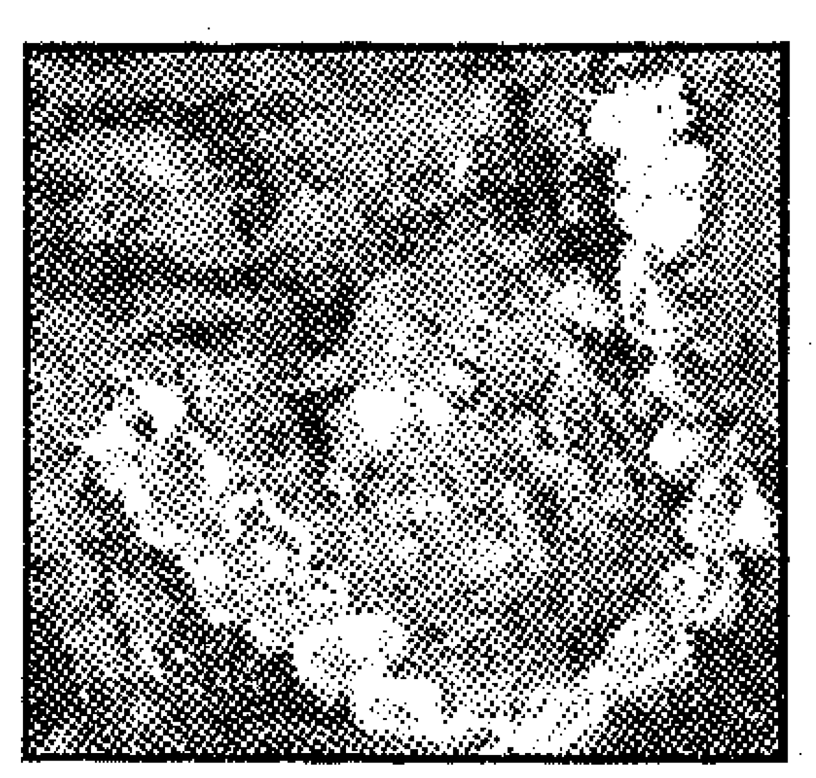


حسى رع طبيـب أسـنان ومـن كبار رجـال الدولـة فى عهد الملك زوسـر، الأسـرة الثالثة، القرن ٢٨ ق. م. وهذه واحـدة من سـت لوحات عثـر عليهم فـى المصطبـة الخاصـة به فى سقارة وكان عدد هـذه اللوحـات ١١ لوحة، وتقـع مقبرته غـرب المقابـر العتيقة



ولمنـــع حـــدوث الصديد باللثـــة، وردت الوصفة التاليـــة فى بردية إيـــبرز: «فاكهة الجميز، فول، عســـل، ملكايت، مغرة صفراء، يصحن ويدق ويوضع على الســـن» وذكرت نفس البردية: «لعلاج السن التى تقرض فى فتحة بالفم: كمون، كندر، حنظل، يصحن ويوضع على السن».

وتقترح بردية إيبرز عشر وصفات «للإبقاء على الأسنان فى حالة جيدة»، منها خليط من زيت التربنتين والقرنفل وتصحن معا، ثم توضع على الضرس المصاب. ومازال استخدام حبات القرنفل شائعا لتسكين ألم الأسنان. وحتى رائحة النفس الكريه تم خلط بعض المواد الطبيعية منها القرفة، والمـر، والنباتات العطرية لتحســين النفـس والرائحة المنبعثة منه. ويتضح مـن هذا مدى العناية والمعرفـة فـى هذا المجال وتعتبر تطبيقاتها هى القاعـدة الأولى للتطور الحالى، فقد مارس المصرى القديم حشـو الأسنان، وحشو الجذور أيضا، وخلع الأســنان التالفة، وعلاج الخراريج المصاحبة لآلام الأسنان.

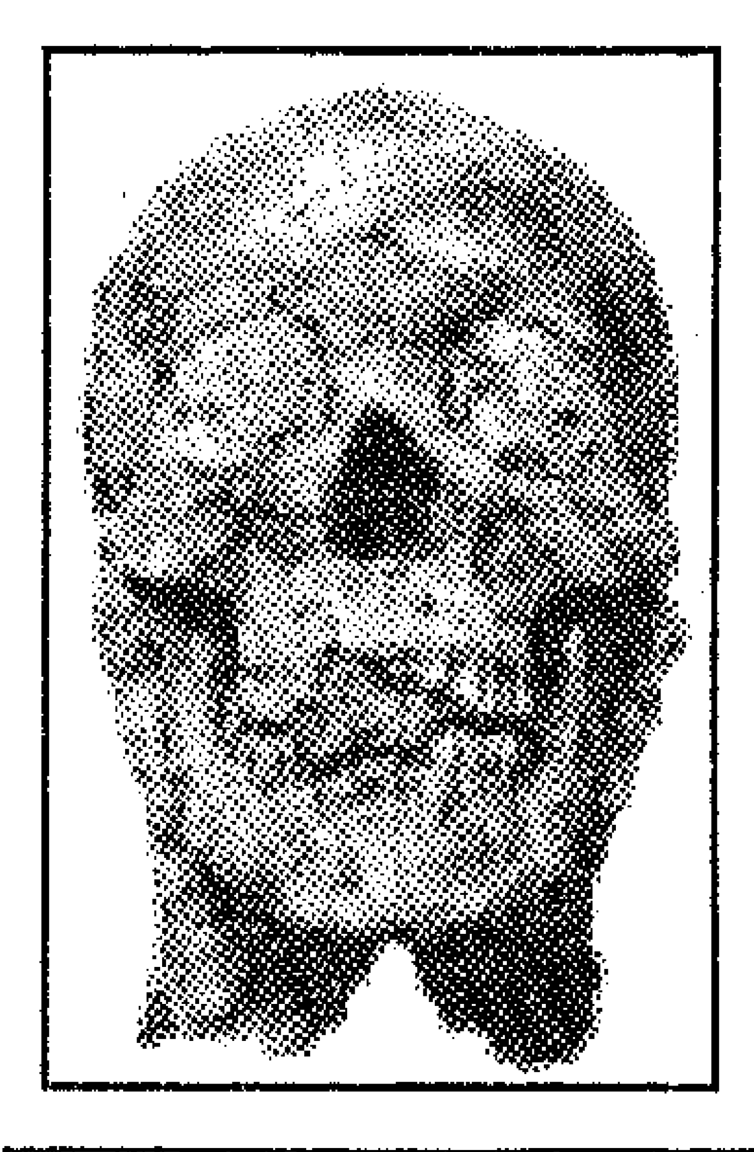


أسنان سقنن رع
وهى صحيحة وسليمة

وذكرت بردية إيبرز مسـتحضرا «لعـلاج اللثة بطريقة مضمضة الفم: ردة، بيرة عذبة، بنطاطو يمضغ ثم يبثق». وهناك وصفة لطرد القرحة الأكالة من اللثة وجعل اللحم ينمو: لبن بقرى، بلح صابح، مـن وهو خروب جـاف، يترك طوال الليل فـى الندى ويمضمض به لمدة تسـعة أيام». وذكرت الوصفة التالية لحشـو الأسنان: «بدء أدوية تثبيت الســن: مســحوق الخلة، مغرة صفراء، عسل، يمزج معا وتحشى بها السن». أو حشوا آخر من خردة حجر الطاحون مع مغرة صفراء وعســل ثم تحشى به السن». ولتقوية اللثة: «ينسون، فاكهـة الجميز، مغرة صفراء، سبســتان، تيعام، بســبس، زيت اهليلـج، وماء يمضمض به». ومضمضـة أخرى من الكرفس والبيرة العذبة لعلاج اللثة.

وقد عثر على فك سفلى أجريت به عملية جراحية وبه ثقبان.

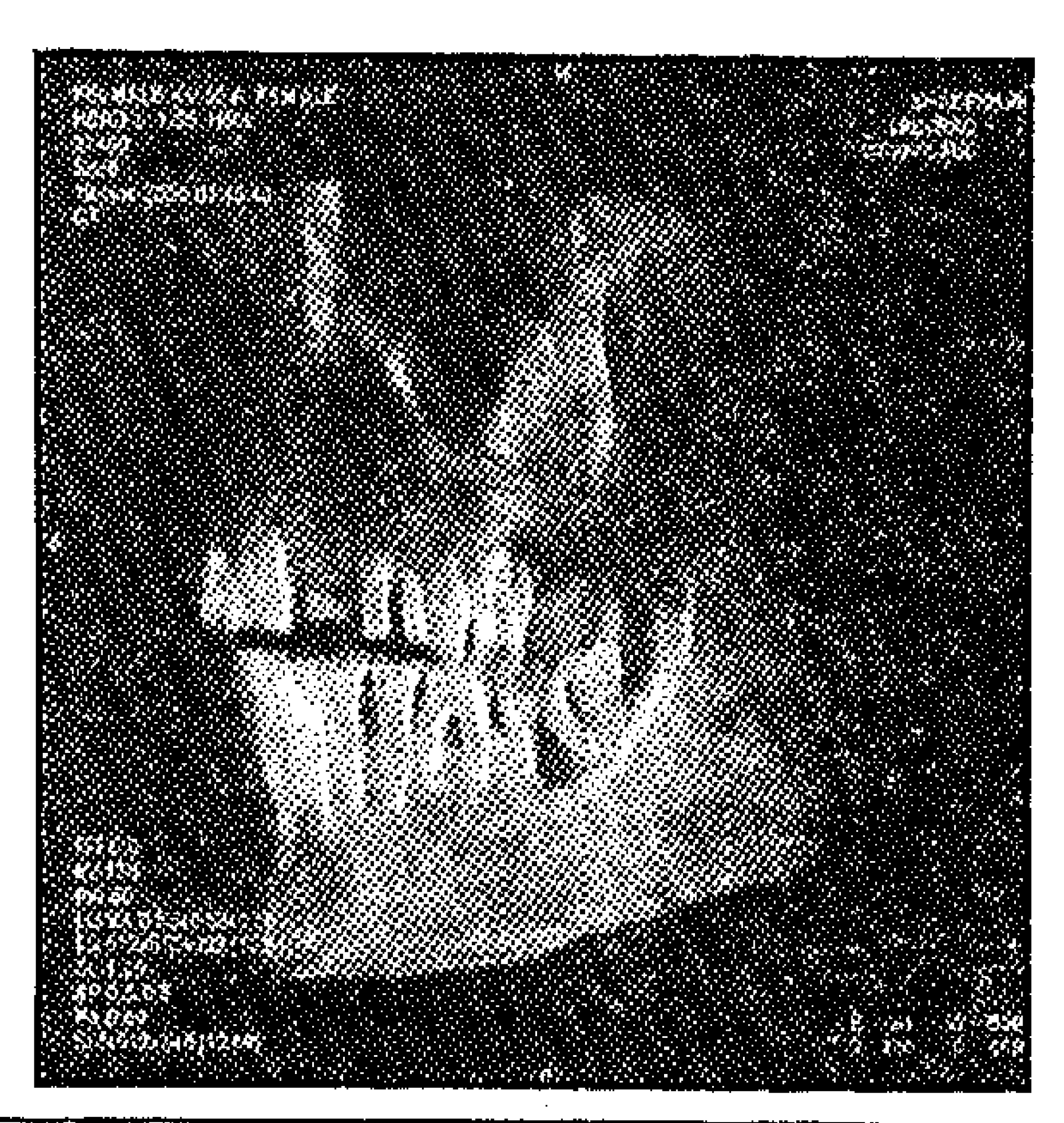
ومن الملاحظ أن التهاب العمود الفقرى والتهاب المفاصل يصاحبهما دائما تلف وآلام بالأســنان كما أورد الطبيب المصرى القديم. وكذلك حالة أسنان السيدة الحامل التى أشار اليها فى إحدى البرديات.



بينما أمنتحـب الثالث عانى من خراريج فـى مقدمة الفم، وأحدثت آلاما حتى قبل وفاته

وذكر فى بردية أيبرز: وصفة لعلاج الدم الآكال أو الإسـقربوط فى الســن: قبو، حنظل، صمغ، فاكهة الجميز، ينســون، ماء، يترك طوال الليل فى الندى ويمضمض به لمدة أربعة أيام».

وحمل حسـى رع، الأسرة الثالثة لقب كبير أطباء الأسـنان، وقد ثبت أنه بصفة عامة حالة أسـنان المصرى القديم تعتـبر جيدة نظرا لعدة عوامل منها الغـذاء ونوعه، والاهتمام بالمضمضة، وتنظيف الأسنان بالماء بقدر الإمكان.





وهذه الصورة المقطعية لفك الملكة حتشبسوت تظهر معظم أسنانها فى حالة سليمة

وعـالج الطبيب بقدر الإمكان حالات تقيح اللثة، والتقرحـات التى تصيبها بأن أحدث بها ثقبا لاخراج الصديد منها.

وأورد الطبيـب فـى بردية ادوين سميث ثلاث حالات إصابة فـى منطقة الفك العلوى وعظم الوجنتين، والمقصود عامة بالخد، منطقة الفك العلوى، وامتداد عظمة الوجنة حتىعظمة الصدغ «تعليمات بخصوص ثقب فى الخد»، ويشمل الفحص وجود ورم بارز أسود اللون والأنسجة مريضة على الخد، وأوصى الطبيب بضمادة بمعدن الأمرو، ثم يدهن يوميا بالعسل حتى يشفى.

وفى حالة شرخ الخد، يوضع لحم صابح على الورم البارز ذو اللون الأحمر، ويستريح المريض حتى زوال الورم ثم يدهن بالعسل ويضمد بالكتان حتى يشفى.

وإذا كان بالخد كسر تفتتى «فيجب عليك أن تضع يدك على خده فى نقطة هذا التهشم، فإذا طقطق تحت أصابعك، وكان ينزف دما من أنفه، ومن أذنه، التى على جانب الإصابة، وينزف أيضا دما من فمه، وهو فاقد النطق، فهذا مرض لا يعالج».

ولم يقصد الطبيب أبدا ترك المريض لصعوبة حالته، بل أوصاه بالراحة مع محاولة إزالة الورم حتى يشفى، والطبيب مدرك تماما خطورة الحالة.

لم يتخل الطبيب عن العلم فى أحلك الحالات، وحاول على المسـتوى العملى إيجاد العلاج المناسب لمريضه، وإذا استعصى الحال، لجأ إلى القوى العليا وأظهر إيمانه.

ولكن معلوماته العلمية سليمة فيما يخص هذا الجزء من الجسم البشرى فقد أورد أن «هناك وعاءين فيه، أى الإنسان، إلى جبهته».



ثقب فى لثة بها تقيحات

أمـا عن حركة الفك فقد حددها «إذا كان حبل فكه السـفلى منكمشـا»، فإن ذلك يعنى توتر جزء من أوتار فـرع فكه السـفلى المثبت فى عظمة الصـدغ. «فيتعذر عليـه فتح فمه نتيجة ألمه»، تظهر هذه الحقيقة معرفة الطبيب بحركة الفك، وكان المصرى يطلق مسمى حبال على الأوتار، وعرت على الفك السفلى.

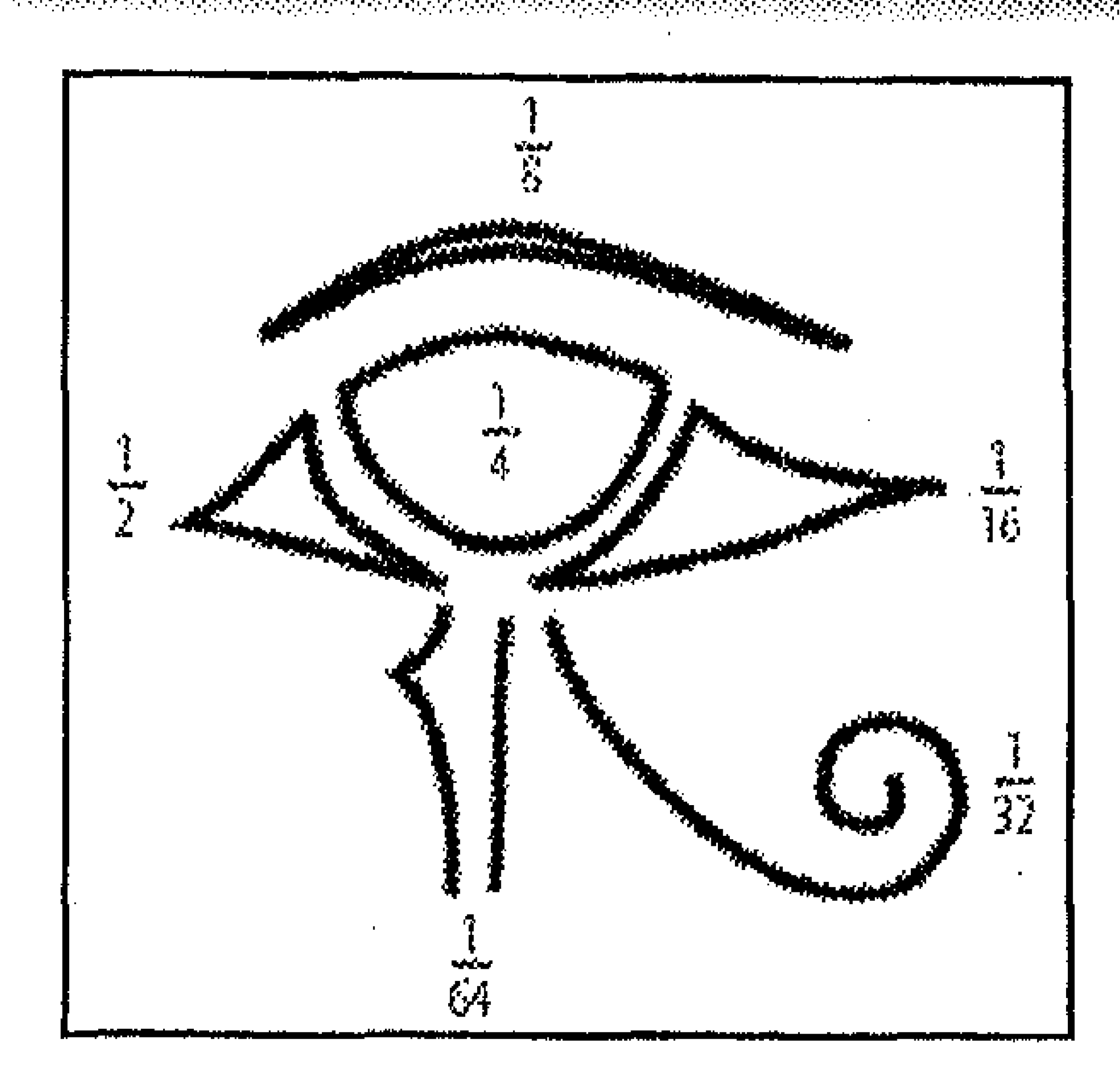
وقد ذكرت حالة عدم القدرة على فتح الفم، «الكزاز» وعندما تجد حبل فك المريض السـفلى منكمشا، اصنع له كمادات ساخنة حتى يرتاح وينفتح فمه».

وحدد شـكل الفك السـفلى «أما بخصوص نهاية شـعبة فرعه، وهذا الفرع نهايته فى صدغه كمخلب طائر عندما يقبض على شيء».

❑❑❑

الفصل التاسع

أمراض العيون والنظافة العامة



استخدم هذا الرمز، عين حورس لقياس الحجم، فيمثل كل جزء من العين جزءا من ٦٤جزءا التى أحدثت فى عين حورس طبقا للأسطورة المعروفة حين قطع ست عين حورس، ابن أخيه أوزوريس، وتولى تحوت مهمة علاج هذه العين، مما جعل منه حاميا لطبقة أطباء العيون والدقة والمهارة التى ظهرت فى نحت المصرى للتماثيل وكيفية تشكيل العين هما فى الواقع مدعاة لتساؤل هام، هل كان المصرى على دراية بتشريح العين؟



عين حورس

ولكن من المؤكد أن علاج العين يرجع إلى الدولة القديمة، القرن ٣١ ق. م، أما العيون الصناعية، فترجع إلى عهد ما قبل الأسرات.

وتعبر نصوص الأهرامات عن أهمية العين لدى المصرى بهذه الكلمات:

«إن ملجئى هو عينى، وحمايتى هى عينى، وقوتى هى عينى وقدرتى هى عينى».

ولكن كلمات بردية إيبرز العلمية والعملية واضحة المعانى، فهى تحدد وجود: «أربعة شرايين داخل الصدغ تمد العينين بالدماء وهى التى تفتح العينين، وإذا سالت الدموع فهى المقلتان اللتان تحدثان هذا....تؤدى فتحتا الأنف إلى تجويف العينين».

وقد ألم المصرى بأهمية النزيف تحت القرنية: «إن العينين حمراواتان مثل العين التى ستفقد البصر».

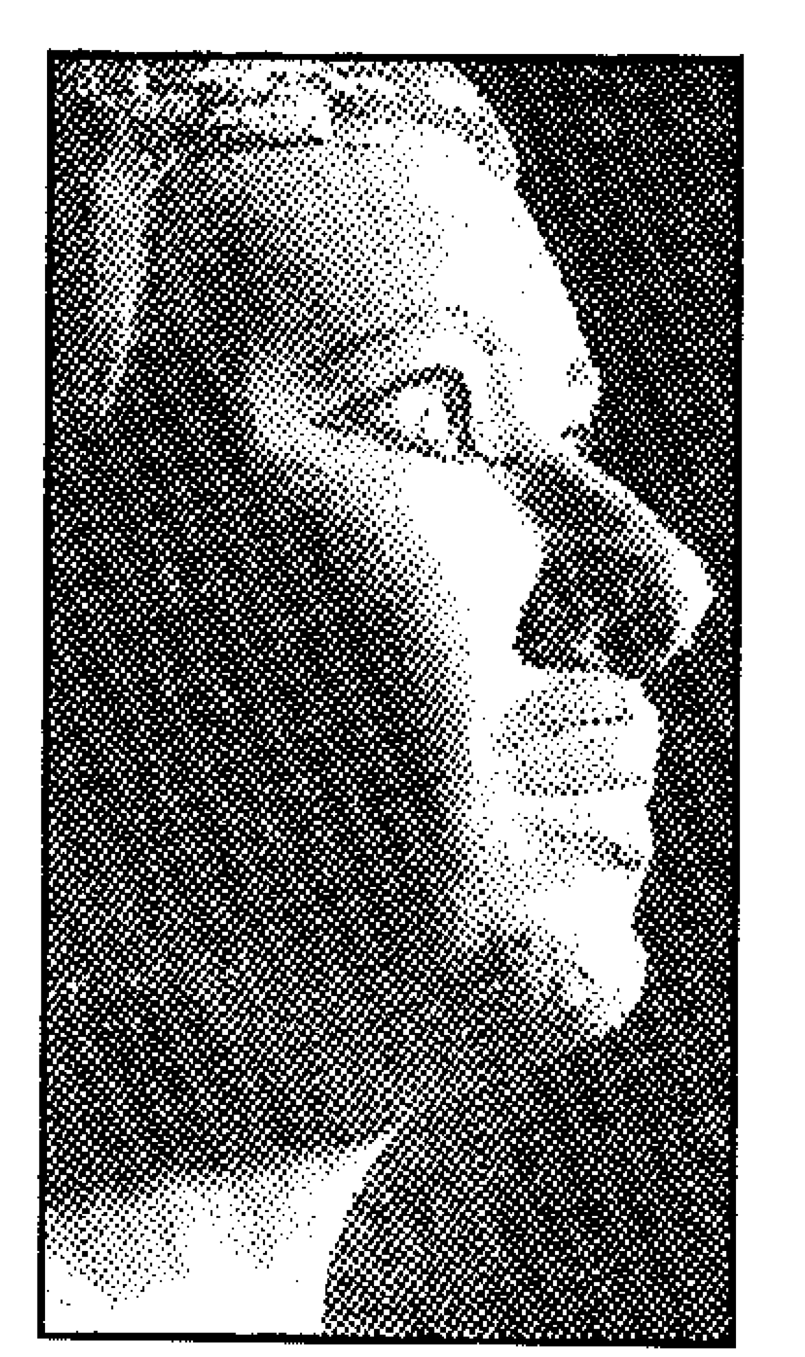
وكان المصرى بسبب الأتربة والذباب معرضا لإصابات متنوعة فى العين، مما دعا الأطباء إلى إبداع العديد من القطرات التى تستعمل كل منها طبقا للإصابة.

ويبدأ الجزء المخصص من البردية لعلاج العين بهذه الكلمات: «بدء مجموعة أمراض العيون: ماذا يعمل لحدوث القيح فى دم العين؟: سيا صعيدى، عسل، بلسم مكة، صمغ نشادرى». أما لعلاج إفراز العين: «كندر، مر، مغرة صفراء أى أكسيدوز الحديد».

والعثور فى الجبانات على آثار خاصة بأطباء العيون، تؤكد ممارسة هذه الشعبة من الطب منذ حوالى ٤٦٠٠ عام ق. م، فهناك تمثال جنائزى يرجع إلى الأسرة السادسة يمثل طبيب البلاط الملكى، أما اللوحة الجنائزية فترجع إلى عصر بيبى الأول وهى تمثل بابا يحمل هذا النقش: «بيبى عنخ كبير الأطباء الملكى وطبيب عيون الملك، وكبير العلماء والسحرة».

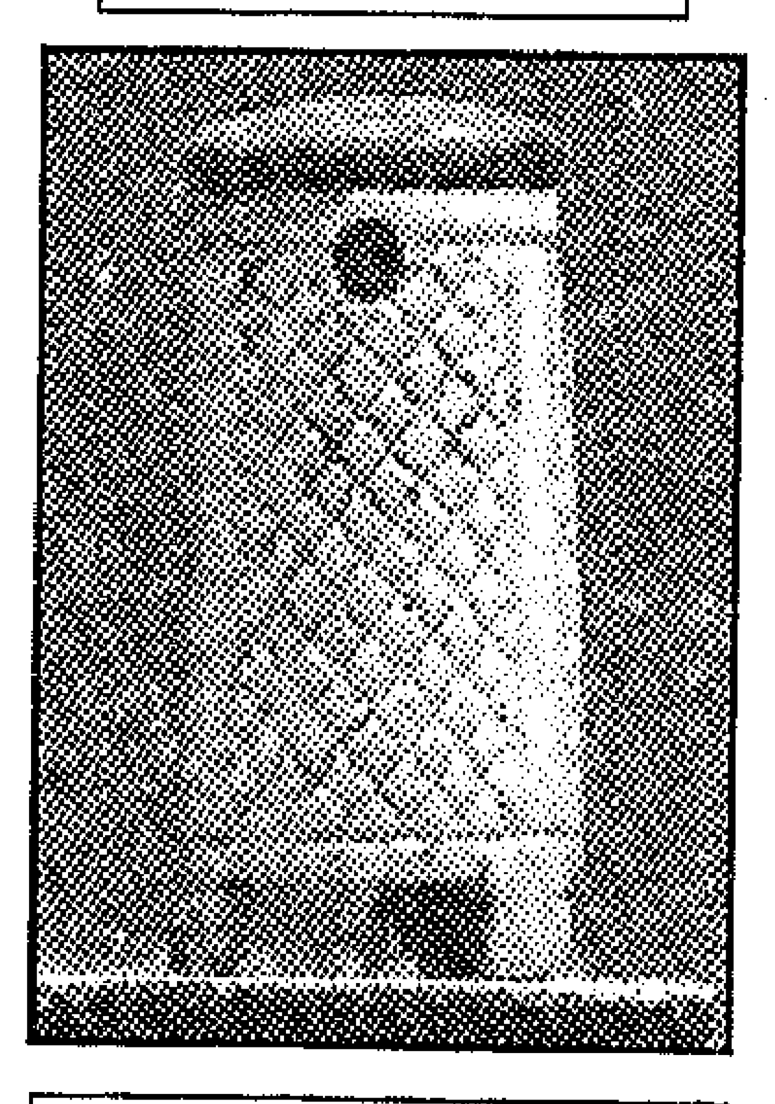
وقد ذكرت هذه اللوحة أن أقدم طبيب عيون يرجع لـ ٤٦٠٠ عام ق. م، لذا كان من اليسير على الطبيب إقامة علاقة بين الخلل فى الدورة الدموية والعين بعد أن اكتسب خبرة واسعة فى هذا المجال: «...ينبع من القلب ١٢ شريانا إلى كل الأعضاء، إذا عانت الرقبة وتعذرت الرؤية، فإنها شرايين الرقبة التى أصابها المرض...فهناك ٢ شريان للجبهة، ٢ للعين، ٢ للحواجب».

ولحماية العين بصفة عامة من الأتربة والذباب، كان الطبيب ينصح بأن تدهن بالملكيت «Malachite» أو كربونات النحاس وهى ممارسة ترجع لحضارة البدارى، أو الإثمد، وبخلاف هدفها التجميلى فإن المكونات من كربونات النحاس كانت تبعد وتقى من الحشرات: «سيا من الدلتا، مغرة صفراء، ملكيت وهو الكحل الأخضر، عسل».





تمثال للسحر والتبرك



إناء لحفظ الكحل من العاج ويرجع للعصر الثينى

وتعتبر هذه الوصفة ضمادة للعين التى تترك للراحة فلا تجهد كثيرا طبقا لتوصيات الطبيب.

وقد كتـب بلينـى Pliny reports in his Natural History ، وهـو كاتب ومؤلف فى علـوم الطبيعة معاصر لعهد نـيرون الرومانى ، أن الكادميـوم الـذى اسـتعمله الطبيب كأحد المكونـات العلاجية فى أمـراض العيون له مؤثر على الدموع فيجففها ويوقف تدفقها ، هو مطهر للأغشـية وللعفن الذى يصيب العيون ويقضى على أى طفح فى العين. ويسـتعمل النحاس أيضا لهذه الأغراض بخلاف اسـتعماله لعلاج النقط البيضـاء وجروح العين ، وإذا ما أضيف إلى لبن ، فهو يشـفى تقيحات العين ، ولهذا السبب أعد المصرى الكحل بأن مزج صحن النحاس على حجر مبلل».



توت عنخ آمـون خارجا من زهرة اللوتس وحول عينيه سـلفات النحاس.

ونجد فى بردية إيـبرز وصفة لطرد الرمد الحبيبى أى التراكوما من العينـين : أثمد ، وهو الكحل الأسـود ، مع مغرة حمراء ، وهى أكسـيد الحديد ، ومغرة صفراء ، وهى أكسـيدوز الحديد ، مع ملح نطرون أحمر ، وأوصى الطبيب بوضعها على جفنى العينين.

وأطلق المصرى مسـمى نحا ام ارت على الرمـد الحبيبى الذى كان منتشرا بكثرة مع الرمد الصديدى فى مصر.



نفرتيتى وإصابة عينها اليسرى

أمـا لإزالة البقع البيضاء من العينين أى العتامة ، فوصف الطبيب : «مرارة سلحفاة وعسل يوضع على الجفنين».

ويمكـن إرجاع ما أصاب العين اليسـرى لنفرتيتى إلى مرض أصاب القرنية بالكثافة وذكر تحت مسمى شت نو مراتى وهو ما يعرف حديثا بالجلوكوما. وقـد ذكرها الطبيب المصرى علىأنهـا بقع بيضاء تصيب القرنية ، وكانت الكمادات هى العلاج.

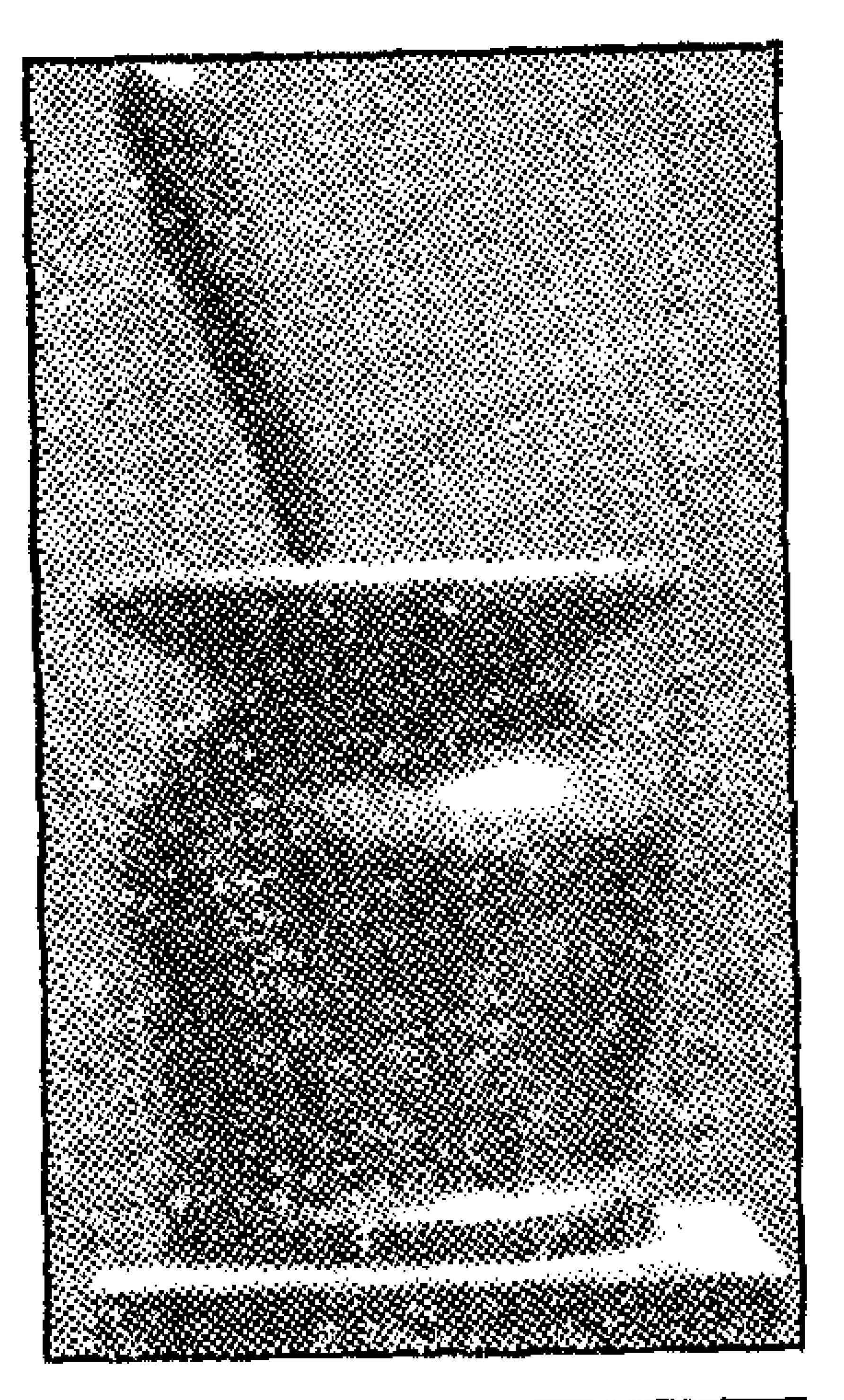
وجدير بالذكر أن مركبات النحاس تستعمل حاليا فى علاج حالات التراكوما المنتشرة فى مصر.



حجر الأثمد

ولطرد حرقة العيون : صنوبر من جبيل ، وهى مدينة بيبلوس الشهيرة بلبنان ، يصحن ناعما مع الماء ويوضع على الجفون.

ولحماية العين لجأ المصرى إلى الكحل بألوانه الثلاثة الأسـود الذى صنعه من حجر الأثمد ، والأخضر من الملكيت ، والأزرق من سلفات النحاس.



إناء لصحن الكحل مصنوع من حجر الدم أو الهيماتيت

وكحل الإثمد هو المسحوق النقى لحجر الإثمد الطبيعى الذى يتكون من مركبات الأنتيمون Sb antimony، ثالث سلفور الأنتيمون وهو الكحل الأسود، وخامس سلفور الأنتيمون وهو الأثمد الأحمر.

ويعتبر الأثمد من أشباه المعادن ويتواجد بحالة سلفيد وهو المصدر الرئيسى للمعدن، أو أكسيد، أو الأكسى سلفيد، وهو معدن هش سريع التفتت، لونه أسود فى حالته كخام أو أزرق فى حالته الثابتة، ويرجع تاريخ أكتشافه ٣٠٠٠ ق. م. ففى حالة إصابة العين أوصى الطبيب: «ما يعمل للرض بالعين فى اليوم الأول: ماء مستنقع، فى اليوم الثانى عسل وإثمد أسود، وأوصى باستعماله ليوم واحد فقط. «فإذا صحب الإصابة نزف، ضمد موضع الإصابة لمدة يومين بالعسل وأثمد لمدة يومين، فإذا خرج من الإصابة خلط غزير، فحضر له العلاج لأجل عقس: راياو، ملكيت، كندر، سنبلة هدن، يغلى.



الكاتب المصرى فى متحف اللوفر تحيط بعينيه مادة الملكيت أو كربونات النحاس للحماية والتجميل

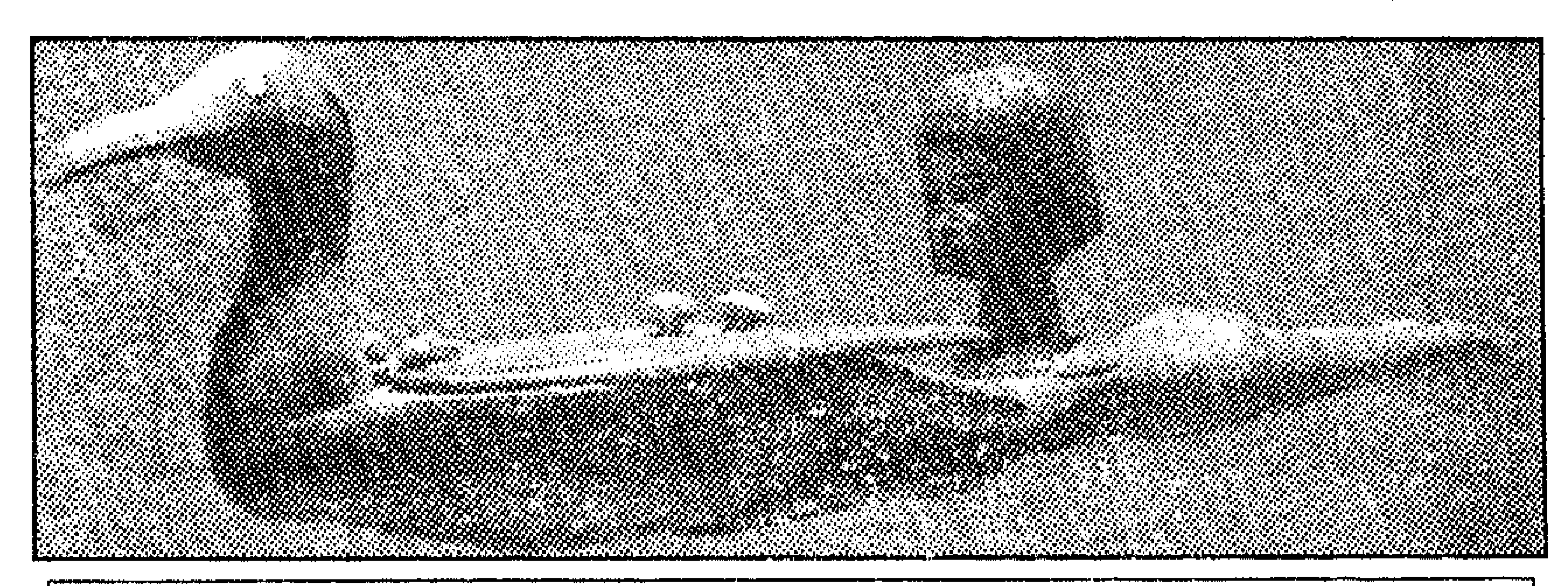


عيون تمثال شيخ البلد الشهير تزينها كحل أخضر

ولجأ المصرى أيضا إلى سلفات النحاس لنفس الغرض الوقائى والتجميلى وهو يعطى لونا أزرق جميلا وله تأثير مطهر.

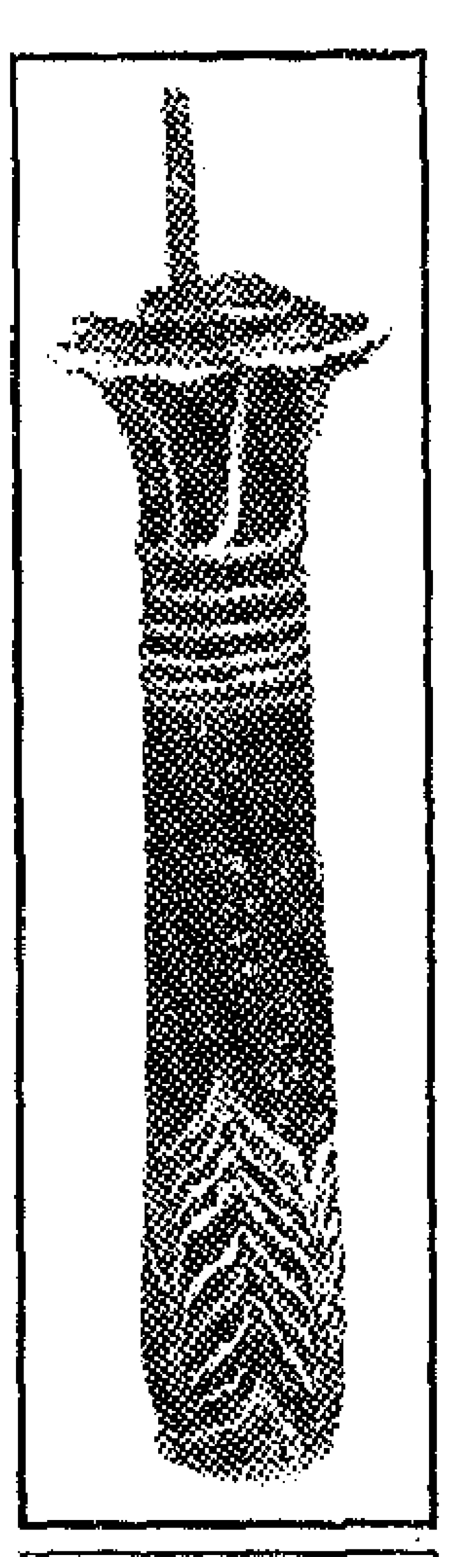
ولقد تخلفت فى بعض القوارير بقايا من القطرات التى كانت تستعمل كغسول للعين وللعلاج بصفة عامة، فوجد بتحليلها أن هذه المكونات تشمل كلا من سلفات وأكسيد النحاس، وأكسيد الحديد، وأملاح الرصاص، والملح، وبودرة اللأزورد أو اللبيس لازولى، ومشتقات الزرنيخ وخلافه، وقد تم خلط هذه المواد بدهون حيوانية مختلفة وأحيانا أخرى بالعسل واللبن لعمل مراهم للجفون.

وتوضع القطرة التى أجاد الطبيب خلط مكوناتها فى العين بواسطة ريشة طائر «لطرد تقرح الأجفان: ثمر السرخس، حنظل، جايت محت، ملكيت، براز الغزال، قلب حيوان يدعى قاديت، زيت أبيض يوضع فى ماء، يترك فى الندى طوال الليل ويصفى ثم يضمد به الجفون لمدة أربعة أيام، ويمكنك أن تنقطه بواسطة ريشة نسر».



إناء لحفظ الدهانات من الخشب ويحفظ حاليا بمتحف اللوفر بباريس، الدولة الحديثة

ولكن معظم القطرات كانت من المواد النباتية مثل الورد، والزعفران، والمر، وزهر اللوتس، ومشتقات زهور اللوتس، والصمغ، والبخور، والعديد من النباتات الأخرى. ويستعمل حديثا ماء الورد مع مركبات أخرى كغسول للعين.



مكحلة للعين

أما الكحل، فكانت له أيضا أهداف علاجية وجمالية وقد استعملته السيدات على مر العصور التاريخية لتزيين وتجميل العين. وكانت القطرات تعد بأن تمزج المكونات ثم تنقع في الماء، وتعرض للندى، وتصفى ثم تعمل كمدات على العين لمدة أربعة أيام. وفى استعمالات أخرى تضعها فى العين بواسطة ريشة حدأة أو طائر آخر. واستعمل الأبنوس بكثرة فى العلاج المصرى القديم خاصة خلال الأسرة الحادية عشر، فقد استعمل موضعيا فى حالة ضيق حدقة العين، ولطرد عتامة العين بمزج الأثمد الأسود مع الأبنوس والماء، ويوضع فى العين كقطرة.

ووصف الطبيب هذه التركيبة لقطرة العين «لتضييق الحدقة: فتات الأبنوس، ساى صعيدى، وهو مكون من كبريت الزرنيخ، يصحن فى ماء ويوضع على العينين مرارا.

وفى رأى د.حسن كمال أن الطبيب «ربما يقصد علاج تمدد الحدقة الذى اعتبره الإغريق فيما بعد مرضا قائما بذاته يسبب العمى». واهتم الطبيب بالنظر والقدرة على الرؤية والتمييز وأوجد السبل لمحاولات علاج النظر، والوصف التالى هو أبلغ دليل على تطبيقات كشف العين التى مازالت تمارس: «يتأكد رع من دقة الرؤية لدى حورس. يضع رع حورس المصاب فى عينه بجوار جدار مدهون بملاط فاتح اللون رسم عليه خط أسود صغير وخنزير ضخم بنفس اللون. يغطى حورس عينه السليمة ويطلب منه رع النظر للخط الصغير. ولكن عندما لم يره جورس وجهه رع إلى رسم الخنزير فيراه حورس، عندئذ يدرك رع أن حورس احتفظ بقدرة كافية على الرؤية». طبقا للأسطورة.

ومن المعروف حديثا أن ضعف النظر التى لم تنم بها القدرة على الإبصار بشكل مناسب أثناء الطفولة يعرف بالعين الكسولة التى تعالج بتغطية إحدى العينين لإعادة قوة الإبصار للعين الضعيفة.

وتقديرا للعين وأهميتها اعتبرت عين حورس الوادجت تعويذة ترمز للشفاء والقدرة، فهى التطهر، والحماية، والشفاء، وإستعادة القوى، وعين حورس هى أيضا رمز الحياة.

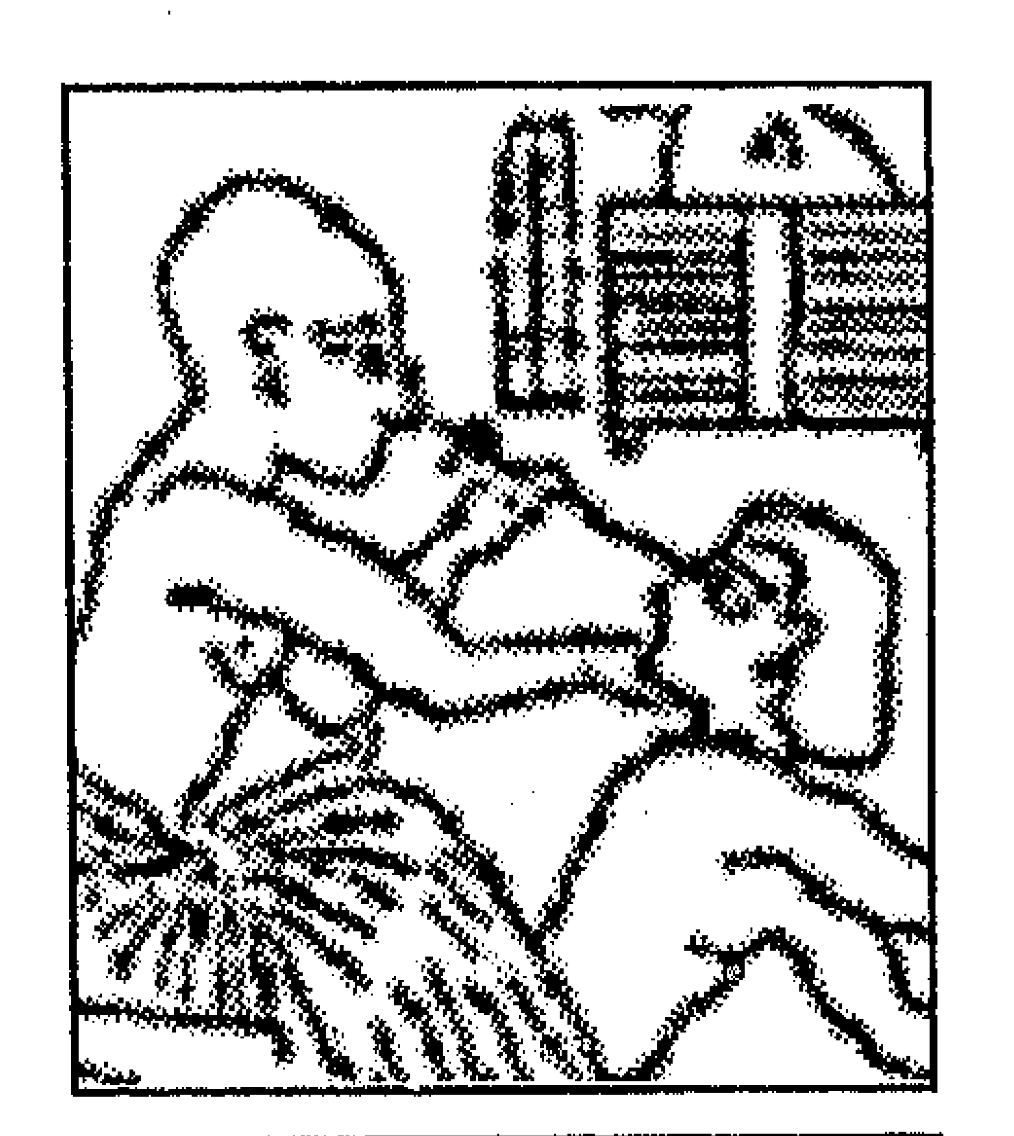
ومزج المصرى كعادته العقيدة بالعلم، فأوجد الوصفات اللازمة لعلاج قصر النظر ولتقويته: «لطرد العمى من العينين بواسطة كرة صغيرة: مر جاف مع اللادن والكندر، يصحن مع سائل لزج من مشروب متخمر ويوضع على الأجفان».

ولجأ الطبيب أيضا إلى صحن الحنظل مع العسل ووضعه على الجفون، وهو مبدأ المراهم المستعملة حديثا.

«لعلاج إبصار العينين: أثمد أسود، مسحوق مداد، حنظل، صمغ الكلخ، المعروف بأبو كبير حاليا، أثمد ذكر male stibium، يمزج معا ويوضع على العينين.

ويلجأ الطبيب فى حالة تدهور الحالة إلى التعاويذ: «لطرد عتامات القرنية من العينين: هناك رعد فى السماء الجنوبية منذ المساء، هناك زوبعة فى السماء الشمالية أثناء سقوط الجثث فى الماء، وأنزل نواتى، رع، على شاطئهم لأن الرؤوس كانت تقع فى الماء. من ذا الذى يحصرهم؟ من ذا الذى يجدهم؟ إنه أنا الذى سيحضرهم، أنا الذى سأجدهم، لقد أحضرت رؤوسكم، وألصقتها بأعناقكم، لقد ثبت رؤوسكم المقطوعة فى أماكنها. لقد أحضرت نواتى، رع، لطرد الأمراض التى سببها معبود أو رجل ميت أو امرأة ميتة...إلخ

يقال هذا على مرارة سلحفاة تصحن فى عسل وتوضع على الجفون المحتقنة».



رسم لأحد أطباء العيون وهو يقطر الدواء فى عين المريض رفع من أحد النقوش

يستدعى الطبيب هنا القوى العليا ويستعين بها لجلب الشفاء للمريض وزرع الأمل فى النفوس، بما يعرف حديثا القدرة على الإيحاء الذاتى الذى يؤثر فى المقام الأول على العقل فيحفزه، وعلى الحواس فيحى فيها الرغبة فى الشفاء وهذا جزء حيوى لتنشيط الدورة الطبيعية للجسم بحثا عن الشفاء.

وفى محاولة للقضاء على العمى: «يحضر سائل من عينى خنزير، أثمد حقيقى، مغرة حمراء، حثالة العسل، يصحن ناعما ويمزج معا. يصب فى أذن الشخص حتى يشفى حالا، افعل ذلك وسترى النتيجة، عظيم حقا» «اتل الرقية التالية: أنا جلبت هذا الذى وضع على المكان هناك وبدلته بالألم الشديد، كرر هذا مرتين».



يعرض هذا التمثال بالمتحف المصرى يوضح عناية المصرى القديم بالعينين

ولعمى الليل علاج عظيم حقا، طبقا لكلمات الطبيب المعلم، فقد أوصى بكبد ثور مشوى مدهوك والذى ثبت حديثا غناه بفيتامين أ، A اللازم لهذه الحالة فهذا الفيتامين يقوى النظر، ولإزالة الدم من العينين كندر مع كرفس، والكحل مع الحنظل والفاكهة لطرد حرارة الاحتكاك.

وقد عرف الطبيب المصرى قيمة بعض الفيتامينات التى قادته التجربة فقط إلى معرفتها بأسلوب مختلف عن الوقت الحالى.

ولكن الطب ذهب إلى أبعاد نعتبرها اليوم منظورا شائعا للأمراض، إذ يذكر حالة امرأة تعانى من التهابات حادة

فى العين وآلام فى الرقبة، فكانت التوصية فى العلاج تتلخص حول التشخيص: «هناك مادة فى عينيها أصابتها من الرحم». وتعالج هذه الحالة بالتعقيم:

«... بخور نباتية وزيوت» يجب أن تعرض المريضة لها فى أجزاء مختلفة، والمراد بهذا العلاج تعقيم كل من الرحم والعين معا، ولعلاج العين وجب معالجة الرحم أولا.

وتذكر بردية إيبرز هذه الحالة: «لاتدع الشعرة تنمو مرة أخرى داخل العين بعد نزعها..». إذ أن الطبيب يبدأ علاجه لطرد الحبة من العين بأن يدهن العينين بخليط من أثمد مع بلسان وصبر. ولإزالة الشعرة، أو ثنى الرموش فى العين، يوضع على الجفون خليط من لادن مع مواد أخرى. ولمنع نمو الشعرة بعد استئصالها خليطا آخر من دهن ثور وزيت اهليلج ومخ كلب البحر ودم عبننت. وتذكر بردية إيبرز حالة مريض يعانى: «جفون عينيه لا تستطيع إنبات رموش مرة أخرى».

وقد عالج طبيب العيون المصرى أيضا حالات صعود الماء للعين، وهذا ما أرجعه العلماء لإحتمالات الإصابة بالكتراكت، فقد أوصى الطبيب بمزيج من الكحل الأخضر، ملكيت، والكحل الأسود، أثمد، وحجر اللازورد، وبلسان، يمزج باللبن مع براز تمساح.

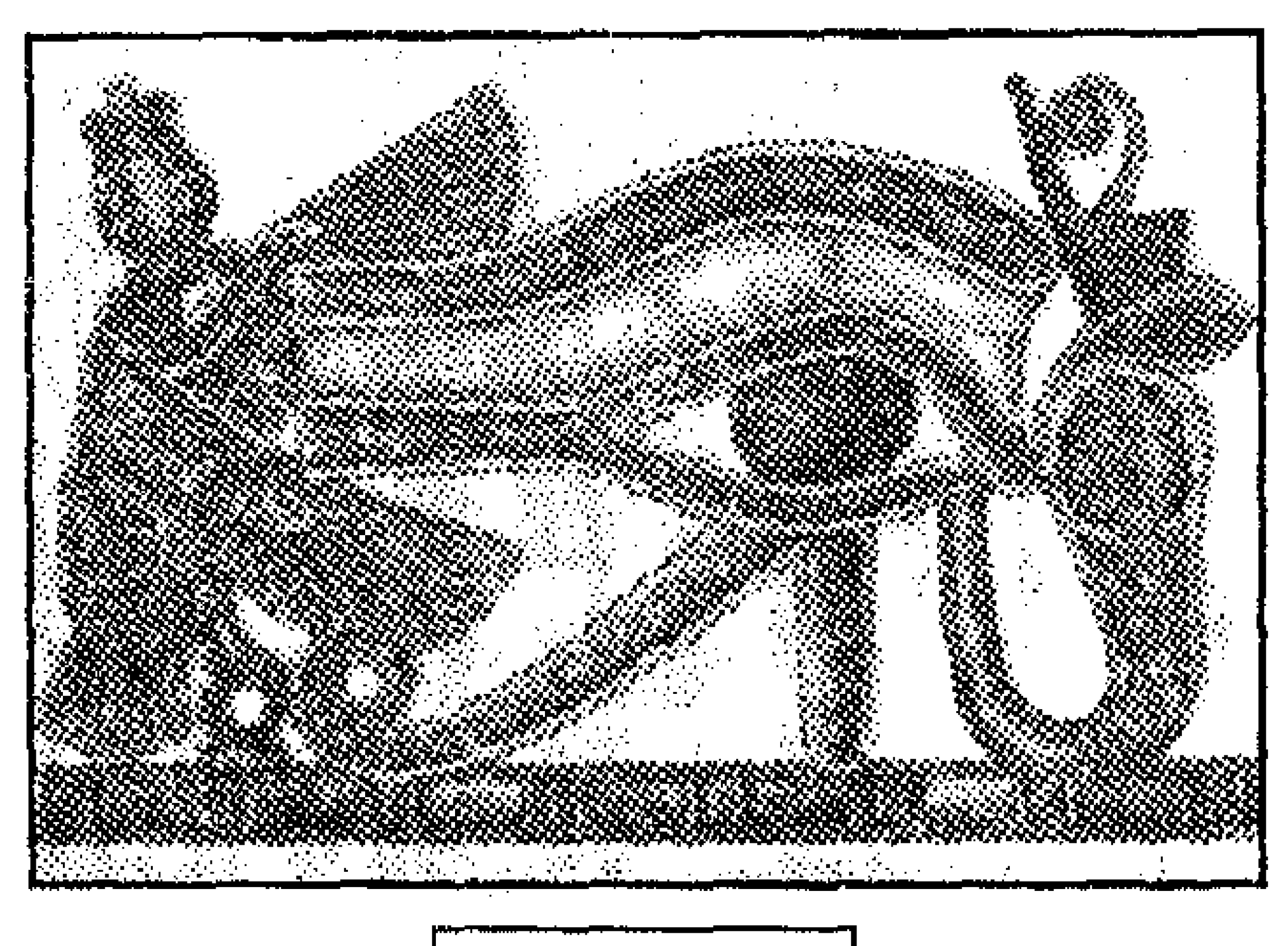
ومن المنتظر الاهتمام بهذه الوصفات وتحليل مكوناتها الفعالة فى العلاجات المختلفة التى أكسبت أخصائى العيون فى مصر القديمة شهرة واسعة. ولكن هذا لم يمنع من وجود بعضا من فاقدى الإبصار الذين عملوا فى حقل الموسيقى خاصة خلال فترة العمارنة عندما كان يتطلع الأفراد لقرص الشمس، فتصاب عيونهم إصابة غير قابلة لأى علاج.

أما جروح منطقة الحاجب أو الذقن أو الشفة العليا كما ورد فى البرديات، وهذا ينطبق أيضا على الجروح بصفة عامة، فكان على الطبيب أن يضم طرفى الجرح بعناية، ثم يلصق الطرفين، أو تخاط الأطراف حسب الحالة. ويعتبر خياطة الجرح هو أول إشارة فى التاريخ لهذا الإجراء.

ولأهمية طبيب العيون المصرى الذى تخطت شهرته الحدود، فقد كان ملوك الدول المحيطة يستدعون عند الحاجة أحد الأطباء المصريين عندما تتفاقم حالة المريض، فيذكر التاريخ أن ملك الفرس سايرس قد طلب من أمازيس ملك مصر أن يرسل له أمهر طبيب عيون فى مصر.

أما آمون فهو: «من يداوى العيون بلا دواء، من يفتح العيون ويجعلها تحدق».

ولكى يمنع الطبيب ارتخاء الجفون بالعينين، أوصى بسائل يعد من السنط والملكيت مع لبن امرأة أنجبت ذكرا، ويوضع الخليط على الجفون. وأعد الطبيب المراهم للعين مثل هذا المستحضر



عيد حورس

الـذى يعجـن المكونات معا ثـم يجففها، ويصحنها فـى الماء قبل فردها علـى الجفون: صبر، ملكيت، حنظل، عصير السـنط، نشارة الأبنوس، ماء، وهذا الدهان لطرد تقرح الأجفان والظلمة وضعـف الإبصار والأمـراض التى تصيب العيون واقتصرت معظم علاجـات العيون على الأملاح المعدنية، وكبد الثور الذى وصف للعشى الليلى، وبعض الأعشاب.

بعض أوانٍ لحفظ الكحل

وأثبـت التحليل الحديث الـذى أجرى على الكحـل احتواءه على كبريتيد الرصاص galena، بنسبة ٦٠٪، وأن باقى المكونات هى مزيج من أكسيد المنجنيز، وأكسـيد الحديد، وأكسـيد النحاس، وسـلفيد الأنتيمون. ويحتفظ المصـرى عادة بأربعة أوانٍ للكحل: كحل للاستعمال اليومى، وكحل لفتح العين، وآخر لتنظيف العين، والأخير لإبعاد إفرازات العين. فالكحل للعلاج والتجميل أيضا.

ويستخلص مما سبق أن المصرى بوصفه للمستحضرات العلاجية لإفرازات العين، والاحتقان، والتأثـر بالضـوء، والرغبة فى حك العين، الذى يؤدى فى النهايـة إلى انقلاب الجفنين، وتحك الرموش بالتالى سطح العين وهى الشعرة المشار اليها، ثم تتعتم العين وتحجب الإبصار، بوصفه هذا إنما يصف حالات تراكوما متدرجة، وقد أطلق عليها مسـمى نحات، ووصف الطبيب العلاجات المتنوعة لكل عرض: احتقان الجفون، الشعيرة وقد أطلق على هذه الحالة مسمى «لطرد الحبة من العين»، وأما لفظ «طرد الظفرة من العين»، فالمقصود به بقعة عاتمة تمتد على جزء من القرنية طبقا لما أورده د.حسن كمال. و«البقع البيضاء من العينين»، هى عتامة القرنية glaucoma cornea، أما العشى الليلى فقد عالجه الطبيب بكبد الثور المشوى وهو مصدر لفيتامين أ.

ولأهمية النظر هناك خطاب يرجع إلى عهد رمسـيس الثانى أرسـله أب إلى ابنه: «لا تتركنى فإنى فى تعاسة! لا تنه أسفك على لأننى فى ظلام، لقد هجرنى آمون، أحضر بعض العسل لعينى وبعض الدهن... ودهان العين الحقيقى بأسرع ما يمكن...اننى ضعيف وأريد الاحتفاظ بنظرى».

يعكس هذا الخطاب الوعى الصحى للعامة، فكاتب الرسـالة نقاشـا، وهو على دراية ببعض مكونات الدواء وحريص على العلاج.

عـالج الطبيب المصرى أيضـا الكتاركت وهى عتامة تصيب عدسـة العين، وتضعف الإبصار وتحجبـه. أمـا العيون الصناعية التى أجاد الفنان المصرى القديـم إعدادها، فهى تعكس معرفته بتفاصيل العين، فنجد أن عيون التماثيل، وخاصة تماثيل الدولة القديمة، تعكس تفاصيل دقيقة مثل الجفـون، والصلبة، والقرنية، وإنسـان العين، والقزحية، وحليمة مـآق العين، والثنيات نصف الهلالية، وكل هذه التفاصيل ظاهرة بوضوح طبقا لما أكده ويلسـون، الذى أكد أن العيون كانت تصنع من القواقع أو الحجر، ثم من الزجاج.

وأضاف ويلسون: «وصنعت القرنية من البلور الشفاف، وثبتت بالحفر فى جسم الصلبة بعد صقلها تماما. والغريب أن المصريين القدماء جعلوا القرنية أكثر تحدبا من الصلبة تمشيا مع الطبيعة».

ولم تقتصر معرفة الطبيب للعين فقط كما أوردنا، بل إنه يعلم جيدا حالة العين فيما أسماه «إن عينيه محتقنتان بالمرض مثل العين فى نهاية ضعفها»، وزيادة فى الإرشاد والتوجيه من جانب الطبيب المعلم، يذكر فى بردية سميث: «أما بخصوص عيناه المدميتان»، وهو وصف ذكر أيضا فى رسالة المحنط المتداولة بين كل من الطبيب والمحنط أيضا استرشادا بمحتواها.



طبيب يعد الدواء

لقد قدم المصرى عبر العصور التاريخية العديد والعديد من الممارسات الطبية التى أثبت العلم الحديث منافعها والفائدة التى تعود على المريض من جرائها.

وقد وصف الطبيب مستحضرات للعين تستعمل فى أوقات محددة: «الذى يعمل فى الشهر الثالث، برمهات، من فصل الشتاء إلى الشهر الرابع، برمودة: إثمد، سيا صعيدى، مسحوق مداد، كلامينا، صبر بأجزاء متساوية ويوضع على العينين».

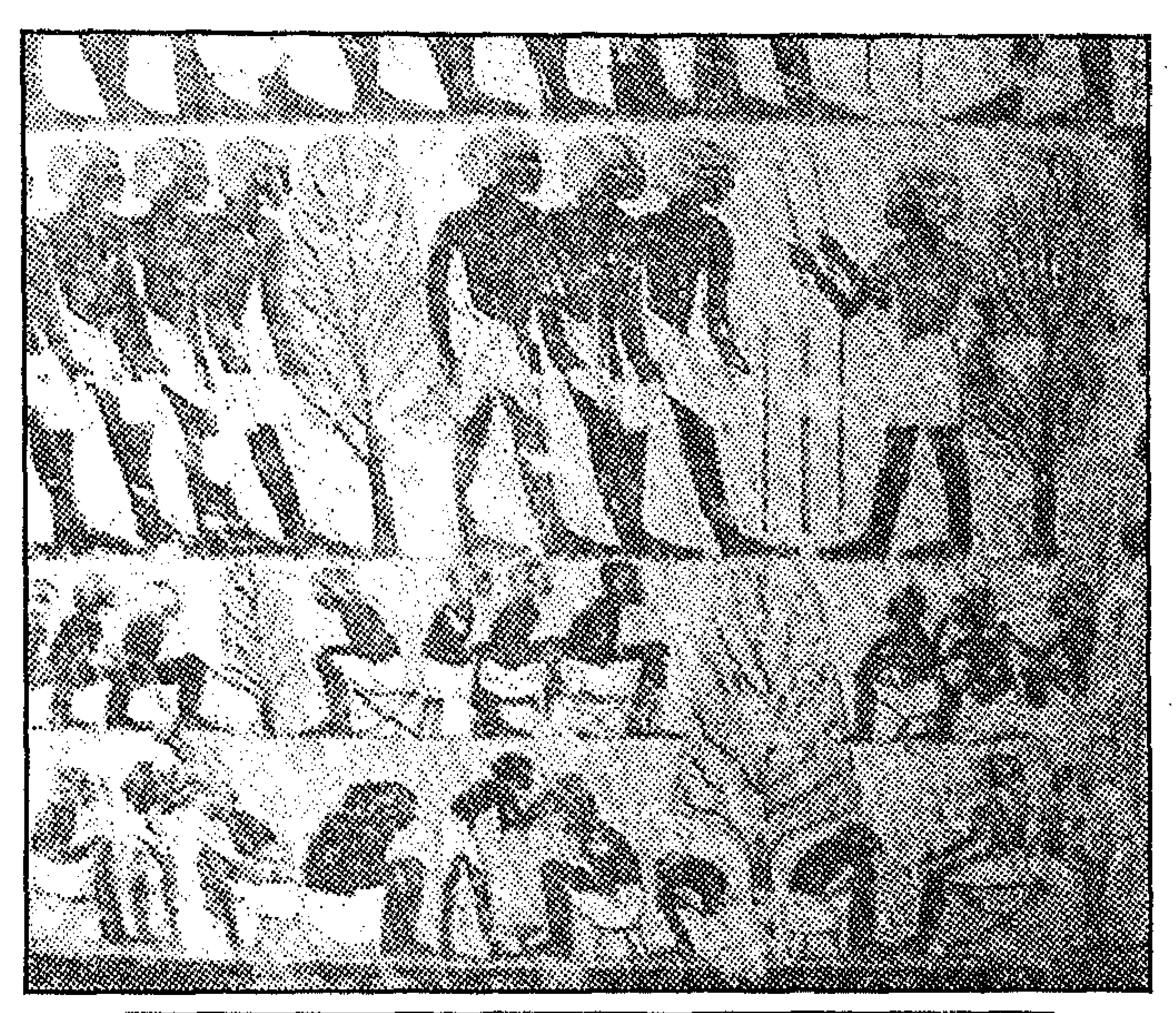
ووصف «مرهم يستعمل صيفا وشتاء ووقت الفيضان: أثمد يصحن فى دهن أوز صباحا بعيدا عن النار ويضمد به ليلا».

ولتحسين الإبصار من أول شهر الشتاء، طوبة، إلى الشهر الثانى من فصل الشتاء، أمشير، توضع على العين خليط بأجزاء متساوية من الإثمد وبلسان أو مزيج آخر من إثمد وعسل، أو يبخر بسائل لزج شقفة من إناء هن جديد ويوضع مرارا على العينين...

ولطرد العتامات التى ظهرت بالعينين يصحن الإثمد مع الصبر، أو الإثمد مع الماء، وهناك علاج آخر للعينين المصابة بكل أنواع السوء: تقسم مرارة خنزير لقسمين، يوضع نصف فى العسل وتدهن به العين فى المساء، والنصف الآخر يجفف وتدهن به العين صباحا.

ومن خلال استعراض قدرات الطب والسحر والعقيدة، يمكن القول أن الحضارة المصرية على مر العصور غطت معظم الجوانب الحياتية، وكان الهدف الأسمى هو تحقيق رفاهية شعب إستوطن هذا الجزء من الأرض وحقق لنفسه الاستقرار والأمان.

ومن مظاهر الرفاهية والنظافة العامة هو العناية بالأيدى والأقدام كما هو مبين من مقبرة خنوم حتب ونى عنخ خنوم، فهما مسؤولان عن العناية بأيدى وأقدام الملك كما هو مدون على عتبة مدخل مقبرتهما.



يظهر منظر الحلاقة أسفل الصورة، جدران مقبرة أوسرحات، الأسرة ١٨، القرن ١٦ ق. م.

ويعتبر المصرى فى مجال النظافة العامة أول من أقر حلاقة شعر الرأس لأفراد الجيش الملحقين بالخدمة حديثا منعا من انتشار أية حشرات.

وقد دون هيرودوت ملاحظاته على نظافة المصريين وحرصهم على اتباع تعليمات النظافة العامة: «إنهم حريصون على لبس الكتان النظيف معظم الوقت، كما أنهم، بهدف النظافة يجرون عمليات الطهارة لأبنائهم، وهم يفضلون النظافة على المظهر».

وكانت طبقات المجتمع المتنوعة حريصة على استعمال الدهانات العطرية والروائح العطرية المستخرجة من الأزهار بعد الاستحمام، وغسل اليدين والقدمين بالماء والملح للتطهر.

ويذكر كتاب الموتى حقيقة المصرى وسلوكه فى الحياة، وهو ماثل أمام القضاة أثناء المحاكمة بعد الموت: «يقول الرجل اعترافه عندما يكون طاهرا، نظيفا، يرتدى ملابس نظيفة، وينتعل نعالا بيضاء، وعيناه مزينتان بالكحل، ومعطر بأفضل العطور والزيوت العطرية».

ويذكر هيرودوت عن الكهنة: «يحلق الكاهن شعر الجسم كل يومين حتى لا تصيبه أية حشرة، أو تلتصق به أية قذارة، وعند ممارسته للشعائر، يستحم مرتين بالنهار ومرتين بالليل بالماء البارد، ثم يلبس رداءه الكتانى ونعاله من ورق البردى».

وتلجأ النساء إلى حبوب يصنعنها من الزهور وتدهن بالعسل وتستحلب لتعطى للنفس رائحة ذكية، ونفس المكونات يستخدمنها بشكل مختلف لتعطير المنازل والملابس.

وقد أوصى الطبيب بعلاج ضد أكلان الأصابع : «خذ قلب الكرنب ، ومرارة الثور وملح النطرون واصحنها فى عسل وادهن المريض بها ، فتكون النتيجة حسنة».

ووصف للجرب: «سذاب أو calamine ، وهو نبات طبى مع اسبداج وصدأ الرصاص ودهن خنزير سائح ، تحلل هذه المواد فى نبيذ وزيت وشمع ثم تسحق المكونات معا فى الهاون وتستعمل كدهان.

وأوصى الطبيب المصاب بأكلان فى الجلد ناتج عن الإصابة بالقمل بدهان جسمه بعد الاستحمام بالبول المخلوط بملح النطرون والخل ثم الاستحمام ودهان الجلد بالزيت الصابح والنبيذ. ويمكن للمريض أن يدهن جسمه بمصحون براز الحمام فى النبيذ.

ولترطيب الجلد يصحن ورق السمسم ويدعك به الجلد على أن يستعمل هذا الخليط مرة واحدة ويصحن غيره بعد ذلك ولا يستعمل مرة أخرى، ويجدد الخليط كل مرة لضمان مؤثر الدواء.

وأوصى الطبيب بملطف للجلد وينعمه أثناء الاستحمام: «خذ ثمنا من حثالة الخل المكلس، ولترا من النطرون ، ولترا من الجميز، وزيت الجبل ، وحب الكندر، وثمانى أوراق من كل، والخل ويكون المقدار الذى يستعمله المريض موافقا والزيت بكمية كافية ويستعمل هذا المزيج فى الحمام».

كان الطبيب حريصا على التوجيه للنظافة العامة نظرا للظروف المناخية المشبعة بالأتربة ، فأوصى بالحمام البارد، وبالحمام الساخن وبالأبخرة، كل حسب الحالة ومدى تطورها ، فهناك حالة حكة بالجسد يصف لها المركب التالى : «زيت الجبل ، خمس أوقيات نطرون ، وحجر كذان مع صدأ الرصاص، وكبريت العامود، وكمون بأجزاء متساوية ، اصحن هذه المواد الطبية ، وعندما يبدأ جسم المريض بالعرق داخل الحمام، ضع عليه هذا الخليط، ثم يغسل جسم المريض بالماء الساخن».

وردت معظم الوصفات للأمراض الجلدية المشار اليها سابقا فى مكتوب زويجا والذى، طبقا لما أورده د.حسن كمال ، ورد فى كتاب وصف الآثار.

ومكتوب زويجا من مقتنيات متحف بورجيانو، وهذه الجزئية مستخلص من كتاب أشمل لا وجود له الآن، والمكتوب عبارة عن صفحتين من هذا الكتاب مترجمة عن اللغة القبطية الصعيدية ، وهذا المكتوب بدوره منقول عن الورقة الطبية التى كانت محفوظة فى مكتبة منف والمنسوبة لامحوتب الذى أقر بمحتواها ، ولكن استبدل ناسخها المعبودات المصرية القديمة بما يتفق مع العقيدة القبطية ، فأحل الملائكة جبريل وروفائيل طلبا للشفاء، بدلا من إيزيس وحورس.

وتناقل العرب فيما بعد هذه الوصفات الطبية، فنجد أن وصفة علاجية من قشر الرمان الذى يغلى بعد تقطيعه فى النبيذ، ثم يدهن به المريض فيشفى، وردت فى ورقة امحوتب ونسخها كاتب الصفحتين، ثم ذكرها ابن البيطار: «إذا أحرق قشر الرمان أو السقيط، ثم خلط بعسل وطليت به آثار الجدرى وغيرها أياما متتالية، ذهبت آثارها». وقال أيضا إن الرمان ينفع الحكة ويدمغ المعدة من غير ضررها.

□□□

الفصل العاشر

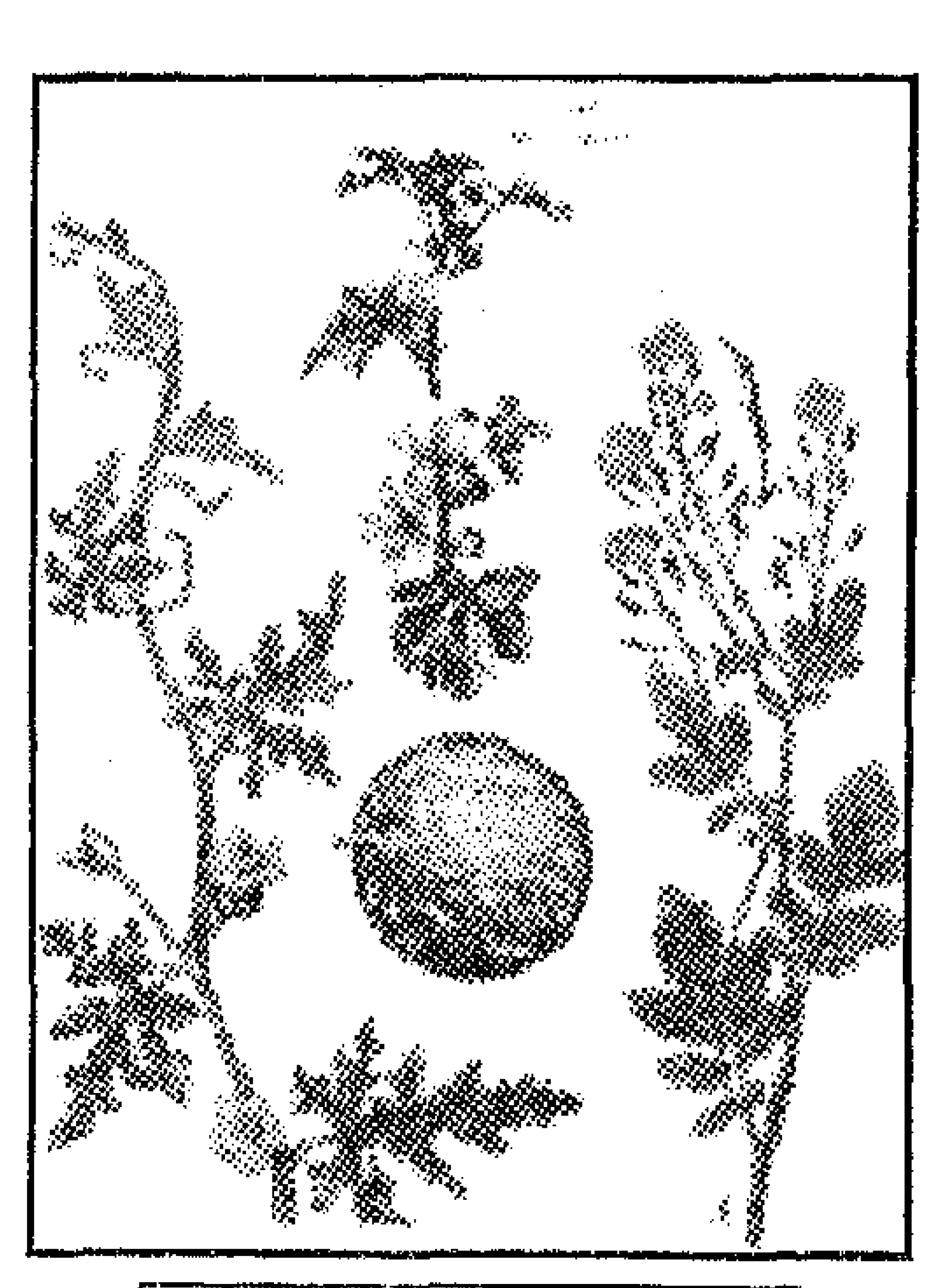
الأعشاب الطبية

استعان المصرى بالعديد من النباتات الطبيعية والأعشاب فى مداواة أمراض متنوعة، فكان أول من مارس العلاج بالأعشاب، واستعمل ما يقرب من ٤٠٠ نوع منها على سبيل المثال الكزبرة، السنامكى، زيت الخروع، الشعير، القرفة، الحنة، اللبان البخور، مخدر القنب والحشيش، سائل شجر الجميز، الشمر، النعناع، الكمون والعنب والكندر، والدوم، والعشار، والسنط، والكمون، والخروب... إلخ

كما استغل ورق شجر البلوط لعمل الضمادات اللازمة للجروح وهذا بخلاف نسيج الكتان الذى أعد منه ضمادات الجروح.

وقد ثبت حديثا أهمية معظم هذه المواد الطبيعية على الصحة العامة واستعمالاتها كمركبات لأدوية متنوعة، فبذر القنب كان يصحن ويضاف إلى العسل، ثم تدخله السيدة داخل المهبل، وقد ثبت حديثا فى منتصف القرن العشرين فاعلية هذا العلاج للقضاء على الالتهاب.

ولحبوب ومسحوق الكزبرة فعالية للقضاء على الانتفاخ وهى مهضم جيد، كذلك اعتبرت خلاصة غلى حبوب الكزبرة ذات فاعلية فى محاولة لإدرار البول.



بعض الأعشاب التى استعملها المصرى كدواء

كما استعمل الطبيب المصرى بعض النباتات كمسكن للآلام منها البخور، ونبيذ البلح، والتربنتين، والصمغ العربى، والخشخاش، والحشيش أيضا.

وإذا ما استعرضنا استنتاجات البحوث الحديثة من مؤثرات هذه الأعشاب فى الصحة العامة، نجد أن المصرى تلفت حوله وأجاد استغلال معطيات البيئة الطبيعية فى علاجاته المتنوعة حتى اعتبر متخصصو علوم الصيدلة معظم تركيبات الطبيب المصرى ذات فاعلية بدرجة ٧٦٪، مما يبرهن على القدرة العلمية لطبيب ذلك الزمن التى اكتسبها من التجربة والخطأ، وسجل فيما بعد نتائج استنتاجاته لتصبح منهجا يسير عليه المتخصصون كل فى مجاله بهدف الحفاظ على الصحة العامة وتخفيف آلام المريض.

لقد برع المصرى فى استعمال النباتات وتطويعها للعلاجات المختلفة، فكان رائدا فى طب الأعشاب الذى توارى فترة مع ظهور الأدوية الكيماوية، ولكن العودة إلى الأعشاب الطبية إثبات لفعاليتها، فنرى مؤخرا إقبالا على التداوى بالأعشاب فى بعض الحالات.

وقد أدرك المصرى سمية بعض المواد إذا زادت عن حدها، فكان حريصا فى وصفاته على مكيالها بموازين وقدر محدد اكتسبه من الخبرة والتكرار.

وست الحسن على سبيل المثال من النباتات السامة التى لجأ اليها الطبيب لعلاج السعال وسلس البول والإمساك، وفاعلية هذا الدواء تكمن فى كونه من القلويات الشديدة التى تستعمل كمسكن ومضاد للتشنج ولتوسيع حدقة العين وهو مقلل للإفرازات.



تقدم الزوجة نبات اللفاح لزوجها، وهو نبات له فعالية فى زيادة الخصوبة، الأسرة الثامنة عشرة، الدولة الحديثة



التطهر بالماء وتطهير الجو بالبخور من الممارسات الشائعة فى مصر القديمة، فقد ثبت قدرة البخور على تعقيم الجو والقضاء على ميكروباته

ومن النباتات التى لها فعل السحر، اللفاح، وهو نبات عشبى من الفصيلة الباذنجانية وله تأثير فعال فى الخصوبة والإنجاب، كما ثبتت خصائصه وفوائده هذه من خلال الدراسات الحديثة المتعددة، ولأهمية الخصوبة والإنجاب فى حياة المصرى القديم، لجأ الكثيرون إلى هذا النبات.

ووصف الأطباء البلح كمدر للبول، مما دعا الأطباء المعاصرين إلى وصفه فى أمراض المثانة والمعدة والأمعاء. واستغل الطبيب المصرى البخور لتعقيم الشرج والمهبل ولتعقيم الجو بصفة عامة، كما استغل الأبخرة لعلاج الجهاز التنفسى، وهى سبل مازالت مستعملة إلى الآن.

أما البخور فقد كانت تستعمل بكثرة لمفعولها المعقم والمطهر للجو، وقد ثبت أنها تنقى الجو من الميكروبات بخلاف نشر الروائح المعطرة.

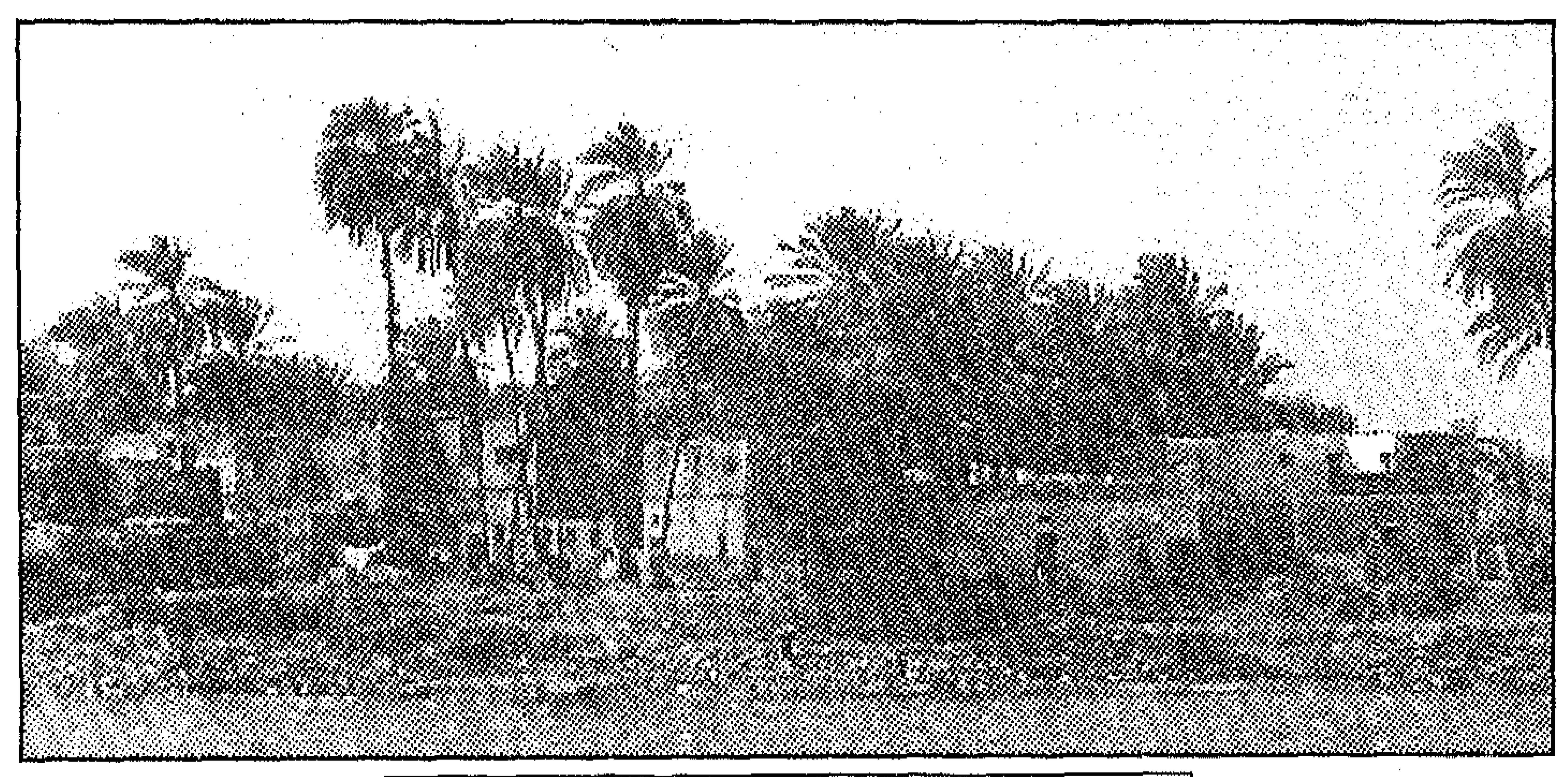
وللبخور فاعلية أخرى: «بخور لإبعاد انقباض شق وجهه واعوجاج فمه: خشب آس يبخر به المريض ويطفأ ببيرة عذبة ليفيض عرقا من نفسه ثم يدلك به». وتعددت وصفات المركبات للبخور: «بخور لإبعاد الموت: غاب، نبات شمس، فاكهة طلح سيال، يبخر به» «بخور لإزالة المرض الناشىء من معبود أو ميت أو متوفية: خشب آس، راتنج السرخس، معدن حجر، دهن غنم، يبخر به الشخص».

ولجأ الطبيب إلى البلح فى العديد من العلاجات التى وردت سابقا، فيوجد فى الثمار إضافة للمواد السكرية كميات جيدة من الفيتامينات الذائبة فى الماء مثل الثيامين، والريبوفلافين، وحامض الفوليك، وكميات قليلة من حامض الإسكوربيك، وفى دراسة عن تركيب الثمار، وجد فيها الزنك، والبوتاسيوم، والصوديوم، والنحاس، والكالسيوم، والفسفور وكلوريد المنجيز والحديد، بالإضافة للقيمة الغذائية للثمار التى أثبت العلم الحديث فوائدها الصحية والطبية، فالبلح يساعد على خفض نسبة الكوليسترول بالدم والوقاية من تصلب الشرايين لاحتوائه على البكتين، كما يمنع الإصابة بسرطان الأمعاء الغليظة، والوقاية من مرض البواسير، وتقليل تكون الحصوات بالمرارة. واعتبرت الألياف الجيدة والسكريات سريعة الهضم تسهل مراحل الحمل والولادة، ويمنع الفلوريد تسوس الأسنان، ويقى الصوديوم والبوتاسيوم من السموم.

والبلح غنى بفيتامين ج، كما إنه يعالج فقر الدم أو الأنيميا لاحتوائه على الحديد والنحاس وفيتامين ب٢، كما يعالج الكساح ولين العظام لاحتوائه على الكالسيوم، والضعف العام وخفقان القلب لاحتوائه على الماغنسيوم والنحاس. ويعتبر البلح علاجا للروماتيزم وسرطان المخ والضعف الجنسى لاحتوائه على البورون وفيتامين أ، كما يعالج جفاف الجلد وضعف قرنية العين ومرض العشى الليلى، وتحتوى ثمار البلح على فيتامين ب١ الفعال فى حالات أمراض الجهاز الهضمى، وهو يؤثر إيجابيا فى حالات سقوط الشعر وإجهاد العين ويعالج مرض الأسقربوط والحموضة، وضعف العضلات، والغضاريف، وضعف الأوعية الدموية، ويمكن استخلاص عدد كبير من الأدوية والمضادات الحيوية

والفيتامينات من البلح لاستخدامها كعقاقير للوصفات الطبية لعلاج الأمراض المشار إليها، كما يمكن استخدام دقيق البلح ونواته المطحونة للشفاء من الربو ومن ضيق التنفس المصاحب له. وقد أثبت الطب الحديث أن البلح من الثمار التى لها خاصية تحد من نشاط الغدة الدرقية ولثمرة البلح مفعول هام لكل من يقوم بأى عمل ذهنى أو فكرى، كما إنه مفيد للمصابين بالإرهاق الجسدى، ومقاوم جيد للاكتئاب النفسى، والبلح يساعد المرأة الحامل، فهو منبه لحركة الرحم وزيادة فترة انقباضاته بعد الولادة، ويمنع النزيف أثناء وعقب الولادة، ويقى من أمراضها مثل حمى النفاس ومخفض لضغط الدم عند الحامل وللبلح أهميته لتكوين لبن الرضاعة، فهو يسهم فى نمو الرضيع، وتكوين الدم ونخاع العظام. ويساعد سكر البلح على زيادة النشاط وإدرار البول، وقد أثبت العلم الحديث الفوائد المتنوعة للبلح لاحتوائه على المنجنيز بخلاف نسبة من البورون، الذى يلعب دورا كبيرا فى علاج الروماتيزم.

وتتمثل الأهمية الغذائية للبلح فى كونه مقويا عاما للكبد حيث يساعده على أداء عمله المتمثل فى التخلص من السموم المتراكمة فى الجسم، كما تم التوصل حديثاً إلى أن البلح يؤخر ظهور أعراض الشيخوخة وبقدر أهمية البلح وآثاره الفعالة، بقدر ما لجأ لاستعماله الطبيب المصرى فى معظم الحالات العلاجية.



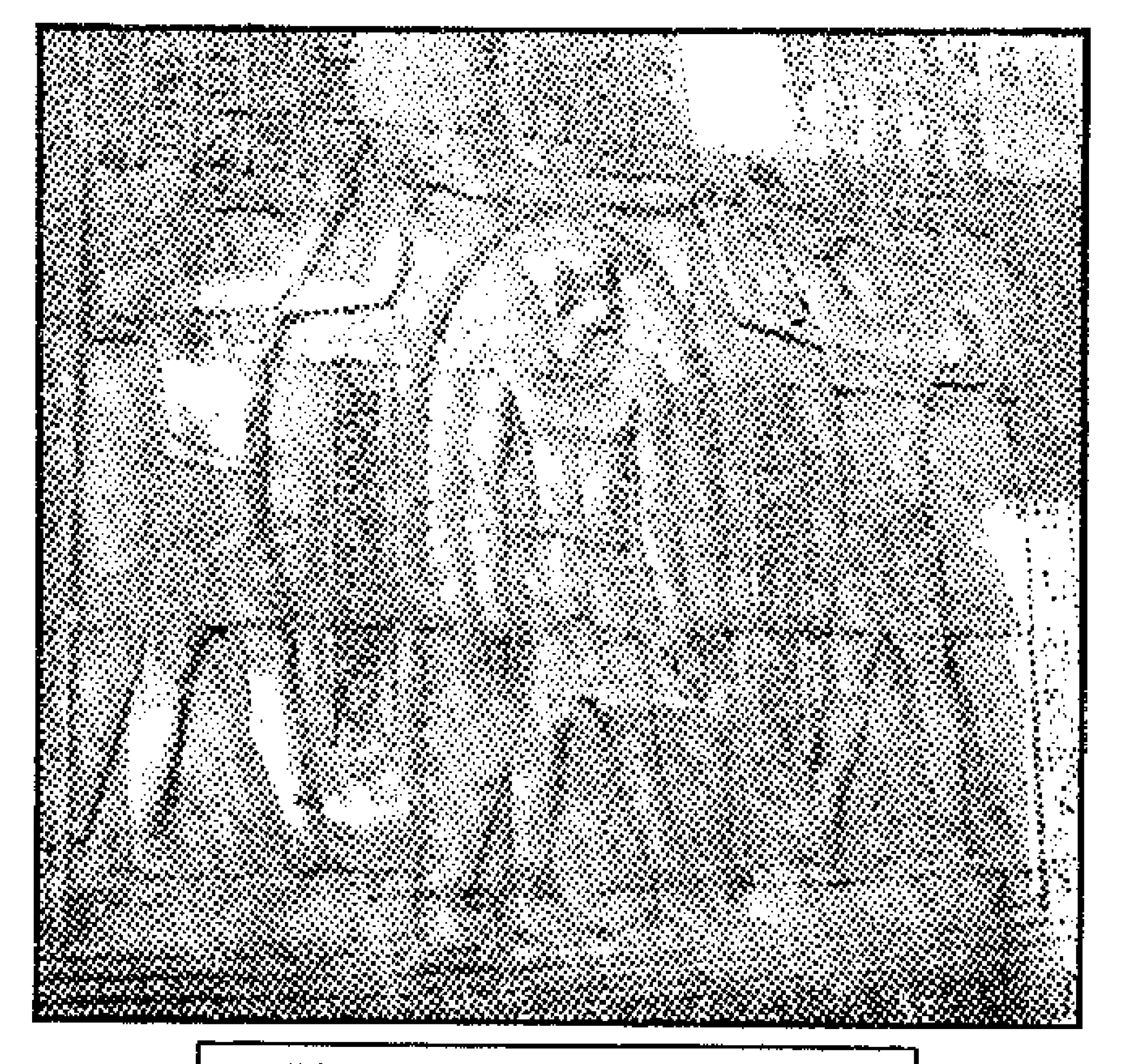
ينمو شجر النخيل فى أنحاء متعددة من أرض مصر

وللحلبة فوائد عديدة للكبد والجهاز التنفسى وتخفيف حدة الالتهابات، وقد استعمل الطبيب المصرى الحلبة فى عمل ضمادات، ولإزالة تجاعيد الوجه، وأطلق عليها اسم حمايت، وأثبتت الدراسات الحديثة غنى بذور الحلبة بزيت مقوى يساعد على إدرار اللبن، وقد كان هذا شائعا فى المعتقد الشعبى فى مصر حتى وقتنا الحالى، ويحتوى نبات الحلبة على ثانى أوكسالات البوتاسيوم.

ووصف الطبيب المصرى الحلبة كعلاج موضعى يدهن به الثدى، ولمنع الإسهال: «لإفراز البطن وتنظيفها من الصديد: شسبت حميت أى الحلبة، يصحن ناعما ويوضع فى أربعة كعكات من نوع فكا ويأكلها الإنسان». ومازال فى الريف المصرى وبعض الأماكن الشعبية الخبز المعجون بالحلبة: البتاو، كما لجأ الطبيب إلى الحلبة كمكون لمستحضر يعالج نوبات الصرع، بمزجها مع عود الرقة والخردل وفاكهة العرعر واستعمل الطبيب الحلبة فى إعداد دهان لفرد أسارير الوجه.

وكانت الشربة أو الملين علاجا دائما لنظافة المعدة ويعد من خليط من زيت الخروع وثمار الجميز والبلح، كما أن الحقنة الشرجية تقوم بدور هام فى هذا المجال. فإنه مع الوقت تتجمع الفضلات السامة فى القولون والكبد، ثم تدور مع تيار الدم فى الدورة الدموية، لذا فإن القولون والكبد النظيفين والصحيحين هما شىء أساسى لصحة كل أعضاء وأنسجة الجسم، من هنا كانت أهمية الحقنة الشرجية التى حرص الطبيب على وجود متخصص لها لتنظيف الجوف وطرد كل مادة عفنة تعلق به.

واعتبر العلاج فنا يركز على كل من العقل والجسد والروح، فالإنسان وحدة متكاملة والعلاج السليم لايتم إلا بمخاطبة هذه الأجزاء الحيوية الثلاثة فكان التطهر أحد الأركان المهمة التى تقتضى الاستحمام فى ملح النطرون والأعشاب، ثم التخلص من كل شعر الجسم، حتى شعر الرأس بالحلاقة، والنظافة والاغتسال من أساسيات الحياة والممارسة الرئيسية للمصرى القديم. ومازال الماء والملح من أهم المطهرات، ولأهمية الماء للتطهر ألحق بالمعابد بركا للماء لخدمة هذا الغرض.


يمارس التطهر بالماء بكثافة

وكان الجسد يطهر بالماء وملح النطرون فى الحياة وبعد الموت لتجفيف المومياء والحفاظ عليها.

والحديث عن البصل والثوم والفجل مؤكد، إذ أن المضادات الحيوية استخرجت فيما بعد مع بدايات القرن العشرين من هذه النباتات التى كانت تشكل عنصرا حيويا فى غذاء المصرى وخاصة عمال بناة الأهرامات.

وعند مهاجمة البرد والإنفلونزا للمريض كان الطبيب المعالج ينصح بلبن الأم التى أنجبت ولدا ويصاحب هذا الدواء هذه الكلمات: «اذهب بعيدا بلغما ابن بلغم الذى يدمر الرأس ويتخلل النخاع، الذى يصيب الفتحات السبع فى الرأس فتؤلمها بشدة». وينصح أيضا بفصوص الثوم التى عثر عليها فى العديد من المقابر منها مقبرة توت عنخ آمون، وقد كانت تستعمل لعلاج الكحة وحساسية

الشـعب الهوائية، كما عرف المصرى أن إحدى فوائد الثوم هى تقوية الجسـم ومسـاعدته على تحمل عناء العمل الشاق، وهو أيضا مطهر للأمعاء ويشاركه البصل فى هذه الخصائص.



يعتبر أقدم وعاء طبى يحمل ملامح بس وكان يستعمل لحفظ الأدوية

ولأهميـة الثـوم كان العامل فـى بناء الأهـرام يمنح يوميا حصة من الثوم والبصل والفجل لغذائه تمنحه الحيوية اللازمة لمواصلة العمل. واسـتعملت فصوص الثـوم خاصة فى حالات الالتهاب الشـعبى، حيث يصحن الثـوم جيدا ويفرد موضعيا علـى الصدر لدرء المرض وللوقاية منه بصفة عامة، وينطبق هذا على الإنفلونزا والبرد والنزلات الشعبية.

وعرفت الآن الفوائد المتعددة للثوم، وينصح الأطباء باستعماله فى الحالات التى تقتضى هذا، فالثوم ضرورى للهضم وتنشيط التئام القناة الهضمية، ويعد حاليا فى كبسولات لتفادى الطعم والرائحة النافذة للثمرة. واسـتهدف الطبيب البصل والثوم لمنع انتشـار الأمراض المعدية لدى الطبقة العاملة التى خصص لها مأوى جماعيا فى موقع العمل، وضمنت الدولة للعاملين آنذاك الرعايـة الصحية والعلاجية اللازمتـين للتواجد الكثيف لعدد كبـير من العمال. وقد أطلق المصرى على الثوم مسـمى حتوم، الذى استعمله مع الكرات كعلاج موضعى للدغ الحشرات وتهيج الجلد، وهو علاج سليم يتفق الأطباء حاليا على فاعليته.



نبـات الثوم الـذى اهتـم العالم بفوائـده وصنعـه فـى أقـراص باعتبـاره مـادة حيويـة مهمـة

وقد لجأ المصرى فى حياته العامة إلى وضع البصل أو الثوم عند مدخل شـق الثعبان لمنعه من الخروج ولدرء خطره. وثبت حديثـا أن زيت الثوم يحتوى على كبريتـور الأليل وهو منبه للمعـدة، وخافض للحرارة، ومطهر فى حالات النزلة المعوية، ويساعد على خروج الرياح.

وعرف العسـل الذى لجأ اليه المصرى بكثافة فى علاجاته المختلفة كقاتل طبيعى للبكتيريا، ومسكن للألم، كما أن الخبز على الجرح، اعتبر المبدأ لتحضير البنسلين فيما بعد.

لم يطلق الطبيب مسمى على الميكروبات أو البكتيريا، بل أطلق عليها الأرواح الشريرة، فقد أدرك أن ما يحدث التقيح والالتهاب أجسام خارجية تضر بالجسم البشرى، فحارب الالتهاب بما هو متاح



تربية النحل وجمع العسل، نقوش على جدران مقبرة عنخ ماحور



النحل كما نقش على مقبرة باباسا بالعساسيف

وثبتت فاعليته فيما بعد، فطوره البشر، وأطلقوا المسميات المختلفة على مسببات الأمراض كالبكتيريا والميكروبات والفيروسات التى هى أجسام دخيلة تهاجم الجسم البشرى وتسبب له الأذى كما اعتقد المصرى القديم.

والعسل غنى بالكثير من الفيتامينات، أهمها فيتامين هـ وحامض الفوليك، بخلاف المعادن كالحديد، والكبريت، والمنجنيز، والصوديوم، والنحاس، والكروم، والنيكل، والليثيوم، والقصدير، والتيتانيوم، والبورون، والفوسفور، والكالسيوم، واليود، والبوتاسيوم، والرصاص، وهى العناصر الرئيسية لمكونات التربة.

والعسل غنى بالأحماض والهرمونات والخمائر، وقد عثر فى إحدى المقابر على جثة طفل محفوظة داخل إناء ويغمرها العسل.

ولأهميته حرص المصرى القديم على تربية النحل فى مناحل خاصة وجنى العسل.

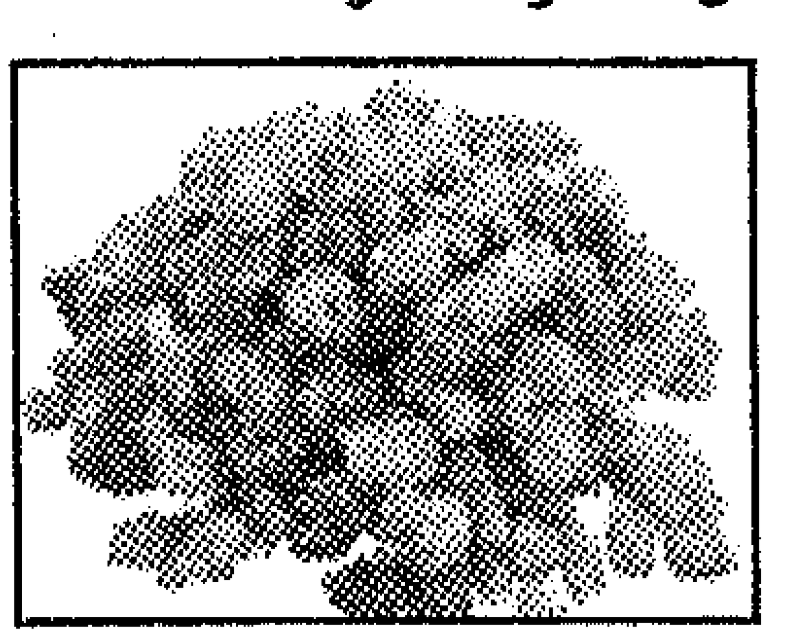
وكان العسل يستعمل بكثرة كمضاد طبيعى فعال، ليس للجروح فقط، ولكن لعلاج احتقان الزور وفى معظم الأمراض، ومازال يوصى بالعسل لتخفيف احتقان الزور.

واستعمل الطبيب العسل فى التدليك ولتخفيف آلام المفاصل، كما استعمل العسل فى مزج العناصر الدوائية مثل الحنظل لمرارته ومنحها مذاقا أفضل كى يتناولها المريض ويقبل عليها.

والعسل يمنع التقيح، فاستعمل فى الجراح والتقيحات والالتهابات المتنوعة، كما أن حثالة العسل دهن بها الغدة النكفية الملتهبة، بينما دهن القضيب الذكرى بالعسل مع الممت فى حالة التهاب الخصية.

وورد فى بردية إيبرز وصفة لطرد الاستسقاء بخلط الحنظل المصحون مع العسل ويشرب مع البيرة، والعسل هنا عامل مخفف لطعم الحنظل المر، بخلاف فوائده المتعددة الأخرى.

ولطرد السعال يؤكل العسل مع القشدة ويبلع بالبيرة العذبة لمدة أربعة أيام، كما استغل الطبيب حثالة العسل مع حثالة نبيذ البلح كمزيج يعجن مع مسحوق الردة، ومسحوق الصدف، ومسحوق بدت، وفاكهة توى ويضمد به المريض فى حالة الاسقربوط أو لإزالة الدم الأكال كما أسماه المصرى القديم. «ولإزالة الإفراز القراعى المخاطى achor، تدهك المغرة الحمراء مع العسل ويضمد به»، والمغرة الحمراء هى أكسيد الحديد».



اللبان الدكر أو الكندر

ويعتبر اللبان الدكر، الكندر أو Frankincense مادة لها فاعليتها فى العديد من الحالات، وقد استخدمه المصريون دهانا خارجياً مسكناً للصداع، وفى الحالات الروماتيزمية، والإكزيما، وتعفن الحروق، ولآلام المفاصل، ولإزالة تجاعيد الوجه، ويستعمل مع الصمغ العربى لقطع الرائحة الكريهة، وصعوبة التنفس، والسعال، والربو، ويخلط مع العسل لحالات ضعف المعدة، ولطرد الرياح من الجوف، والبرد الذى يصيب الرأس، وفى حالات النسيان، ويشرب اللبان مع الماء للقضاء على سائر أمراض البلغم، كما يستعمل مطهراً.



نبات الآس

والكندر نبات شجيرى تخرج من جذعه عصارة لبنية يتكون منها اللبان عندما تتجمد.

واعتبر الكندر قاسما مشتركا فى معظم تحضيرات الطبيب المصرى، فهو مزيج متجانس من حوالى ٦٠٪ راتنج، ٢٥٪ صمغ و ٥٪ زيوت طيارة، ومركب يعرف باسم أولبين ومواد مرة، وأهم مركبات زيت الكندر الفيلاندرين، والباينين.



الكندر

وبخلاف استعمال الكندر كبخور معطرة داخل المعابد، فقد استعمل الطبيب المصرى الكندر فى حالات أمراض الرحم المختلفة كلبوس مهبلى، ويستعمل الكندر حديثا للقضاء على السعال والنزلات الشعبية، وهو علاج لضعف الكلى وإزالة القروح والقضاء على الآلام الروماتيزمية.

وقال عنه ابن البيطار: «الكندر يقبض ويسخن ويجلو ظلمة البصر، يملأ القروح العتيقة ويدمعها، ويلزق الجراحات الطرية ويدملها، ويقطع نزف الدم من أى موضع كان، ونزف الدم من حجب الدماغ الذى يقال له سعسع وهو نوع من الرعاف ويسكنه. يمنع القروح التى فى المعقدة وفى سائر الأعضاء، إذا خلط بالعسل ابرأ الحروق، يحرق البلغم، وينشف رطوبات الصدر، ويقوى المعدة الضعيفة ويسخنها. الكندر يهضم الطعام ويطرد الريح. «دخان الكندر إذا احرق مع عيش الغراب أنبت الشعر».

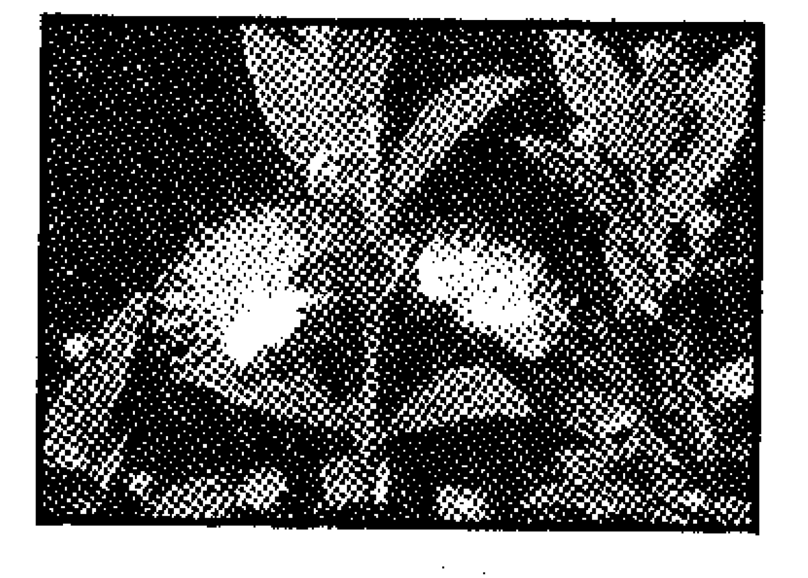
وقال عنه ابن سينا في القانون: «مدمل جداً وخصوصاً للجراحات الطرية ويمنع الخبيثة من الانتشار وعلى القوابى مع شحم البلوط ويصلح القروح الناتجة من الحروق، يحبس القيء وقشره يقوى المعدة ويشدها وهو أشد تسخيناً للمعدة وينفع من الدوسنتاريا».

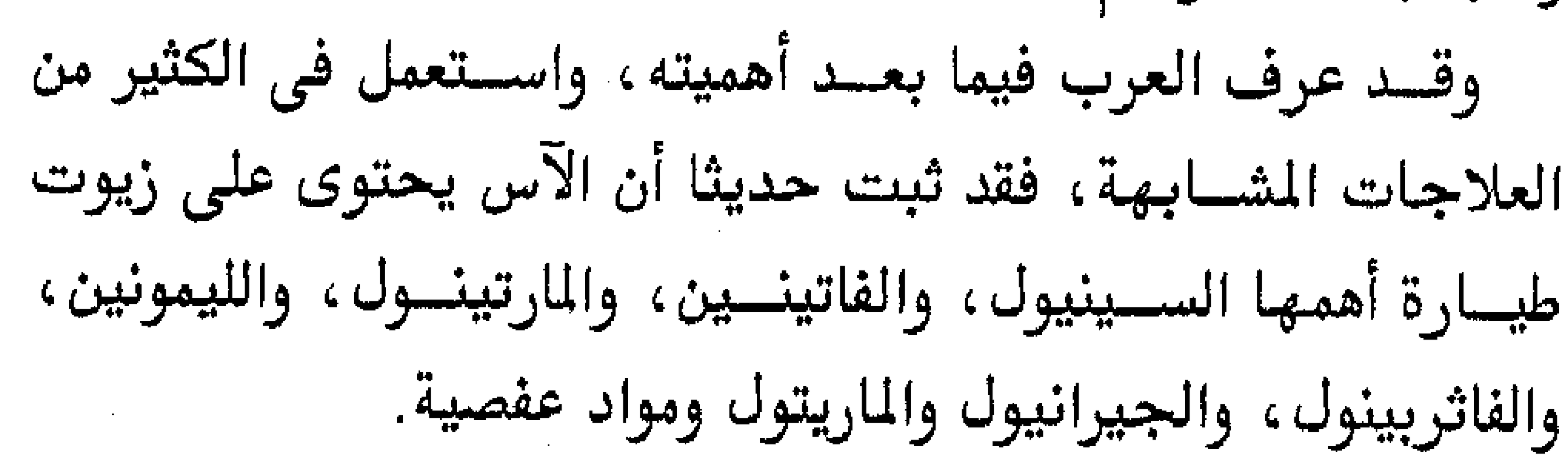


نبات الآس

وأدخل الطبيب المصرى الكندر كعنصر دوائى مع بسبس، وميعة styrax، وحنظل، وبيرة، وبلح طازج، وبراز ذباب، يشكل كلبوس ويدخل فى فرج المرأة

ومـن النباتات التـى وصفها الطبيب فى مسـتحضراته الآس أو myrtus communis، وقـد أطلق عليه مسـمى خت آس ونقش فروعه فى رسـوماته على الجدران. ومـن أهميته لدى المصرى، عثر على بعض فروعه داخل محتوى بعض المقابر فى الفيوم وهوارة، وقد ذكر الآس ضمن العديد من المستحضرات الطبية الواردة فى البرديات، وخاصـة لأمراض أسـفل البطن، واعتبر ضمن مسـتحضرات الدهان لعلاج آلام أسفل الظهر، وللتدليك فى حالات الشلل، وكدهان على البطـن لعلاج الحمرة، ولعلاج الصـداع واحمرار الجلد بصفة عامة، ويسـكن الأورام والجروح والبثور، كما استعمل فى حالات الصرع، والتهاب المثانة وآلام أسفل البطن.





وقـد عرف العرب فيما بعـد أهميته، واسـتعمل فى الكثير من العلاجات المشـابهة، فقد ثبت حديثا أن الآس يحتوى على زيوت طيـارة أهمها السـينيول، والفاتينـين، والمارتينـول، والليمونين، والفاتربينول، والجيرانيول والماريتول ومواد عفصية.

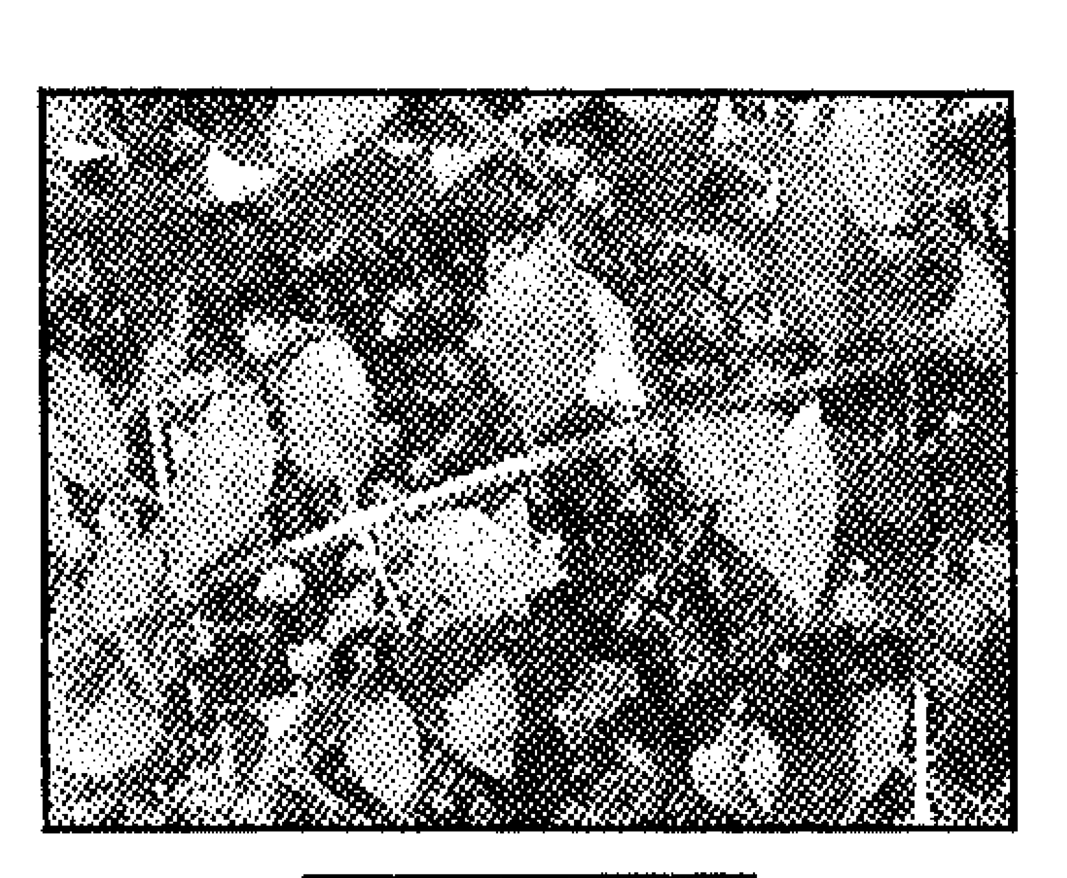


ثمار الآس

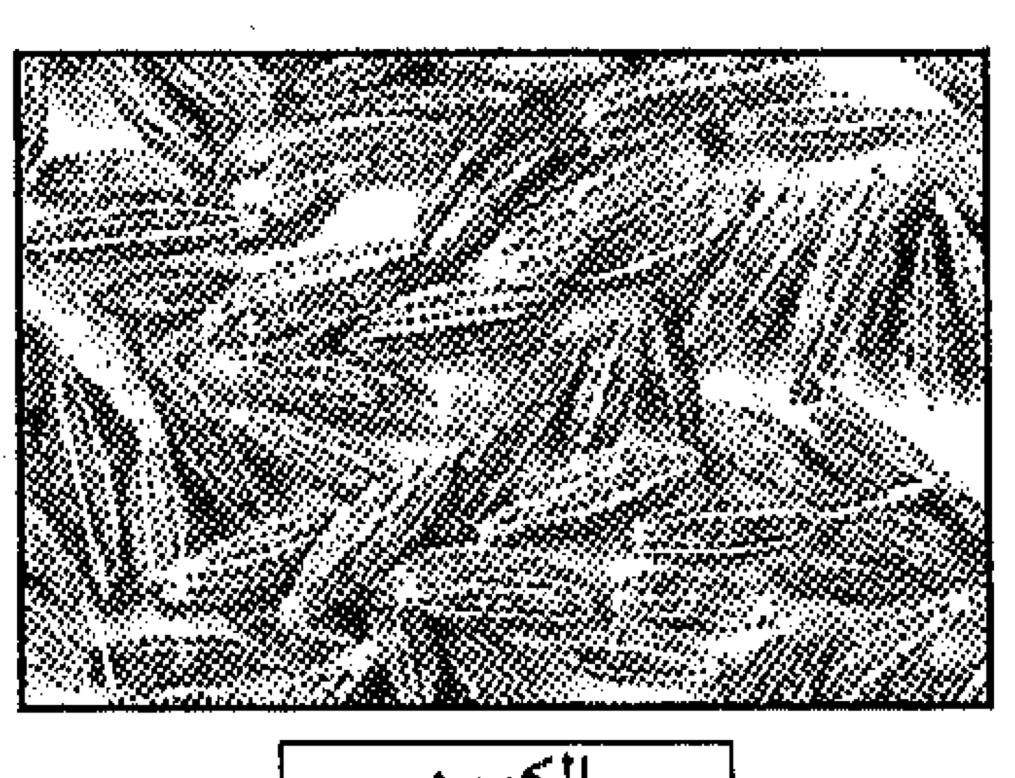
ويسـتعمل الآس بحالاته الثـلاث إما مغليا وإما مسـحوقا وإما منقوعا، كقابض، ومقو، وفاتح للشهية، وفى حالات النزيف، وهو مطهر للجهـاز التنفسى.

وثبـت أن أوراق الآس لهـا تأثير مضاد للبكتيريـا وضد التهاب الغدد، كما تفيد الثمار فى حالة التهاب الغدد. استعمل العرب الآس فـى علاج حالات الإسـهال وللعرق ومنع النزيف، ولدهان الجسـم فـى الحمام باعتباره مقويا للبدن ومانعا للرطوبة تحت الجلد وخاصة تحت الإبطين. وهو مسـكن لرمد العين ويذهب خفقان القلب ويقضى على السـعال ويقوى المعدة ويمنع حرقة البول والمثانة. لقد سـبق الطبيب المصرى بـإدراج هذا النبات فى وصفاته العلاجية

العديــدة فى هــذا المجال فقد مزج الآس بالأثمــد أو كبريتيد الرصاص مع مســحوق مداد وزيت ودهن فرس النهر وروث الغزال، وذلك للمســاعدة على غزارة الشــعر. كما أدخله مع العديد من المكونــات كضمــادة لعلاج الشــلل النصفى، بردية إيبرز، وصفــة ٧٥٨. ويعرف الآس فى مناطق العراق الوسـطى والجنوبية بالياس ويعتبر موطنه الأصلى هو حوض البحر الأبيض المتوسط. اقترن نبات الآس بالأســاطير كرمز للحب والســلام، وتذكر الأســطورة أفروديت وهى تستحم عارية فى البحيرة عندما شــاهدها الســنتور، وهى حيوانات أســطورية نصفها العلوى آدمى والنصف الآخر جســم حصان، وهربا من فضول الســنتور، احتمت أفروديت بشجيرات الآس التى أصبحت فيما بعــد ترمز لأفروديت، ومن خصائص أوراق الآس عنــد تجفيفها الرائحة الذكية التى تجعل منها أحد المكونات للمراهم والدهانات العطرية.


نبات الحنة

ونبــات الحنة محبب لدى المصــرى القديم، فكان يكثر من استعماله فى مجالات متنوعة منها علاج الجروح كمطهر لها، ومازالت الحنة لها أهميتها فى الطب الشــعبى، وفى صبغ الشــعر وتخفيف الآلام عن اليدين والقدمين. وتحتوى أوراق الحنة على مواد جليكوســيدية والمادة الفعالة بها هى اللاوســون، والأزهار بها زيوت طيــارة ذات رائحة ذكية، وهى غنية بحامض الجاليك.

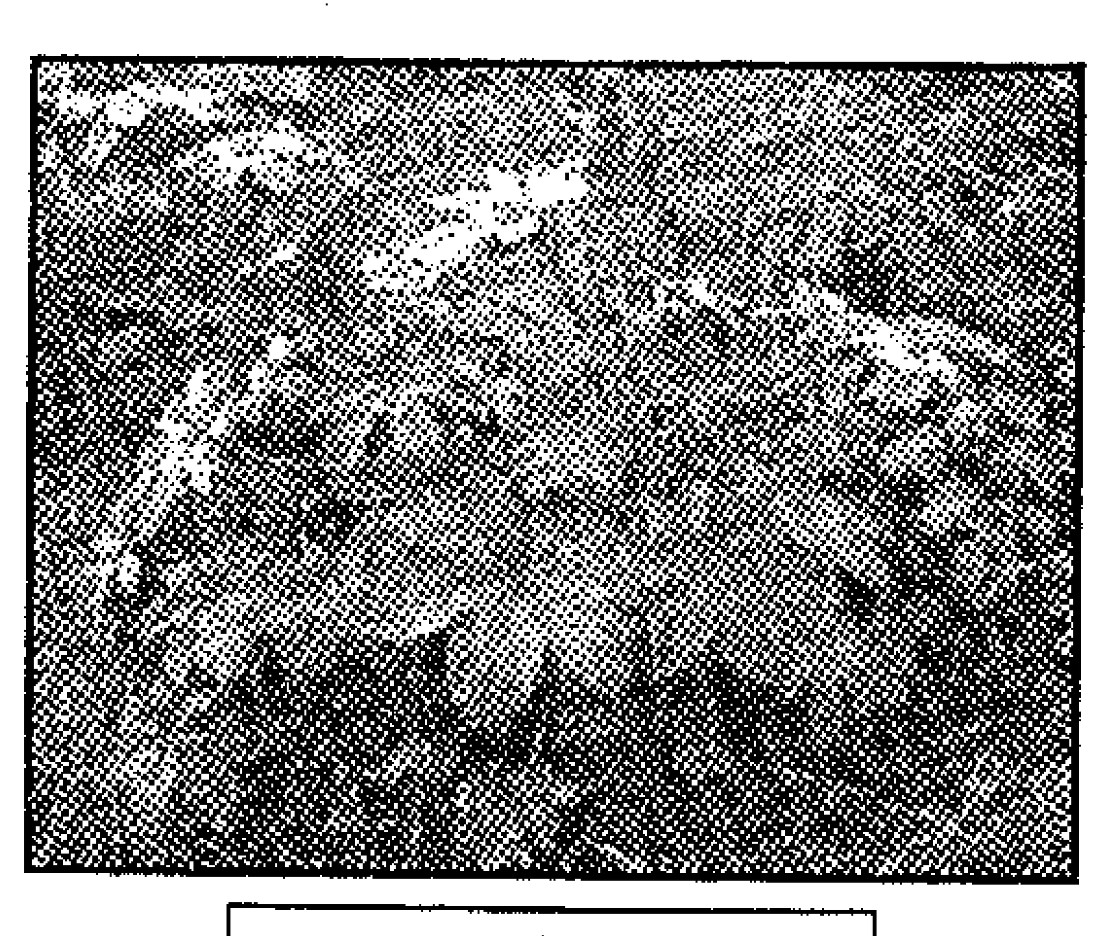

الكمون

وتحتــوى ثمار الكمــون على زيت طيــار، وقد تضمنت مستحضرات الطبيب المصرى الكمون كأحد مكوناتها، وعولج به أكثر من ستين حالة مرضية، فهو يزرع بكثرة على ضفاف النيل، ويعالج حالات عســر الهضم، والمغص المعوى، ويقلل من كثرة الطمث لدى النساء، كما إنه يطرد الأرياح، واستعمل الكمون ضمن وصفات بردية إيبرز لعلاج الروماتيزم والتهاب المفاصل، ولعلاج الحروق وفى بعض حالات الجرب، وأثبت الطــب الحديث أن الكمون مضاد للميكروبات، وله القدرة على الإحتفاظ بالمواد الفعالة، كما إنه منبه للمعدة. وأطلق المصرى على الكمون لفظ قمنين وأدخله كعنصر فى الكثير من مستحضراته.

لقد لجأ الطبيب لهذه التركيبات التى أثبتت نجاحها فى المجالات التى استهدفت لها. فقد قال جالينوس: «الكمون يفتت الحصى ويزيل المغص وانتفاخ المعدة والبول الدموى ويستخدم مع الزيت كدهان للخصية المتورمة». وثبت أن ثمار الكمون تحتوى على زيت طيار، ومركبه الرئيسى هو الدهيد، والجاماتربين، والبيتابانين، وباراسيتامين، وزيوت دهنية.

وزيت الخروع ملين آخر ذكر فى البرديات وله العديد من الاستعمالات المختلفة لدى المصرى القديم التى تقابلها مثيلاتها فى العلاجات الحديثة. ففى حالات الوضع للسيدة، فإن استعمال الخروع ينشط الحالب ويساعد على ولادة سهلة إذا ما دهنت منطقة أسفل البطن والقدمين به. وقد عثر داخل المقابر على العديد من حبوب الخروع الذى لجأ اليه الطبيب حتى فى علاج العيون فى حالة التهاب الملتحمة، ولسرعة جفاف السرة لدى المولود، كما له مؤثراته فى الدمامل والتقيحات، واستعمل لعلاج الصداع والتشنجات الناتجة عن حالات الصرع التى خفف الطبيب المصرى من حدتها، كما استغل زيت الخروع فى حالات السدة المعوية والإمساك.

وهناك دراسة قام بها Dr. Mc Garey يدعم بها نظرية أن زيت الخروع يقوى الأنسجة الليمفاوية الدقيقة المتواجدة على الجدار المخاطى للأمعاء الدقيقة Peyer's Patches، وطبقا لنظريته فإن هذه الأنسجة تفرز مادة تسهل الاتصال الكهربى بين الجهاز العصبى the autonomous and the cerebrospinal nervous system، ويدعم Dr. McGarey بهذا مفهوم Cayce أن الصحة العامة للجهاز العصبى الكلى هى نتيجة- إلى حد ما- للمادة المنتجة من الأنسجة الليمفاوية Peyer's Patches فى حالتها الصحية السليمة، وقد اكتشفت هذه الأخيرة عام ١٧٧٧م.، ولكن اعتبرت حديثا أحد مكونات الجهاز المناعى للجسم.


نبات الخروع

وقد دعمت دراسة حديثة أجريت على ٣٦ حالة يتمتع أصحابها بصحة جيدة، بعد فحصهم قبل وبعد دهان زيت الخروع على منطقة البطن، وقد استنتجت الدراسة بعد فحص lymphocyte values، أن الخروع مادة مضادة للسمية ومؤثرة فى الجهاز الليمفاوى بتحفيزه Immunological function، وأوردت الدراسة أن استعمال زيت الخروع لمدة ساعتين بحد أدنى يحدث زيادة فى الخلايا المحفزة للجهاز المناعى بالجسم، من خلال أجسام مضادة ضد الجراثيم وإفرازاتها، T-11، وترصد الخلايا T-11 الفيروسات والبكتيريا والفطريات والخلايا السرطانية وتقضى عليها، ويحدث هذا التغير خلال ٢٤ ساعة من استعمال العقار يصاحبه زيادة فى عدد lymphocytes أو الكرية الليمفاوية.

ولأهمية الخروع لدى المصرى القديم ذكره الطبيب فى بردية إيبرز: «لمعرفة ما يصنع بنبات الخروع كما هو وارد بالنصوص القديمة بصفته مفيدا للناس. إذا دهكت أصولها فى الماء ووضعت على رأس المريض، فإن المريض يشفى لتوه كأنه لم يمرض. وإذا مضغ إنسان بعض حبوبه مع بيرة عذبة وكان مصابا بإسهال، فإنها تطرد المرض من بطنه.

وزيادة على ذلك، فإن شعر المرأة ينمو من أثر حبوبه، وذلك بسحقها أولا ومزجها معا وإضافة ذلك إلى زيت فتدهن به المرأة رأسها.

وزيادة على ذلك، فإن الزيت الموجود داخل حبوب الخروع، يستعمل دهانا للمريض بالحمرة أو للمريض بمرض اتتت، عندئذ يظهر على الجلد ريومو كأنه لم يحصل شيئا، وهو يعالج بالدهان المذكور لمدة عشرة أيام على أن يكون الدهان فى الصباح المبكر جدا حتى يطرد المرض، هذا علاج عظيم ومجرب مرات عديدة».

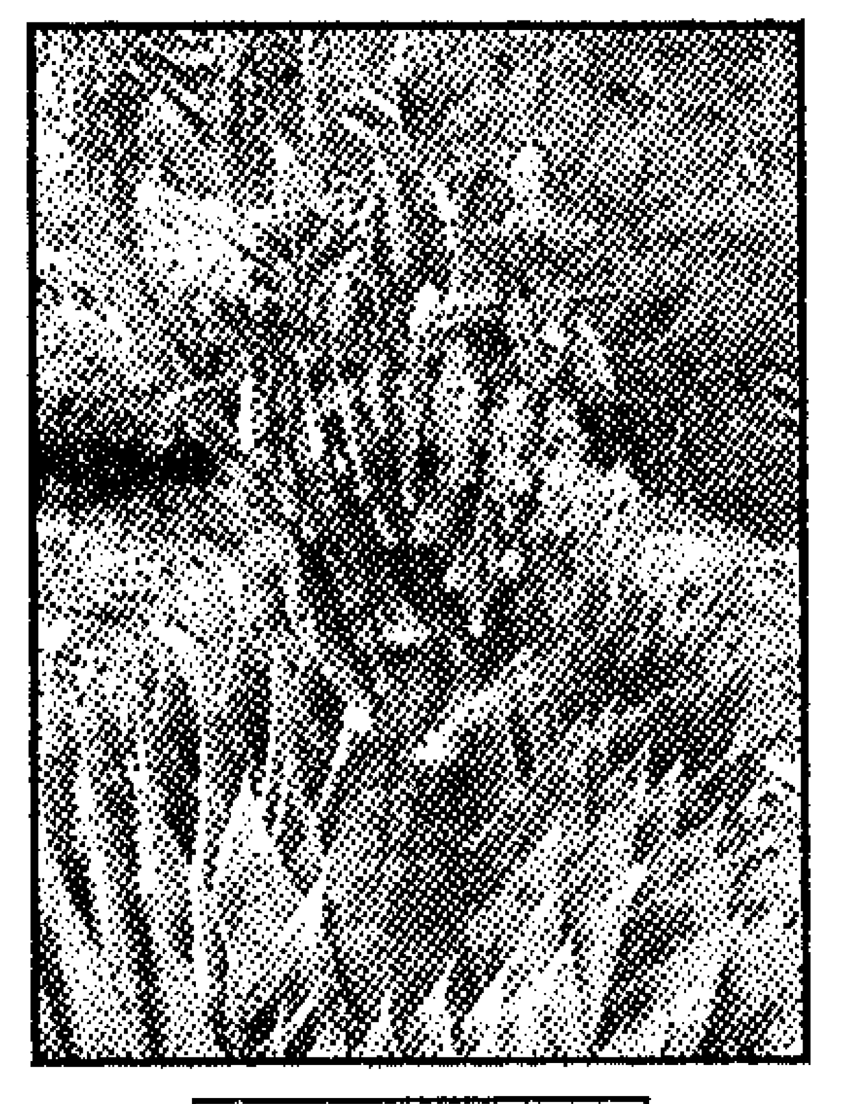
ووصف الطبيب المصرى الخروع لطرد العفونة من الجوف، وكملين، ولمنع إدرار الدموع، واعتاد المصرى القديم مضغ أوراق الخروع مع البوظة، مما يرجح معرفة المصرى بذوبان الزيت فى الكحول وليس بالماء.

واعتبر الطبيب أوراق الخروع فعالة فى حالات الارتشاح ولعلاج الشرج، ولإدرار البول، وتداوى المصرى بكل أجزاء النبات من الأوراق، للزيت، والجذور، والخروع هو الدجم باللغة المصرية القديمة. وتوصيات الطبيب المعلم لا تغفل أهميتها كما ثبت من خلال العلم الحديث، مع ملاحظة أن النباتات آنذاك كانت تمتلك عناصر أقوى فى مفعولها لاختلاف التربة والزراعة والمناخ...

والسنامكى أو السنا أحيانا، الذى ورد فى مستحضرات البرديات، أثبت فاعليته فى القضاء على الفطريات والفيروسات، وله مفعول مسهل لا يسبب أية تقلصات فى الأمعاء بعد تناوله، وهو أحد عناصر أدوية حديثة متنوعة. والسنامكى أحد مكونات مستحضر مصرى تم وصفه لطرد الأمراض من البطن: «عسل، وحنظل، ونبيذ البلح، وسنمكة، زيت، يغلى معا ويأخذه الإنسان فى يوم واحد».

ووصفة أخرى: «بلح صابح، ملح بحرى، سائل شبت، يمزج مع ماء ويغلى مع مسحوق السنامكة ويأكله الإنسان دافئا بالقدر الذى تحتمله أصابعه ويبلع مع البيرة العذبة».

ووصف الطبيب ستة قرون سنامكة، تشبه فول كريت، مع فاكهة منوح أى الحنظل وتصحن ناعما، لإحداث إسهال بالبطن.



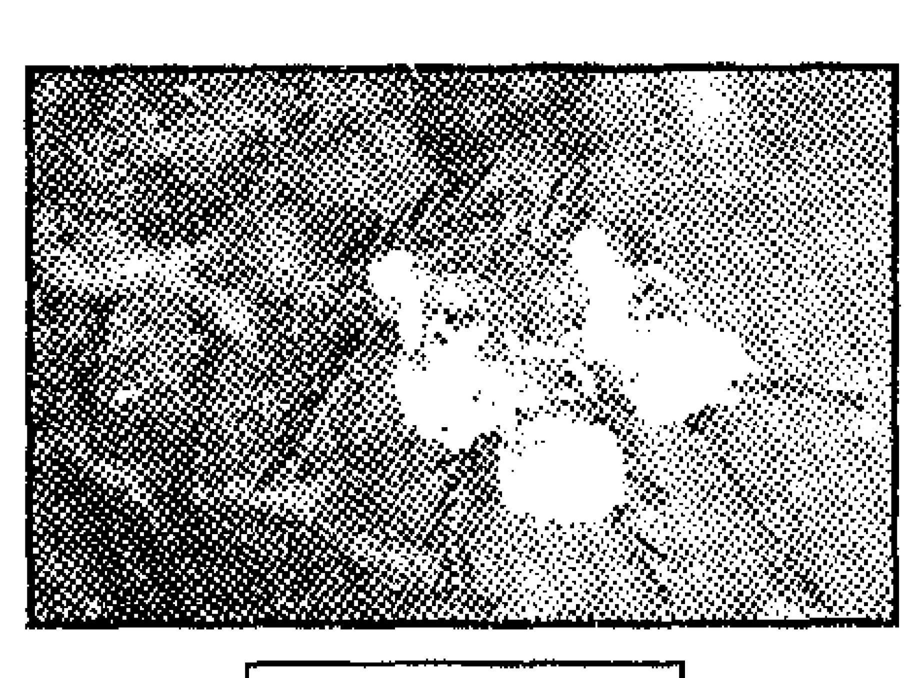
نبات الصبر

ومن المواد التى لجأ اليها الطبيب المصرى وأثبتت جدواها فيما استعملت له، عصارة نبات الصبر الذى قال عنه ابن سينا فيما بعد: «إنه ينفع من قروح العين وجربها وأوجاعها، ومن حكة المآقى، ويخفف رطوبتها. وله قوة قابضة مجففة، للأبدان منومة..» وقد استعمله الطبيب المصرى فى عدة حالات بدأ من العين، للمعدة، لباقى الجسم.

وقد تبين من خلال الدراسات أن للصبر مؤثرا فى علاج الالتهابات الجلدية، والكدمات السطحية بالجلد، وفى حالة تقرح القرنية وفى القروح بالرجلين، طبقا لما نشر بمجلة Cuits الأمريكية عام ١٩٨٦م،

وقد اكتشف العلماء وجود أربع مواد كيميائية فعالة فى الصبر تزيل الألم والحكة والاحتقان، ولها فعل قابض للشرايين، مما يخفف الانتفاخ والاحمرار فى مكان الالتهاب، ويخفف الصبر من الحكة والالتهاب، لذا فهو فاعل فى علاج لدغات الحشرات، وهو علاج فعال لالتهاب المفاصل الحاد. لقد داوى الطبيب المصرى عسر الإخراج بالصبر الذى استعمله أيضا عن طريق الفم فى إزالة عسر الطمث والصفراء، وكملين، واستعمل كدهان لعلاج تقرحات العين، وفوق الجروح والحروق بغرض سرعة شفائها، ويقال إن كليوباترا كانت تلجأ لعصارة الصبر كدهان لتنعيم بشرتها.

واستعمل الطبيب الصبر مع عناصر أخرى لطرد النزلة من الأنف، فمزج الطبيب كدهان أثمد الذى يحتوى على كبريتيد الرصاص مع الصبر والمر الجاف، والعسل، وأوصى الطبيب المعلم تلميذه الممارس اعمله وسترى، إنه علاج حقيقى.



السنط

أما السنط فقد لجأ إليه الأطباء للقضاء على الديدان المعوية والإسهال، وأيضا القضاء على النزيف الداخلى وكانوا يصفونه فى الحالات الجلدية أحيانا. وللسنط أثر ملطف ومهدىء للالتهابات، استغله المصرى لتهدئة الجهاز التنفسى والهضمى والمسالك البولية، وهو يعالج الإسهال، ويتكون السنط من الكالسيوم والمغنيسيوم والبوتاسيوم مع حمض أرابيك.

وصفه الطبيب المصرى فى حالات متنوعة لكثرة فعالياته فى العلاج «لطرد الآلام المسببة من الدودة الشريطية: عصير السنط، برسيم حلو، ظايس، تصحن معا وتضمد به بطن الرجل أو المرأة».

ويشرب عصير السنط لقتل ثعبان البطن، كما أوصى الطبيب المصرى فى بردياته بالسنط لعلاج نفث الدم والرمد وللقضاء على الحمى والبول المدمم، ووصفه كدهان موضعى للبواسير، وعصيره لالتهاب المنطقة الوداجية العنقية، ويشرب للقضاء على السعال وكمضمضة لالتهاب اللسان، واستعمل السنط فى حالات الالتهاب المهبلى وضد الصرع. ولجأ الطبيب للسنط كحقنة شرجية لعلاج التهاب المثانة والتهاب الشرج.

وأثبتت دراسة علمية حديثة، عام ٢٠٠٤م. فاعلية نبات السنط أجراها فريق علمى من مركز البحوث بالقاهرة. وأثبتت الدراسة أهمية السنط أو الميموزا، كما يطلق عليه، فى تحسين وظائف الكبد وحماية أنسجته من الآثار الضارة الناتجة عن التسمم برابع كلوريد الكربون.

وأكدت الدراسة أهمية الدور الوقائى للمستخلص الكحولى المائى لورق نبات السنط على التلفيات التى تصيب الكبد، والمتمثلة فى احتقان الأوعية البابية والجانبية، وتحلل خلايا الكبد فى مناطق متعددة من الفصيصات الكبدية، وثبت مدى ايجابية المستخلص الكحولى وتراجع فرص الإصابة بالقصور فى أى جزء منها.


الحنظل

وأضافت الدراسة أن استخدام مستخلصات نبات السنط، أدى إلى اختفاء الفراغات الدهنية فى خلايا الكبد، والاحتقانات فى الأوعية الكبدية المختلقة، فضلا عن تراجع الارتفاع فى إنزيمات الكبد، مما يدل على تحسن أنسجته.

وهناك دراسة لفريق علمى أمريكى حول المركب الدوائى الذى أجاد الطبيب المصرى استخدامه والمكون من خليط من الحنظل، والسنط، والعسل، والبلح، ووصفه الطبيب فى حالات منع الحمل، وقد أثبتت الدراسة الحديثة أن هذا المزيج يحدث مركبا كيميائيا حمضيا يقتل الحيوانات المنوية، ويستخدم حاليا بالولايات المتحدة هذا المركب الكيميائى كأسلوب لمنع الحمل، مما يعزز الموقف العلمى للطبيب المصرى القديم الذى تمكن من تشخيص حالة شبيهة بالسرطان الرحمى.

ومن الوصفات التى أوصى بها الطبيب المصرى لإيقاف النزيف الرحمى مزيج من السنط مع بعض الأعشاب وزيت الزقوم كلبوس مهبلى، كما استخدم نبات العرعر كلبوس أيضا لإسراع عملية الولادة، وقد ثبت حديثا من خلال دراسة لفريق علمى مصرى فاعلية هذا الدواء فى حالات الولادة المتأخرة وفى حالات الإجهاض وأطلق المصرى مسمى آش على السنط.

لقد شكل الطبيب النبات طبقا لما تقتضيه الحاله، فهو أحيانا شراب يتناوله المريض بالفم، أو لبوس فى الشرج أو المهبل أو دهان موضعى، أو مستنشق لأبخرته، ولكن أميز ما صنعه الطبيب هو تحديد، فى بعض المستحضرات المطبوخة والتى تؤكل، أو تشرب، درجة حرارة الدواء التى يتحملها الإصبع، والمدة الواجب استعمال الدواء خلالها وتتحدد معظمها بأربعة أيام، ومنها ما يؤخذ فى يوم واحد، وبعض الدهانات تستعمل مدة تسعة أيام.

وقد حدد الطبيب، من خلال إحدى وصفات بردية إيبرز ما يمكن اعطاؤه كدواء لطفل، وميزه عما يوصف للبالغ: «الذى يعمل للطفل المصاب بحالة زاديت: خزف يحرق حتى يصبح كرة، إذا كان الطفل كبيرا يبلعها، أما إذا كان الطفل رضيعا، فتدهكه المرضعة فى لبن خارج حديثا لمدة أربعة أيام»، وذكر الطبيب فى البردية لتنظيم بول الطفل مستحضرا تشربه المرأة، الأم غالبا، ويعطى للطفل فى إناء.

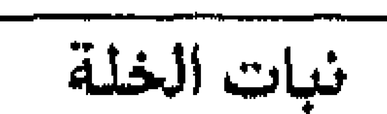
ولم يغفل الطبيب أدق التفاصيل فى وصفاته العلاجية.

وسائل الخميرة من المواد الغنية بالفيتامين، لذا لجأ اليها الطبيب فى علاجاته، كما وصف العجين أحيانا والخبز الصابح أحيانا أخرى، وذلك لطرد الصديد من البطن، وفى حالات التهاب الجروح. وقد قرن الطبيب بين الحمى وحالات التعفن التى تصيب الجوف وتحدث آلاما للمريض وتسبب ضعفا لعضلة القلب. ومن الخميرة أو الخبز اشتق البنسيلين. «وصفة لطرد البراز: ملاكايت يصحن ناعماً ويوضع فى عجينة خبز ويعمل ثلاث حبات يبلعها الإنسان مع بيرة عذبة».

لاحظ فلمنج، مكتشـف البنسـيلين عام ١٩٢٨، نوعا من الفُطر أفرز مادة منعت نمو الميكروبات، وتمكن من فصل هذه المادة.

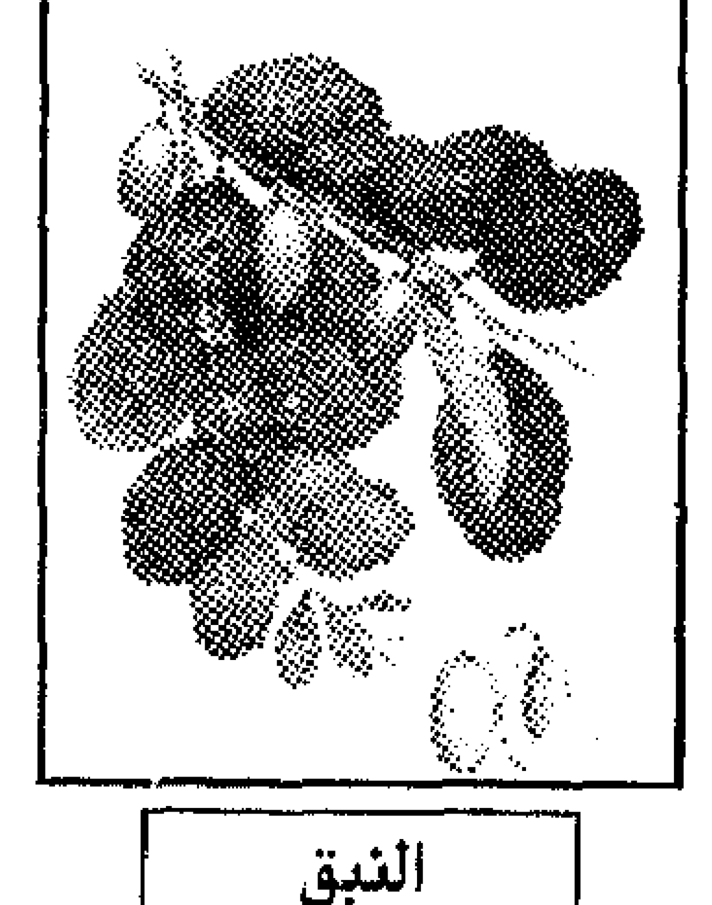
وكان الطبيـب المصرى يعالج السـحجات الجلدية والرضوض بلباب الخبز العفن وملح الطعام لمنع التهاب الجلد، مما يعكس مهارة الطبيب، وأدى هذا لاكتشاف المضادات الحيوية.

وذكـر نبات الخلة فى برديـة إيبرز كعلاج لأمراض الأسـنان، فقد كان الطبيب يمزج الخلة مع المغرة الصفراء والعسـل وتحشـى به السنة. وتسـتعمل الخلة حاليا لتنظيف الأسـنان. ولجـأ الطبيب المصرى للخلة لعـلاج مرض الصدفية الجلدى. وللخلـة تأثير إيجابى فى الجهاز البولى وحصوة الكلى، فهى مضاد للتقلص ومضاد للربو ومهدئ.



نبات الخلة

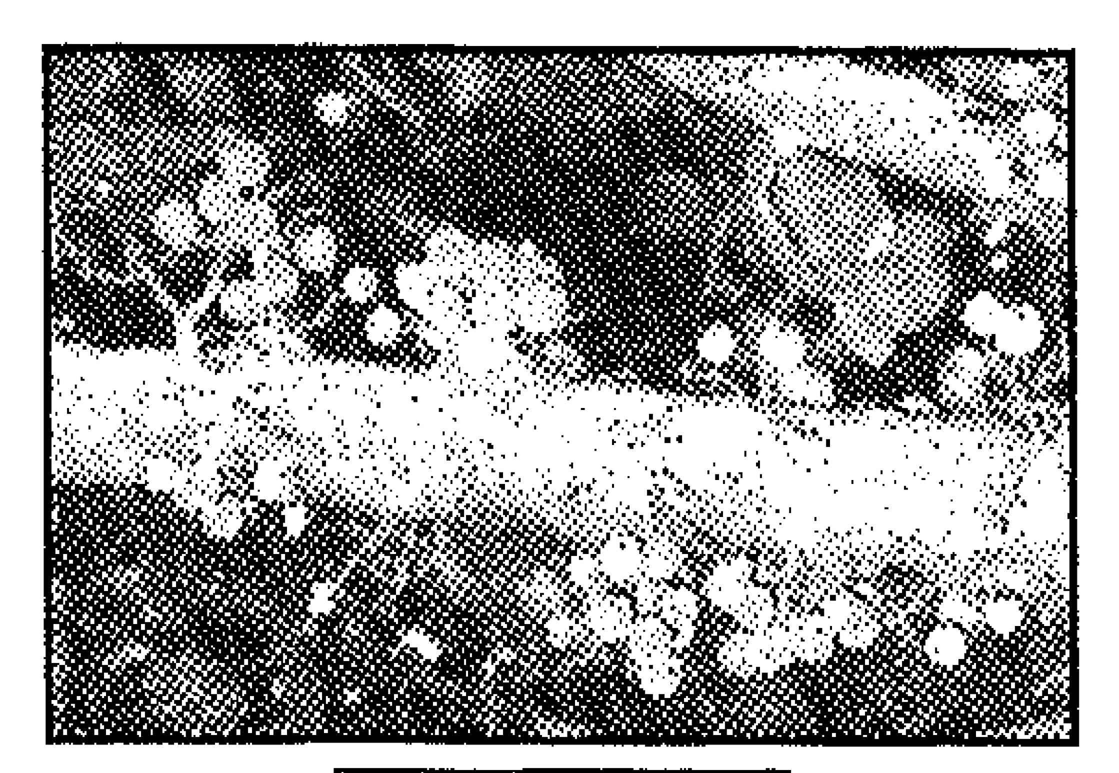
واعتبر الطبيب المصرى أن احتباس البول مضر جدا بالجسـم، إذ إنه إفراز يجب التخلص منه، واحتباسه فى المثانة يحتاج إلى علاج شافٍ لإخراجه بأسرع ما يمكن، ووصف لهذا الخلة التى تتمتع بخاصية تمدد الأوعية الدموية والبولية كما ثبت حديثا، وأدى هذا إلى استعمال الخلة فى الأمراض الناتجة عن تقلص الأوعية مثل الذبحة الصدرية، والمغص المعوى، والمغص الكلوى، كما يسـهل مرور الحصوات فى البول. وأدرج الطبيب الخلة ضمن المستحضرات التى تستعمل كدهان فى حالات تمدد المعدة، وتضخم الطحال، والحمى، وقشر الرأس، والسعال بأن يغلى مسـحوق الخلة مع دهن أوز وعسـل بكميات متسـاوية، ويؤكل مـدة أربعة أيام. كما اسـتعملت الخلة كأحد مكونات وصفة علاجية للشـلل النصفى: «بدء أدوية علاج الشـق الأيمن فى حالة شـلل نصفى: زعفران، خلة، بليلة، حماو، قسط وردة شعير تمزج ويدهن به» ولتضخم الطحـال وصـف الطبيب عصير الكباتة، وهو مكون من مقادير متسـاوية مـن الماء والخلة واليوح ويشـرب بعد أن يصفى على مدى أربعة أيام، وهذا فى حالة تفتت الورم، وهى المرحلة الأخيرة من العلاج، الذى يحتوى على الخلة كأحد مكوناته الأساسية.



النبق

وأدرج الطبيب النبق ضمن مستحضراته المتعددة والمتنوعة، فهو من الثمار التى تؤكل طازجة أو مجففة.

وهى جيدة لمرضى السكر حيث تقلل نسبة الجلوكوز بالدم، وتعتبر مسـتخلصات الأوراق، أو السـاق، أو الجـذور مضـادا للالتهابات، والفطريـات، والبكتيريا، ومؤثراتها أعلى مـن تأثير بعض المضادات الحيوية المعروفة مثل البنسـيلين والنيسـتاتين، وقـد تحتوى بعض



ثمار الجميز

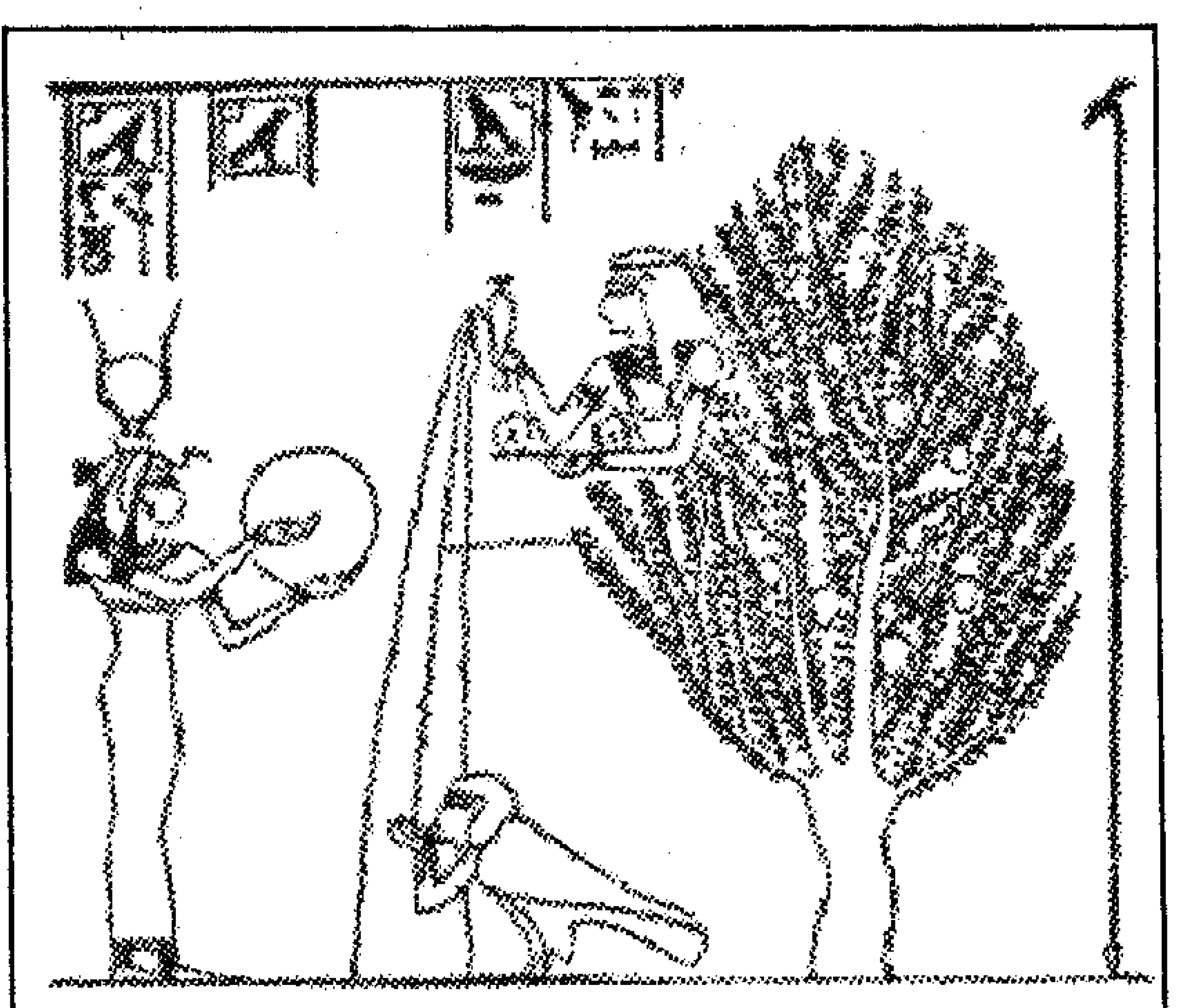
الأنواع على مواد مضادة للسرطان المعروفة anti cancer agent betulinic acid.

وإن لم تكن أرض مصر غنية بمحاصيلها النباتية والعشبية لما ذكرها هوميروس بهذه الكلمات: «مصر، حيث الأرض الخصبة تنتج أكبر عدد من الأدوية صالحة فى خلطاتها...

وكل رجل طبيب هناك متفهمين أكثر منهم فى أى مكان آخر». وتلقى هذه الكلمات الضوء، ليس فقط على خصوبة الأرض، أو غزارة وتنوع النباتات والمحاصيل، ولكن على إنسانية الإنسان المصرى الراغب فى تخفيف الألم وقدرته على إعداد مزيج من العناصر المختلفة جعلت من معلومات الطبيب المصرى اللبنة الكيميائية الأولى، فكلمة كيمياء ذكرت نسبة لكلمة كمت الدالة على أرض مصر.

والمستحضرات العديدة المذكورة فى بردية إيبرز بالتحديد، حوالى ٨٧٧ مستحضرا، تحتوى على ٤٠٠ عنصر لم يستدل على بعضها إلى الآن، ولتفاعل هذه المواد مع بعضها عرف الطبيب بقدراته السحرية.

وتنصب نظرية الطبيب المصرى على وجود الأخدو، الذى يمكن أن يتحول إلى صديد، وهو يتكون فى الأمعاء، ويتجول فى الجسم، فينزل للقدمين ويصعد إلى القلب عن طريق الأوعية، لذا وجب القضاء على هذا الأوخدو المتسبب أحيانا فى الحمى، وقد وصف الطبيب للمريض





اعتبر شجر الجميز ورحيقه منتجا حيويا فسائل الشجرة هو رحيق الحياة

فـى هـذه الحالة أنه عنده عش للمادة المؤلمة فى بطنه، ووصف العرعر كأحد المكونات العلاجية لهذه الحالة.

والجميز من الأشـجار الكثيرة النمو فى مصر القديمة وقد استغلها المصرى فى نـواح متعددة، إذ إنه كان يستظل من حرارة الشمس تحت فروعها، واستغل أخشاب شجر الجميز فى تصنيع بعـض أدواته، أما ثماره، فلا يكاد يخلو مسـتحضر منها، فقد لمـس الطبيب فوائدها المتعددة، وأدخلها فى مستحضرات عدة فى علاج عضة الثعبان، والصفراء، وآلام الصدر، والبرد، والتهاب الحلق، وفى حالات الدوسنتاريا، وآلام المعدة، وأدرجه الطبيب فى مستحضرات إدرار البول.

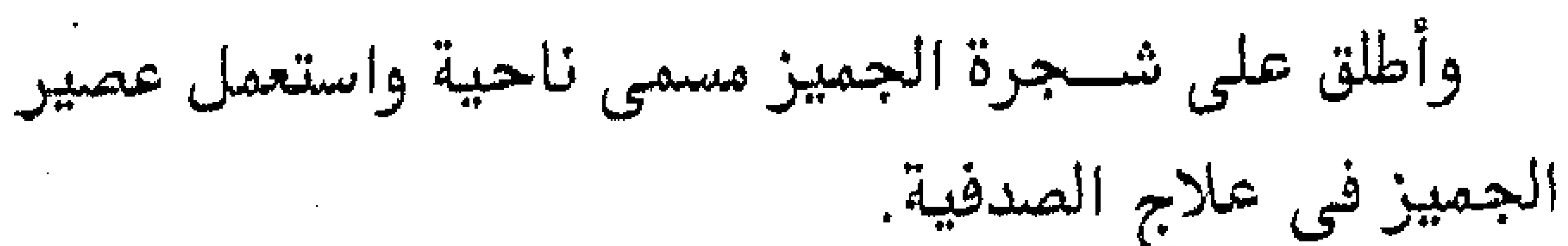
واعتـبر المصرى القديم أن سـائل شـجرة الجميز هو رحيق الحياة الـذى تتغذى عليه الروح بعـد الوفـاة طبقا لعقيدته، ولأهميـة الجميز لدى المصـرى القديم دفنه مع الموتـى فى مقابرهم داخل سلال، ويعرض بعض منه فى المتحف الزراعى بالقاهرة.

وقد وصفه الطبيب فى حالات التهاب اللثة، وكمسـهل وملين فى حالات النزلات المعدية، كما استعمل السائل فى بعض الأمراض الجلدية.



ثمار الخروب

وتذكر البرديات أهمية شجر الجميز وفاكهته والسائل الذى يسيل فى عروق الشجرة حيث تسهم كل من الأجزاء المختلفة للشـجرة فى العلاجات المتنوعة، فهو مطهر موضعى، يقضى على الديدان المعوية، ويسـهم فى تعقيـم الخراريج والبثور، كمـا أنه يعالج الجروح والتقيحات الجلدية، وهو أهم من هذا يمد الجسـم بالطاقة الحيوية فى الحياة وخلال مرحلة ما بعد الحيـاة أيضا حيث تتولى كل مـن حتحور ونيت ونوت مهمة اطعام الروح وتزويدها بسـائل شـجرة الجميز الذى هو رحيق الحياة طبقا للمفهوم المصرى.

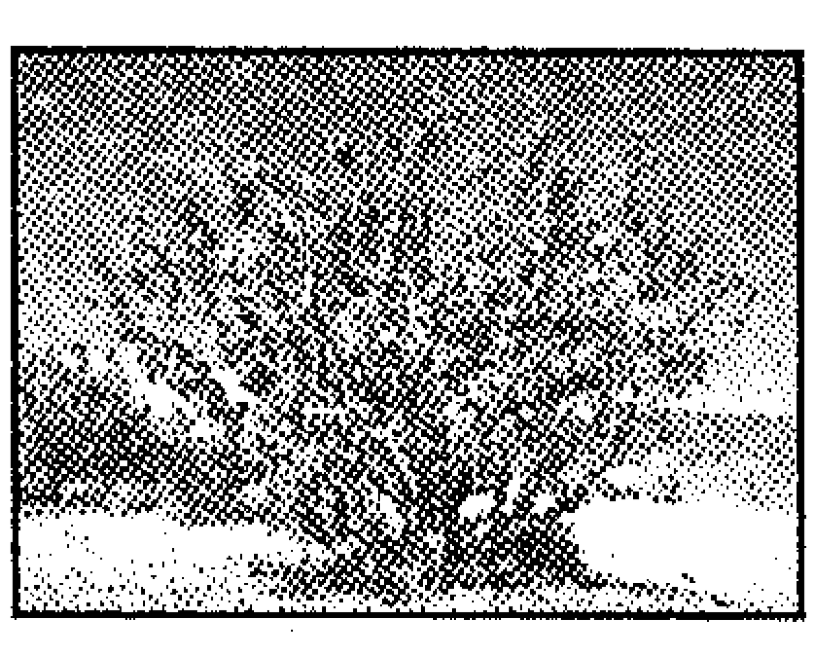


وأطلق على شـجرة الجميز مسمى ناحية واستعمل عصير الجميز فى علاج الصدفية.

ولجأ الأطباء إلى الخروب ceratonia siliqua لعلاج أمراض النساء والتهابات الشرج، وثمار الخروب لها تأثير ملطف مضاد للإسهال، وهى غنية بالبروتين.

يحتوى لب قرون الخروب على مواد غذائية كثيرة من أهمها السكر، والبروتين، ودهون، أمّا مسـحوق البذور فيحتوى على ٦٠٪ بروتين وكميات وافرة من الزيوت الخالية من الكوليسترول، كمـا تحتوى ثمار الخـروب فيتامينات أ، ب١، ب٢، ب٣، د، وعناصـر معدنية مهمة مثل:





البوتاسيوم، والكالسيوم، والحديد، والفسفور، والمنجنيز، والباريوم، والنحاس، والنيكل، والمجنيزيوم، وغيرها، وتخلو الثمار من حمض الأوكساليك الذى يحول دون امتصاص الكالسيوم والعناصر المعدنية الأخرى، وهذا من شأنه تسهيل عملية امتصاص الأمعاء لهذه المعادن والإفادة منها بشكل كبير، ويتميز بكتين الثمار بعدم تسببه فى ظهور أعراض الحساسية. وكان المصرى القديم يأكل الثمار ويشرب محلول هذه الثمار بعد غمرها بالماء.

ويستعمل الخروب فى وقف النزيف وذلك لاحتوائه على التانين القابض للأوعية الدموية، وقد اشتهر عرق السوس فى معالجة قرحة المعدة، لكن الكثيرين من مرضى القرحة ممن واظبوا على تناول شراب الخروب أفادوا بتحسن حالتهم وشفائهم من القرحة، ويرجع هذا إلى أن الخروب قلوى التأثير فيعادل حموضة المعدة، كما أن الصمغ الموجود فيه يقلل من نشاط الجراثيم ويشكل طبقة عازلة تحيط بالقرحة ويمنع وصول الأحماض وأنزيمات المعدة إليها فيعطيها فرصة للالتئام.

وذكر نبات عشار أو calotropis، فى بردية إيبرز لعلاج الالتهاب ويستعمل كضمادة: «لشفاء الجروح إذا أصيبت بالتهاب: مسحوق الخلة، بيرة عذبة، عشار عصير السنط، قماش كتان رقيق عطرى الذى يعطى السائل للبيرة العذبة، يلاحظ دقة الوصف، يضمد به».

وقد أطلق عليه المصرى القديم مسمى أرتيو، ولجأ اليه لإزالة المادة المؤلمة جرابو، ووصفه فى حالة غدة ليمفاوية متقيحة وصفا يشبهه بحالة التقيح: «إذا فحصت غدة متضخمة نتيجة إصابة تقيحية فى أى عضو فى الإنسان ووجدتها تشبه فاكهة العشار، وهى عبارة عن دمل متحلل صلب الجلد..».

وقد ثبت حديثا أن المستخلص الخام منه يساعد على تجلط الدم، ويطلق عليه أيضا تفاح البحر الميت، والمستخلص الكحولى للأوراق والجذور له تأثير مضاد لسرطان الأنف والبلعوم، أما المستخلص المائى أو الكحولى فيسببان تقليلا مبدئيا ثم تنشيط معتدل وقوة لانقباضات عضلة القلب، وزيادة ضغط الدم وانقباض الاثنى عشر والجزء الأخير من الأمعاء الدقيقة والرحم وإدرار البول.

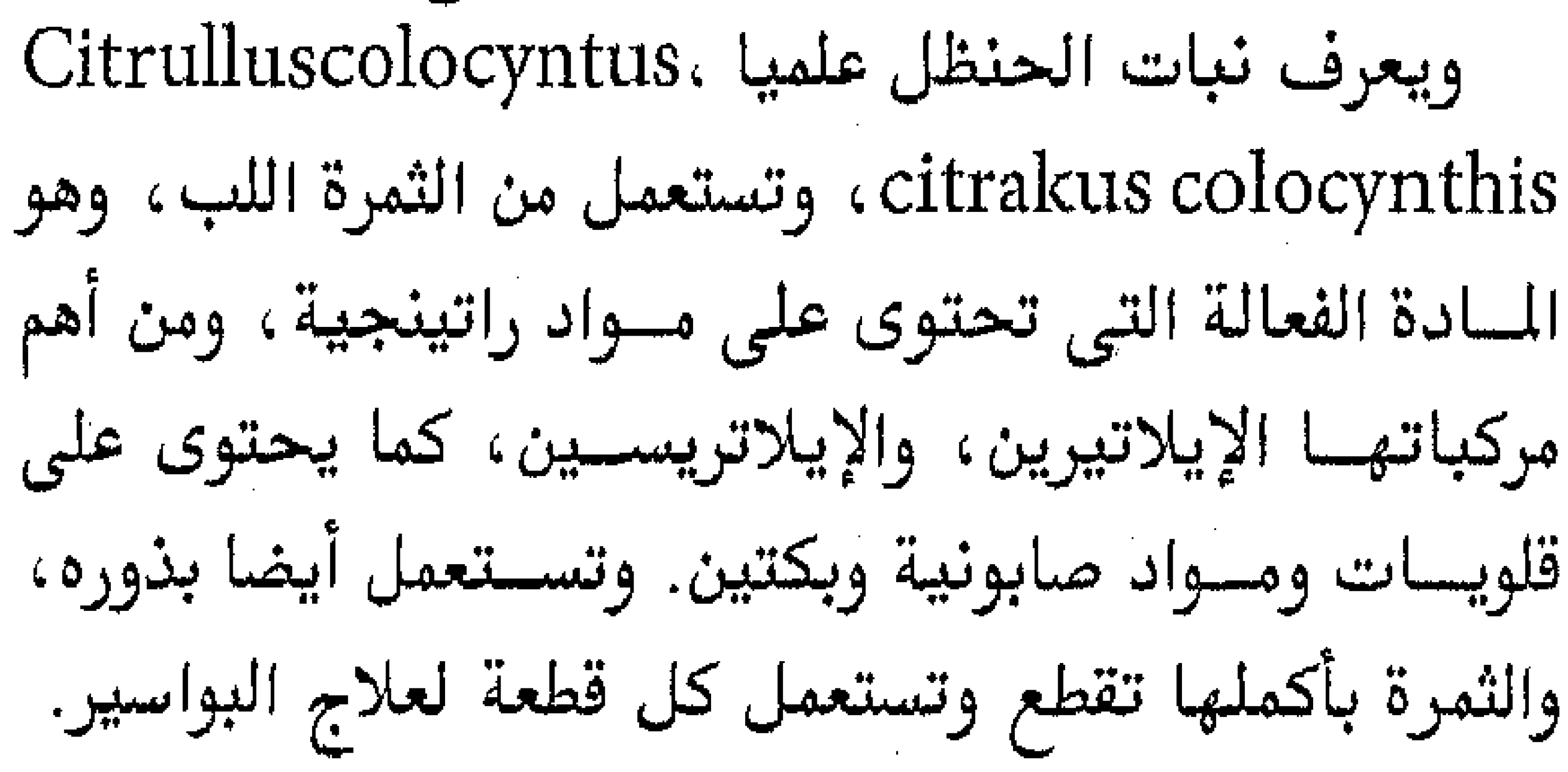
والسائل اللبنى مضاد للالتهابات، بينما المستخلص الإيثيرى للأزهار يسبب الإجهاض، وتعتبر الجرعات العالية من أى جزء من هذا النبات سامة جدا.

وشملت وصفات الأدوية للمصرى القديم على مقادير محددة بالمكيال للعناصر المختلفة المستعملة فى تركيب الدواء، ثم تعليمات من الطبيب المعلم للطبيب الممارس بخصوص كيفية تحضير العلاج، كما يدلى بتوجيهاته لكيفية اعطاء الدواء للمريض إذا كان شرابا، أو يؤكل، أو ضمادة، أو لبوس، أو لبخة، أو حقنة شرجية... إلخ، كما حدد المدة التى يستعمل خلالها الدواء ومواعيد تعاطيه.

ومن المسكنات التى وصفها الطبيب لتخفيف آلام مرضاه نبات القنب: «لظفر أصبع القدم: عسل، مغرة صفراء، القنب أو الحشيش، ميعة، يصحن ويضمد به».

وقد أطلق المصرى على الحشيش أو القنب مسمى شمشمت، ووصفه كأحد مكونات الحقنة المهبلية داخل الرحم لتخفيف آلامه، فهو مسكن موضعى.

وبدراسة فاعلية نبات العرعر، وجد أنه يحتوى على ٨٠ مركبا منها مضادات للبكتيريا، وثبت أن زيت نبات العرعر يفيد فى علاج الغازات المعوية وضيق الرحم والسعال.





ثمار الحنظل

ويعرف نبات الحنظل علميا، Citrulluscolocyntus، citrakus colocynthis، وتستعمل من الثمرة اللب، وهو المادة الفعالة التى تحتوى على مواد راتينجية، ومن أهم مركباتها الإيلاتيرين، والإيلاتريسين، كما يحتوى على قلويات ومواد صابونية وبكتين. وتستعمل أيضا بذوره، والثمرة بأكملها تقطع وتستعمل كل قطعة لعلاج البواسير.

ووصف الطبيب المصرى الحنظل فى حالات الإسهال بأن يمزج الحنظل المعروف بمرارته بالعسل، وكعلاج للحمى بأن يخلط مع سائل الخميرة والعسل ويتناوله المريض مدة أربعة أيام، ولعلاج الشرج بشراب يؤخذ بعد أن يصفى مكون من الحنظل مع الجميز، والشعير، والبلح، والعسل، ودهن أوز.

ولجأ الطبيب إلى هذه الثمرة لعلاج حالات الاستسقاء بأن مزج كلا من العسل والحنظل والبيرة ليشربها المريض. وأوصى الطبيب بضمادة للعين، فى حالة الإصابة بالرمد الحبيبى، مكونة من مزيج من السنط، والحنظل، الذى أطلق عليه أيضا الظرت، والجرانيت المصحون. وأدخله الطبيب كمكون للبخة لعلاج خراج بالثدى ولخراج الإصبع.

وأثبتت دراسة حديثة أجريت فى الولايات المتحدة من قبل فريق علمى دولى أن بعض مركبات الحنظل لها تأثير فعال فى سكر الدم، والتمثيل الغذائى للدهون، فقد حفزت مستقبلات سكر الدم على الانتقال من داخل الخلية إلى سطحها، وتوصل الباحثون إلى وجود أكثر من ٧٠ نوعا من المركبات النشطة فى الحنظل، ومزيد من الدراسة يساعد على إيجاد علاقة بين الحنظل والأنسولين وعلاج البدانة.

ووصفــه الطبيب المصــرى لعلاج الكبد بأن أوصى أن يترك فى النــدى طوال الليل خليط من سبستان، وينسون، وخبز النبق والجميز، والعنب، والكندر والبيرة العذبة، ويتناوله المريض مدة أربعة أيام.

كما استعمل المصرى الحنظل للقضاء على الرائحة غير المستحبة من الجسم أثناء فترة الصيف بأن تصحن ثمرة الحنظل وتكور ويدهن بها الجسم.

وأطلق على حب العزيز هذا المســمى لولع أحد ملوك مصر بأكله، واستخرج الطبيب المصرى من بذره زيتا ملطفا كدواء ومسكن من تهيجات الثدى. واتضح من الأبحاث أن حب العزيز يعتبر علاجــاً مثالياً لمعظم أنواع الصداع، كما أن لثمار هذا النبات قدرة بالغة على تكرير البول وتنقيته من الشوائب الضارة، كما إنه يدر اللبن ويستعمل كمكون لعلاج بعض الأمراض الجلدية.

ووصفه المصرى فى علاجاته: «إذا فحصت شخصا مصابا بسدة بفم معدته، فضع يدك عليه، فإذا وجدت مرضه عبارة عن قشــعريرة فى كل جســمه بمجرد لمس أصابعك له، فقل إنها حالة تقيــح لم تتثبت، حضر له الأدوية العشــبية: حبوب حمراء من منذى تغلى فى زيت وعســل، وتعم، وحنظل، وشاشا والريانا، وحب العزيز من الشاطىء، وحب العزيز من الحديقة، ونبيذ، ولبن، يؤكل ويشرب مع بيرة عذبة حتى يشفى حالا». وصف الطبيب المصرى حب العزيز للقضاء على ثعبان البطن، وكتاركت العين أو المياه البيضاء، والإكزيما الرطبة للجلد، وضد البلهارسيا، والتهاب الرحم.

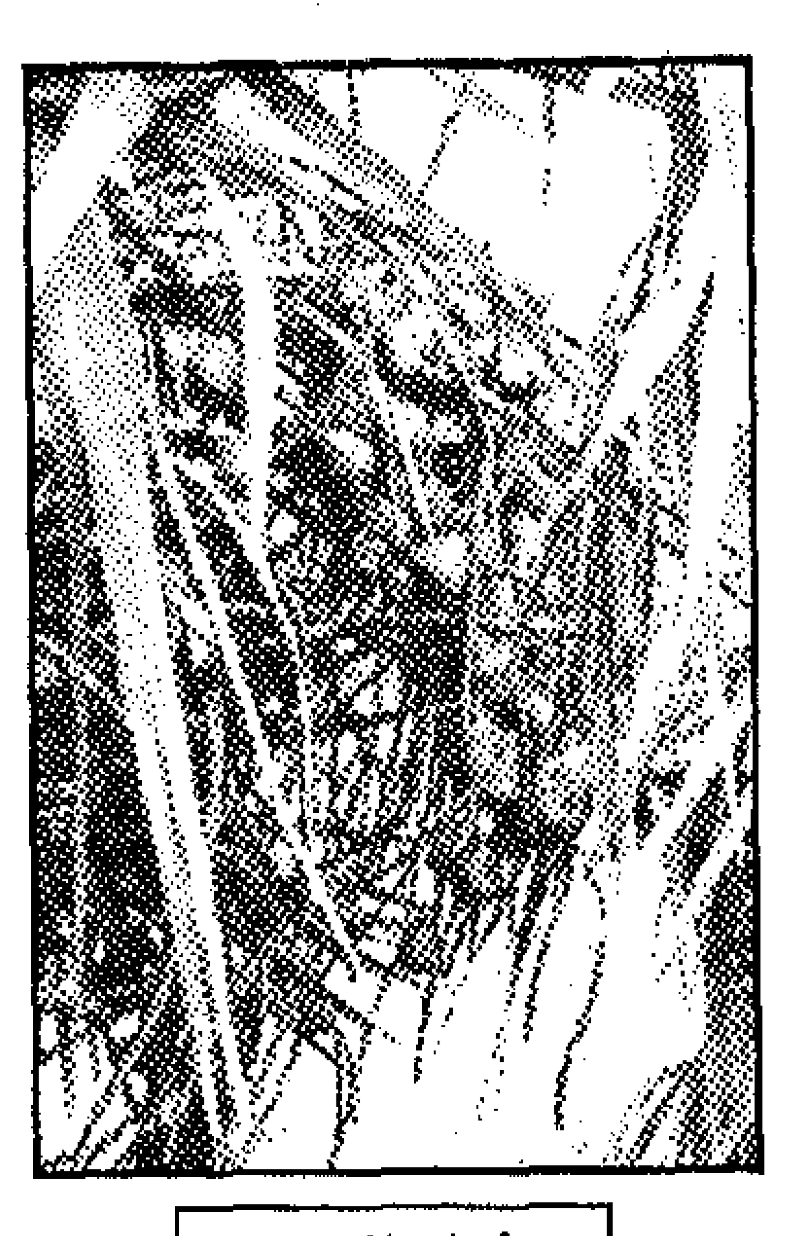
اهتــم الطبيب المصرى بالعلاج العشــبى والنباتى وأدخل أيضا العنصــر المعدنى فى تركيباته الدوائية مثل الملاكايت أو شســمت بالمصرية القديمة، وهو كربونات النحاس القاعدى الأخضر، أهم خام للنحاس الناتج من تأكسد وتحلل كبريتيد النحاس، الذى يكثر فى كل من صحراء سيناء والصحراء الشــرقية على ســطح رواسب خام النحاس. واستعمله المصرى كحلا للعين منذ العصور التاريخية والحضارات الأولى: حضارة البدارى.

وتحضير الطبيب للدواء كحبوب أو اســتعماله كلبخة أو ضمادة، أو مستنشــق أدى إلى تطوير الحديث واســتعمال الحقن فى العضل أو تحت الجلد أو فى الوريد بدلا من الحقن الشــرجية، ولكن استعمال اللبوس مازال مستمرا.

ومزج الطبيب معظم مركباته الدوائية فى الســوائل لتسهيل تعاطيها مثل النبيذ بأنواعه سواء نبيذ العنب أم البلح، والبيرة العذبة، واللبن فى بعض الأحيان سواء البقرى أو لبن المرأة المرضع، وأحيانا لبن الحمار.

واســتغل الطبيــب البخار لعلاج بعض حالات الســعال والربو باستنشــاقه عــن طريق غاب أو بوص، وهو نظام متبع حاليا فى البخاخات لاستنشاق الدواء.

وقد ميز الطبيب بين الشـــلل النصفى الأيمن والشـــلل النصفى الأيسر ولجأ إلى مكون علاجى للشـــلل الأيسر يختلف عنه فى الجانب الآخر وضمنه ورق الخيار الذى أطلق عليه لفظ شسبت، ولجـــأ إلى ورق الخيار فى عـــلاج القلب، فمزجه مع الجميز، والمغرة الصفـــراء، والبلح الصابح، والعســـل والمـــاء، وأوصى بأن يترك فى الندى طوال الليـــل ويؤخذ على يوم واحد، كما أوصى به فى حالات الحمى وللوقاية من التهاب الشـــرج. ويستعمل ورق الخيار حديثا لبشرة الوجه كقناع ينعم البشرة ويغذيها.



ثمار الدوم

أمـــا حرقة المثانة، فثمار الـــدوم، hyphoenathebaica ذات الخاصيـــة المرطبة خير عـــلاج طبقا للمصرى الـــذى أوصى به أيضا فـــى حالة تلطيف الأوعية، فقد لاحظ الطبيب أن الغذاء يجرى فى القنـــوات المختلفة داخل الجســـم ويخرج من الدبـــر، والهواء يأخذ دورته بدءا من الأنف وخروجا منه، وســـلم بوجود القنوات الدموية وأهمية تبريد هذه القنوات.

ووصف الدوم لعلاج البول الدموى مع بعض الأعشـــاب الأخرى كشراب، وقد عثر على العديد من ثماره داخل المقابر.

وكانت لدى الطبيب المصرى نظريته الخاصة وهى التجمع لطرد الأخدو، التى اعتبرها الطب الحديث التسمم الدموى الصديدى.

وقد ورد فى بردية برلين: «بدء كتاب طرد الوخز: وجد مكتوبا فى كتاب قديم فى صندوق من الجلد تحت قدمى آنوبيس فى مدينة ليتوبوليس، امبابة حاليا، فى عصر الملك يوسيفايس، وبعد وفاته انتقل لجلالة ملك مصر ســـند، صادق القول، كما بينوا أن هذا الكتاب الذى كان محفوظا تحت القدمين ومختوما بواسطة الكاتب المقدس والحكيم العاقل نترحوتب، الذى ألف الكتاب، وكان خادما للشمس وقدم قربانا من الخبز والبيرة والبخور على النار باسم إيزيس وحورس وخنسو وتحوت المعبود الذى فى الأحشاء.

وعددت البردية، بردية برلين، الأوعية المنتشرة فى الجسم، وصنفها الطبيب، ثم أكد العلاقة بين المرض والوعاء، واجتهد فى علاج هذه الأوعية حتى لايصل المرض إلى الدبر ويتجه الســـائل إلى وعاء القدمين نحو الموت، واستغل الأعشاب المتعددة المنتشرة على أرض مصر فى هذا الغرض، واكتسب المعرفة بخواص هذه النباتات من قدرته على ملاحظة مفعول الدواء على المريض.

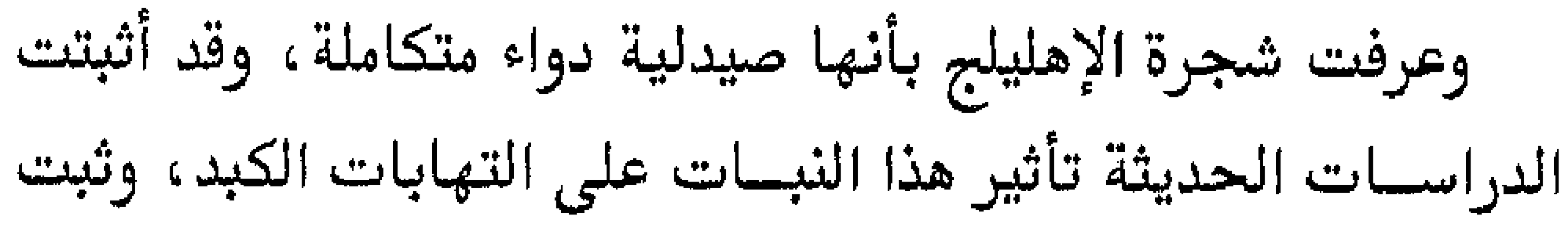
Banalities aegyptiace، أو إهليلـــج الـــذى عرف لدى العامة بالحبة الغالية، واســـتعمله الطبيب كمكون للحقنة الشرجية فى حالات الالتهاب، ولإيقاف النزف من الجرح، وهو مسكن موضعى للألم، ويحقن فى الدبر لإزالة الصديد، كما يحقن فى المهبل لمنع النزف الرحمى.



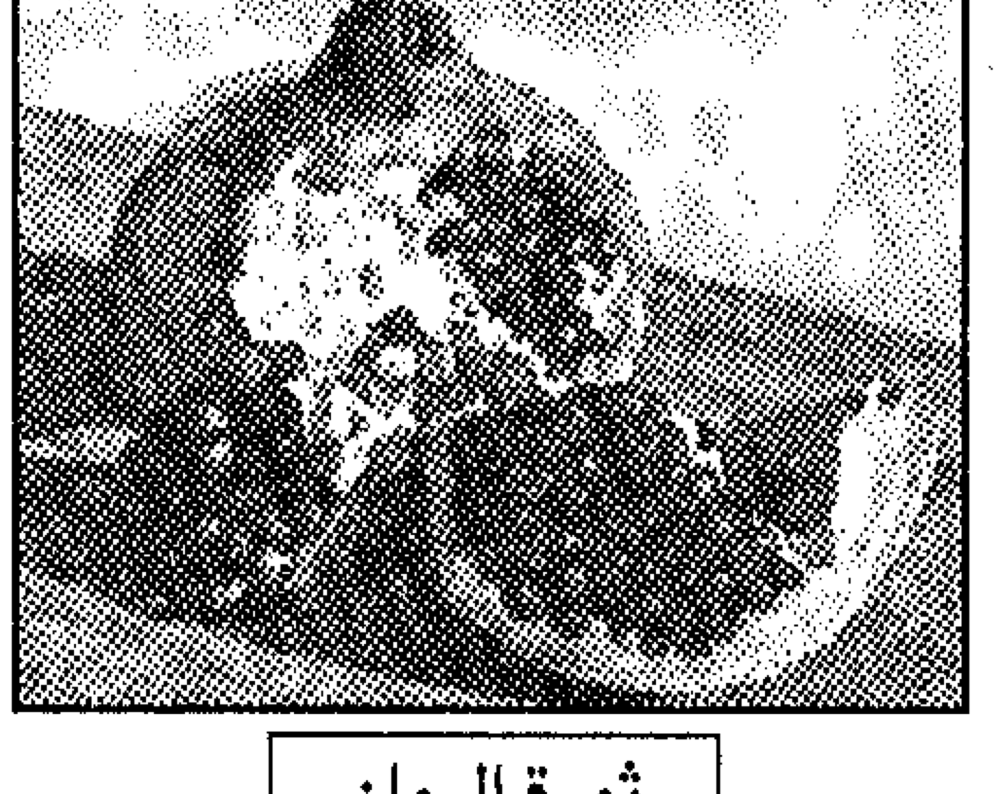
إهليلج أو الحبة الغالية

ولإزالة تجاعيد الوجه، وصفة من زيت إهليلج مع حب العزيز وكندر وشمع بمقادير متساوية ويوضع فى سائل لزج بعد صحنه ويدهن به الوجه يوميا، وأوصى الطبيب المعلم اصنعه وسترى.

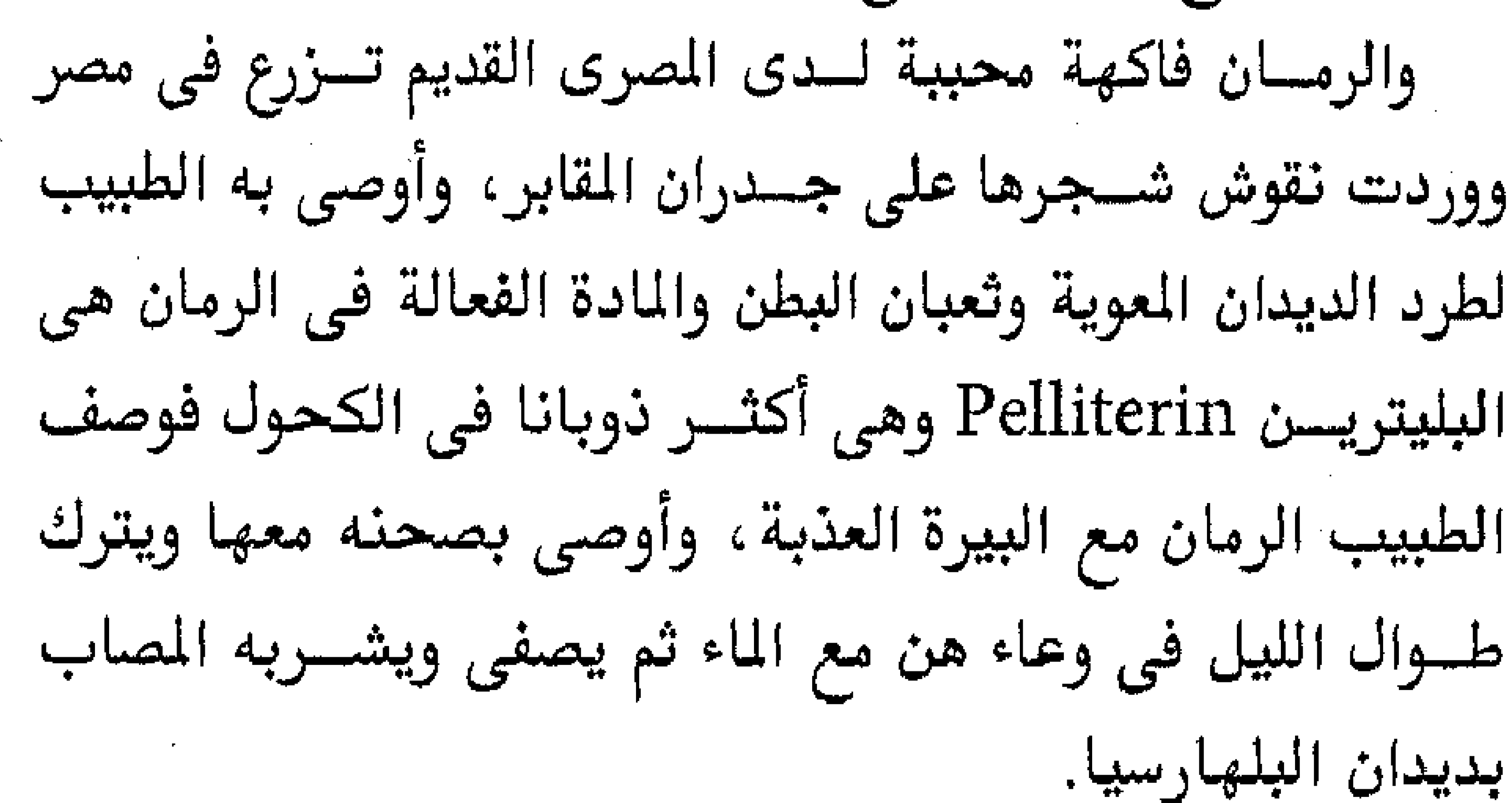
ويستعمل كل من الثمار والأوراق، فالثمار تحتوى على حامض الشبوليلك، ومواد عفصية، ومواد راتنجية، ومواد انثراكينونية، وزيوت ثابتة.



وعرفت شجرة الإهليلج بأنها صيدلية دواء متكاملة، وقد أثبتت الدراسات الحديثة تأثير هذا النبات على التهابات الكبد، وثبت أنه يساعد على حركة القولون. وقد سجل مؤخرا باحث سودانى، عثمان عبد المنعم، دواء مستخلصا من الإهليلج المزروع بالسودان، لعلاج التهابات الكبد الفيروسى، وتم تسجيله عالميا فى منظمة الصحة العالمية، ومن المنتظر تسويقه تجاريا بعد تحضيره، وكان الطبيب المصرى قد أوصى باستعمال زيت الإهليلج فى مكونات علاجية ضد القراع، وكدهان للرسغ المتألم، وكمسكن موضعى، وفى حالات التهاب الأذن، ولمنع لدغ البعوض، وللنزلة المعدية المعوية وقد ورد الإهليلج كمكون يمزج مع الحنظل والعسل كعلاج لتبريد الشرج عن طريق الحقنة الشرجية، وهو أقدم ذكر لهذه الوسيلة العلاجية.



ثمرة الرمان



والرمان فاكهة محببة لدى المصرى القديم تزرع فى مصر ووردت نقوش شجرها على جدران المقابر، وأوصى به الطبيب لطرد الديدان المعوية وثعبان البطن والمادة الفعالة فى الرمان هى البليتريين Pelliterin وهى أكثر ذوبانا فى الكحول فوصف الطبيب الرمان مع البيرة العذبة، وأوصى بصحنه معها ويترك طوال الليل فى وعاء هن مع الماء ثم يصفى ويشربه المصاب بديدان البلهارسيا.

وفى عهد رمسيس الثانى سجل ناظر زراعة بساتينه: «أن الأشجار أخرجت ١٠٠٠٠ قفة من فاكهة الرمان، ومثلها من العنب». وأدخل قشر الرمان عام ١٨٠٧م فى الطب الأوروبى، مما يبرز ريادة الطبيب المصرى.

وكان الطبيب يحضر معظم أدويته من الأعشاب أو المعادن أو المصدر الحيوانى بأن يمزجها بالماء أو اللبن أو البيرة أو النبيذ أو العسل، وكان أحيانا يمزجها بسائل لزج مستخلص من النباتات المختلفة، وإضافة العسل فى معظم الأحيان لتخفيف النكهات التى تتراوح بين المر واللاذع والنكهات الصعب استساغتها.





حبوب الشمر

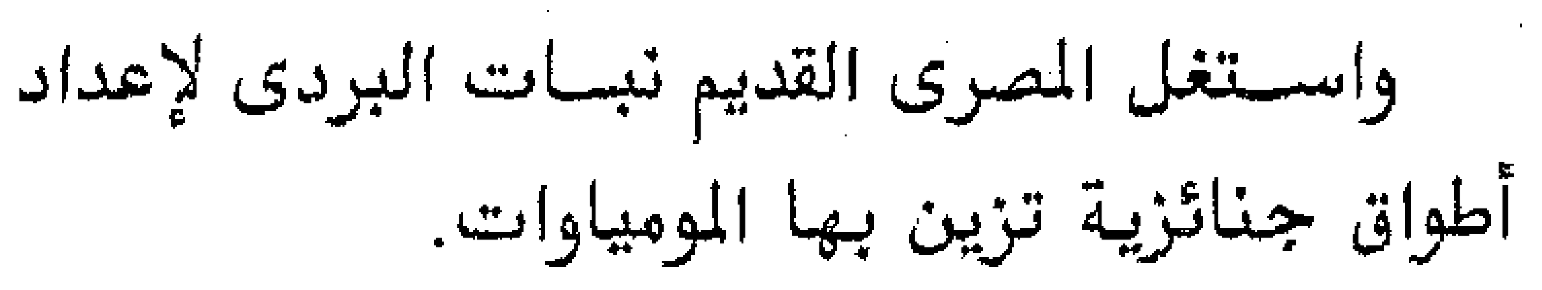
و«الشـمر» fennel، foeniculum vulgare، وهـو يحمل نفس المسـمى باللغـة المصرية القديمـة طبقا لرأى د.أحمد كمال باشـا، ولكن فريسنسكى يعتقد أنه البسبس أو شبت، واستعمله الطبيب كضماد مسكن، ومسكن أيضا فى حالات الصرع، وقد عثر على ثماره فى مقابر بنى حسن ودهشور، وورد الشمر بمسميات مختلفة فى البرديات منها مسمى البسـبس الذى احتفظ به العرب وأصبح البسباس. وورد الشـمر فى بردية هيرسـت كمنبه للمعـدة، أما فى برديـة إيـبرز فهو أحـد المكونـات لعلاج انتفـاخ البطن ولطرد الغازات، واسـتعمل كمسـكن فى حالات الصرع، وكلبوس لالتهاب الشـرج، والشـمر أحد المكونات لعلاج نزلات البرد وتسكين الآلام. واستعمل كعلاج للمفاصل مع مكونات أخرى ويحتوى الشـمر على أنيثول ٥٠ – ٨٠٪، ليمونين ٥٪، فنخون ٥٪، استراجول ٠,٥٪، سافرول ٠,٥٪، وباينين ٠,٥٪.

والمسـتخدم من الشـمر جذوره وبذوره، التى تحتوى على فيتامينات أ، ب، ج والكثير من المعادن، الفوسفور، والكالسيوم، والكبريت، والحديد، والبوتاسيوم.

وقد توصل فريق بحث ألمانى إلى أن فوائد الشمر متعددة، فهو من أفضل الأعشاب لعلاج المعدة ومشاكل الهضم. كما أن مركب الإسترامول له تأثير مشابه لتأثير الهرمونات الأنثوية ويساعد على إدرار الطمث. وهو منشـط جنسى للنساء ومخفف للشبق لدى الرجال، وأثبت الفريق الألمانى أنه بإضافة العسـل للشمر فإنه ذو تأثير فعال فى الجهاز التنفسى حيث يذيب المخاط ويعمل كطارد للبلغم. وإدرج الشـمر فى الكثير من المسـتحضرات الدوائية الأوروبية كعلاج لاضطرابات الهضم والإمساك، وعلاج القولون والقولون العصبى.

أما البردى، cyperus papyrus، أو السـعدية، وكان هذا النبات ينمو على ضفاف النيل واعتبر مصدرا للمواد الخام اللازمة لصناعة الورق، والسـفن، والحبال والسـلال، فهو ذو فاعلية عالية فى الكثير من العلاجات. استعمل هذا النبات فى مصر منذ ٤٠٠٠ عام ق. م لعمل الحصير المعروف بالأكياب، وورق البردى الذى عرف بالبابايروس، وكان يسـتعمل فى الغذاء، فيعد منه الدقيق، أو تمضغ عيدانه مثل قصب السـكر، أو تشـوى ثم تؤكل، كما اسـتعمل فى تركيبات الأدوية. فقد ذكر تحت مسـماها لإبعاد تقرحات العين، واستعمل ورقه كضماد للجلد المحروق:

«الـذى يعمل فى اليوم الرابع : شـحم، دهن ثور، بـردى محروق مع من أى خروب، يمزج معا ويضمد بها». بردية إيبرز.



واسـتغل المصرى القديم نبـات البردى لإعداد أطواق جنائزية تزين بها المومياوات.



نبات البردى

وتقـوم حاليا كلية العلوم بدمياط، بالتعاون مع الهيئـة القومية لمياه الشـرب والصـرف، بتجربة رائـدة تهدف إلى معالجة مياه الصرف الصحى عن طريق زراعة نبات البردى فى قرية سماحة التابعة لمركـز أجا فى الدقهلية. وقد تم زراعة البردى فى مياه الصرف الصحى، مما أدى لامتصاص كميات كبيرة من المعادن الثقيلة، ومن النتروجين، والفوسفور، بالإضافة إلى التخلص من الروائح الكريهة المتواجـدة فى هـذه المياه. وأدت التجربـة إلى أن النبات امتص كميات كبيرة من ثانى أكسـيد الكربون، مما يساهم فى التقليل من ظاهرة الاحتباس الحرارى.

وأقيمـت تجـارب مماثلة فى بعض الدول فى وسـط افريقيا أثبتـت أن نبات البردى يمتص الكربون بنسبة عالية.

وقد اسـتعمل كل من جالين وديوسـكوريدس ثم ابن غلغل والغافدى البردى كعلاج لتجفيف الناصـور، واسـتعمال أوراق البردى المحروقـة علاج ناجح كمعقم ويسـتخدم فى بعض أمراض العيون. ويذكر ديسـكوريدس، ٧٨م. : «إن رماده يمنع التقيحات من الإنتشار فى الفم أو فى أى مكان آخر».

ويذكـر جالـين، ١٢٩-٢٠٠م أن دهك نبات البردى فى الخل ثم حرقه، فإن رماده يشـفى الجروح. وقد أدرجه الأوروبيون فى علاجات السرطان.

والبرسـيم، Melilotus Officinalis، وعـرف بلفـظ عفا باللغة المصريـة، وتحتوى أوراق البرسيم الحلو على الكورامين.

ودلت بعض الدراسـات والتجارب أن أوراق البرسيم تساعد على خفض نسبة الكوليسترول بالدم وترسيب الصفائح الدموية على جدران الشرايين، التى تؤدى زيادتها إلى الإصابة بالأمراض القلبية.

كما دلت الدراسات أيضا على تأثير البرسيم فى الأمعاء وخاصة المواد السرطانية، فهو يحاصر المواد المسـرطنة فى القولون ويسـرع بطردها من الجسـم، نشرت هذه الدراسـة فى معهد السرطان القومـى، وأيدت الأبحاث أن احتواء البرسـيم على فيتامين k، له تأثـير فى القولون والتهاباته، وتباع حاليا كبسـولات محضرة من أوراق البرسيم واسـتغل الطبيب المصرى القديم البرسيم، عفا،

كمكون من مكونات ضمادة لتليين الركبة، ولتغذية الشعر، وكأحد مركبات مستحضر لدهان موضعي للقروح المتقيحة، واستعمله أيضا لمنطقة البطن لطرد الدودة الشريطية ولصرف الصديد من الجوف: «لطرد المرض من أحد جانبي البطن: برسيم حلو مع نبيذ بلح، يغلى مع زيت ويضمد به».



ثمار القثاء

القثـاء، cucumis sativus، وأطلق عليه المصرى لفظ كايمر، وتحتوى القثاء على فيتامينات أ، ب، ج، والكالسـيوم، والفسفور، والحديد والكبريت والمنجنيز، وثمار القثاء قلوية مبردة. والقثاء مدرة للبول ومخففة للحرارة وتستعمل فى حالات الصفراء.

وبخلاف القثاء والخيار، لجأ الطبيب للخس كمسـكن موضعى لـلألم، وفى حالات الحـروق. ويحتوى الخـس lactuca sativa علـى فيتامين هـ الهـام فى عملية الإخصاب، ولجـأ إليه الطبيب لإدرار البول ومن المحتمل أن لفظ أبو يقصد به الخس الذى نقشـه المصرى على الجدران لأهميته، وقد وصفه الطبيب المصرى كمسـكن موضعى لالتهاب الإصبع، وللحروق الجلدية، وللخس عصارة لبنية لاكتوكاريوم التى يحضر منها التريداس وهى مواد مخدرة ومدرة للبول.

نوع الطبيب من مصادر دوائه الذى استقاه من المعطيات البيئية سواء كان هذا المستحضر نباتى أو معدنـى أو حيوانـى، فنجد أن الطبيب وصف كبد الثور فـى بعض حالات الرمد، فهو غنى بفيتامين أ، كما وصف رؤوس بعض الأسماك فى بعض مركباته، ووصف زيت السمك كدهان بعد الصلع وسقوط الشعر: «علاج لطرد الهبرية من الرأس: مسحوق شعير مطحون ومحمص، مسحوق خلة محمصة، دهن طرى، يمزج معا ويدهن به. فإذا سـقط الشـعر من رأسـه، فإن قمة رأسـه ستتحول إلى أرض دون وضع أى دواء عليها. والآن بعد أن تصلع قمة رأسه، ادهنه بهذا العلاج: يدهن بزيت سمك فى اليوم الثانى، ثم يدهن بدهن فرس النهر فى اليوم الثالث، ثم يدهن بلادن فى اليوم الرابع، ثم يدهن بالخبز الحامض ويوضع على رأسه يوميا».

ولنفس الغرض مرارة ثور، زيت صمغ، مسـحوق بيضة نعامة، نسـل، يمزج ويصنع عجينة ويدق مع لزج ويغسل به الوجه يوميا».

كما لجأ الطبيب إلى زيت فرس النهر لإنبات الشـعر، ولسـمك البلطى المجفف لمنع الثعبان من الخروج من جحره، واستعمل دهن القط ضد الفئران، ولتليين صلابة الأعضاء استعمل سمك الشال.

لم يترك بابا إلا وطرقه، فقد استغل الأسفلت لطرد الدودة من البطن، ووصف الجبس المكون من سلفات الكالسيوم hydrated calcium sulfate، لعلاج درن العمود الفقرى، وكلبخة على الدمامل، ولتليين المفاصل ولعلاج الغدة الدرقية.

ووصـف الطبيب كبريتور الزرنيخ كمستنشـق لبخاره فى حالة السـعال. وأوصى كذلك بلبن الحمـار لإسـهال الأمعاء، ودمـاء كل من الثور والحمـار والخنزير، والماعـز، والكلب والوطواط والسحلية، والضفادع فى علاجاته المختلفة.

ومن المركبات الحيوانية للدواء دهن القط، وبعض الديدان وخصية الحمار. ومن المعادن المغرة الصفراء أو أكسـيدوز الحديد، والمغرة الحمراء أو أكسـيد الحديد، والملح، وملح النطرون، وخام الحديـد أو الهيماتيت، والخل، والزفت، وكبريتيد الأنتيمون، والملاكايت، وكبريتيد الرصاص، وبرادة النحاس، والجبس، والشبة، وكبريتور الزرنيخ.

ولكن ما توصل إليه بحثا قام به جورج أرميلاجوس، Georges Armelagos، متخصص فى علم الاجتماع من جامعة إيمورى بأتلانتا، يظهر حقائق كانت خافية على مدى السنين، إذ إنه وفريق العمل التابع له، بعد دراسة عظام بعض النوبيين ترجع إلى ٣٥٠ م —٥٥٠ م، توصلوا إلى أن هذه العظام تحتوى على آثار التيتراسيكلين، وهو مضاد حيوى يستعمل فى حالات الالتهابات من حب الشـباب إلى التهابات الجهاز البولى، وهنا كان التسـاؤل الهام، ما هو مصدر هذا العقار خاصة وأن التيتراسيكلين لم يعرف إلا منذ خمسين عاما تقريبا؟

وأرجع فريق العمل السـبب الرئيسـى للبيرة، أعتقد أن المقصود هو البوظة، التى كانت تعد آنـذاك من حبوب تحفـظ داخل أوانٍ طينية، ممـا يعرضها للبكتيريـا، streptomycedes، واستعملت هذه الحبوب فى تحضير عجينة تخبز فى درجة حرارة عالية، ثم تستعمل فى تصنيع البيرة، أو البوظة.

ومن المعروف أن هذه البكتيريا streptomycedes تنتج التيتراسيكلين الذى عثر على آثاره فى حوالى ٩٠٪ من عظام البحث منها عظام أطفال فى السنتين من العمر.

وأكد فريق العمل أن شرب البيرة، أو البوظة، أوجد نوعا من الحماية من التلوث للأفراد كما ثبت من الفحص فقد وجدت العظام بلا أى تلوث يذكر.

واسـتنتج فريق البحـث أن النوبة جزء من الحضارة المصرية القديمـة التى لجأت إلى البيرة أو الخميرة، أو الخبز، فى العديد من المستحضرات الطبية العلاجية.

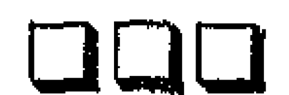
لقـد لجـأ الطبيب إلى البيرة فى الكثـير من وصفاته، وتضمنت بعـض اللبخات والضمادات هذا السـائل سحرى المفعول بالنسبة للمصرى القديم، وهذه هى الجزئية التى استنتجها الطبيب المصرى بدون معرفة كنه المؤثر الحقيقى فى هذا المكون، وهذا ما حدث بالنسـبة للمسـتحضرات الطبية المختلفة التى بنى الطبيب استعمالاته لها على النتائج أكثر من الأسباب.

وكتب Dr Jackie Campbell، الباحث الأفريقى: «لقد اعتبر العلماء الكلاسيكيون أن الطب اليونانى، وخاصة هيبوكرات، هو أبو الطب، ولكن ما عثر عليه وما اسـتعرض سابقا، يؤكد أن المصـرى القديم كان يمارس العلاج الطبى ويحضر الدواء منذ عصور أقدم «وعند مقارنة العلاجات

القديمـة لما هو متبع فى بروتوكولات الصيدلـة الحديثة، نجد أن هذه العلاجات لا تضاهى فقط ما هو حديث، بل إن العديد منها لها قيمة علاجية عالية. فالكثير من الوصفات القديمة مازالت تعاصر القرن العشرين، مع الأخذ فى الاعتبار أنها تعد حاليا بمكونات صناعية».

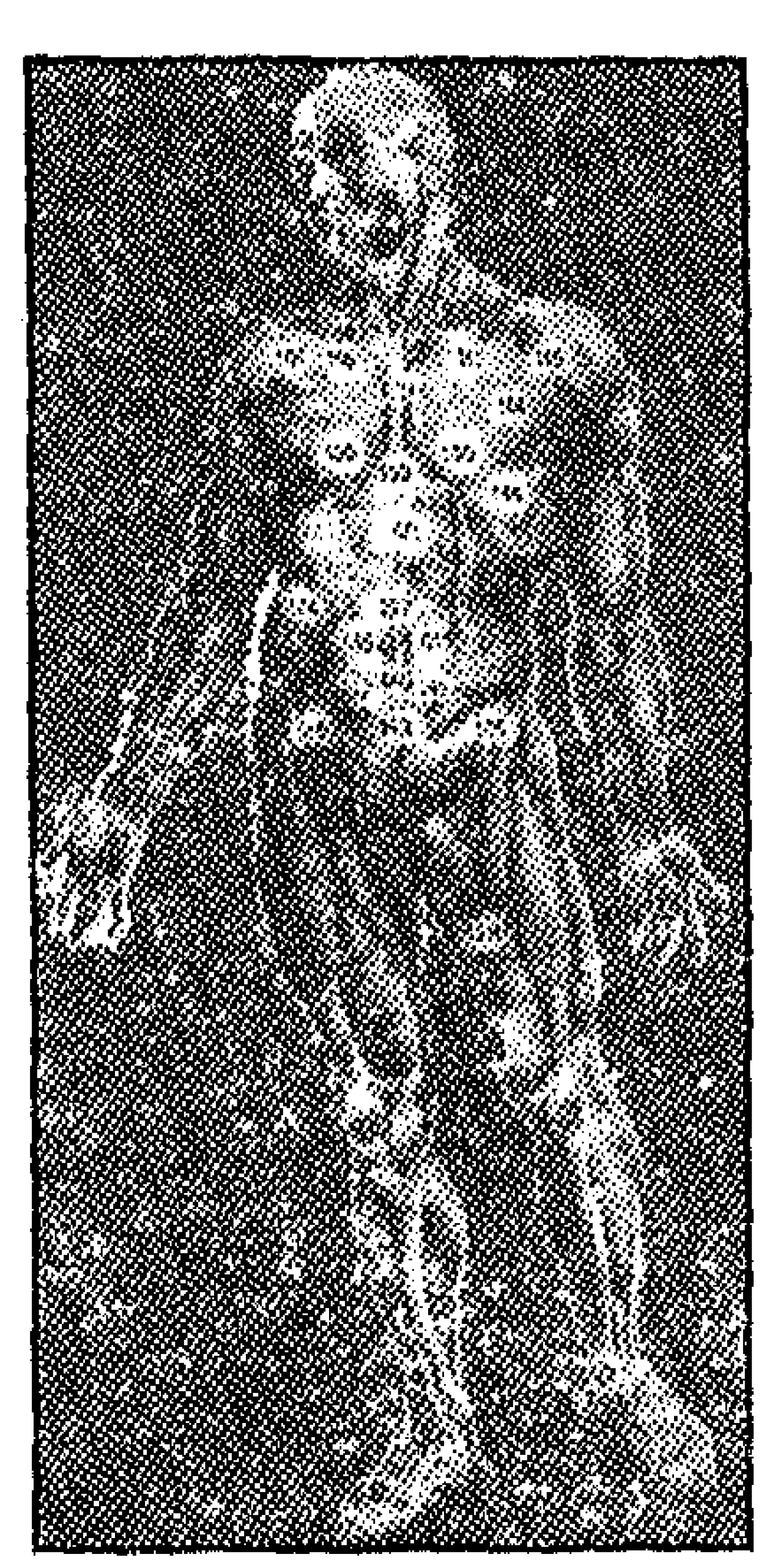
وتعتبر دراسـة الطب المصرى القديم لها أهميتها فى الاسـتزادة من طرق العلاج التى مارسها فريـق من البشـر يبحث فى الظلام عـن المعرفة وعن أفضل السـبل لتخفيف الألم وعلاج المرض الذى أرجعه لما لا يعرف، فأطلق على الميكروبات مسمى الأرواح الشريرة، ولكن ممارساته العملية جعلت منه أول العلماء الجادين فى البحث ومحاولة المعرفة وجمع وتسجيل المعلومات.

فقد أسـس، بطرقه هذا المجال مفهوما محوريا وهو أن رقى المجتمع نابع من وعيه الصحى الذى برهن المصرى من خلال ممارساته عليه.



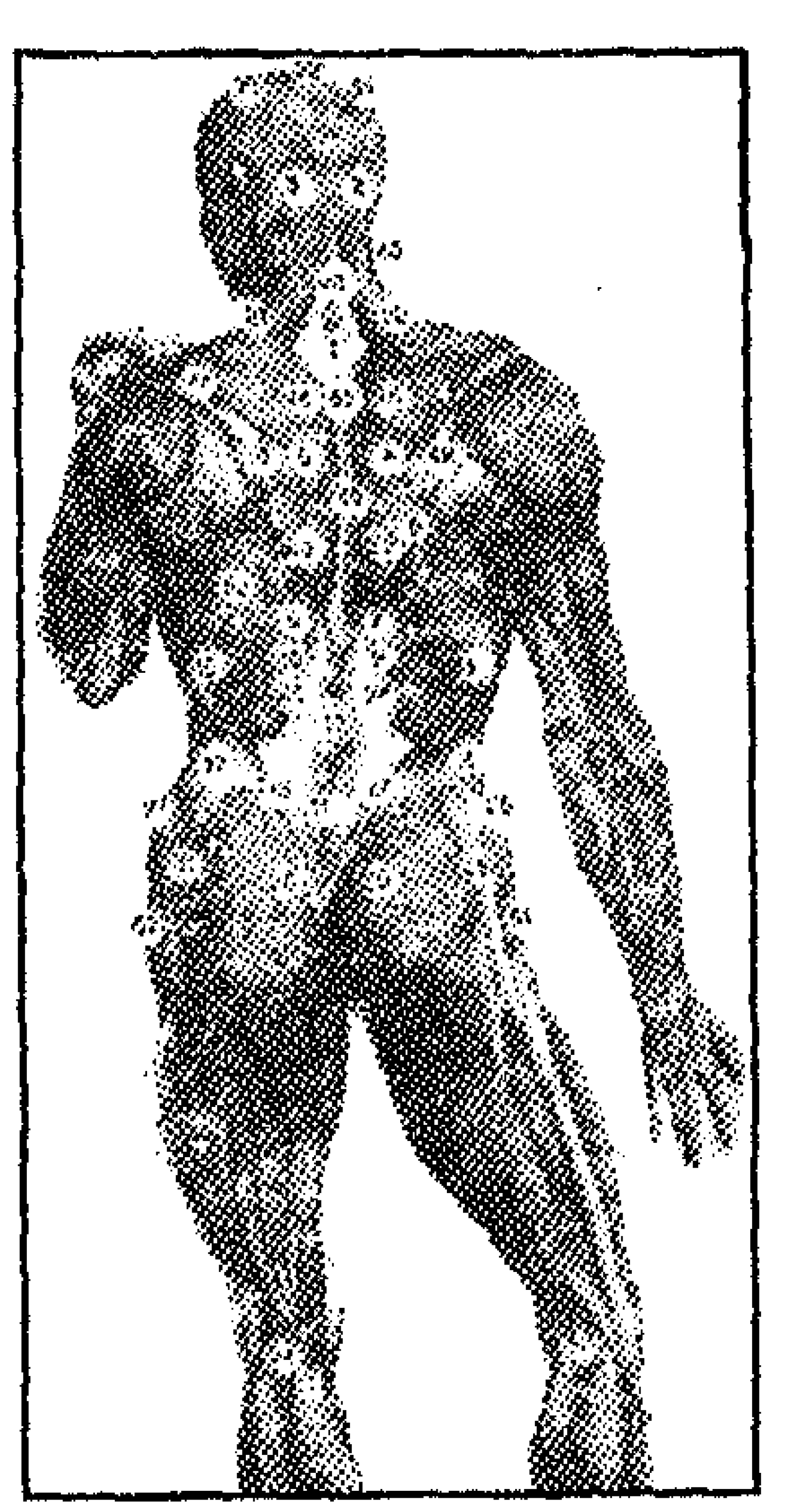
الفصل الحادى عشر

الحجامة



مارس الحجامة منذ القدم البابليون والصينيون والمصريون لعلاج بعض الأمراض استخدموا خلالها كؤوسا معدنية وأشجار البامبو وقرون الثيران، وكان العلاج يتلخص فى امتصاص الهواء من داخل الأداة المستعملة ووضعها على الجلد، ممارسة أدّت لكاسات الهواء فيما بعد وتدرجت هذه الممارسة إلى علاج الدمامل وسحب الدم الفاسد بها ومن التقيحات المختلفة أيضا وتمارس الحجامة حاليا على مراكز الطاقة فى الجسم، وتقتضى ممن يمارسها معرفة الأوعية الدموية لممارسة فصد الدم من العروق، كما يمارس الكى أيضا على مراكز معينة و يجب أن يكون الطبيب الممارس لعمليات الفصد على دراية تامة بالتشريح ليعرف مسالك الأوردة وأوضاعها، وهذا ما سبقه المصرى إليه.

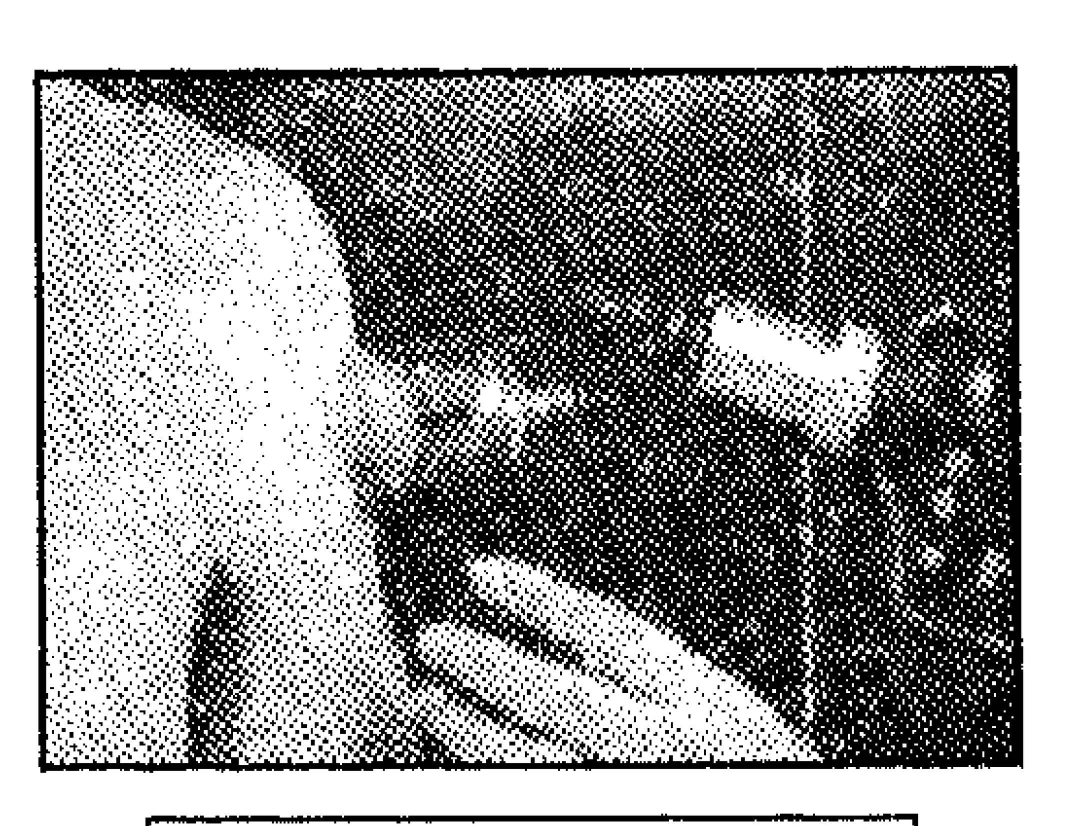
وتم حاليا تحديد مواضع الفصد فى أربعة وثلاثين وريدا: اثنا عشر فى الرأس، واثنا عشر فى اليدين، وثمانية فى الرجلين كعرق النساء، ثم وريد الكوع مع الزند، ووريد الأسيلم.



وقد ذكر المصرى القديم: «دليل الإنسان لكل مرض: يوجد عنده فى رأسه ٢٢ وعاء تسحب النفس إلى قلبه، وهى تعطى النفس إلى ذراعيه».

«وعاءان فى ثدييه هما اللذان يعطيان الحرارة إلى الشرج، ربما المقصود الشريانان تحت الترقوة، د.حسن كمال» «يوجد وعاءان فى فخذيه»، ووعاءان فى عضده، ووعاءان بمؤخرة رأسه، ووعائان فى جبينه، ووعاءان فى أنفه، ووعاءان فى أذنه اليمنى ووعاءان فى أذنه اليسرى. وكلها تتجه إلى قلبه وتتفرق فى أنفه وتجتمع فى دبره».

وترجع هذه النظرية إلى أكثر من ٦٠٠٠ عام، كما أشير إلى الحكيم نتر حوتب، وهو زمنيا أقدم من أمحتب.



العلاج بالحجامة

ويعتــبر العلاج بالحجامة cupping، من أقدم الســبل الغلاجية الذى مارســه المصرى القديم، فقد عثر على بعض الدلائل على هذه الممارســة فى مقبرة توت عنخ آمون، كما تبرز النقوش الواردة على جدران معبد كوم أمبو التى تسجل بعضا من الأدوات الجراحية للمصرى القديم، كأسا تستعمل فى هذا الغرض، وقد عثر على بعض هذه الكؤوس فى المقابر وكانت هذه الكؤوس مزودة بثقب فى طرفها لمص الدم بالفم وســحب هذا الدم الفاسد من تحت الجلد وقد مارســه المصرى، ونقله عنه الكثيرون، منهم أهل جزيرة كريت والرومان، وتنقلت الممارسة حتى بلاد الهند والصين.

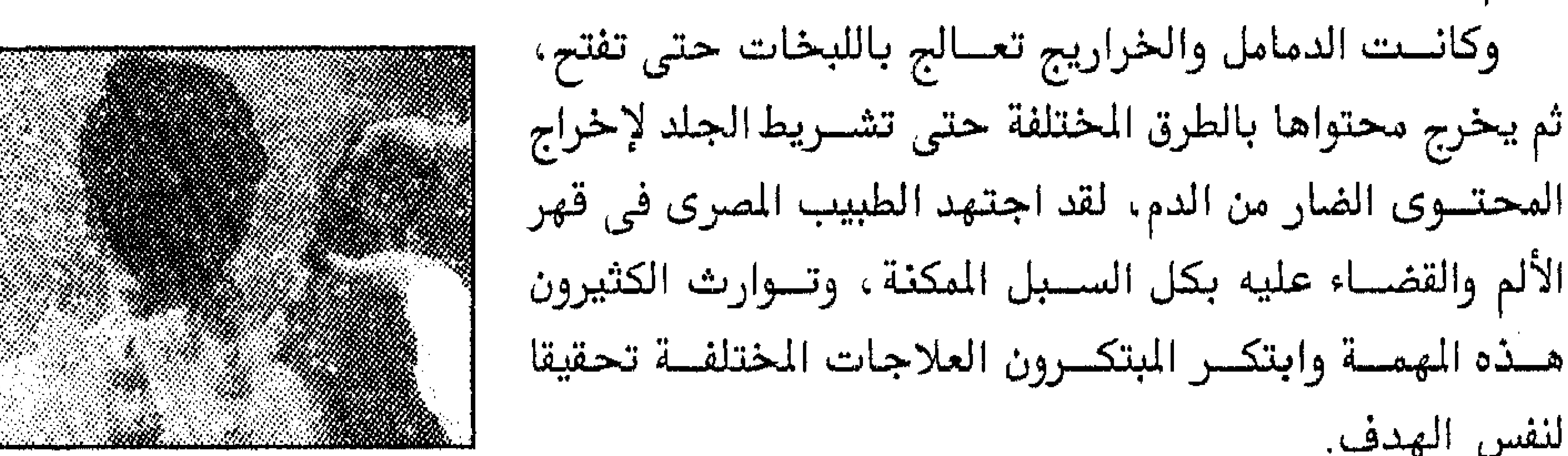
ومارس الأوروبيون هذا العلاج عن طريق ديدان معينة لسحب الدماء الفاسدة من الجسم.

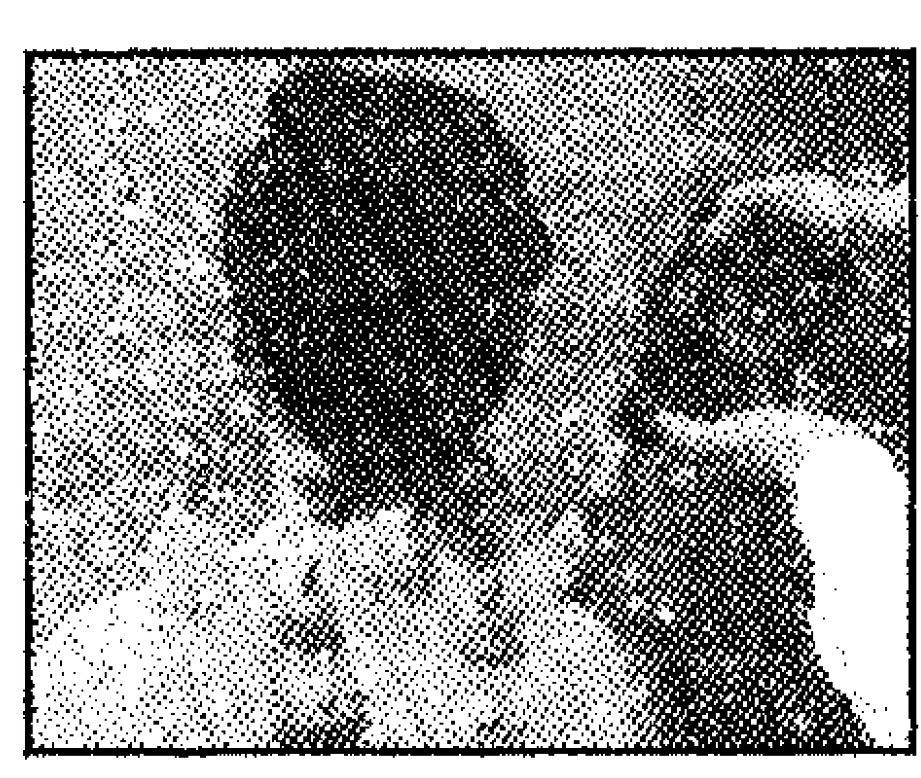
وتمــارس الحجامــة الحالية بوضع كأس الحجامــة على النقطة المســتهدفة مدة تتراوح بين دقيقتين إلى أربع دقائق، وتكرر العملية حتى يحمر وينتفخ المكان المســتهدف، ثم يشــرط المكان ويمص الدم برفق.

واهتم الطبيب المصرى القديم بالتســمم الصديدى وعلاجه أيضا لأهميته فى تحقيق الشــفاء، فقد أورد الطبيب أن الخراريج والدمامل هى نوع من التسمم الدموى الصديدى.

وعــالج أيضا حــالات التقيح والتجلــط الدموى، واهتمامــه بأمراض الدم وردت فــى البرديات، ففى بردية هيرســت ســجل الطبيــب الوصفات العلاجية لابعــاد مرض الدم مــن أى عضو بالرجل أو المرأة، ولإزالة تكوين الدم الذى لم يكن قد تجلط، وعلاج لأى شىء يتواجد من نفسه، وهناك وصفة لإخــراج أمراض الدم: ويقصد هنا الصديد الذى اســتعمل لإخراجه المــواد القابضة مثل الكندر وبعض النباتات القلوية منعا للتسمم الصديدى الذى اقتنع الطبيب المصرى بأهمية علاجه، وكان الخراج فى مفهومه مرضا يندرج تحت مسمى التسمم الدموى الصديدى، وأن التقيح بصفة عامة هو مرض يصيب الأوعية الدموية، والعضلات، كما يعتبر التجلط الدموى والجروح وما ينتج عنها نوعا من التسمم.

ولإزالــة الماء من الإفرازات، أوصــى الطبيب بضمادة من خبز نبق كى يجف الجرح ولا يتقيح، وللدم الأكال بصل ودهن ثور.





وكانــت الدمامل والخراريج تعــالج باللبخات حتى تفتح، ثم يخرج محتواها بالطرق المختلفة حتى تشــريط الجلد لإخراج المحتــوى الضار من الدم، لقد اجتهد الطبيب المصرى فى قهر الألم والقضــاء عليه بكل الســبل المكنة، وتــوارث الكثيرون هــذه المهمــة وابتكــر المبتكــرون العلاجات المختلفــة تحقيقا لنفس الهدف.

وفسـر الطبيب المصرى المرض كنتيجة لما أسماه بالأخدو أى المادة المسـببة للألم، واعتقد أن الأوعية هى التى توزع هذه المادة التى تنتقل من الأمعاء للأوعية الدموية ويتفاعل مع الدم فيتحول لصديد، وتحدث الحمى للمريض كنتيجة لهذا التفاعل وتتزايد ضربات قلبه، ويتحول الأخدو فى النهاية لجلطات دموية تتسبب فى مرض الأعضاء المختلفة، وهنا لا يتمكن الدم من تسهيل وظائف أعضاء الجسم. واعتقد الطبيب أن مصدر الأخدو هو براز المريض الناتج عن فائض الطعام.

لذا فإن عملية فصد الدم الفاسـد من الأوعية الدموية قبل أن يتجلط هو نوع آخر من الوقاية من الأمراض venesection. ورد هذا المعنى فى حالة الأذن عندما ذكر الطبيب لعلاجها: «يجب عليك أن تقطع أحد جانبى الأذن حتى لا يتجمع الدم فى جهة واحدة، حذار أن تجعله يتقيح».

وقد أطلق على الجهاز الدموى «الجهاز الآدمى الموصل حيث تنشأ كل الأمراض».

وقد تمكن الطبيب المصرى من التمييز بين الشرايين التى تنقل الدم من القلب للأنسجة وبين الأوردة التـى تنقل الـدم للقلب. «هناك أوعية تخرج منه لكل عضـو»، «يضع يديه على الرأس أو على اليدين، أو على المعدة، أو على الذراعين، أو على القدمين، فإنه بذلك يفحص القلب، لأن كل أعضائه تحتوى على أوعيته، إنه يتكلم عن طريق أوعية كل عضو».

ويصف الطبيب المصرى هنا الشـرايين، فقد ذكر الشـريان الصدغى وشـريان مؤخرة الرأس والشريان الكعبرى، والأورطى، والشريان العضدى، وشريان ظهر القدم»، وقد أطلق على ما سبق «مبدأ سر الطبيب معرفة حركة القلب».

واللجوء للشـربة والمقيئات مسـاو لعمليات فصد الدم من حيث تفادى انتشـار الأمراض فى الجسم، إنه نوع من الوقاية والعلاج فى آن واحد.

وقـد ازدهرت عمليـات الحجامة وفصد الدم عند الإغريق فيما بعد على نطاق واسـع تطبيقا لنظريتهـم فـى الأخـلاط والأمزجة أى مـزج العناصـر الأربع فى الجسـم وهى النـار والهواء والـتراب والماء، التى يرمز كل عنصر منها للطبيعة، فالنار هى الدم، والمرارة السـوداء التراب، بينما البلغم هو الماء، والمرارة الصفراء هى الرطوبة.

وتحتوى كتب أبقراط وصفا دقيقا لممارسات فصد الدم، والكى، والحجامة تطبيقا لنظريته عن الأخلاط الأربعة والمقصود بها سوائل الجسم المختلفة وهى الدم، والمرارة الصفراء، والمرارة السوداء والبلغـم. كمـا ذكر جالينوس أيضـا عملية فصد الدم والحجامة، حيث اعتقد أن صحة الجسـم تتوقف على التوازن بين هذه السـوائل الأربعة، واعتقد أن كل سـائل من هذه السـوائل يرمز إلى عنصر من عناصر الطبيعة.

وجالينوس من مواليد عام ١٥٠م فى مدينة برجاموم، وهو من حدد أن الأعصاب تبدأ من المخ، وتعرف على العضلات التى سـبقه المصرى فى معرفتها كما ورد على تماثيله ونقوشـه المختلفة، واعتبر متخصصا فى التشريح فى مدينة الأسكندرية.

وقد اتخذ القائمون بالعلاج بتسريب الدم أو الفصد من هذه النظرية تفسيرا علميا لطريقتهم العلاجية حيث اعتقدوا أن تسريب كمية من دم المريض يمكن أن يحقق التوازن المطلوب الذى ذكره أبقراط، مما يضمن بالتالى تحقيق الشفاء. فالحجامة تفيد من ناحية تنقية الدم من الأخلاط وكرات الدم الهرمة التى تعوق تدفقه لخلايا الأعضاء المختلفة.

وقد حدد أبقراط ٤٦٠ - ٣٧٧ م الذى نشر عملية فصد الدم خلال العصر الكلاسيكى، أن فصد الدم يحتل المكانة الأولى لمداواة قائمة طويلة من الأمراض بدأ من الصرع والسكتة الدماغية، إلى الالتهاب الرئوى وآلام الأعضاء المختلفة للجسم. وكانت العملية تجرى على الذراع وغيره من أجزاء الجسم المتصلة بالعضو الملتهب أو الذى يشكو الألم.

وتعمل الحجامة حاليا على النقاط الخاصة بردود الأفعال التى تحدث دورة تبدأ من مركز الإحساس المتواجد بالإصبع وتنتهى بانكماش العضلة، وتعرف هذه الدورة بقوس الفعل المنعكس، ومعظم الأفعال المنعكسة لا إرادية.

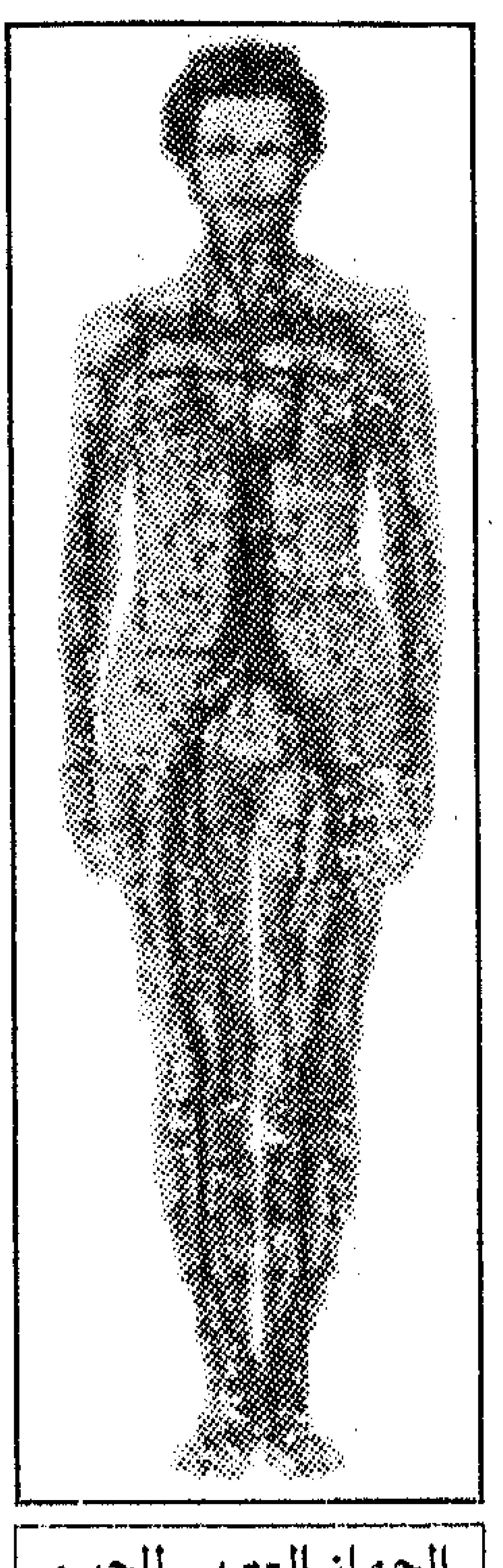
ويتولى الحبل الشوكى ترجمة الإشعارات الحسية التى يستقبلها إلى إشعارات حركية يرسلها إلى العضلات فتنكمش أو تنبسط، كما يرسلها أيضا للغدد فتكثر أو تقلل من إفرازها.

وإحداث التوازن الداخلى للجسم هو هدف العلاجات المختلفة والذى تتحكم فيه أجهزة الأعصاب، الجهاز العصبى السمبثاوى النابع من الحبل الشوكى وأجزاء الجسم المختلفة والخاصة بحركة الأحشاء، والجهاز العصبى الباراسمبثاوى الذى يعمل بين المخ وأعضاء الجسم كالعين والغدد اللعابية والقناة الهضمية والمثانة.

والحجامة أسلوب علمى حديث للتخلص من الألم طبقا لنظرية برومرز، فهناك نقاط بالجسم ذات مؤثر مسكن على الأعضاء، ويتم هذا بأن تحرك الغدة النخامية خلايا الجسم لإنتاج مادة الأندروفين المخدرة التى تعرف كمادة كيميائية تأثيرها مشابه للمورفين، وهو مسكن يمنع الإحساس بالألم ويزيد من القدرة على تحمله.

وقد ذكر د. هانى الغراوى فى كتابه عن الحجامة: «يوجد أكثر من مائة موصل عصبى تحت الدراسة حتى الآن يعتقد أن لها علاقة بما يحدث من تسكين الألم فى حالة الحجامة مثل المورفينات الداخلية والأندوفينات، وهو الاسم الذى يطلق على كثير من هذه المواد، والتى تفرز على شكل جزء طويل من البتاليبوبروتين يتكون من ٩١ حمضاً أمينيا يسمى بيتا إندورفين الذى يقوم بالدور الرئيسى فى تسكين الألم، وعند حقنه فى الوريد يكون له مفعول مسكن سريع، ويوجد نوع آخر من الإندورفينات يسمى ألفا إندورفين، ولكن مفعوله المسكن أقل إذا قورن بالبيتا إندورفين. وتعرف الإندورفينات التى تفرز من الغدة النخامية بالإنكافالين، وطبقا لنظرية برومرز، فإن الإنكافلين المفرز يقوم بالالتحام مع مستقبلات الألم فى النهايات العصبية،

مما يؤدى إلى تقليل الجهد الممارس على النهاية العصبية وتقليل التوصيل، وبذلك تسافر الإشارات العصبية المؤلمة بشكل بطيء جدا وقليل أيضا، كما تستقبل الخلايا العصبية المستقبلة للإشارات موجات أقل وإحساسا أقل وتكون النتيجة النهائية انحسار موجة الألم وتراجع الإحساس به».



الجهاز العصبى للجسم

وتمارس الحجامة طبقا لنظرية أخرى تعرف بنظرية ملزاك و وول، ويطلق على هذه النظرية: نظرية بوابة التحكم فى الآلام التى تعتمد أساسا على إثارة وتحفيز مواضع الألم، إذ إن الإحساس بصفة عامة ينتقل عن طريق موجات عبر نقاط متعددة توجد فى مسار الجهاز العصبى وعند نهايات الألياف العصبية الدقيقة الذى ينقلها بدوره إلى الحبل الشوكى، وأول من نشر هذه النظرية هو ملزاك الذى يؤكد أن هذا يتم على مستوى النخاع الشوكى فيما يعرف بنظرية بوابة الألم.

وقد أكد الأستاذ الدكتور محمد كمال عبد العزيز أستاذ بكلية الطب جامعة الأزهر، بالقاهرة، أن الأحشاء الداخلية تشترك مع أجزاء معينة من جلد الإنسان فى مكان دخول الأعصاب المغذية لها فى النخاع الشوكى، أو النخاع المستطيل، أو فى المخ المتوسط، وبمقتضى هذا الاشتراك، فإن أى تنبيه للجلد فى منطقة ما من الجسم، يؤثر فى الأحشاء الداخلية المقابلة لهذا الجزء من الجلد، وهو ما يعرف برد الفعل الانعكاسى.

وعندما يصل التنبيه إلى المخ عن طريق الأعصاب فإن المخ يترجم هذا التنبيه حسب مصدره ونوعه، أى يحدد نوع التنبيه، ألماً كان أو لمساً، حرارة أو برودة، ولكن إذا وصل عدد التنبيهات التى تصل إلى المخ فى وقت واحد إلى عدد كبير، فإن المخ لا يستطيع التمييز بينهم، وعندئذ يتوقف عن العمل، فيلغى الشعور من المنطقة التى زاد فيها عدد التنبيهات.

وفى حالة الحجامة، تخرج التنبيهات من نهاية الأعصاب فى المنطقة التى تمارس عليها الحجامة بأعداد كبيرة، فيقوم المخ بإلغاء الشعور من المنطقة ويزول الإحساس بالألم، وهذه النظرية مطبقه على كثير من أجهزة العلاج الطبيعى.

والأمر أقرب إلى تفسير الأطباء الأولين لقضية الأخلاط. فالطبيب المصرى القديم بنى معلوماته الطبية العلمية على الحقائق كما ورد فى بردية سميث التى هى مجموعة حالات جراحية تشكل أبحاثا جراحية لحالات ملموسة، وبردية إيبرز التى تتعامل مع معظم الأمراض التى تصيب الجسم البشرى والتى تعامل معها الممارس المصرى بكفاءة علمية عالية، فلم يكن يمتلك الأجهزة

الحديثة للفحص، واستعاض عنها بحواسه ودقة ملاحظته والتفكر فى السبل الناجحة للعلاج والقضاء على الألم.

وقد ذكر ذلك أبقراط بقوله أن الفراعنة قسموا الطب إلى نوعين طب الصوم وهو الامتناع عن أكل بعض الأطعمة، وطب الإخراج أو طب الحجامة عن طريق فتحات يحدثها الطبيب فى الجلد.

«علاج لجعل ندبة الحرق تسود: مغرة حمراء، تصحن مع لبن الجميز، حنظل، أوتيت الظرت أو الحنظل، يصحن ويضمد به، بعد ذلك اعمل قطع الطبيب physicians cutting أى التشريط، كرات مدهوك، فاكهة بسلة، ويضمد به.

والحجامة الحديثة تثبت من المنظور العلمى ما مارسه الطبيب المصرى من فصد الدم تحت الجلد، إذ إنه بتحليل الدماء المستخرجة بالحجامة، وجد أنها تحتوى تقريبا على عشر كرات الدم البيضاء، بينما كرات الدم الحمراء المستخرجة تعتبر كرات هرمة لا تصلح كمكون حيوى للدم.

والحجامة تبقى الحديد داخل الجسم دون أن يخرج مع الدم المسحوب، تمهيداً لاستخدامه فى بناء كرات دم فتية وجديدة، كما أن الكرياتينين المتواجد فى دم الحجامة مرتفع، مما يدل على أن الحجامة تسحب كل الشوائب والفضلات والرواسب الدموية، ويؤدى هذا إلى زيادة نشاط كل الأجهزة والأعضاء.

ومن المعروف أن جسم الإنسان يتوقف عن النمو بعد سن العشرين، فتتركز كرات الدم الهرمة فى منطقة الكاهل أعلى الظهر لعدم وجود مفاصل متحركة ولكثرة الشعيرات الدموية.

وعرف الصينيون الحجامة التى لخصوا مبدءها الرئيسى فى تحقيق التوازن بين كل من الين واليانج، إذ إنه، طبقا للعقيدة المعروفة بالطاو Tao، فإن الطاقة الكونية هى التوازن بين هذين العنصرين، والدم فى الطب الصينى، هو المادة الحيوية التى تتكون من روح الطعام، الذى تهضمه المعدة وتوزع خلاصته بوساطة الطحال، أما القلب فهو المحرك الرئيسى للدم والعروق، أما الكبد فهو يضمن الانسياب الحر للدم ويخزنه ويحافظ على حجمه.

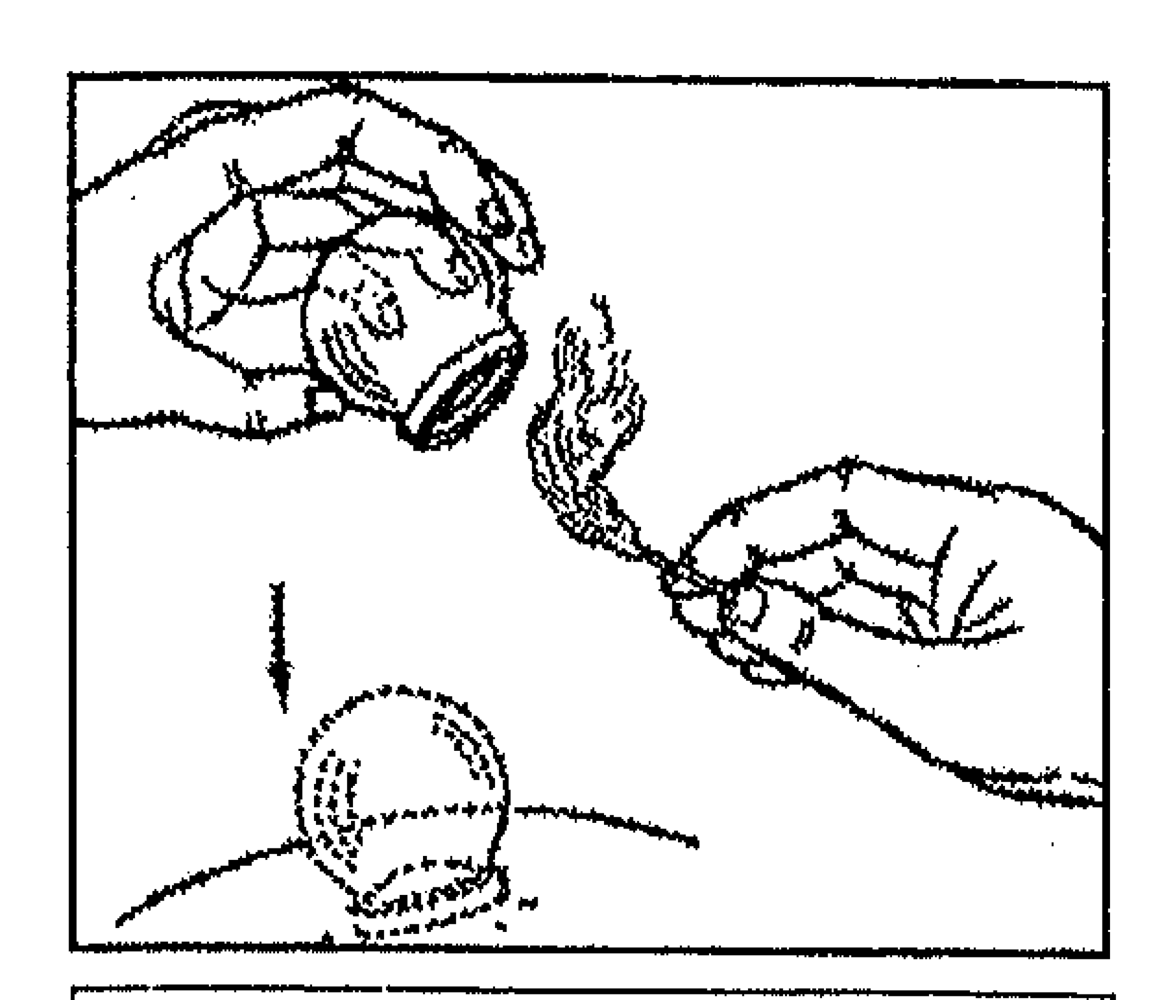

آثار لعملية شفط الدماء أثناء الحجامة

وتعرف مواضع الحجامة فى الطب الصينى بأنها مواضع خاصة على الجلد يتم من خلالها نقل الطاقة الحيوية من الأعضاء الداخلية المختلفة إلى الجلد وبالعكس، ومعناها الحرفى فى اللغة الصينية هو النقل من البئر. وتعتبر عملية شفط الدماء أثناء الحجامة حثا للطاقة الحيوية على الصعود إلى سطح الجلد، وهنا يتم التعادل والتوازن ما بين الين واليانج الذى ينعكس بصورة مباشرة على عمل العضو المريض.

وأكدت الدراسات الحديثة أن الحجامة فى الطب الصينى تعتبر من أفضل الطرق لإحداث الاسترخاء فى العضلات العميقة.

وتذكر بردية إيبرز حالة كدم ناز haematoma، «تعاليم خاصة بنز من وعاء بأى عضو: ...

ووجدته أحمر ضاربا إلى الزرقة ومحدبا hemispherical، نتيجة ضربة عصا فبعد عمل سبع عقدات... اعمل له العملية بغاب سوت الذى يستعمل فى العمليات، فإذا نزف كثيرا اكوه بالنار ثم عالجه علاج سحمم».



عملية تفريغ الكاسات من الهواء قبل وضعها أعلى الظهر فى حالة الحجامة الجافة التى كانت تمارس فى مصر إلى وقت قريب حتى القرن العشرين.

وهناك أنواع من الحجامة، فالحجامة الجافة تستلزم وضع الكاسات على سطح الجلد فيخرج الدم المزوج بالأخلاط على السطح ويضيع الألم أما الحجامة الرطبة فتختلف عن الجافة بأن يحدث الممارس تشريطا خفيفا بالجلد يؤدى إلى إخراج الدم، وهذه العملية تختلف عن فصد الدماء ويحدد لون الدم الحالة المرضية للمصاب، فإن لم يخرج دم من الحجامة فهذا دليل على عدم اعتلال العضو، وإذا خرج دم أحمر فهو دليل على سلامة العضو أيضا، أما إذا كان الدم أسود، فهذه إشارة إلى وجود أخلاط بالدم وتفيد الحجامة فى حالات متعددة منها الصداع المزمن، الآلام الروماتيزمية، تيبس المفاصل والروماتيزم، بعض حالات الضغط المرتفع وغيره ولأهمية الحجامة تدرس الآن بالجامعات الأمريكية وتعتبر علاجا للعديد من الحالات فى معظم العواصم العالمية تحت مسمى الطب البديل أو العلاج الطبيعى وتستخدم علاجات الإبر الصينية نفس الخريطة على مراكز الجسم، ولكن الفارق بين الممارستين هو أن الحجامة تحرك الدورة الدموية بخلاف تنبيه مراكز الإحساس التى تحدثها أيضا الإبر الصينية.

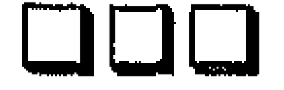
وقد أكد د.أحمد عبد السميع، رئيس قسم الكبد بمستشفى مصر للطيران: «إن الحديد يوجد فى جسم الإنسان على هيئات مختلفة، منها هيئة الجزئيات الحرة وهى تسبب أكسدة للخلايا فتقلل من مناعتها ضد الفيروس لذلك وجد أن المرضى الذين يوجد لديهم نسبه عالية من الحديد فى الدم تكون استجاباتهم للعلاج أقل من غيرهم. وبعد ذلك أثبتت الأبحاث أن إزالة كميات من الدم من هؤلاء المرضى بصفة متكررة يساعد فى تحسن نسب الاستجابة للعلاج، والحجامة هى نوع من أنواع إخراج الدم أو التخلص منه، وهى معروفة منذ القدم وجاء النبى عليه الصلاة والسلام وأقرها، لكن يجب أن تجرى بطريقه طبية آمنة وتكون نظيفة ومعقمة والمطلوب من علمائنا الأفاضل بدلا من الهجوم على الحجامة، عمل دراسة طبية بالمعايير السليمة لإثبات كفاءة هذه الطريقة من عدمها.

«وبالنسبة للمرضى الذين عالجتهم بالحجامة أقول إن عددهم بسيط ولا يقاس عليه لكن النتائج كانت مذهلة فمرضى الكبد الذين يعانون من فيروس C ولديهم نسبه عالية من الحديد وارتفاع فى الإنزيمات.. والذين أجريت لهم عملية الحجامة بطريقه طبية سليمة بصفة متكررة ازدادت استجابتهم للعلاج بعقار الانترفيرون والريبافيرين بعد أن كانت نسبة الاستجابة لديهم

تكاد تكون معدومة، ومن هنا نرى أن الحجامة يمكن بالفعل أن تساعد فى العلاج جنبا إلى جنب مع المستحضرات الطبية، بل إنها فى حد ذاتها علاجا طبيعيا ليست له أية أضرار جانبية وأنا حين كنت فى ألمانيا علمت أنهم يستخدمونها كإحدى وسائل الطب البديل». نشر فى العدد ٢١٨ من مجلة الناس.

وضع الطبيب المصرى أسس معظم العلاجات وطورها البشر فى الشرق والغرب، مما جعل من الحضارة المصرية القديمة حضارة الإنسانية قاطبة التى تدرجت بالمعرفة واستزادت والطريق مازال مطروقا فى معظم المجالات وممهدا لمزيد من التطور ومزيد من المعرفة المستخلصة من الأبحاث لما كان متبعا ولما سوف يكون مستقبلا ولكن الإنسان المصرى أعلن منذ القدم عن محدوديته تجاه بعض المواقف، بالرغم من لجوئه إلى الأعشاب والمستحضرات الطبية المختلفة، إلا أن للأعشاب دورا محددا وهو تخفيف الألم، بينما السحر أيضا قادر على الشفاء، فقد كان الاعتقاد السائد هو وجود قوى خفية قادرة على إحداث المرض، وهى الميكروبات والفيروسات التى لم يذكرها المصرى إلا بمسمى الأرواح الشريرة، فهى بالنسبة للطبيب المصرى طاقة تتغلغل فى الجسم وتحدث المرض ومهمة الطبيب تنحصر فى الوقاية أولا من هذه الطاقات المختلفة، ثم إبعادها بالدواء، وإذا ما استعصى العلاج، يلجأ لما عرف فيما بعد بأنه السحر.

ولكل من الدواء والسحر أهميته فى العلاج كما ورد فى بردية إيبرز: «يعمل السحر مع الدواء كما يعمل الدواء مع السحر» ويتلخص هذا السحر فى الأوراد المختلفة التى تتلى فى مواضع محددة.



الفصل الثانى عشر

التعازيم والأوراد والرقى

ولم تتغــير الأمراض كثيرا منذ أن عرفها الطبيب المصرى القديم، فقد واجه العديد منها وبرع فى وصف الدواء المناسب لها.

وتصنــف الأمراض البشــرية كمجموعات مختلفة طبقا للعوامل والمســببات المرضية، وآليات حــدوث المــرض، فهناك مجموعة الأمراض الوراثية الجينية التى يرثها الإنســان من أحد أبويه أو كليهما، والأمراض الصبغية أى الكروموزومية، والأمراض الميكروبية مثل الإصابة بالفيروسات أو الريكتســيات أو البكتيريا أو الحلزونيات، وغيرها، والأمــراض الطفيلية الناتجة من الإصابة بأحد الطفيليات مثل الديدان، والحشرات، والملاريا، والأميبيا... إلخ

أما الأمراض الناتجة عن تأثير الملوثات البيئية للغذاء والماء والهواء والتربة والأمراض الناتجة من سوء التغذية ونقص العناصر الغذائية فى الجسم كنقص المعادن والفيتامينات فمتعددة، وهناك أمراض التحســس الناتجة من فرط تحســس الجهاز المناعى للأجســام الغريبة الملامسة للجسم، أو الأمراض التى تهاجم الأنسجة عن طريق الهواء أو الغذاء أو الدم، وقد يختل الجهاز المناعى ويكون أجســاما مناعية ذاتية، تذهب لتهاجم خلايا الجسم وتســبب التهابا وتلفا فيها، وينتج عنه مجموعة من الأمراض تعرف بأمراض المناعة الذاتية مثل مرض هاشيموتو، والذئبة الحمراء، وتصلب الجلد، والتهاب العضلات، والجلد... إلخ

والأمــراض التى تنتج من الحوادث والإصابات كالكســور والتمــزق، وقص الأربطة والأوتار، والأمراض التى تنتج من التعرض لعوامل فيزيائية كالحرارة مثل الحروق...

حالات مرضية متنوعة واجه الطبيب معظمها، واستعصى عليه البعض الآخر.

وكمــا ذكــرت البرديــات فــإن اهتمام الطبيــب لم ينصب فقط علــى العلاج بــل كان أيضا رحيما بمرضاه:

«...اذهب للمريض ولا تتركه».

«... تابع المريض ولا تتخلَّ عنه نظرا لإرهاقه».

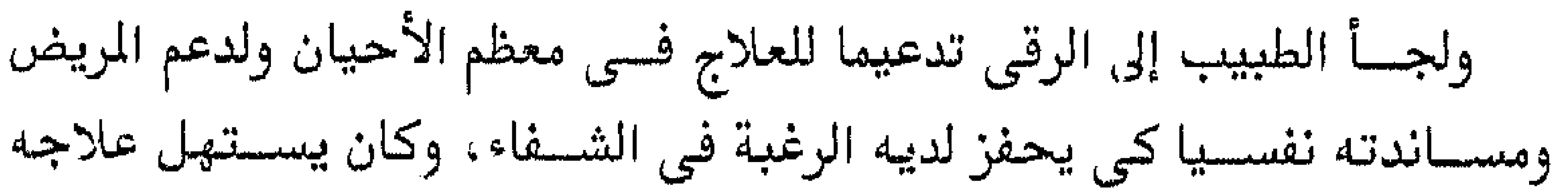
وهــذا مــا كان الكاهن والســاحر المصرى القديــم يحققه من خلال الكلمــات والأفعال، فكما ورد على لســان إيزيس من خلال الأســاطير: «أنا إيزيس مالكة السحر، التى تعمل السحر، المؤثر بالحديث والكلمات».



إيزيس وأختها نفتيس

تعتبر الكلمات ذات أثر فعال على البشر، ويخرج هذا المؤثر من طيات الوعى الداخلى فيشكل الأحداث طبقا للإرادة، وهذا ما حققته إيزيس فى مواجهة رع أى الشمس عندما عقره الثعبان وسرى السم فى جسده طبقا للأسطورة. استمدت إيزيس من رع القدرة ثم تلت عليه الرقية التالية، طبقا للأسطورة: «اخرج أيها اسم الزعاف من جسم رع، أخرجى منه يا عين حورس، وأضيئى من الخارج فمه. أنا إيزيس الساحرة التى تخرج السم من الجسم وتسقطه على الأرض، لقد استخلصت من المعبود الكبير اسمه السرى وسيبقى رع حيًا، أما السم فسيموت، لأنه إذا عاش مات رع».

تعكس هذه الأسطورة الطاقة الحيوية الكامنة فى الشمس والمسؤولة عن استمرارية الوجود. ومنها استمدت إيزيس قدراتها على الشفاء، وهى كناية عن قوة الإرادة للشفاء التى يستمدها البشر من الطاقة الرئيسية، ويترجمها الإنسان فى وعيه ويعكسها من خلال عمله.



ولجأ الطبيب إلى الرقى تدعيما للعلاج فى معظم الأحيان ولدعم المريض ومساندته نفسيا كى يحفز لديه الرغبة فى الشفاء، وكان يستهل علاجه بالتلاوة لما للكلمة من قدرة أكدها من خلال تصوره لعملية الخلق التى تمت بقوة الكلمة وترجمت الإرادة الداخلية للخالق فيستهل علاجه لأى عضو بجسم الإنسان بهذه الكلمات: «لقد خرجت من مدينة عين شمس مع الأقدمين فى المعبد أصحاب الوقاية وحكام الأبدية حقا. لقد خرجت من صا الحجر مع أم الآلهة، لقد وهبونى حمايتهم. لدى وصفات وضعها سيد الكون لطرد الأمراض التى يحدثها معبود أو معبودة أو رجل ميت أو امرأة ميتة... فى رأسى هذا وفى قفايا هذا، وفى كتفى هاتين، وفى لحمى هذا وفى أعضائى هذه ولعقاب رئيسهم المدعى الذى يدخل الفساد فى لحمى والضعف فى أعضائى هذه كشىء يصيب لحمى هذا ورأسى هذا وكتفى وجسمى وأعضائى، أنا أنتمى لرع الذى قال: سأنقذه من أعدائه وسيكون تحوت دليله، تحوت الذى جعل الخط يتكلم، ووضع الكتب ووهب مهارة الشفاء للماهر وللأطباء المرافقين له، أنا محبوب الإله، أنا الذى سيبقيه حيًا».

ولا تحتاج هذه الكلمات لتعليق سوى أنها تؤكد إيمان الإنسان بقدرة الخالق وبعمل الطبيب الذى يستمد علمه من خالقه، وليس هذا بعيدا عن كثير من المفاهيم الحالية.

وتذكر بردية إيبرز، بخلاف الرقية السابقة هذه الرقية التى تتلى قبل شرب الدواء:

«تعالَ أيها العلاج، تعالَ أيها المطارد للأشياء الخبيثة من معدتى هذه، ومن أعضائى هذه «كررها عكسيا، ألا تعلم أن حورس وست أدخلا المعبد الكبير فى عين شمس عندما حدثت

المفاوضات بخصوص خصيتى ســت، وأنه سيشــفى مثل أى إنسان على الأرض، هو يفعل مثل الآلهة هناك». تتلى عند شرب الدواء، عظيمة حقيقة ومؤكدة مرات عديدة».

يمزج الطبيب المعلم العلم بالإيمان كى يؤثر العلاج ايجابيا ويؤتى مفعوله، ولا يلغى أبدا أحدهما الآخر، وبنطق هذه الكلمات التى تنبع من الوعى ينتقل مفعولها للعالم الحسى، فالكلمات هى المعبر بين الوعى والواقع الملموس، وبمزج قوة الإرادة مع الاقتناع المطلق بنجاح المطلب، تكتسب النتائج والمقدرة على العمل، فالكلمات ما هى إلا إحدى الأدوات، على نفس مستوى الدواء للشفاء.



صورة لتمثال استخدمه المصرى القـديـم للـتـبـرك بـه

ومن المعتقدات الشـعبية السـائدة على مر العصور التاريخية لــدى العامة أن شــرب الماء بعد صبه علـى تماثيل توضع لهذا الغرض داخل المعابد له القدرة على الشـفاء من بعض الأمراض، إنــه نوع من التبرك يندرج تحت مســمى المعتقد الشــعبى الذى انتشر ومازال منتشرا لدى البعض، فالعلم يجاوره المعتقد السائد بين فئات محدودة الأفق.

تنتقـل الكلمــات من العقـل الباطن وتترجم بنتائج حسـية ملموســة ترجع فى الواقع لفعل الخالـق، فالكلمات تخلق نوعا من الاســتقرار الداخلى لــدى كل من المريـض والطبيب وتمنح كليهمــا قــوة داخلية فعالة تجدد طاقته وتسـاعده فى الحصول على النتائج المرجوة.

وانطلاقا من هذا المفهوم أجاد الطبيب نسبيا فى علاج بعض الحــالات العصبية التى أطلق علـى بعضها «حمى فى القلب»، أو فى مواضع أخرى «جفاف فى القلب»، أو «انحسار العقل»، أو «ســقوط القلب»، كما وصف بعض الحالات الهيســتيرية التى تصيب النساء نتيجة لآلام فى الرحم أو حالات الاكتئاب مثل الســيدة التى تنام فترات طويلة ولا تقوم عنه، والطرق العلاجية المتبعة لا تختلف كثيرا عن العلاجات الحديثة.

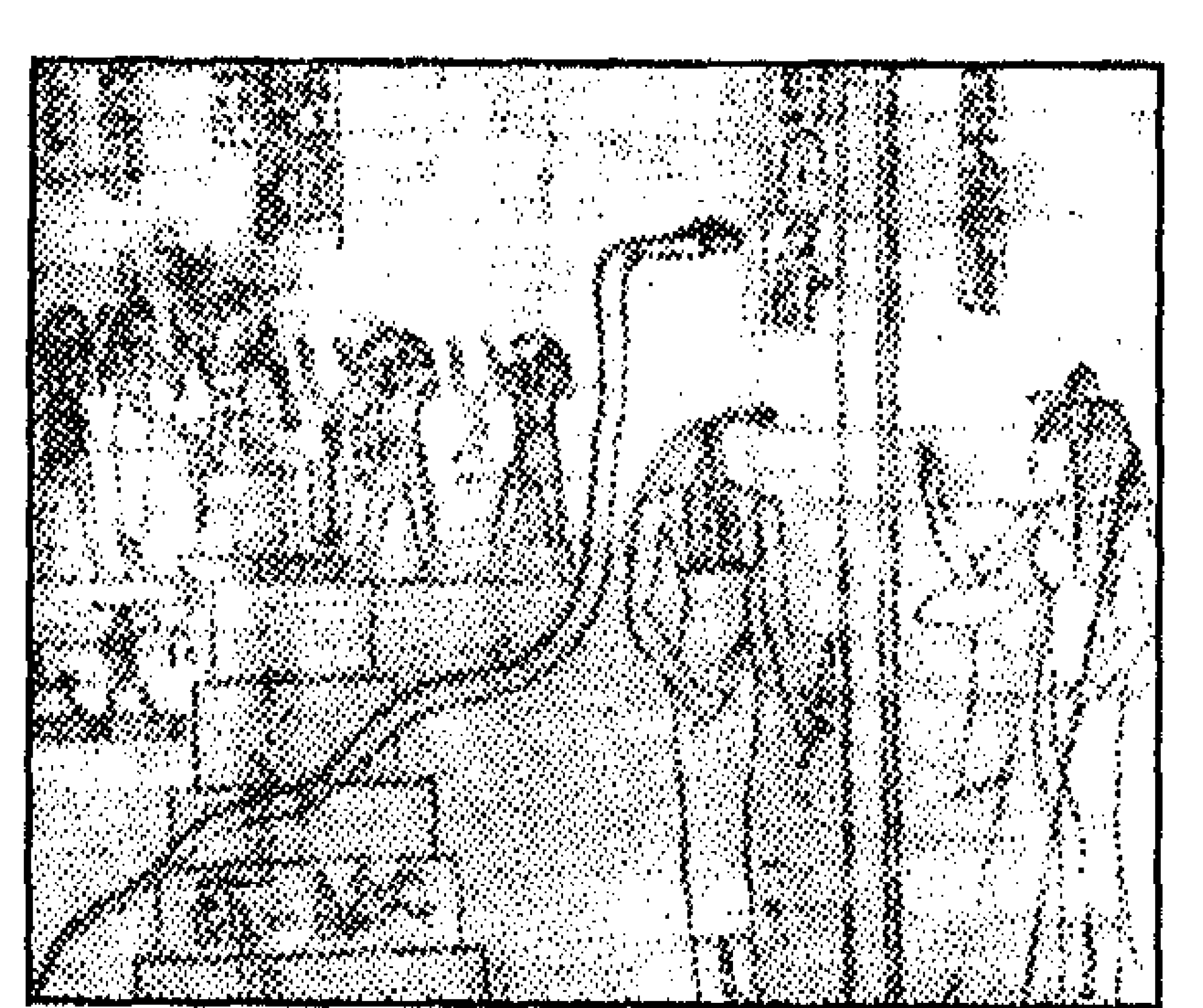
وتصاحب الرقى الدواء والتى يمارسها الطبيب الذى يتلو هذه الكلمات قبل رفع الضمادة:

«لقد فكت إيزيس المفكوك، لقد حررت حورس من الأضرار التى الحقها به أخوه ســت عند قتل والده أوزيريس. يا إيزيس يا كبيرة الســحر، حررينى! أنقذينى من كل ضرر وشــر وخبيث ومــن المحن التى يجلبها إلــه أو آلهة، أو رجل متوفى أو امرأة متوفاة، من عدو يعترضنى ذكرا كان أم أنثى كما فككت وحررت ابنك حورس، لأننى دخلت النار وخرجت من الماء، لن أقع فى شــرك هذا اليوم، ها قد تكلمت وأنا شــاب يا رع نادى صلك! يا أوزيريس نادى من خرج منه! لقد أنقذتنى من كل ردىء وخبيث».

كانــت معلومــات الطبيب العلمية، بالرغم من تقدمه العلاجى، محدودة، إذ إنه يعلل مصدر بعض الأمراض ويفسرها على أنها قوى معادية، فلم يخطىء كثيرا إذا ما استعرضنا نتائج المرض، ولكن جهله بمصادر بعض الأمراض أرجعته للتفسيرات المحدودة التى ذكر بعضها.

ولكن ســلوك المصرى بصفة عامة جعله يضع للمجتمع، من خلال الأســاطير، نماذج يحتذى بســلوكها وتعتبر كمصدر تعليمى للتصرف السليم تجاه المواقف، فكما تولت إيزيس مهمة مداواة رع أو حورس طبقا للأساطير المختلفة، يتولى الطبيب هذه المهمة ويستلهم الحافز من رموزه.

واعتبر المصرى الحكا أو السحر قوى طبيعية قام بتجسيدها فى شكل آدمى وفسر من خلالها معنى الوجود.



تظهر الحكا إلى أقصى اليســار مجســدا فى شكل آدمى يقف خلف أوزيريس بجوار ماعت، بردية محفوظة حاليا فى المتحف البريطانى وترجع لعام ٩٥٠ ق. م، وهــى بردية جنزيــة تخص الأميرة نســيت عا نبت إيشــرو، والماعت هى رمز الحق والحقيقة والعدالة، والحكا تعكس مفهوما حيويا بالنســبة للوجــود. لقد برع المصرى فى تجســيد الـمعانى المطلقة كى يتفهمها العامة من الـناس.

وهنا يبرز تساؤل مهم، وما هو الحكا؟ وخير دليل على معنى الحكا هى هــذه الأوراد التى عثر عليها منقوشــة على غطاء أحد توابيت الدولة الوســطى: «أنا من أوجده الخالق قبــل ظهور الازدواجية فى الوجــود. أنا ابن من أوجــد الوجود...أنا الحامى لكل ما نظمه الخالق... أنا من منح الحياة للتاسوع الإلهــى... لقد جئت لاحتلال مكانتى واحترامى، لأن الكــون كان ملكى قبــل وجودكم أيتها الآلهة. لقد وجدتم بعدى لأننى الحكا أى السحر».

أنا آتوم فى قمة قوته، أنا مقدرة وإمكانيات كل الموجودات، هذه، لقد كنت متوحدا مع آتوم عندما كان وحده يطفــو على النون، المياه الأزلية قبل أن تضيــع قواه فى خلق الكون. حماية ســحرى وهى أقدم وأعظم من كل القوى مجتمعة». كتاب الموتى

إن وجود الحكا قبل الخلق والخليقة يجعل منه «الطاقــة الحيوية المانحة للحياة» التى تولدت لدى الخالق ولازمته قبل الخلق، وبذكره الأسماء وجد الوجود.

وتذكر بردية إيبرز تأكيدا لهذه العقيدة: «يا إيزيس يا عظيمة السحر فكى قيودى، خلصينى من كل سوء وضرر وإثم، ومن نقمة المعبود ونقمة المعبودة، ومن ضرر الميت ومن ضرر الميتة، ومن ضرر العدو أو العدوة الذى يمكن أن يعترضنى».

وكان مطلبــا حيويــا للبعض أن يمتلك المقدرة على إحداث ما هو غير مألوف، فتذكر نصوص المؤمراة التى حدثت ضد رمســيس الثالث: «وعندما طلب بن هوى بن، المشــرف على القطيع،

امنحنى القوة والقدرة، منحه لفافة سحرية خاصة برمسيس الثالث، فبدأ يمارس السلطة السحرية الإلهية على الشعب».

استعمل النص هنا كلمة السحر لبيان السلطة والبطش.

وآمن المصرى، كما ذكر أعلاه، بوجود قوى معادية تحاول أحيانا النيل من الأفراد، لذا ظهر بخلاف الطبيب كل من الكاهن والساحر، ولكن مهمته لا تخضع للمفهوم الحديث للكلمة، بل تتعداها إلى مفهوم راقى الدلالة أحيانا ومخالف لهذا أحيانا أخرى.

والهدف الأسمى كان محاربة الأعراض المرضية، فالمريض طبقا للمفهوم المصرى، كان فى حاجة للحماية من القوى الخفية المعادية، فكان السبيل لهذا هو الدعاء أو الحماية بكلمات توجه للآلهة، أو للرموز التى ابتدعها لتجسد المعانى المختلفة، وهى فى الواقع تعبر عن الإرادة فى الشفاء، وهذه الإرادة بصورة أو بأخرى تؤثر تأثيرا فعالا يقود إلى الشفاء الحقيقى أحيانا، وهنا تكمن قوة الكلمة المؤثرة على الإرادة لكل من الطبيب والمريض.

لذا يكرر الطبيب المعلم فى بردياته هذا التأكيد: «إنها رقية عظيمة حقا، تأكدت مرات عديدة»، ويصاحب الدواء الرقى.

«لقد خف الحمل وذهب الإغماء الذى وضعته الدودة فى بطنى، الشىء الذى خلقه الله ودنسه العدو، ولكن الله يشفى ما أحدثه فى بطنى هذا».

تعكس هذه الحالة وهذه الرقية معرفة الطبيب بسبب المرض، ولكن الإيمان بقدرة الخالق إيمانا فطريا يترجم بهذا الشكر، ويمتزج العالمين معا: العالم المادى والعالم الروحانى ليحدثا معا التوازن أو الماعت. «إذا فحصت إنسانا مصابا بمرض فى فم معدته، وتعتريه آلام فى ذراعه وفى صدره وفى جانب من إقليم معدته، ويقال له مرض واز، فقل إن هذه الحالة نتيجة دخول شىء فى فمه وأنه مهدد بالموت».



بردية حو نفر ترجع للأسرة ١٩ قرن ١٥، غالبا ما عثر عليها فى منف، حيث تمارس طقوس فتح الفم للمتوفى من خلال كلمات وتعاويذ خاصة.

آمن المصرى بأن الموت حق، فقد لمس الطبيب أبعاد المرض، الذى حدده د.حسن كمال باحتمال حالة ذبحة صدرية، وبالرغم من تشخيصه بأن المريض مهدد بالموت، وصف العلاج وتابعه حتى «يتسرب المرض للشرج والمستقيم، ولا أكرر الدواء مطلقا».

ولكن الطبيب علل حالة لم يدرك أبعادها تماما بالآتى:

«إذا فحصت شخصا مصابا بمرض فى فم معدته وبضمور فى جسمه ، وبوقوعه تحت تأثير السحر، وإذا فحصته ولم تجد مرضا فى بطنه ، ولكن حنوت جسمه مثل ببت ، فقل له إن هذا انحلال داخلى».

أما الدواء فهو الهماتيت المصحون مع بذر كتان وحنظل وتغلى فى زيت وعسل ويأكله المريض على أربعة أصبحة إلى أن يروى ظمأه ويتخلص من انحلاله الداخلى.

وصف الطبيب المريض بأنه مصاب بسحر، وتعكس الكلمة هنا معنى أن مصدر المرض غير معلوم أو مفهوم، فهو سحر؟

وترجع شهرة الكهنة فى شؤون السحر نتيجة لتوصلهم لعلوم الكيمياء والطبيعة ، والرياضيات ، واحتفاظهم بشكل حصرى لهذه المعلومات، فكانوا هم فقط من يمارسها.

واحتفظ بهذه المعلومات داخل أسوار المعابد، فاعتبرت معلومات سرية ومدعاة للانبهار من العامة، فعرفت بالسحر وعرف الكاهن الممارس بالساحر، وكان الكهنة فى حالة استنباط مستمرة لتقنيات متعددة يؤدونها بمصاحبة طقوس خاصة تضفى على ما يؤدونه الغموض والرهبة ، مما جعل منهم فى منظور الأغلبية فئة السحرة.



ماسك من الرقائق الذهبية لخع إ م واست

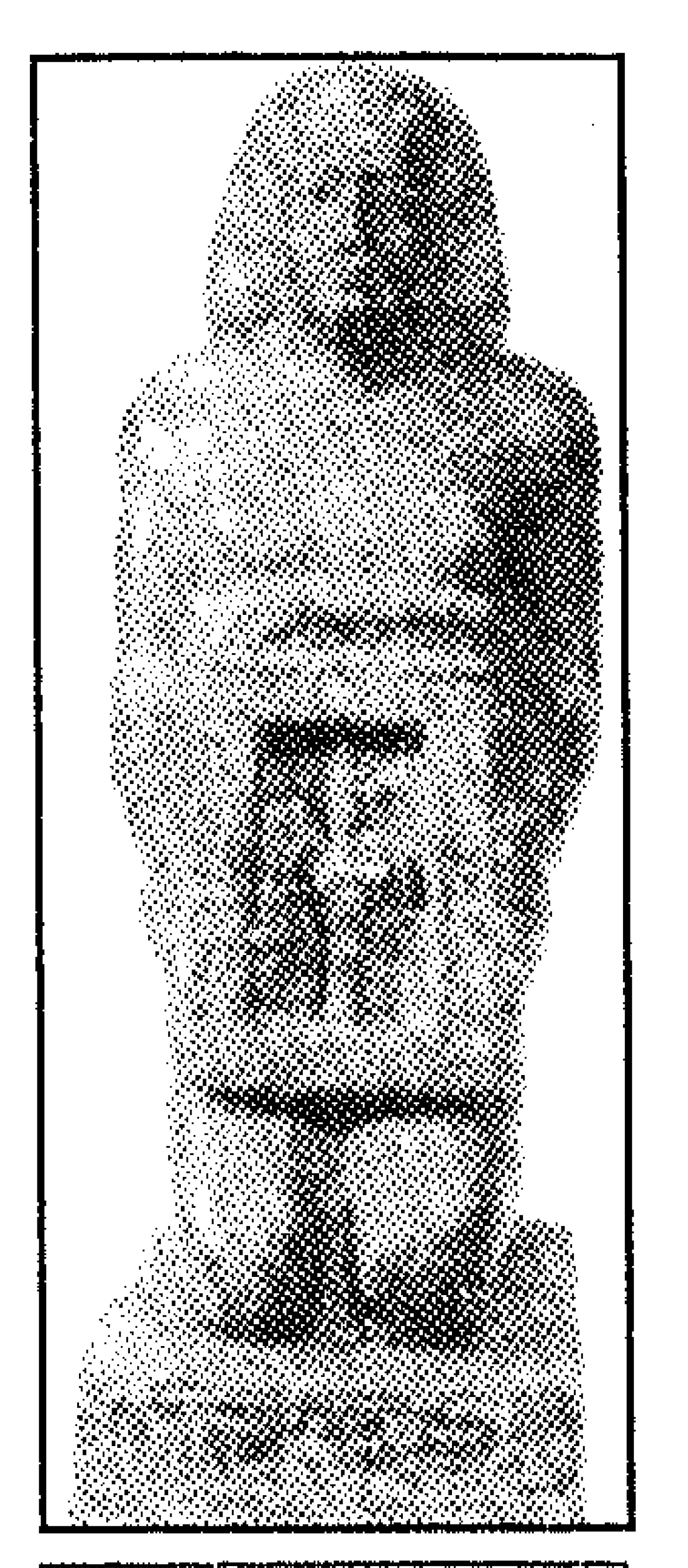
ويعتبر خع إم واست ، كبير كهنة بتاح فى منف ، أول كاهن ساحر وطبيب الذى لجأ إلى التعاويذ والأوراد فى العلاج طبقا للأقاصيص المنسوبة إلى العصر المتأخر.

و خع إم واست هو من أشرف على بناء السيرابيوم فى منطقة سقارة ، وهو ابن رمسيس الثانى وإيزيس نوفرت إحدى زوجاته.

ويحكى عن هذا الأمير، من خلال حدوته مدونة ، ولعه بالسحر الذى دفعه إلى البحث عن كتاب تحوت المتخصص فى هذا المجال، وعلم أنه فى مقبرة نين كا بتاح التى استدل عليه فى منف ووجد الكتاب بالداخل يشع نورا وعندما حاول الإستيلاء عليه هبت روح صاحب المقبرة وزوجته للدفاع عن الكتاب السحرى الخاص بتحوت والذى يمنح حائزه القدرة على سحر السماء والأرض ومعرفة لغة كل الطيور والحيوانات. وتسرد القصة العديد من الأحداث، ولكن يبقى تطلع الإنسان لأبعد مما لديه فيبحث، من خلال السحر، على وسيلة للسيطرة على الأمور. ولم يتغير السلوك البشرى كثيرا.

وذكر بعض التعاويذ للحماية من أهم ما يمارسه الكاهن، فهناك تعاويذ لطرد المرض، وتعاويذ أخرى للحماية من الأعداء، وتعاويذ لتفادى لدغات الحشرات الضارة وخلافه.

إن الساحر أو الكاهن ما هو إلا همزة وصل بين رغبة الآلهة والواقع، وهو نوع من القوة النفسية التى يكتسبها الفرد فى مواجهة القوى الخارجية التى تتعدى قدراته الدفاعية، فالإنسان فى حاجة مستمرة للشعور بالاطمئنان والأمان وهذا ما كان يوفره هذا النوع من العلاج الذى يمارس بصفة عامة داخل بيت الحياة أو بر عنخ الملحق بالمعبد.

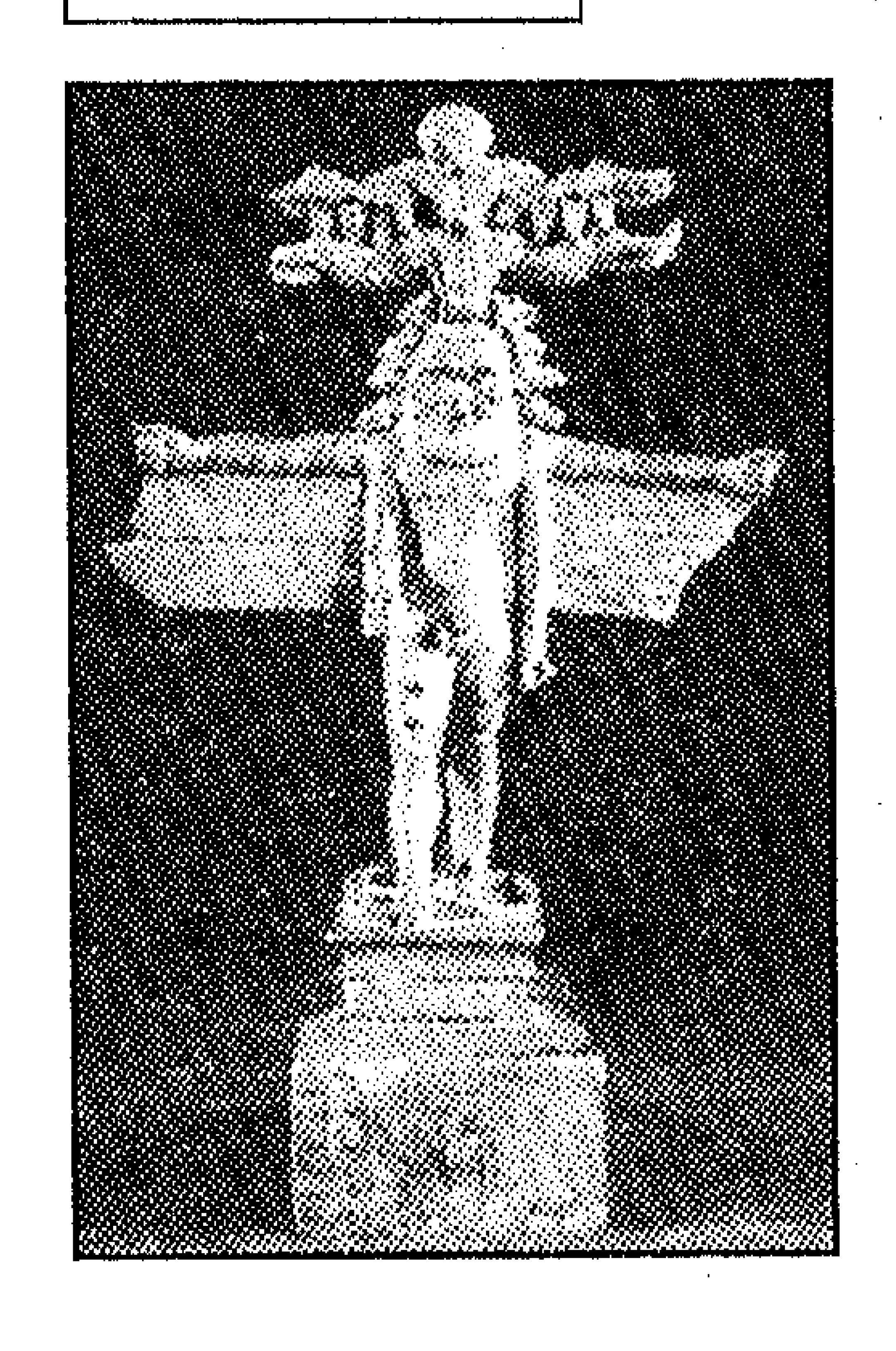


تمثال لأحد الكهنة
يحتضن بيت الحياة

وبر عنخ كما وصفته إحدى البرديات يتكون من فناء فسيح يحتوى على تمثال لأوزريس يتطلع لعلامة الحياة عنخ، ويقف تمثال أوزيريس على تابوت يحرسه من الجهات الأربعة كل من إيزيس، نفتيس، حورس وتحوت.

وقد عثر على بعض البرديات فى طيبة، الأقصر تحتوى على نصوص مدونة تهدف لحماية الأفراد من الأمراض كان يسجلها الكهنة ويطلب من المرضى تعليقها حول الرقبة للحماية، أى الحجاب.

وكانت هذه الممارسات تتم خلال عصور الاضمحلال عندما تعم الفوضى ويشعر الأفراد بعدم الاستقرار كما تعكس كلمات هذا الحجاب:



«نحن نحمى بورجو حور خونس، والدته دجد خونس كاهنتنا، سوف نحافظ على صحة جسدها وعظامها. سوف نفتح فمها حتى تأكل ونفتح فمها حتى تشرب، وسوف نحميها من كل الأرواح الشريرة من الذكور والإناث الذين ينتمون للنهر والقناة والبئر والبحيرة. سوف نحميها من أى مرض فى القلب، أى مرض فى الرئتين، أى مرض فى المرارة، أمراض الرأس، أمراض الجوف... سوف نحميها من الاكتئاب أو أى مرض. سوف نحميها من النجوم الشريرة والنجوم التى تحمل الأمراض..».

يقابل هذا السلوك الذى انتشر خلال العصر اليونانى الرومانى ممارسات الطبيب العملية.

ففى حالة حرجة مثل كتراكت العين أو المياه البيضاء أوصى الطبيب فى بردية إيبرز بهذه الرقية كى «تتلى على ملاكايت مسحوق فى عسل ويصحن مع حب العزيز ويوضع على العين، مفيد حقا». احضر يا ملكيت، احضر يا ملكيت، احضر أيها الأخضر، احضر يا إفراز عين حورس، احضر يا إفراز عين آتوم، احضر أيها الإفراز الخارج من عين أوزوريس، احضر إليه واطرد منه الماء والمادة والدم وضعف الإبصار والعمى والعشى وتقرح

الأجفان والإصابات التى سـببها معبود أو رجل متوفى أو امرأة متوفاة وكل أنواع الالتهاب وكل شيء داخل هاتين العينين».

كان الكاهـن علـى دراية بحقائق الكون وعلـم الخلود، فعرف كيفية نقـل الوعى من العالم الحسى أو المادى لدرجات أعلى بنسبية متدرجة للوصول إلى أعلى مراتب الروحانية.

فالطاقـة الحيويـة المتواجدة فى الكون تمثل له مجموع طاقات تسـير وتـدور فى هذا الكون بسرعات متفاوتة تسمح بتشكيلات مختلفة للمادة أو للمواد الكونية المتفرعة منها، مما أوجد نوعا من التفاعل بين هذه المواد محسوسـا ولكن غير مرئى، تفاعل يحكمه قوانين الطبيعة التى توجد الصلة بين كل ما هو طاقة مادية مشكلة أو طاقة روحية محسوسة وغير ملموسة والتى أطلق عليها المصرى القديم مسمى neteru وهى تعنى المقدس وترجمت خطأ بالإله والآلهة.

ونقل المصرى القديم، من خلال مفاهيمه، العالم المادى الجامد إلى عالم متحرك ينبض بالحياة فالأشـجار، والنبات، والصخور، والشمس والقمر والنجوم طاقات متحركة لها مؤثراتها المتنوعة فى البشر وفى الجسم البشرى. فكل الأشكال الكونية، طبقا لتعاليم تحوت هى تجسيد لخصائص نفس المصدر بأشـكال مختلفة. ولجأ الكاهن للطاقة الكهرومغناطيسـية، مما ترجم خطئا بالسحر وهو فى الواقع كيمياء تتفاعل من خلاله العناصر بدرجات نسبية، وأكثر الطاقات سرعة موجودة ولكن غير مرئية، وتتواجد مع الجسم البشرى عند الولادة وتؤثر هذه الطاقات فى الجسم.

اعتقـد المصرى بأن الجسـم البشـرى يتأثـر بالعالم الخارجى: السـماء والنجوم والأشـكال أى الطاقـات غير المرئية، ويتأثر بالعناصر المكونة للتربة، لذا لزم مداواة الجسـد. مما أكسـب السـحر، أو الشيء غير المعلوم، أشـكالا أبعدته عن مفهومه الرئيسـى، فكثرت الممارسات غير السوية أحيانا تحقيقا للمفهوم الأساسى.

وتتلى هذه الرقية لمنع الحدأة من السـرقة: «يا حورس وقعت سـرقة فى المدينة وفى الحقل، أن عطشـه مركز فى غيط الطيور هو سـوف يطبخ ويؤكل، يتلى هذا على فرع السنط وتوضع عليه خمس كعكات من نوع فكا، هذه هى طريقة منع الحدأة من السرقة».

تفاعل الطبيب مع الطبيعة واستنتج أن الحدأة تبحث عن الطعام، وحفاظا على حقله منحها ما تتطلع إليه حتى يحمى ما له وهو سـلوك اجتماعى مطلوب فى العديد من المجالات، ولكن هذه العملية فى التصرف لم تمنع المصرى من أن يذكر فى بردية لندن:

«كان العثور على هذا الكتاب فى الليل بعد سـقوطه فى فناء معبد خميس كعلم سـرى خاص بهذه المعبودة، على يد الكاهن المقرىء لهذا المعبد. نعم لقد كان الكون فى ظلام دامس وكان القمر ساطعا على كل جانب من هذا الكتاب، أحضر هذا الكتاب كمعجزة لجلالة الملك خوفو».

يلجـأ الإنسـان للقوى الخارقة وينسـب لها أفعاله كى يزيـد من اقتناع العامـة من الناس بما يؤدى، لقد سـيطر الكهنة على الجموع بهذا الإيحاء المسـتمر من أن أصل الأشـياء يرجع

للقوى الخارقة، واحتفظ لنفسه بالكثير ولكن دون فى البرديات المختلفة معظم نتائج فكره وأبحاثه العلمية، كما أورد أيضا تعاويذه والرقى التى يرضى بها ميول البشر وتطلعاتهم الروحانية، ورث الإغريق الذين عايشوا هذه الوثائق فى مدرسة الأسكندرية هذه المعلومات، واعتبروها أسسا لعلمهم تولوا مهمة توضيحها تارة وتطوير محتواها تارة أخرى ثم نشرها فى العالم الأوروبى وهذه رسالة الإنسانية التى بدأت على أرض مصر نظرا لاستقرارها ونظمها الاجتماعية والجغرافية، ثم تناقلها الإغريق مع التطوير، وتناولها العلماء فيما بعد، ومازالت البحوث والتطوير مستمرين فى معظم المجالات.

فمن أورد تعريفا للأعصاب والأوعية كان أراستراتوس الذى نهل من علوم الأجداد فى مدينة الأسكندرية، لقد عالج الطبيب المصرى على المستوى العملى الأعراض والأمراض، وطورها بعد تحديد مفاهيمها وتعريفاتها من خلفوهم مثل هيروفليس الذى أوضح بصورة أشمل العلاقة بين المخ والحبل الشوكى والجهاز العصبى وقام بقياس النبض مع عده الذى بدأه الطبيب المصرى كما أوردنا من خلال البرديات، وأفاض فى شرح العين واتصالها بالمخ عن طريق العصب الذى حدده الطبيب المصرى فقد ذكر أوعية الجسم المختلفة:

«هناك وعاءان فى صدره هما اللذان يسببان حرقة الشرج».

هناك وعاءان فى ثديه هما اللذان يسببان سخونة دبره».

هناك وعاءان بفخذه، وهناك وعاءان فى قفاه، فإذا مرض قفاه وضعف نظر عينيه فقل إن هذا بسبب أوعية قفاه التى تقبلت الأرض».

«هناك وعاءان فى ذراعيه، هناك وعاءان فى مؤخرة رأسه، وعاءان فى جبهته، وعاءان فى عينيه، وعاءان فى حاجبيه، وعاءان فى أنفه، وعاءان فى أذنه اليمنى ووعاءان فى أذنه اليسرى».

«تذهب كل هذه الأوعية إلى القلب وتتفرع فى الأنف وتتلاقى فى دبره ومرض الدبر يخرج منها إنها المواد البرازية التى نحملها».

«إن أوعية الرجلين هى التى تموت أولا».

وذكر الطبيب على المستوى العلمى والروحانى معا هذه الحالة:

«حالة أنفريزما شريانية وريدية anevrysma arteriovenosum، تعاليم خاصة بورم الأوعية بالطبقات الجلدية لأى عضو، ومظهره يكبر لالتفافه كالحية وأوعيته كونت عقدا كالشىء المنفوخ هواء،... لا تضع يدك على مثل هذا الشىء فإن ذلك يضر عضو الإنسان، وهذه هى رقيته الناجعة: اخرج يا وعاء شرتيو، أى الضفيرة الوريدية السطحية Superficial venous plexus، الذى يحدث النبض فى وسط هذه الأعضاء، لأنك متصل باتصالات خونس، إذا فحصت ورم خونس.... اجعلنى أحضر هدايا قربانية إلى رع فى الصباح، تتلى أربع مرات».

ومن الممارسات الشائعة تلك التلاوات على الكيل عند تحضير الدواء: «أيها الكيل الذى أكيل به الدواء، أنت الكيل الذى أكال به حورس فضيلته، كان مقياسا سليما، عاش بصحة وسلامة، سيكال هذا الدواء بهذا الكيل ليطرد جميع الأمراض التى فى هذا الجسم».

وتعتبر هذه الكلمات، بخلاف طلب مباركة الرموز لما يقوم به الطبيب، الدقة فى أداء العمل «هذا المقدار هو الذى أعده حورس، هو الذى كالت به إيزيس وحضرته لابنها حورس لإسهال الجسم وإنزال المرض من الجسم».

خاطب الكهنة جموع الشعب من خلال الأساطير والروايات لتعليمهم بعضا مما توصلوا له من العلم، وبطرق محسوسة وسهلة حاولوا نشر بعض التعاليم السليمة وسط الجموع، فكانت أولى الخطوات نحو التعليم، ولمعرفة الكهنة بالطبيعة البشرية، وبالرهبة الفطرية من المجهول، أوجدوا الرموز المقدسة لدى العقليات التى تحبو نحو الحياة والمعرفة، وأكسبوا هذه الرموز جوا من القدسية من خلال الممارسات الطقسية والأوراد والرقى «رقية تتلى على الزيت عند وضعه فى جميع الأدوية: السلام على عين حورس ورننوتت ورأس حرحوتب، ليظهر رع أمام التاسوع! لتخرج إيزيس ولتمنح الفرح أمام جب! وليقاتل المرض ويحمى المريض من الشبح القاتل، القاتل، القاتل! أنا تحوت هذا والحكيم هذا لعين حورس المناضل لأجل لأبيه أوزيريس أمام نيت صاحبة الحياة...لأننا حفظنا التعازيم..».

وهناك العديد من الرقى المماثلة التى تتلى على العناصر الدوائية مثل العسل والبيرة... إلخ، كى تؤتى مفعولا مرجوا بهدف شفاء عاجل، وهناك نوع آخر من الرقى للأمراض الصعب علاجها طبيا مثل حالات بعض أمراض العين، والصرع، وعمى الليل، ولابعاد الدم، وضد البلهارسيا، ورقية لسحب الدم، ورقية لإبعاد السحر، وضد تقيح الحروق، وأمراض ذكر اسمها ولم يستدل بعد على ترجمة مناسبة لهذا المسمى: حوم كوت، ستا، تنتعمو، سمن...

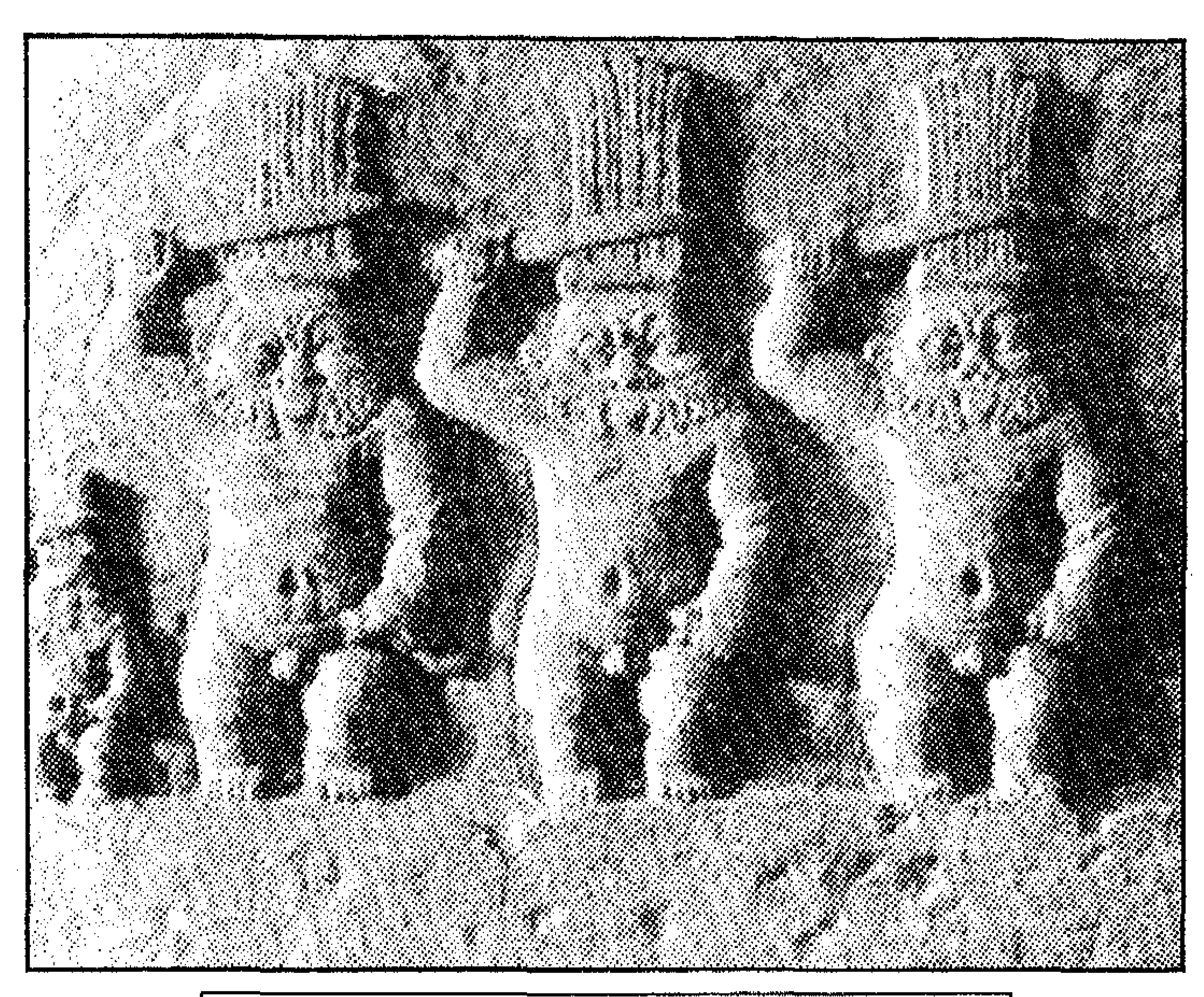
وذكرت معظم هذه الرقى فى بردية لندن التى ترجع إلى الأسرة التاسعة عشرة بعد عهد رمسيس الثانى مع بدايات التخلخل فى المجتمع المصرى.

وللرقى هدف آخر ورد ببردية اليونان المحفوظة حاليا بمتحف لايدن تمارس مع أدوية ووصفات علاجية لجذب قلب الرجل والمرأة، ولجعل المرأة تحب زوجها، ولتحبب المرأة فى معاشرة زوجها ومن أجل هذه الأهداف مارس بعض الكهنة أعمالا متنوعة، ليس فقط بهدف العلاج الطبى، ولكن لمنح وتسهيل المخارج للأمور الحياتية المختلفة.

وخير دليل على ممارسة هذا العمل من قبل الكهنة الصندوق الذى عثر عليه داخل الرامسيوم، ويرجع للدولة الحديثة، ويحتوى على أجزاء من برديات ذات مضمون عقائدى، وبعض التعاويذ وأشكال العرائس التى تستعمل فى السحر، كذلك تمثال صغير لرمز التهجين بس وهو يحمل بعض الثعابين، وصل ملكى من البرونز وخلافه.

وللكاهن الساحر بعض الطقوس لحماية المريض منها تصنيع تماثيل من الشمع، كما ورد فى بردية سولت، يقوم بخزها بالإبر مع ذكر العديد من التعاويذ رغبة منه فى قهر وقتل العدو سواء كان المرض أو عدو حقيقى يضمر شرا.

ولممارسة السحر وجهان أحدهما يهدف إلى تحقيق كل ما هو خير فى الحياة والبعض الآخر امتهنه بعض ضعاف النفوس لتحقيق الأذى وإلحاق البعض به. واستمرت هذه العادات حتى بدايات القرن العشرين لدى العامة بعضهم يسعى للشفاء أو تحسين أوضاعه أو درء أذى الآخرين، والبعض الآخر يسعى للتدمير وإلحاق الأذى، إنها ازدواجية الوجود التى آمن بها المصرى والصراع الأزلى للحياة بين الخير والشر.



بس يحمل السكين رمزا للقضاء على الشر وللحماية

ولكن ما يهم المريض فى المقام الأول هو الحصول على الشفاء، فكانت هذه الأوراد تعمل مع الدواء:

«تعالَ أيها الدواء، تعالَ يا من يقضى على الأشياء فى معدتى، وفى أطرافى».

وقبل المريض من أجل هذا الهدف الممارسات الأخرى التى انتشرت خلال العصور المتعاقبة، فسخمت، كانت تستدعى بالكلمات لمداواة الجروح والأمراض أحيانا، فللكلمة قوة الإرادة.

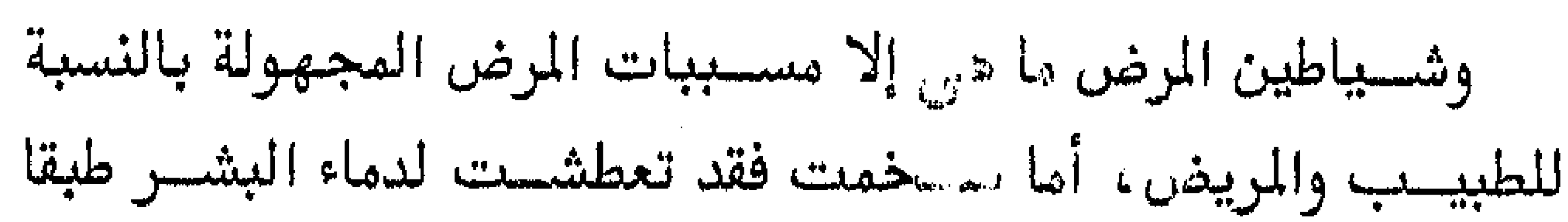
فللوقاية من الوباء تذكر هذه الكلمات: «أنا البغض الخارج من مدينة بوتو يا سخمت الخارجة من مدينة عين شمس! أيها الرجال! أيتها الآلهة! أيتها الأرواح! أيها الموتى ابعدوا عنى أنا البغض».



سخمت

وتتلى الرقية التالية على ريشتي نسر يضعها الشخص على جسمه لحمايته من الأوبئة: «رقية ضد وباء هذا العام إذا ما هب كل ريح سيء: يا حورس يا حورس كن حول كل لحمى طول حياتي على رغم إرادة سخمت».

وهنا يذكر صاحب الرقية الهواء حامل الوباء، مما يعكس معرفة الجميع، وليس الطبيب فقط، بكيفية انتشار الأوبئة. ذكرت في بردية سميث مع رقى أخرى: رقية لطرد الهواء الموبوء ولطرد شيطان المرض والأرواح الشريرة ورسل سخمت: انسحبوا يا شياطين المرض فالهواء سوف لا يصلنى، كل من يمر بى سيمر بى دون أن يضرنى، فأنا حورس الذى يمر بمرض سخمت، أنا حورس سليم رغم إرادة سخمت، أنا الوحيد ابن باسطت سوف لا تميتنى».



وشياطين المرض ما هى إلا مسببات المرض المجهولة بالنسبة للطبيب والمريض، أما سخمت فقد تعطشت لدماء البشر طبقا للأسطورة، كناية عن حدة حرارة الشمس خلال دورتها الصيفية مما تسبب فى وفاة البعض، واعتبرت سخمت مسؤولة عن الأوبئة التى تنتشر بسبب حرارة الجو، ولكن بعقل المصرى الراجح لمس الجانب الإيجابى للحرارة فجعل من سخمت من تعرف أيضا كيف تشفى الأمراض وتحمى الأطباء، لقد جسد المصرى بصفة عامة الفكرة وجعل منها رمزا عرفه الجميع، ولكن كل على قدر استيعابه فسر أبعاد هذا الرمز.

وتؤدى هذه الرقية، المشار إليها أعلاه، خلال الدوران حول المنزل ويحمل قارىء الرقية خلال دورانه قطعة خشب دس.

ووردت فى بردية سميث رقية ضد الحمى الوبائية: «أنا الواحد السليم فى طريق كل من يمر بى، هل أصعق وأنا سليم؟ لقد شاهدت الكارثة الكبرى، أيتها الحمى لا تهاجمينى، فأنا الواحد الذى خرج من الكارثة ابعدى عنى».

تعكس هذه الكلمات الضعف الإنسانى والخوف من المرض ومعاناته، فمن المعروف انتشار بعض الأمراض الوبائية فى مصر القديمة، ومن المسلم به أيضا أن الفطرة إحدى السمات الملازمة للإنسان الذى لا يتغير كثيرا، فالطبيعة البشرية لا يغيرها شيئا.

يتلو قارئ هذه الرقية الكلمات وهو ممسك بزهرة مربوطة مع قطعة من الخشب بشريط من الكتان يمررها على الأشياء ليبعد الوباء ويمنع شياطين المرض عن الغذاء وعن فراش النوم.

«رقية لطهارة كل شيء من الوباء: إن رسلك قد أفنوا يا سخمت، إن شياطين المرض التابعين لك قد تقهقروا يا باسطت، العام يمر على العام بلا أية كارثة، لن يصلنى نفسك. أنا حورس فوق

مرضى سخمت، أنا حورس التابع لك يا سخمت، أنا وحيدك يا بوتو، لن تميتنى لن تميتنى، أنا المرح أنا المهلل. يا ابن باسطت لا تنزل على. يا ساكن سبسبو لا تقربنى، لا تقربنى، أنا الملك وسط ملجئه».

ورقيــة أخــرى يؤديها قارؤها وهو ممســك بزهــرة شمس فى يده: «إن زهــرة شمس فوقى، هــى بعض أتباعك، المرضى يتجنبونى وشــركك المنصوب يتجنبنــى، أنا هارب من بين طيورك يا حورس، أنت معافى على الرغم من سخمت، أنت حول كل لحمى مدى الحياة».

مــن المؤكــد أن المصرى عرف المزايــا العملية لهذه الزهرة وقدرتها علــى منحه مناعة ما ضد المرض، فكل ما ورد من رقى ما هو إلا صراع مع الطبيعة الذى يعتبر القاعدة العلمية الأولى لإيجاد الحلــول العملية فالشــخص يتوجه مــن خلال الكلمات إلى القوى العليــا التى لا يدركها محاولا الســيطرة عليها تفاديا لأذاها، إنها خطوة عملية نحو اكتشــاف ما هو أبعد من إعلانه عن خوفه ورعبه من المرض، يدخل الإنسان فى تفاعل مع كل ما هو غير محسوس ويقوده الخوف الشديد ليطلــب الحمايــة من القوى الروحية الغامضة والمجهولة بالنســبة له، ويــؤدى به هذا التفاعل إلى إيجــاد توازن وحلــول لإعادة نظام الكون ودرء خطر القــوى المعادية، التى هى الأمراض فى هذه الحالة.

فلطرد المرض الآســيوى هذه الرقبة: «من الذى يعرف مثل رع؟ من الذى يعرف مثله؟ الذى يملأ الجسم بالفحم إلى أن يمتلىء. وكما أن ست سحر البحر، فإنه سوف يسحرك، أيها المرض الآسيوى لا تدخل. لا تدخل جسم فلان ابن فلان.

«وتتلى هذه الرقية أربع مرات على زيت طازج وعلى خبز القدح، سوف تطرده بذلك، ويعمل حجاب من شنتوت» بردية هيرست.

ويتحــدث المريض لمحدث المرض فــى حالة إصابته بمرض مشــبنت: «اخرج أيها الدخيل بــلا رجعة، أيها المهاجم لى دون أن تكون يداك على، ابعد عنى راجعا. أنا حورس، ابعد عنى فأنا ابن أوزيريس، ان ســحر والدتى يحمى جســمى فلا ضرر يدخل جسمى ولا مشبنت يدخل جسمى. ابعد عنى، تكرر سبع مرات».

تتلى هذه الرقية على نبات زعتر بعد طبخه وصحنه. بردية هيرست.

وعند وضع الأدوية على كل أعضاء الجسم، حقيقة ناجعة: «أنا خرجت من مدينة صا الحجر مــع أم الآلهــة وهم منحونى حمايتهم. أنا دعوت الرب الكلى ليزيل التأثير الآتى من... الموجود برأسى وفى ذراعى هذه، وفى أعضائى هذه، وفى أجزاء جسمى هذه لأعاقب رئيس الذين أدخلوا المرض فى أعضائى هذه. حينئذ قال رع أنا أحميك من أعدائه فهو مثل تحوت الذى صنع الكلام المكتوب وألف كتابا يهب العلم للعلماء والحكماء أتباعه ليعملوا به، فالشخص المحبوب عند ربه يحظى بالحياة، وأنا أحد المحبوبين عند الله ولذلك سينعمنى بالحياة».

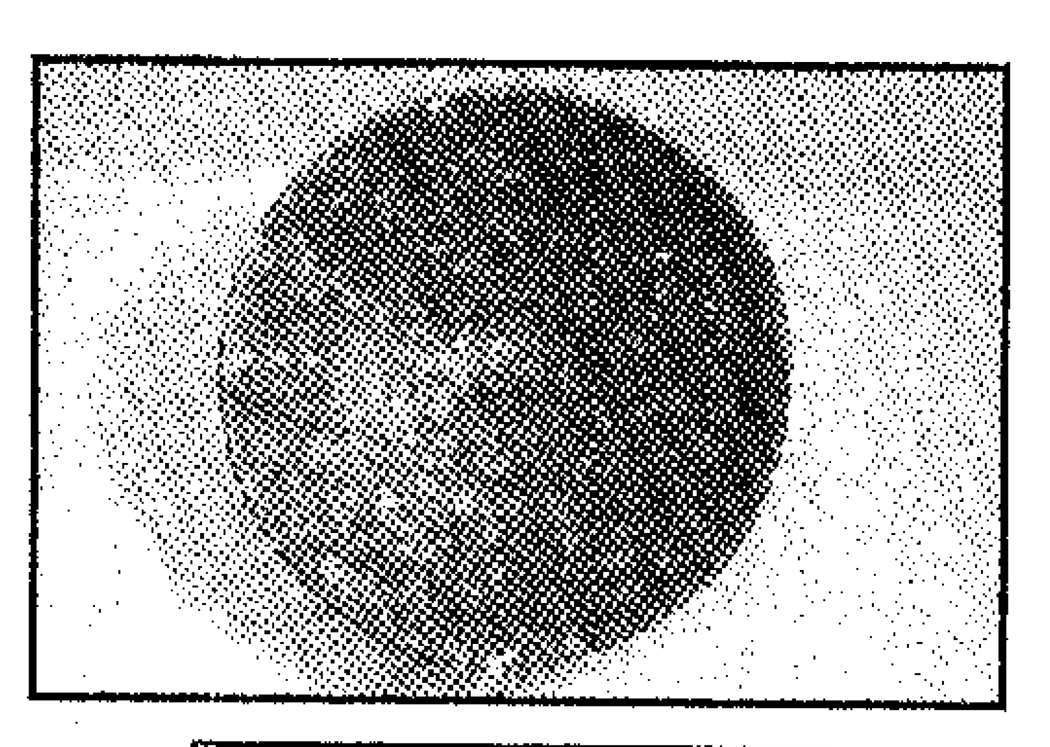
ولاعتقـاد البعض فى تأثير الموتى وقدرتهـم على إلحاق الأذى بالأحياء، وانطلاقا من المفهوم المصـرى بأن الموت امتـداد للحياة، لوجود حياة للروح بعد الموت، كان من الطبيعى أن ترسـل خطابـات لبعض الأقارب مـن الأموات لمطالبتهم بوقف الأذى الواقـع عليهم من أفراد آخرين، وهذا نوع من التواصل بين الحياة والموت الذى ترجمه المصرى بتقديمه للقرابين فى المعابد لروح الموتى كى يتسنى لها الحياة فى البرزخ.

ومن الخطابات المرسـلة للموتى هذه الرسـالة المرسـلة من زوج إلى زوجته المتوفاه، الأسـرة الحادية عشـرة، وهو مكتوب على إناء من الفخار أحمر اللون بالخط الهيراطيقى: «لقد حضرت إلى قـبرك هذا ولم تكن عنـدك ضغينة ضدى. فإن كانت جروحى هذه حدثت وأنت عليمة بها، فالمنزل وأولادك فى شقاء، وإن كان ما حدث رغما عنك فوالدك رجل عظيم فى قبره.

وإن كان فى نفسـك ضغينة ضدى فإنسـيها رأفة بـأولادك... ارحمينى...إرحمينى ترحمك آلهة (تاودد)».

ويعكس هذا التصرف حالات نفسية لها دلالتها مما يستلزم تدخلا ما كان يؤديه عامة، ليس السونو أو الطبيب ولا كهنة سخمت، بل الطبيب الروحانى أو الكاهن.

ويؤكـد الطبيب نب آمون هذا عندما اسـتدعته زوجة لعلاج زوجهـا، وكانت هذه الفئة من الأطبـاء الروحانيين تحمل سـلة تحتوى على بعـض العقاقير اللازمة للرقى، والطين لتشـكيل التماثيـل الصغيرة والشـمع أيضا، وبعض النباتـات الجافة والرطبة طبقا للحاجة ومداد أسـود وآخر أحمر وبعض الأقمشة.



يحفـظ هـذا الإنـاء فى متـحف بتـرى، لـندن

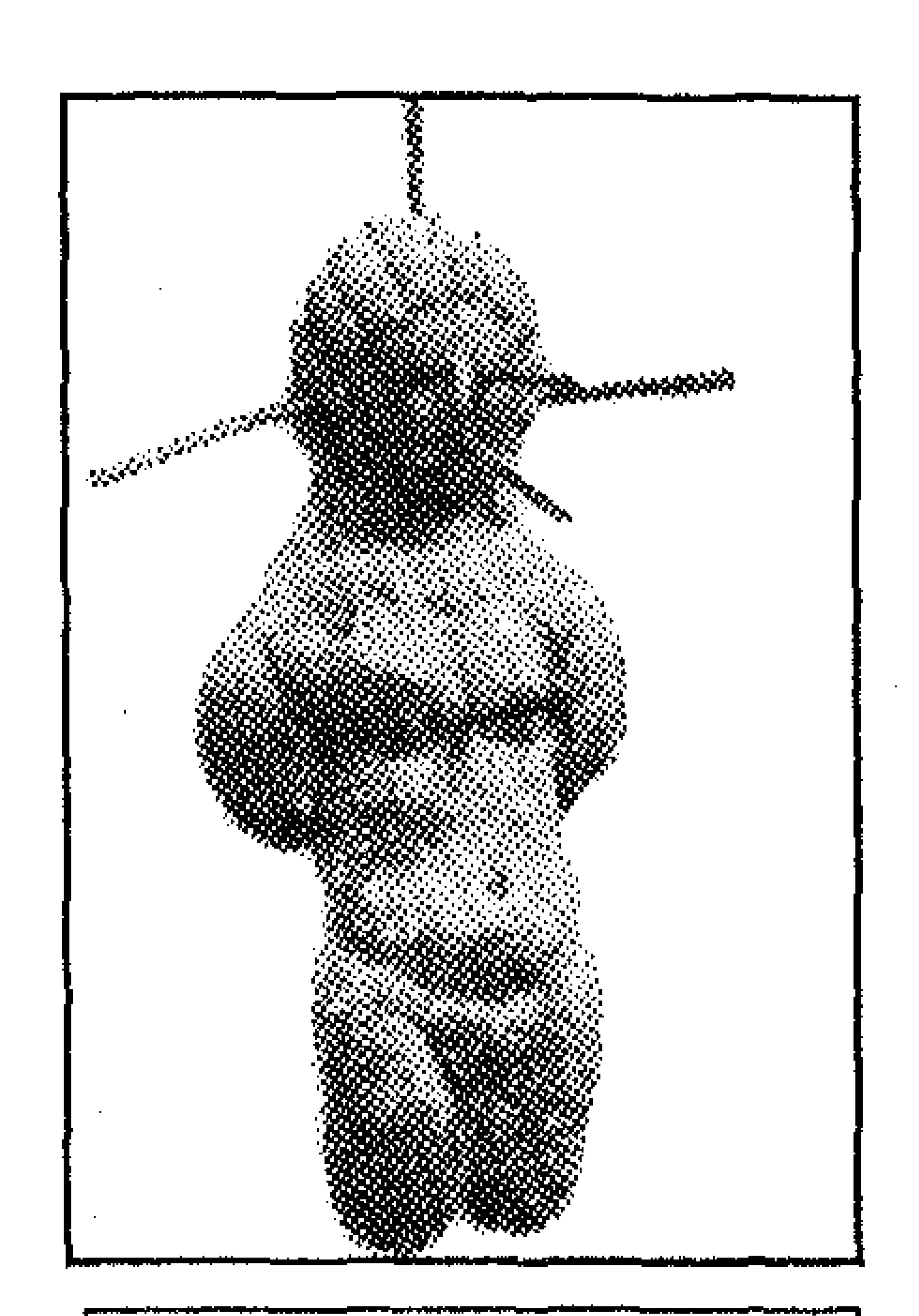
ويرجع الخطاب التـالى، الذى دون بالخط الهيراطيقى، للأسـرة السادسة، وقد عثر عليه داخل إناء من الفخار أحمر اللون خلـف رأس المتوفى، وهذا الخطاب منقوش على ظهر الإنـاء ويحفظ حاليا فى University college London، وهو موجه من ابن لوالدته: «من شبسـى يخاطب والدته آى. هذه تذكرة شـفوية بحقيقة ما قلـت لابنك: احضر لى سمانا آكله، وقد أحضر لك الابن سبع سمانات أكلتها. هل يرضيكِ أن يصيبنى أذى وأنت موجودة. الأطفال خاصمونى وأنا ابنك أصب لك ماء الطهور. احكمى بينى وبين سبك حوتب، لقد نقلته لهذه الجبانة كى يكون بين ملاك قبره وجهزت له الكفن فلم يقوم ضدى ولم أفعل له مكروها. والظلم لا ترضاه الآلهة».

وقـد عثر على خمسـة عشـر خطابا موجهـين للموتى مـن أقربائهم الأحياء خـلال الدولة القديمـة حتى أواخر الدولـة الحديثة، مما يعكس إيمان المصرى القديم القوى باسـتمرار الحياة بعد الموت.

ويشـــير خطاب آخر، موجه من الابن إلى والده: «إن ابنك سبك حتـــب جلب على كل هذا الظلم، مـــع أنك قلت فى دنياك أن كل أملاكك تؤول من بعدى إلى ابنى شبسى. اسمع لقد اغتصب حنو ابن شـــير أرضى الزراعية.اسمع إنه معك الآن فى جبانة واحدة حاسبه قضائيا، أن كتبة المحاكم فى الجبانة التى أنت مدفون فيها».

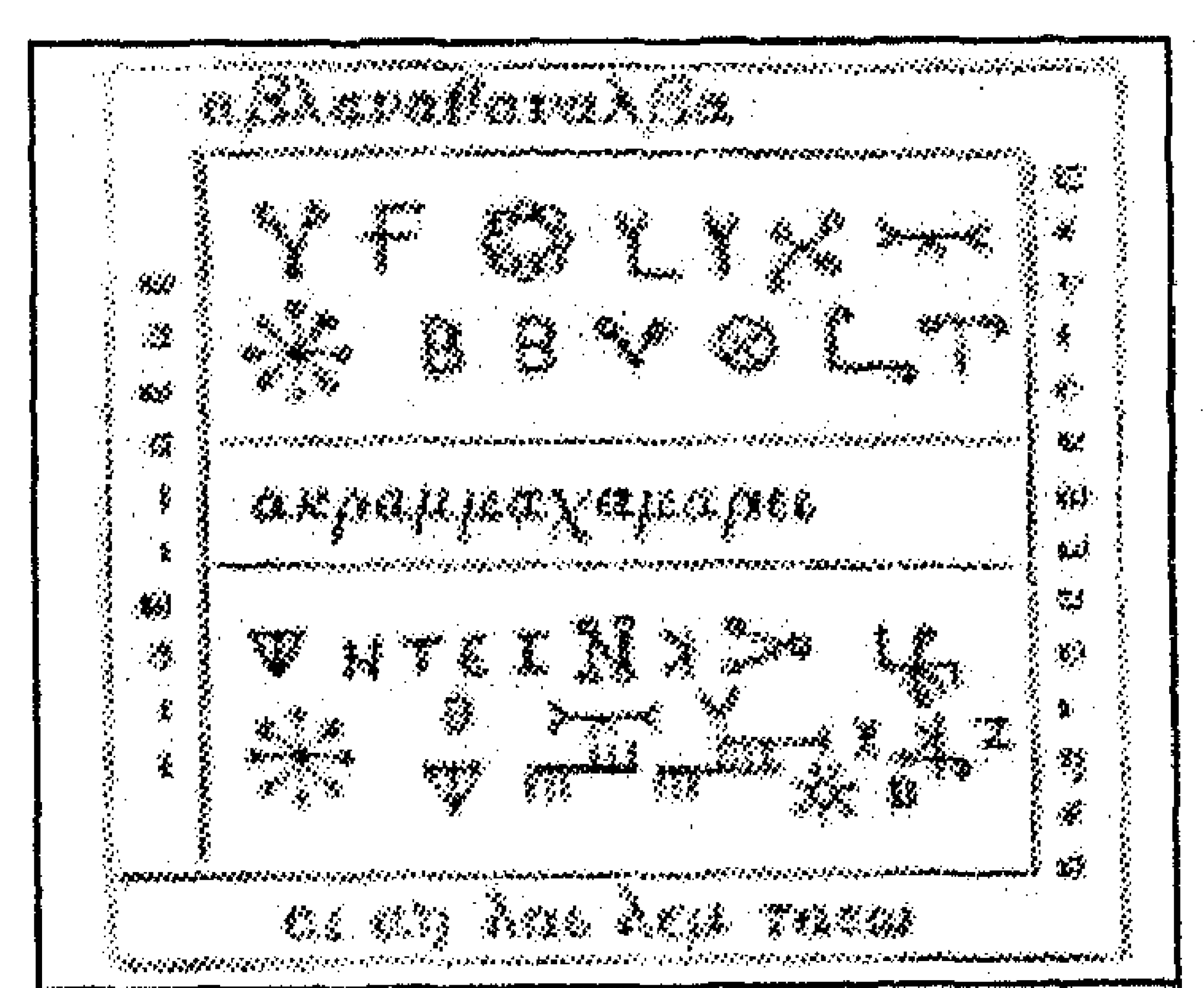
أما هذا الخطاب، فيرجع إلى الأسرة الثانية عشرة، وهو خاص بخادمة الأســرة المريضة، وتعاتب الزوجـــة زوجها المتوفى: «من ديـــدى إلى الكاهن انتـــف ابن أو نخت بخصـــوص الخادمة اميو المريضـــة. أنـــت لا تدافع عنها ليلا ونهارا ضـــد روح أى رجل أو امرأة تسبب لها الضرر.

ولأى سبب ترغب أن يهمل منزلك هكذا؟ اسع من أجلها من جديد حتى تســـتتب أمور المنزل ويتيســـر صب الماء الطهور لك، إذا لم تقدم هذه المساعدة، فإن منزلك سيتحطم». ألا تعلم أن هذه الخادمة تقوم بخدمة منزلـك؟ اسمع من أجلها، راعها، خلصها من روح أى رجل أو امرأة تقصد إيذاءها حتى تستتب أمور منزلك وأمور أطفالك. اللهم اجعله يسمع».



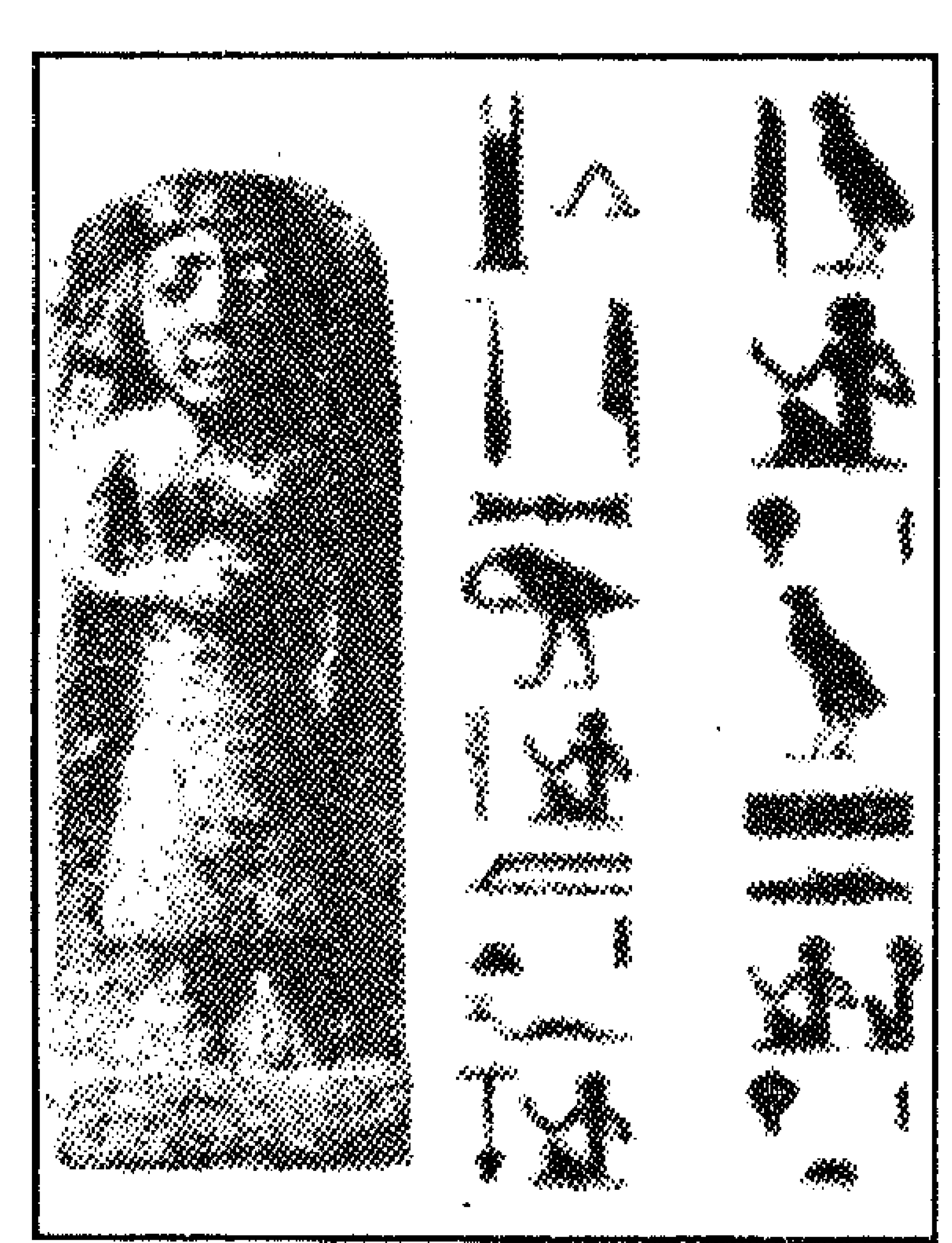
نمـــوذج مـــن التيراكوتـــا يخز بالدبابيـــس مع ذكـــر الأوراد والتعاويـــذ لقهر العدو ســـواء كان مرضا أم شخصا يضمر سوءا أو غـــيره من القـــوى المعادية

إن البشـــر مازالوا يمارســـون نفس هذه العادات، فنجد أن أهل المتوفى، وخاصة فى الغرب يقفون أمام القبر ويوجهون حديثهم إلى أقاربهم المتوفين يشكون همومهم أو يعتذرون عما بدر منهم من سوء خلال حياتهم.



تعويذة ترجع إلى العصر اليونانى، قرن ٤ أو ٥ ميلادى لها القدرة على التغلب على من يمكر ســـواء كان عدوا أم مرضا

ولم تنتقل المعلومات والممارسات الطبية فقط للعصر اليونانى الرومانى، بل تعدتها إلى الممارسات الخاصة بما اصطلح على تسميته بالسحر وهو فى الواقع تسخير قوى وقدرات الطبيعة لهدف سامى وهو درء الخطر عن الإنسان، هذا الخطر القادم من العناصر الطبيعية المعادية أيا كان كنه هذا العنصر أو طبيعته فللكلمة والإرادة القدرة على قهره.



الكلمات التى تصاحب هذا التمثال الصغير، ٨ سم، والذى يرجع للعصر اليونانى الرومانى تستعطف القوى العليا كى تجعل شخصا محددا يتيم بحبها، نشرت فى BIFAO، un charme d'amour Egyptien d'époque Gréco Romaine.

تعددت هذه الممارسات خلال العصر اليونانى الرومانى نقلا عما كان يحدث فى مصر خلال العصور المختلفة، فهناك خطاب يرجع إلى الأسرة التاسعة عشرة دون على ورقة بردى من قبل زوج فقد زوجته وكتب هذا الخطاب بعد وفاتها بثلاث سنوات: «إلى روح عنخ رع المجيدة. أى سوء عملته لك حتى أصبح فى هذه الحالة السيئة، ماذا فعلت لك؟ لقد وضعت يديك على مع أننى لم أسبب لك أذى.

منذ زواجنا إلى يومنا هذا، ماذا فعلته لك حتى أخفيه عنك؟ أخبرينى ماذا فعلت؟ كل ما فعلته أنت هو أنك أجبرتينى أن أقدم هذا الإتهام ضدك، ماذا فعلت لك؟ سوف أشكوكى بكلمات صادرة من فمى أمام آلهة الآخرة وحينئذ سوف يحكم بينى وبينك فيما هو مكتوب فيها.

لقد تزوجتك فى شبابى، وكنت رفيقك طيلة قيامى بأعمال وظائفى، لازمتك دائما ولم أهجرك، لم أسمح لحزن أن يصل إلى قلبك. فعلت كل هذا فى شبابى عندما شغلت المناصب الرئيسية بالسراى دون أن أهملك. كنت دائما أقول كانت دائما معى، هكذا كنت أقول كان كل إنسان يأتينى أمامك أمتنع عن مقابلته قائلا سوف لا أعمل إلا ما يتمشى مع رغبتك، والآن أنت لا تسمحين لقلبى بالراحة. سأحتكم إلى القضاء المقدس وحينئذ يظهر الحق من الباطل. إلا فاسمعى، عندما كنت أعلم الضباط الفروسية وفن الحرب فى جيش ملك مصر، كنت أجعلهم يرتمون على بطونهم احتراما لك. لقد أحضرت كل طبيب لك ولم أخف عنك شيئا فى حياتك. لم أسبب لك ألما فى أفعالى، عاملتك معاملة الرجل النبيل لزوجته. لم أهملك كما يفعل الفلاح عندما يدخل منزلا آخر، لم أسمح لرجل بأن يلحق بك أذى فى كل أفعالى نحوك. وعندما عينونى فى وظيفتى الحالية، لم أستطع السفر إلى الخارج كما اقتضاه واجبى، كنت أحضر لأفعل لك كل ما هو مطلوب من شخص مثلى فى منزله. لقد قدمت لك كل

أدهنة التجميل وكل ما احتجت إليه، ملابسك أحضرتها لك، لم أضعها فى مكان لا يليق بك قائلا السيدة هناك، هكذا قلت، لم أهملك، وهناك أمور أخرى فعلتها لك ولم تعرفيها.

هأنذا أرسل لك لأخبرك بما أنت تفعلينه لى. لما مرضتى أحضرت لك كبير الأطباء ليعالجك. فعلت كل شىء طلبته منه، وذلك عندما كنت تقولين له افعل كذا.

وعندما صحبت الفرعون فى رحلته للسودان، وكنت مريضة، مكثت معك ثمانية أشهر لا آكل ولا أشرب كما يأكل الرجال... ثم طلبت الإذن من فرعون فسمح لى بالعودة من حيث كنت. بكيت بكاءا مرا أنا وأهلى أمام الحى الذى كنت فيه، أحضرت كفنك من الكتان، وأحضرت ملابس كثيرة لك، لم أقصر فى أى شىء طيب نحوك. والآن اسمعى مضت على ثلاث سنوات وأنا وحيد لم أدخل بيتا، مع أن هذا لا يجدر بمثلى أن يفعله. اسمعى فعلت هذا من أجلك اسمعى أيضا أنت لا تعرفين الجيد من الردىء، سوف يكون حساب بينى وبينك، اسمعى إن الأخوات فى المنزل لم أتصل بواحدة منهن».

يعكس هذا الخطاب بعض الجوانب الاجتماعية والسلوكيات التى لم تتغير كثيرا فى المجتمع المصرى. لقد وصف الفلاح بتعدد زيجاته وبرز من خطابه الطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها والسلوكيات الحميدة التى يتمتع بها الزوج نحو زوجته، واللجؤ للطبيب عند المرض. لم يتغير المجتمع كثيرا، فالموظف يسخر مرؤوسيه ويتبع تعليمات رئيسه فى العمل.

وقد عايش المجتمع سلوكا آخر، بخلاف الخطابات للموتى، يعتبر علاجا نفسيا فى معظم الأحيان، فقد اعتاد البعض النوم فى فناء المعبد حتى يحلم أحلاما تفسر عن طريق الكاهن طبقا لمعايير مدونة فى كتاب خاص بتفسير الأحلام وهو ما يعرف حاليا بـ Psychotherapy، وقد اعتاد من يرغب فى تفسير أحلامه طلب تفسير فئة عرفت بمسمى حر شستا أى كاتم السر.

ومن أشهر الأحلام ما نقش على لوحة الحلم التى تسرد حلم تحتمس الرابع والمتواجدة حاليا بين أرجل أبو الهول.

«عندما كان صاحب الجلالة لا يزال فى سن الصبا مثل الطفل حورس فى خميس، كان جماله منذ ذلك الحين مماثلا لجمال أبيه... إن الجيش والأبناء الملكيين والأشراف جميعا مغتبطون لما يكنون من حب سوف يفيض قوة عندما يجدد مداره، لأن قوته سوف تشبه قوة ابن نوت.

«إنه يمضى وقته فى الترفيه عن نفسه فوق ربوة منف الصحراوية وعلى دروبها الجنوبية والشمالية، فيصوب نحو الهدف سهاما نحاسية، ويخرج لصيد الأسود وحيوانات الصحراء، أو يتجول بعربته ذات الجياد الأسرع من الريح يتبعه رجلان دون أن يعرفه أحد. وعندما تحين ساعة الراحة يتوقف عند حورس فى الأفق، أى أبو الهول، أو بالقرب من سوكر فى رو ستاو، أو بالقرب من رننوتت التى ترمز للحبوب ام تاو رنيت، فى أعلى النهر، أو بالقرب من موت، سيدة الجدار الشمالى والجدار الجنوبى، أو من سخمت التى تشرف على شؤون خاس ومن

ســت وحكاو، أو بالقــرب من مكان المرة الأولى البهى بجوار خير عحــا، وهو طريق الآلهة فى اتجاه الأفق الغربى لمدينة هليوبوليس.

«وصوب تمثال خبرى، أى أبو الهول، فائق الضخامة والذى يقبع فى هذا المكان، ذو القيمة الهائلة والمكانة المقدســة والذى يقع عليه ظل رع، تتجه معابد منف نحوه، وســواعدها محملة بالقرابيب الفاخرة من أجل الكا، أى روحه، ويكثرون من التسبيح والتهليل.

«وحــدث ذات يوم، بينما كان الابن الملكى تحتمس فى نزهة ســاعة الظهيرة، أن اســتراح فــى ظــل هذا الرمز العظيم، فأخذته ســنة من النوم بينما كانت الشــمس فى سمتها. فلاحظ أن أبــا الهول، يتحدث إليه بملء فمه، مثلما يحــدث الأب ابنه قائلا: انظر إلىّ، تأملنى يا ولدى تحتمــس، أنــا أبوك حــورس فى الأفق، خبرى، رع، آتوم، ســوف أمنحــك ملك الأرض على الأحياء، وتلبس التاج الأبيض والتاج الأحمر على عرش جب، أى الأرض، وستكون لك الأرض بطولهــا وعرضها وكل ما تضيئه العين المتألقة لســيد الكون. مــا يقدمه الطين من طعام فهو لك، ولــك أيضا أهم أنــواع الجزية التى تقدمها كل البلدان الأجنبية وحياة مديدة طويلة الســنوات. وجهــى يتجه نحوك، وقلبى يتجه إليك. أنــت لى الحارس والدليل أنت الذى يبقى فى الدائرة الخاصــة باختيــار أعضائى. هاك الآن رمال الصحراء تعذبنى، هذه الرمال التى كنت أرقد فوقها من قبل. أســرع نحوى حتى تســتطيع إنجاز كل ما أبتغيه. إنى أعرف أنك ابنى، فأنت ابنى وحارسى، اقترب منى، أنظر. ها أنذا معك وسأكون مرشدا لك».

«عندما فرغ أبو الهول من كلامه، استيقظ الابن الملكى. وفهم آنذاك هذا الحلم... وحفظ كلام أبى الهول. ووضع الصمت فى قلبه قائلا: هيا فلنســرع إلى قصرنا بالمدينة لإعداد القرابين التى ســنأتى بها لهذا الإله: ماشية وخضراوات ونباتات غضة من مختلف الأنواع. وسوف نثنى على الذين كانوا يعيشون من قبلنا ونهلل لهم».

وكما اســتغل الكهنة قوة الكلمة لتحفيز الرغبة فى الشــفاء لدى المريض، لجأ البعض لنفس المفهوم لتحقيق الولاء والرضا عن السلوك، فاللجوء للقوى العليا يمحى القلق والخوف ويزرع فى النفوس الرغبة فى الشفاء من ناحية وفى الإستقرار والقبول بما يمنح أو يقدم من ناحية أخرى.

فطبقا للعقيدة المصرية القديمة أوجد الخالق الوجود بالكلمة التى استشــعرها فى قلبه ونطقها لسانه، ويعتقد الكثيرون من سكان الهند فى المانترا بقدرة الكلمات وتأثيرها على النفس.

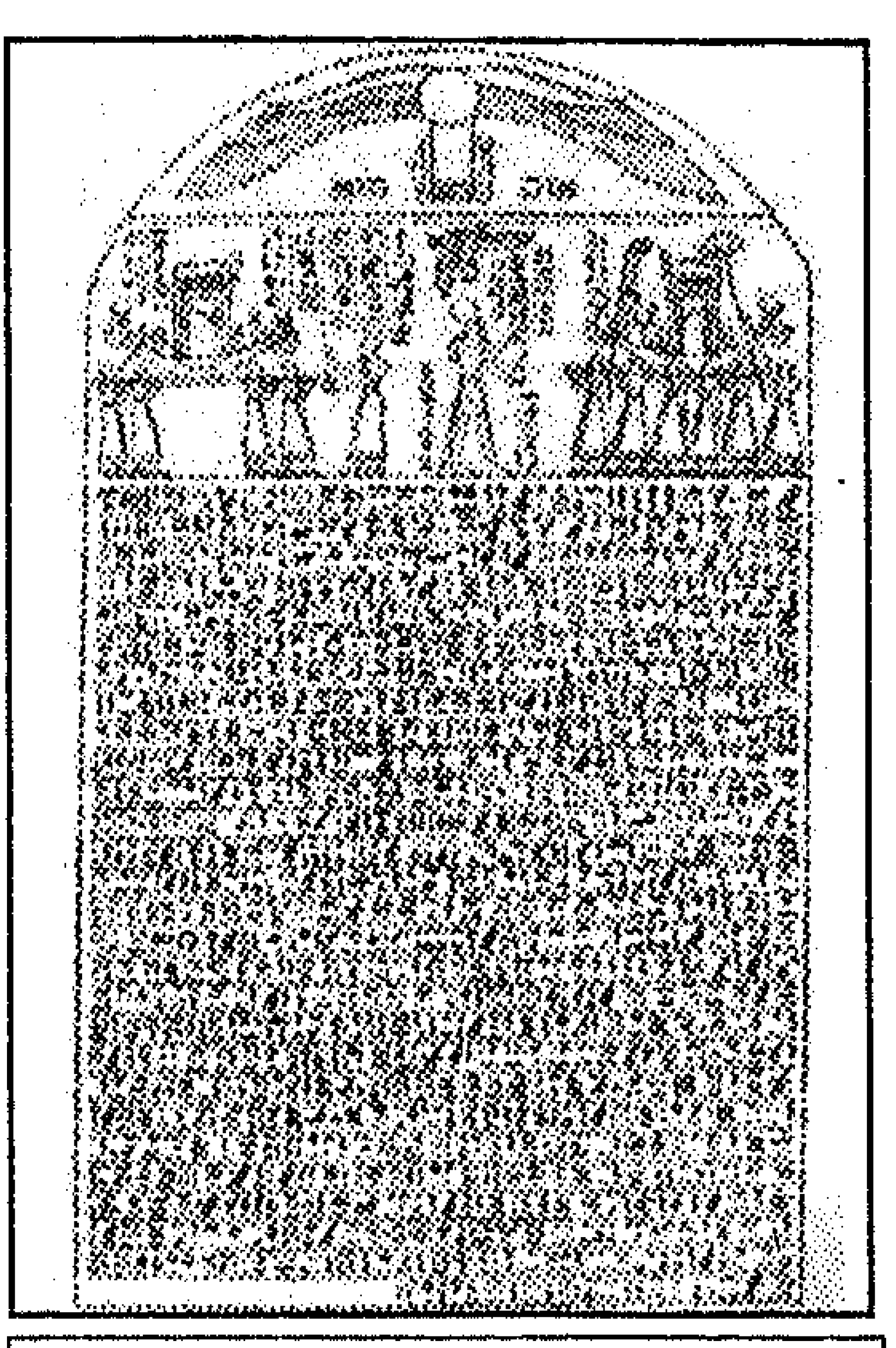
كمــا تحتوى العديد من نصــوص الهندوس وأهل التبت بالكلمــات والإيحاءات التى تهدف للنجاح والشفاء ونشر السلام وتفادى الحروب.

وامتد سلاح الكلمة للمايا فى أمريكا الجنوبية طلبا لحماية الآلهة والقضاء على الأمراض، ولم يختلف الأفارقة عن ســواهم الذين أوجدوا من خلال قوة الكلمة القدرة على الشــفاء من الأمراض وإيجاد نوع من الطب الخاص الذى يمكن من يمارس هذه الكلمات من العلاج الناجح.

وطبقا لبعض الأساطير المسيحية، فإن المسيح أوجد نوعا من الكلمات المناهضة للصحة، كلمات تناقض العقل ولكنها صحيحة تمكن بها من إحياء الموتى وشفاء المرضى وإحداث المعجزات.

آمن كل من ذكر سالفا بسر كامن وراء الكلمات تمنحهم هذه القدرة والعلم الحالى هو الكفيل بتحديد ما ارتآه الأقدمون.

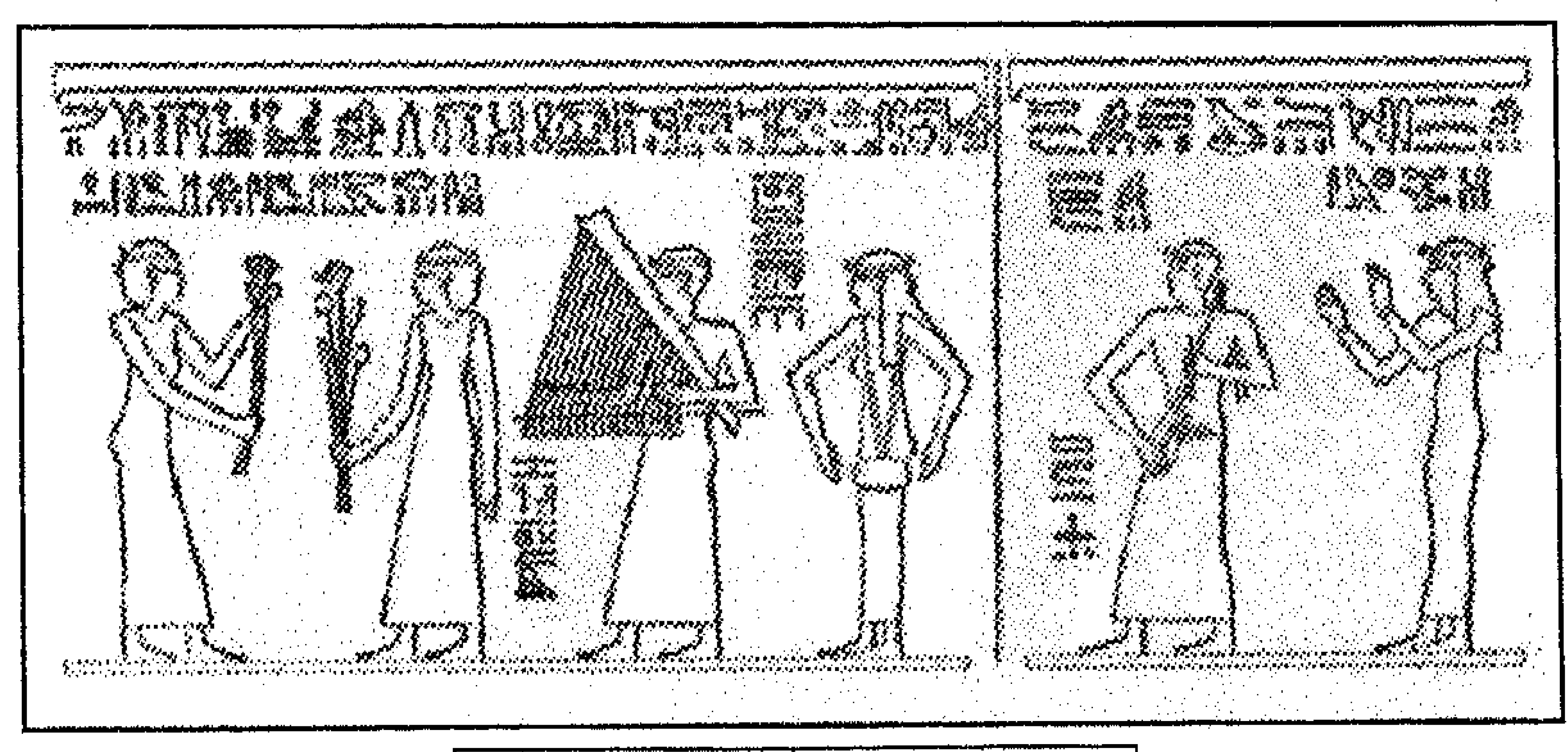
ويسجل لنا التاريخ براعة الطبيب المصرى التى توالت على مر العصور التاريخية، وهذا التسجيل مدون على لوحة جنزية فى معبد خنسو بالأقصر تبرز القضاء على مرض أصاب بنترش، أميرة بختن، أخت إحدى زوجات رمسيس الثانى ويقال إن الشياطين تملكت منها، ولكن الطبيب الذى أرسله رمسيس الثانى، ويدعى تحوت إم حاب، لجأ لخنسو الذى تمكن من مداواتها وتم شفاؤها.



لوحة توضح براعة الطبيب المصرى فى القضاء على الأمراض «معبد خنسو بالأقصر»

ويثبت ما تقدم أن الطب المصرى القديم واجه مواقف مرضية متنوعة، منها كما ذكر سيطرة الجان على بعض الأفراد، ولكن قدرة الطبيب الإيحائية التى عرفت بقوة السحر الممنوحة لمثليهم قادرة على الشفاء، وكان الطبيب على دراية ببعض المعلومات الخاصة بالجهاز العصبى، ولكن القلب كان بالنسبة له مركز الإدراك والتفكير والإحساس.

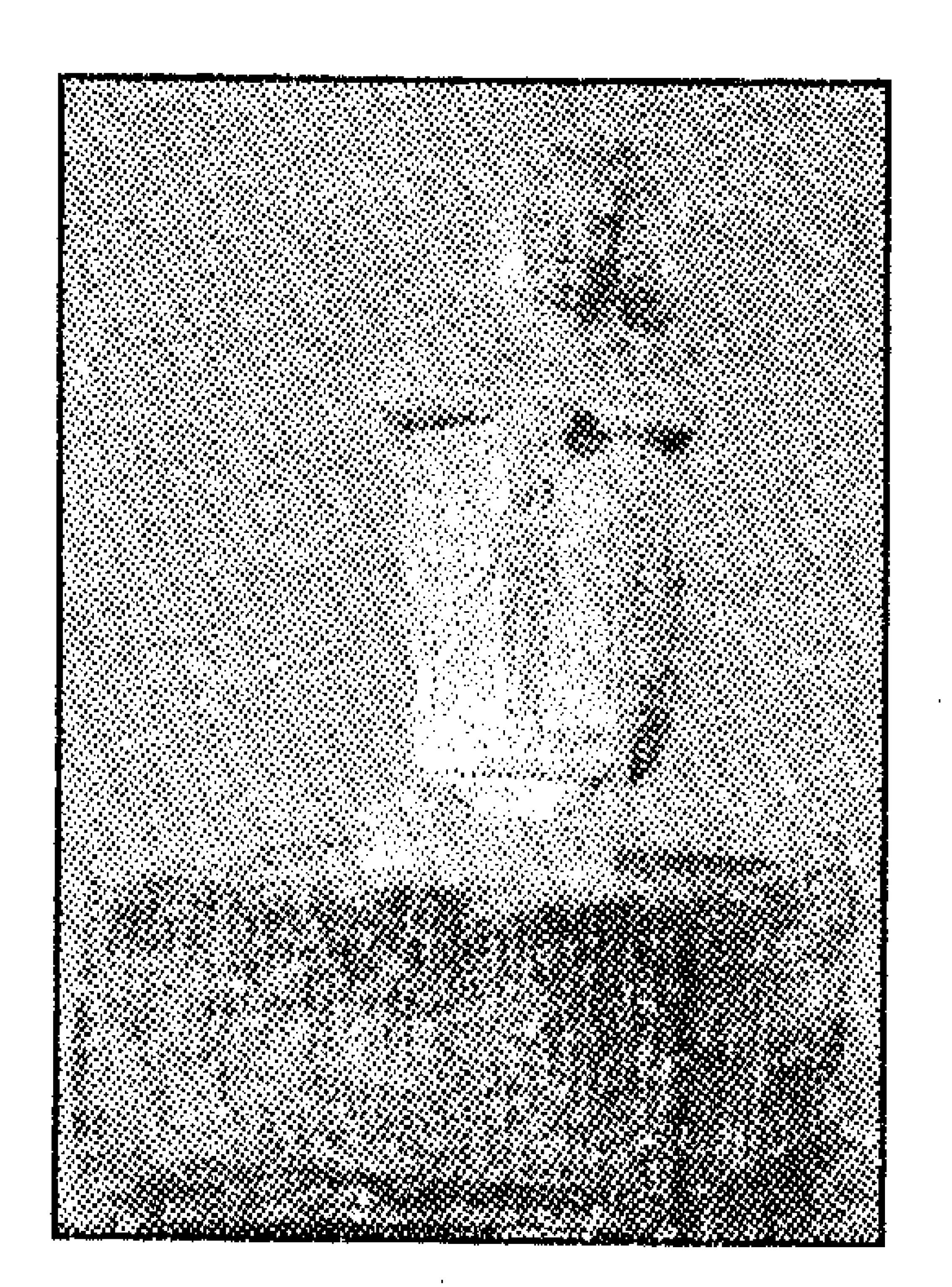
ولكن لم يكن هذا الأسلوب يضاهى نجاحات الممارسات الطبية العلمية السليمة التى كان يجيدها الطبيب المصرى منذ الأزل، فقد لجأ الطبيب إلى العلاج بالموسيقى أحيانا.

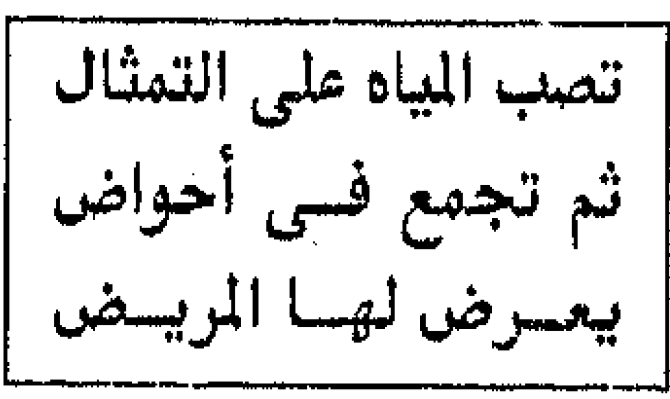


الأطباء والعلاج الطبى بالموسيقى أحيانا



آى، الدولة الحديثة، القرن ١٦ بملابس الكهنة يمارس طقوس فتح الفم كما صورت على جدران مقبرة توت عنخ آمون





تصب المياه على التمثال ثم تجمع فى أحواض يعرض لها المريض

كما لجأ الطبيب إلى التدليك كما هو مبين على جدران إحدى مقابر سقارة حيث يمارس الطبيب تدليك الكتف والركبة، وقد ورد فى بردية إيبرز الكثير من المستحضرات التى تستعمل فى مثل هذه الحالات لتخفيف آلام المفاصل ولتدليك الجسم والأرجل المريضة، وتعرف هذه الطرق العلاجية حاليا Physiotherapy، وكان الطبيب بعد تدليك الجسم المريض بالدهانات والزيوت، يعرضه لحرارة الشمس كما ورد فى بعض الحالات المدونة فى بردية إيبرز، وقد استعمل الطبيب لتدليك الجسم الشحوم الحيوانية، والزيوت المختلفة مثل الخروع وزيت السمسم، وزيت القرطم، كما أوصى الطبيب فى بردية كاهون بدهان أرجل السيدة المريضة وتدليكهما بالطين والطفلة. وورد فى بردية برلين أسلوبا مختلفا للتدليك: «بخور لإبعاد انقباض شق وجهه واعوجاج فمه: خشب خت دس، يبخر به المريض ويطفأ ببيرة عذبة ليفيض عرقا من نفسه ويدلك به». والحالة المشار إليها هى حالة شلل.

واستغل الطبيب الماء أيضا فى العلاج فيما يعرف حديثا Hydrotherapy، فملحق بفناء معبد دندرة مصحة للاستشفاء تحتوى على حجرات مزودة بأحواض، ويصب الماء على تماثيل لتكتسب بعض القدرة الشفائية وتتجمع هذه المياه فى الأحواض ويعرض المريض للشمس والماء والهواء.

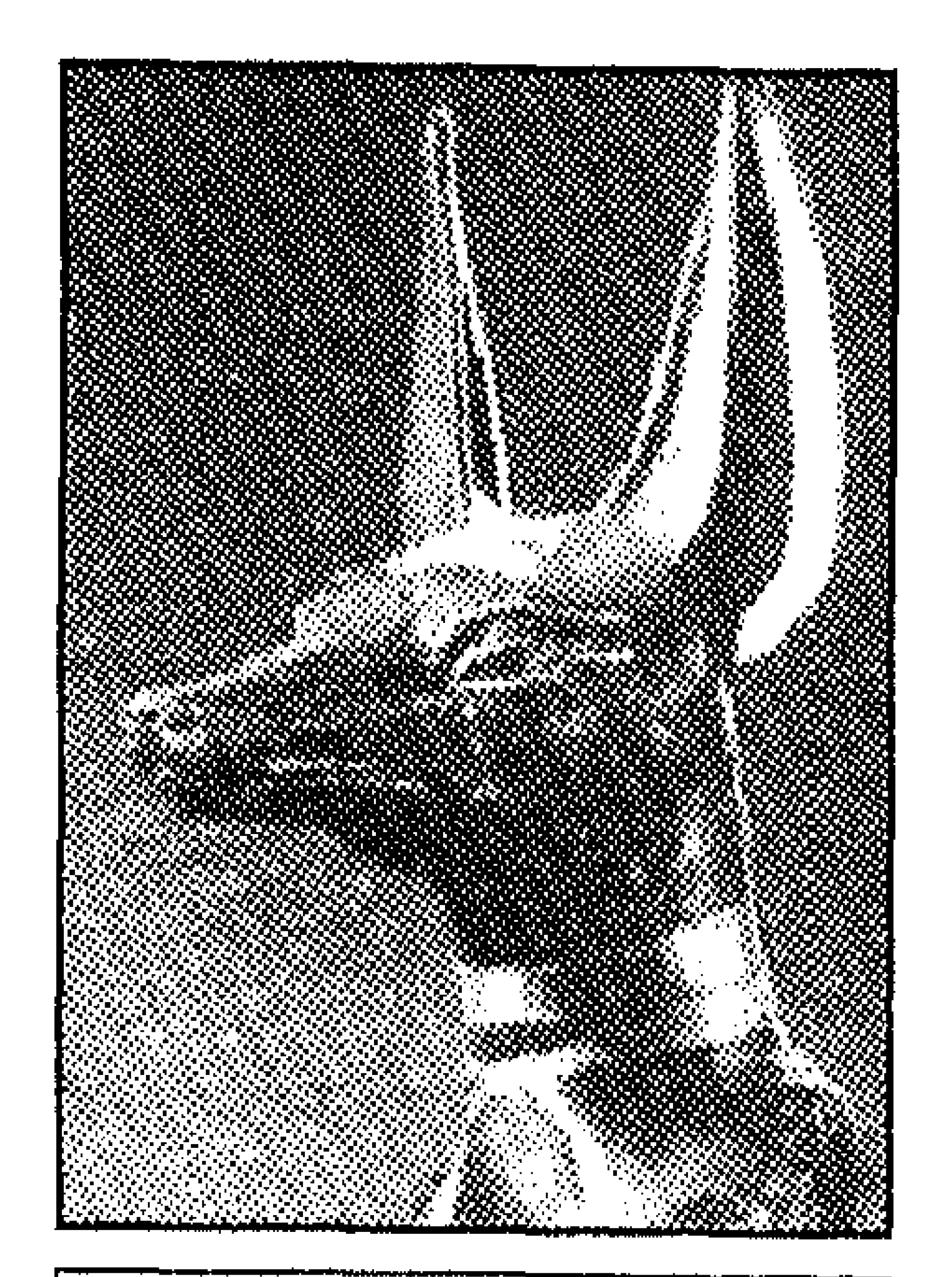
وقد مارس آى طقوس فتح الفم على مومياء الملك الشاب توت عنخ آمون باعتباره الكاهن الأكبر الذى يؤدى طقسا ينسب للسحر، إذ إن الكاهن بهذا العمل الرمزى يوهم بقدرته على منح الروح المقدرة على التحرك والأكل والشرب كما هو جار فى الحياة المادية. ازدوجت الطقوس مع الحقائق المادية للحياة وكلاهما معا شكلا العلم المكتسب الذى توصل إليه الإنسان الذى مارس ما اصطلح على تسميته بالسحر كنوع من الصراع مع الطبيعة، يتوجه الشخص من خلالها

للقوى العليا المجهولة بالنسبة له، ولكنه أيضا طبق العلم وكل ما هو عملى فى الحياة كى يحيا حياة صحية بجسم سليم وفكر ثاقب أشع على العالم بالعلم والمعرفة.

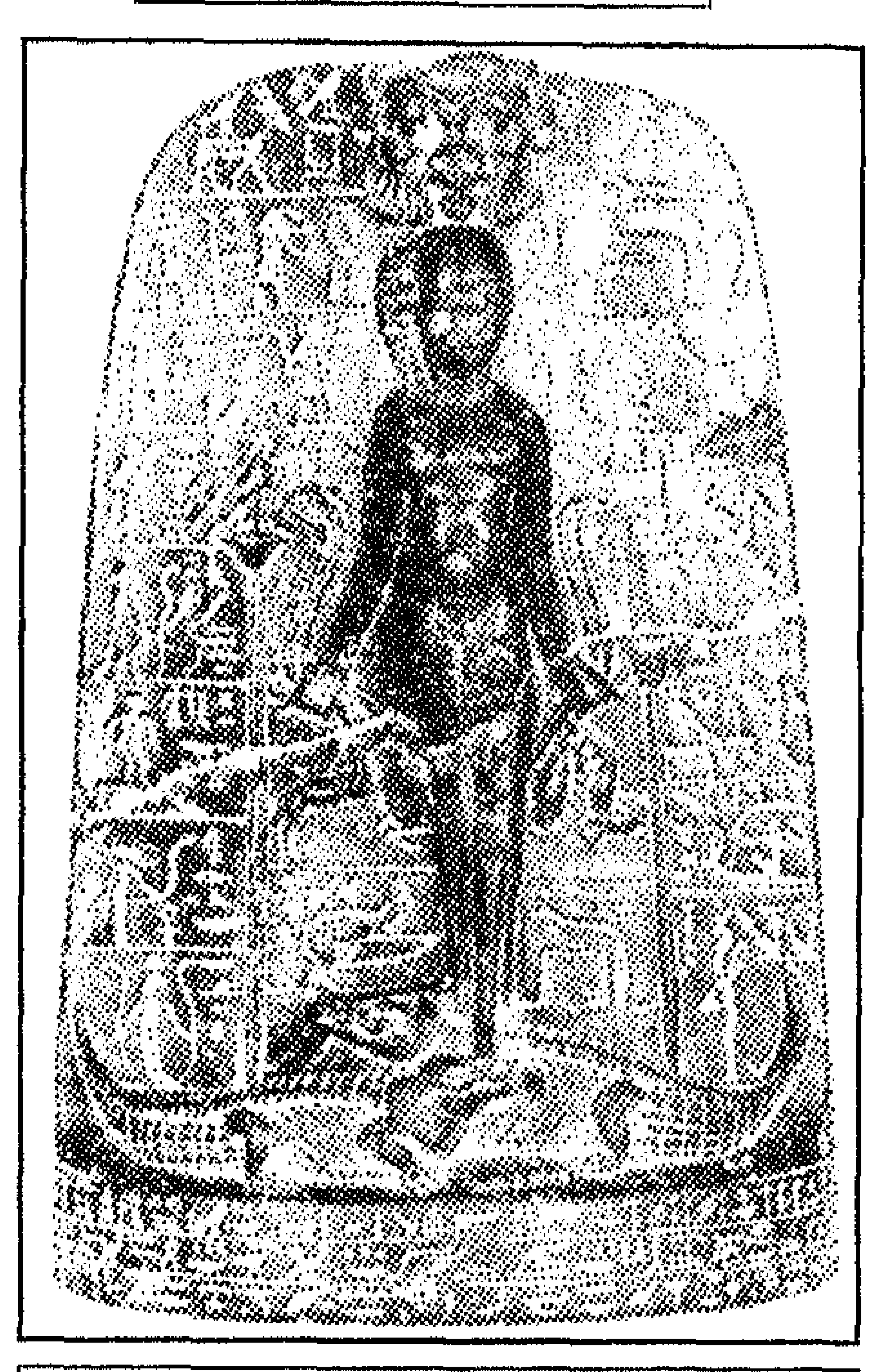
واعتبر التطبيب والمداواة فنا يطبق على كل من الجسد والروح والعقل أيضا. وكما اعتبر الإنسان جزءا من الكون، فدواؤه أيضا من العناصر الطبيعية متنوعة المصدر حيوانيا أو نباتيا أو معدنيا، فكان العلاج يقتضى فى بعض الحالات الامتناع عن طعام ما أو الصيام أحيانا، وكان ينصح بعدم أكل الخنزير وبعض الأسماك الملوثة، وهذا إجراء يحقق التوازن الداخلى للجسم.

امتزج العلم مع السحر ومع الإيمان ليحسن من الحياة العملية بكل أبعادها.

آمن المصرى بإزدواجية الوجود وطبق إيمانه هذا فى جميع أوجه حياته حتى فى مجال الطب والشفاء، فقد لجأ إلى التطبيب بالعناصر المادية المتواجدة فى الطبيعة، واحتمى بالجانب الآخر وهو الباطنى الروحى الذى يكمل الكيان الآدمى، مما يعكس عمق تغلغل المصرى فى التشريح الإنسانى. ومن الطبيعى والحتمى أن تبدأ الأمور بدفعة قوية وهدف راق، ومن خلال التداول تفقد بعضا من قوتها وتحيد قليلا عن مسارها ولكن القوة فى الإصرار والمثابرة هى الطريق الوحيد للاحتفاظ بما اكتسبه الإنسان.



أنوبيس، رمز التشريح الذى أجاده المصرى من خلال ممارسته للتحنيط.



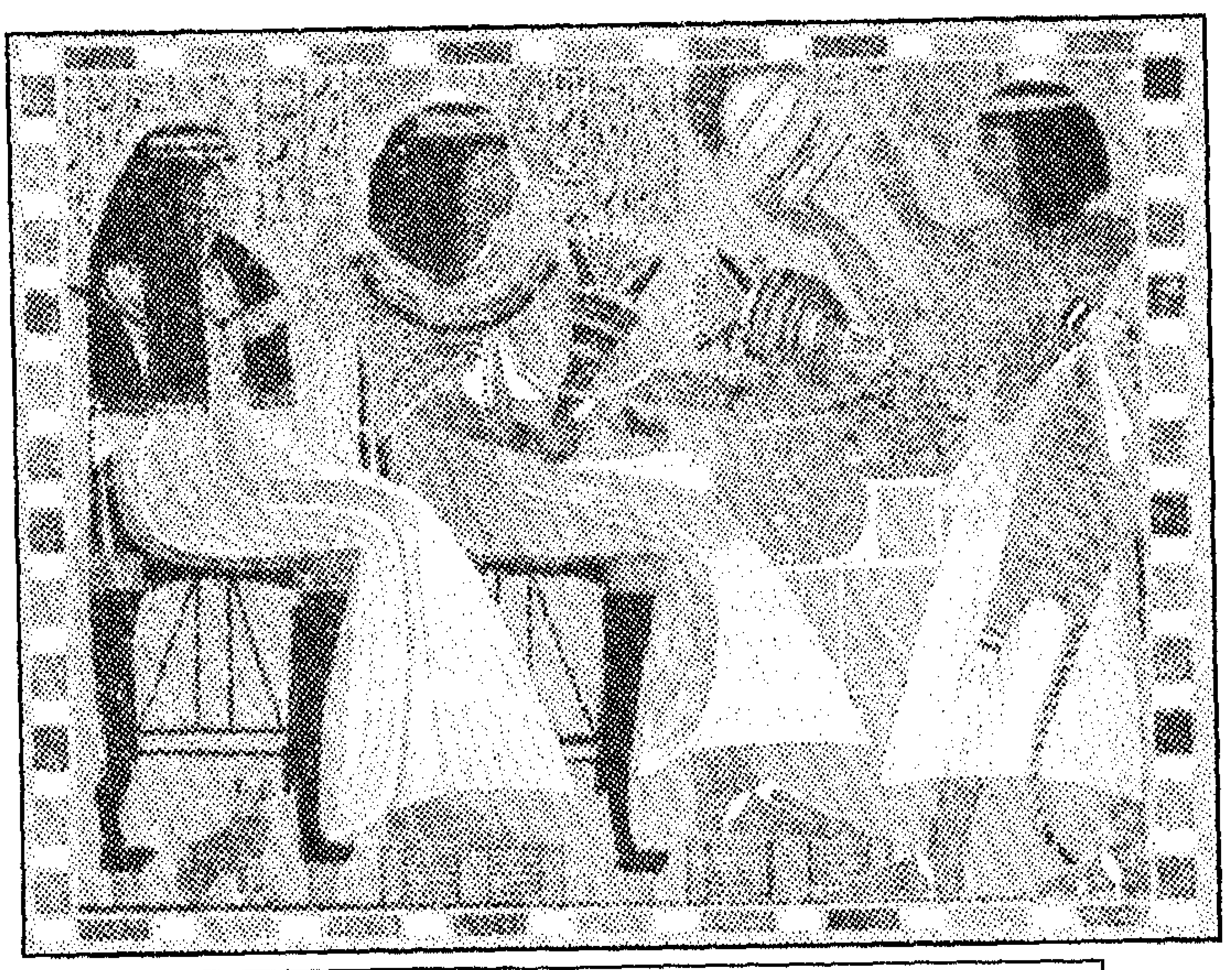
ويظهر حورس وهو يدوس بأقدامه على أحد التماسيح التى كانت كثيرا ما تروع الأفراد، وحركة وطأة القدم على الشيء تمثل الرغبة فى درء خطر هذا الشيء ومحاولة إبعاد الأذى الذى يصيبه

الفصل الثالث عشر

الطب البيطرى

عشـر على بردية كاهون التى تبرز الطـب البيطرى للمصرى القديم عام ١٨٨٩م ومضمون هذه البرديـة يتعامل مع أمراض العيون التى تصيب الحيوان، فقد اهتم المصرى القديم بعالم الحيوان كجزء من الطبيعة واحترم بعض خصال وخصائص الحيوان فاستأنس بعضها وقدس البعض الآخر ولجأ إلى مساعدة الحيوان له فى الحقل وفى التنقل.

ومن هذا المنطلق حرص المصرى على رعاية الحيوان ومنحه العلاج اللازم عند الضرورة.



يبرز هذا المنظر وضع القطة أسـفل مقعد السيدة، بينما القطة الأخرى تعلو أرجـل صاحب الـمقـبـرة. مـقـبـرة إيبـوى ١٢٥٠ ق. م تقريبا.

كمـا حـرص على دفن بعض حيواناته المقدسـة بعد تحنيطها، وأجاد تشـريح الحيوان بعد ذبحه. وقد تم العثور على أسد محنط فى منطقة سقارة مجاورا لمقابر القطط باسطت. ومن المعروف أن الأسـود استانسـت فى مصر القديمة وحنطت ولكن هيكل الأسـد الذى عثر عليه يعتبر الأول من نوعه الذى اكتشف.



مومياء لأحد القرود المحنطة بالمتحف المصرى بالقاهرة



نقش على جدران مقبرة مرى مرى بسقارة

لقد ترك لنا المصرى القديم ثروة معلوماتية رائعة تعكس جوانب الحياة المتنوعة سواء حياة البشر أم الحيوانات أم النباتات والعلاقات الحميمة التى تربط كل طرف بالآخر.

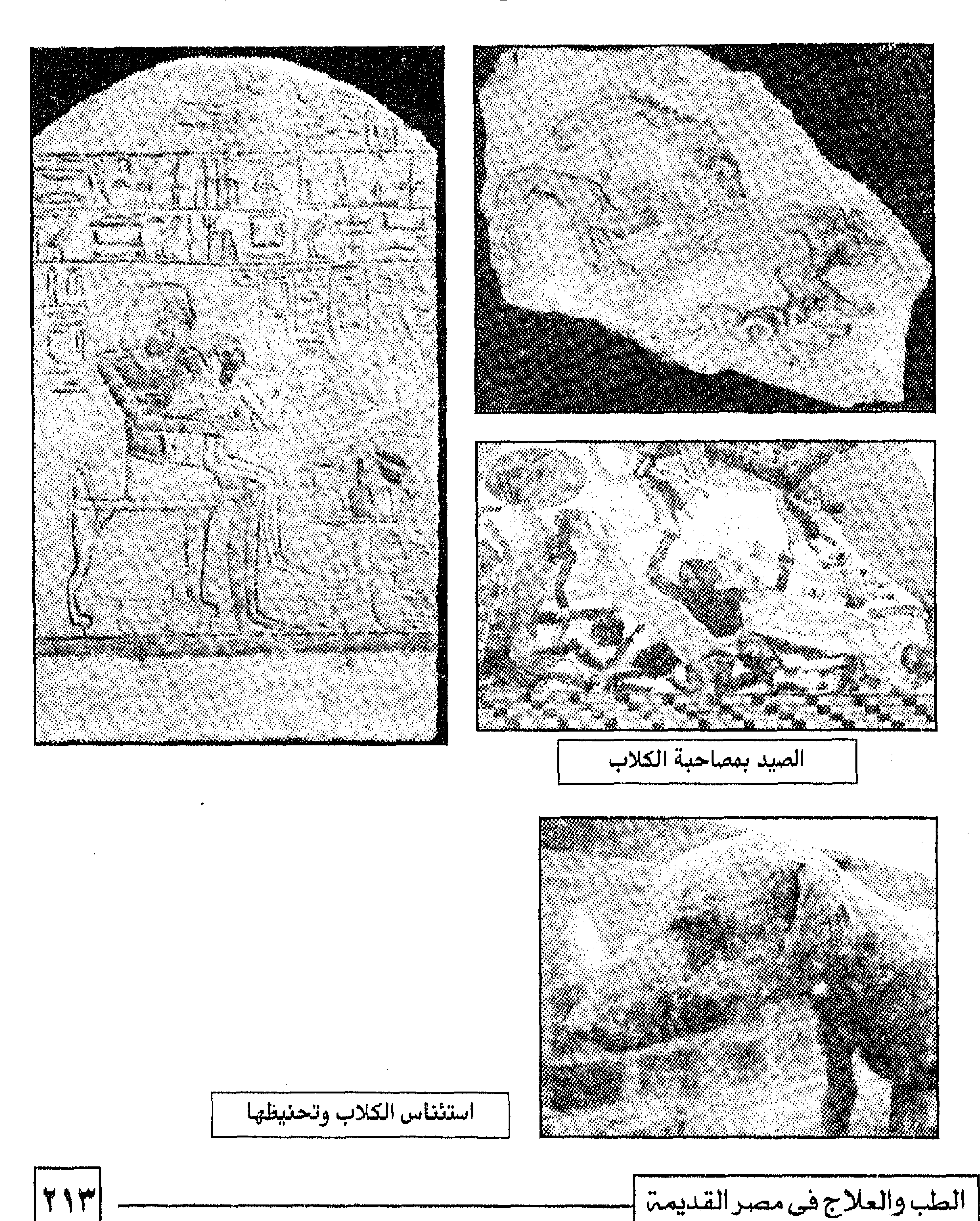
ولأهمية الكلب فى حياة المصرى، اهتم بعلاجه كما ورد فى البردية «علاج كلب مصاب بكيس دودة: إذا مشى وشم الأرض وقع، فقل عنه إنه مصاب بضعف سرى، فبعد تلاوة الرقى، يجب علىّ أن أدخل يدى فى عضوه المسمى همو وبجانبى مقدار من الماء. فإذا وصلت يد الإنسان لتغسل عظمة ظهره، فيجب على الشخص أن يغسل يده بالماء بعد كل مرة تغطى يده إلى أن تكون قد أخرجت كل الدم المتجلط بواسطة الحرارة أو بواسطة أى سبب آخر، أنت سوف تعرف أنه شفى عندما يخرج منه المخاط».

وقد عرف الكلب منذ عصور ما قبل التاريخ وأشار له المصرى بايويو، فقد استأنسه منذ ذلك الحين، ووجد فى



رحلة صيد

مصر العديد من السـلالات المختلفة للكلاب.واسـتعان المصرى بالكلاب فى الصيد وفى الحروب أحيانا. كما اسـتعان بهم فى الرعى لحراسـة الغنم وفى الحقل، ويعتبر المصرى أول من وضع الطـوق حول عنق الكلاب التى كان أحيانا يدفنها بجواره بعد الموت ويحنط بعضها، ولا عجب إذ إنه من هذا المنطلق ولدرايته بالشكل التشريحى للكلب تمكن من الأسلوب الأمثل لعلاجه فى حالة المرض، وسعى إليها من منطلق تجاوبه مع الحيوان وحبه له ولرغبته فى تخفيف ألمه.



الصيد بمصاحبة الكلاب

استئناس الكلاب وتحنيطها

وشاع فى مصر منذ عصر ما قبل الأسرات تقديس بعض الحيوانات منها العجل الذى اعتبر مع بداية عصر الأسرات رمزا للقوة الجسدية التى يجب أن يتحلى بها ملك مصر.

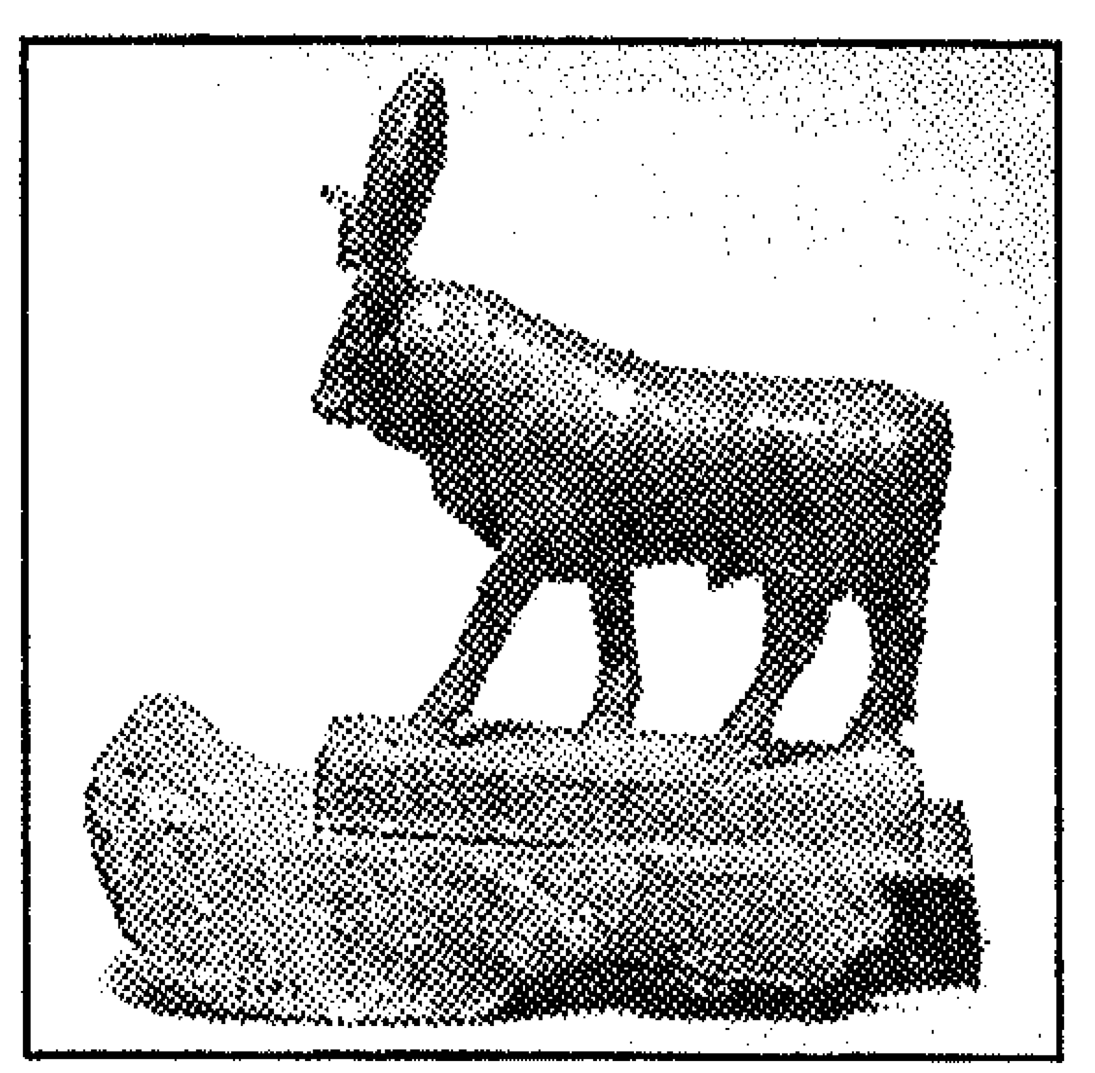
وكان الثــور المقدس يدعى هبو باللغة المصرية القديمة ومــن المعتقد أن روح بتاح تســكنه ، ويتم اختياره بعناية حيث يتــم تحنيطه بعد الوفاة ودفنه بمــا يليق بمكانته المقدسة فى جبانات خاصة بالعجول فى سقارة وغيرها.

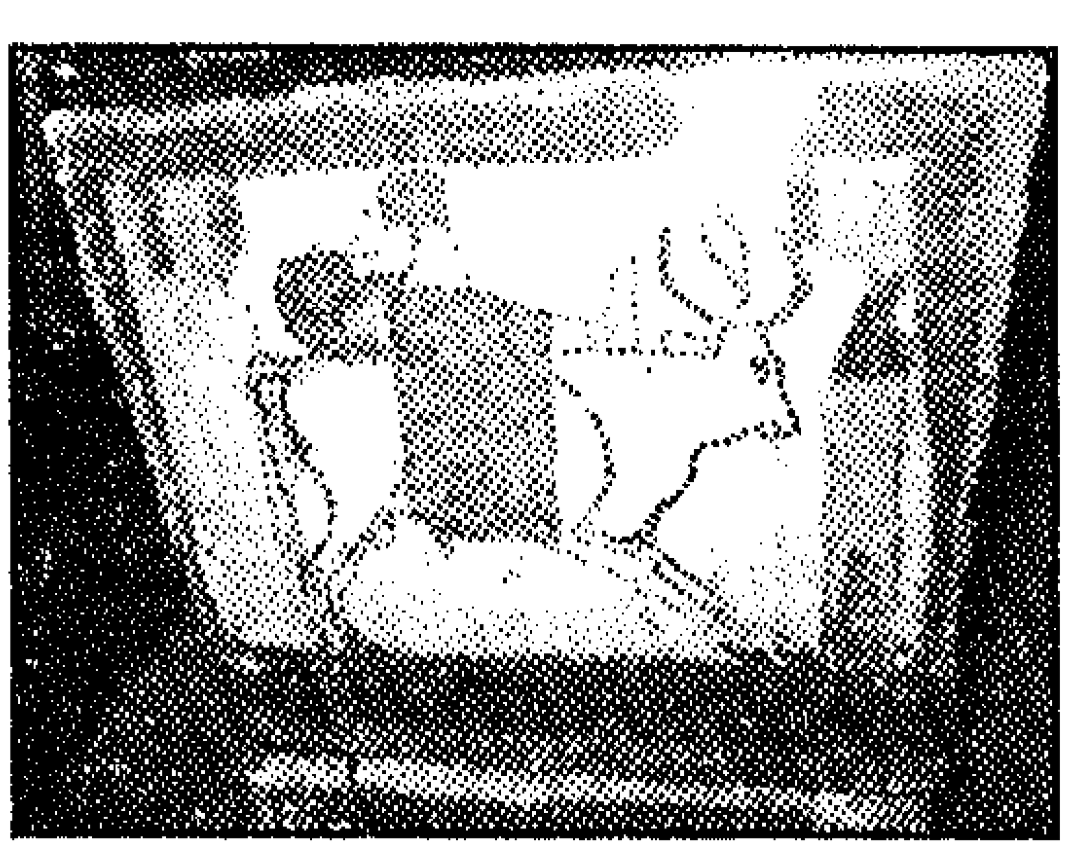
يرجــع تقديس المصــرى للحيــوان نســبة للقدرات الإلهية التى يجســدها الحيــوان بصفة عامة والتى حباه بها خالقــه ، فالوجود طبقا لمفهومــه يدين لخالق واحد اكتسبت منه المخلوقات قاطبة بعضا من قدراته وصفاته ، لذا لــزم على الإنســان احترام هذه القــدرات والصفات لدى الآخــر أيا كان كنهه ، فهى أولا وأخيرا منح إلهية وهبهــا الخالق وخص بها عوالم الحيوان والطير والنبات على نفس الدرجة التى خص بها الإنســان ووهبه قدراته المعروفة لديه.

وعرف الثور بقوته الجسدية وقدرته على العمل الشاق وهى صفات يجب أن يتحلى بها ملك مصر، وكان لقب الثور القوى من الألقــاب الملكية ذات الدلالة الواضحة ، وقد صور الملوك عبر التاريخ يتحلون بذيل الثور.

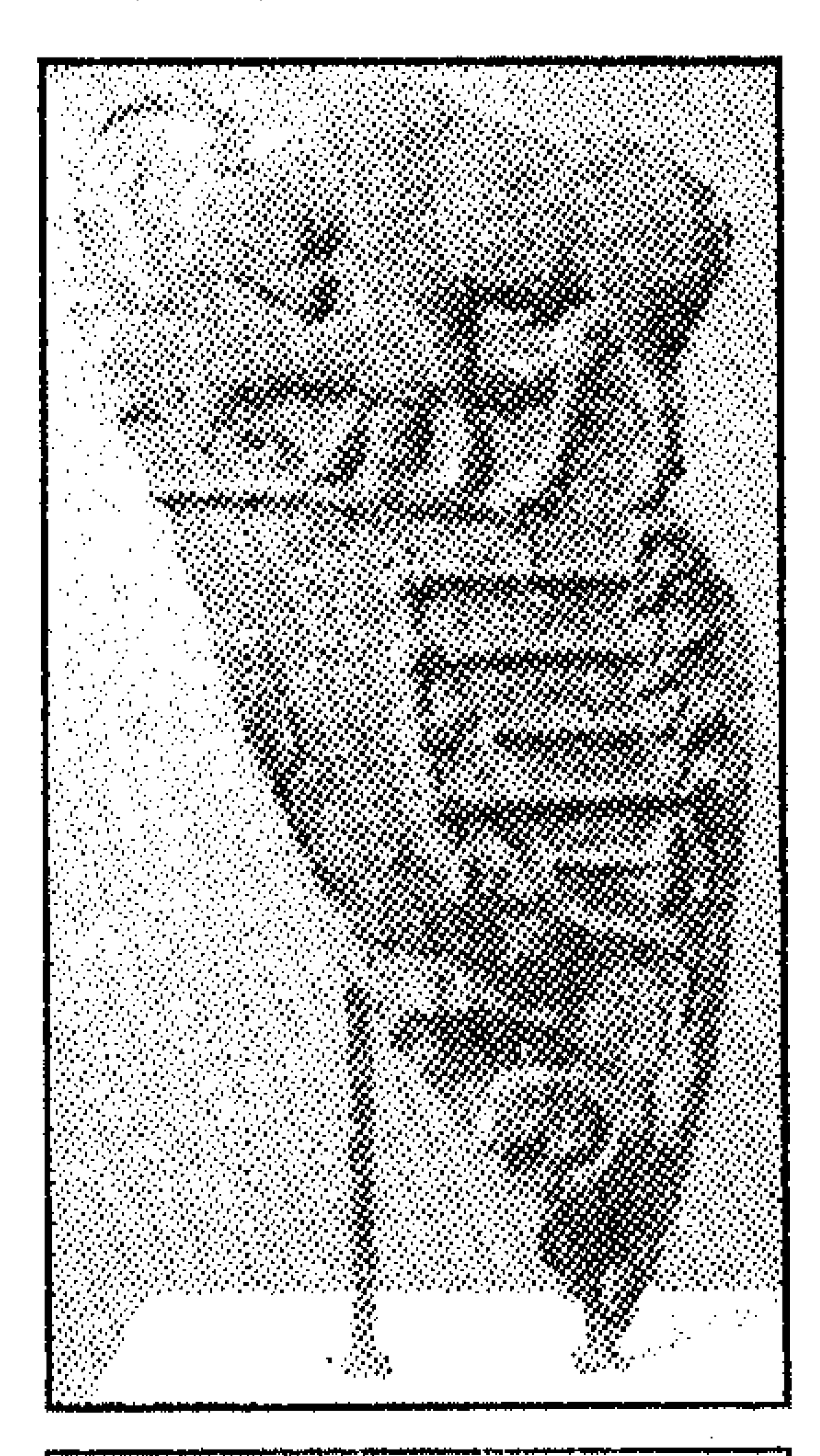
وخصص لقب ثور لإصباغ صفة القدرة على الإخصاب علــى من يطلق عليــة ، فأوزيريس هو ثــور الغرب وثور العالم الســفلى ، ورع هو ثور التاسوع الذى يجدد شبابه ، ومــين هو ثور أمه الــذى يخصب النبــات اللازم لمرعى الحيوان... الخ

ويرمــز الثور المبين فــى المنظر الســابق فى الصلابة المعروضــة فى متحف اللوفر بباريــس للقوة والقدرة على القضــاء على العدو، لذا اســتعان به الفــلاح فى الحقل حيث عاونه خير عون.



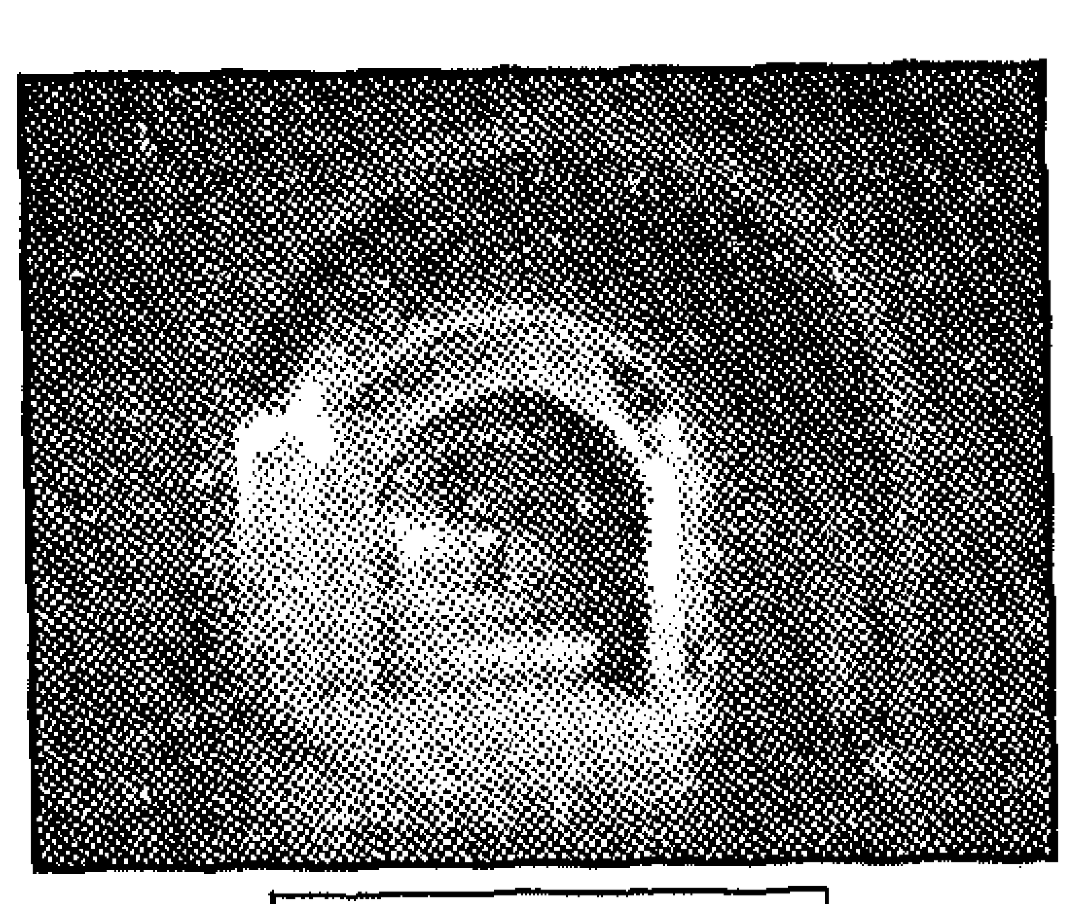


لوحة نادرة تعرض فى متحف شامبليون بفرنسا ، والثور هنا يرمز لكل من الشمس وأوزيريس أى الحيــاة والموت وبمعنى آخــر الفيضان والجفــاف لأرض مصر.

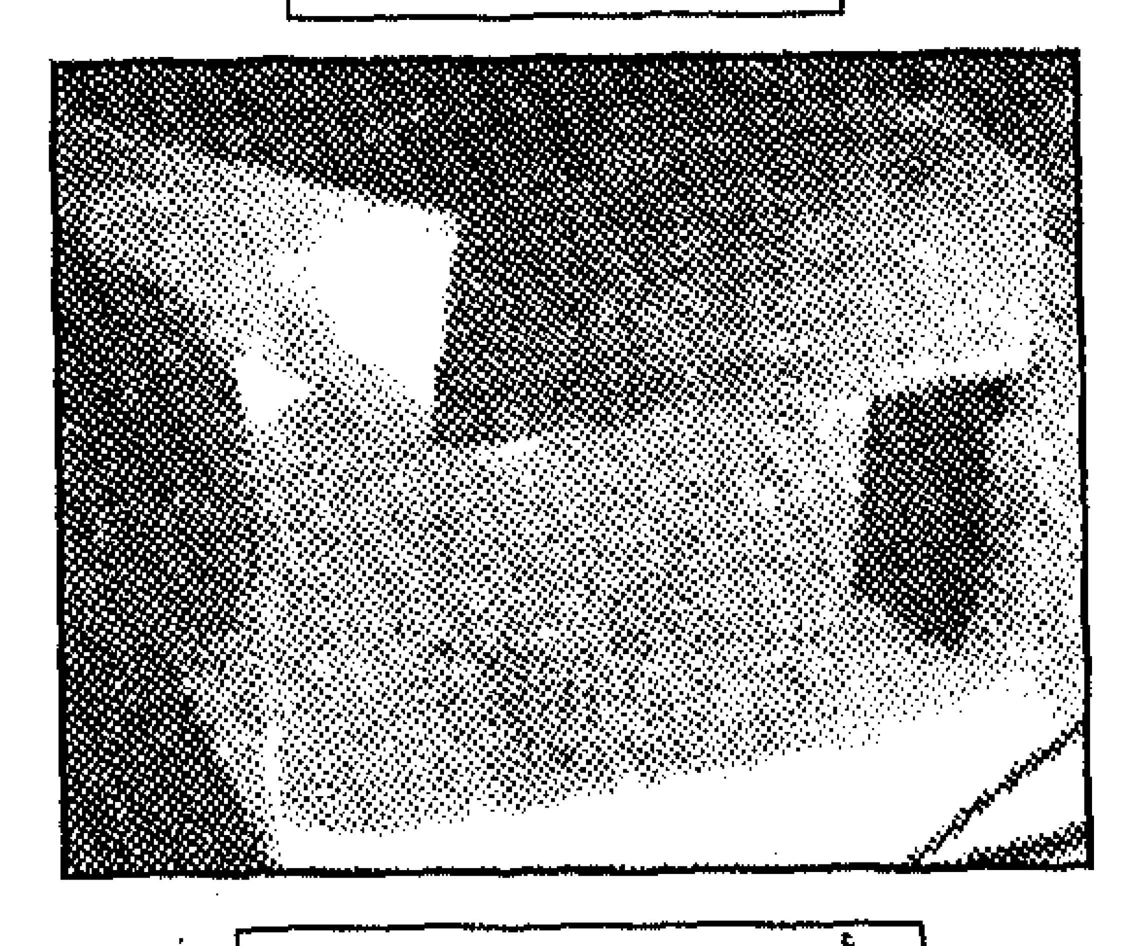


الثور رمز القوة الجسدية

واهتمام المصرى العقائدى بهذا الحيوان امتد إلى إعداد مدافن خاصة له مثل السرابيوم فى سقارة الذى يحتوى علـى العديد من الدفنات الخاصة بالثور الذى حنط ودفن فى توابيت جرانيتية ضخمة ودفعت هذه المفاهيم الطبيب للاهتمام بالحيوان بنفس القدر الذى يحظى به الإنسان، فسجل الطبيب المعلم فى بردية كاهون الطبية : «إذا رأيت ثورا مصابا بالهواء أو البرد نفث، وعيناه تفرزان دموعهما بغزارة، وجبهته ذات أسارير، ولثته حمراء، وعنقه متورم، اتل الرقية عليه، واجعله يرقد على جانبه، ورشه بالماء البارد، دلك عينيه وحوافره وكل جسمه بالقرع أو البطيخ، بخره بالقرع. انتظر...الراعى...يغمس التى تتشبع بخره أثناء الغمس حتى يذوب فى الماء... دلكه بالخيار، اجرحه على أنفه وذيله.



سراديب السيرابيوم



أحد التوابيت الضخمة لدفن العجول فى سقارة

قل عنه إن ما جرح به إما يموت أو يحيا. فإذا لم يشف وتجعد تحت أصابعك وغمز بعينيه، فضمد عينيه بقطعة من الكتان محروقة فى النار لتوقف غزارة الدموع».

اكتشف العالم الفرنسى ماربيت السيرابيوم فى الأول من نوفمبر ١٨٥٠م طبقا لما كتبه الجغرافى سترابو فى هذا الصدد. وقد تم العثور داخل السيرابيوم على مومياء الكاهن خا إم واس ابن رمسيس الثانى الذى كان مكلفا بترميم هرم أوناس وهى المومياء الآدمية الوحيدة فى المقبرة.

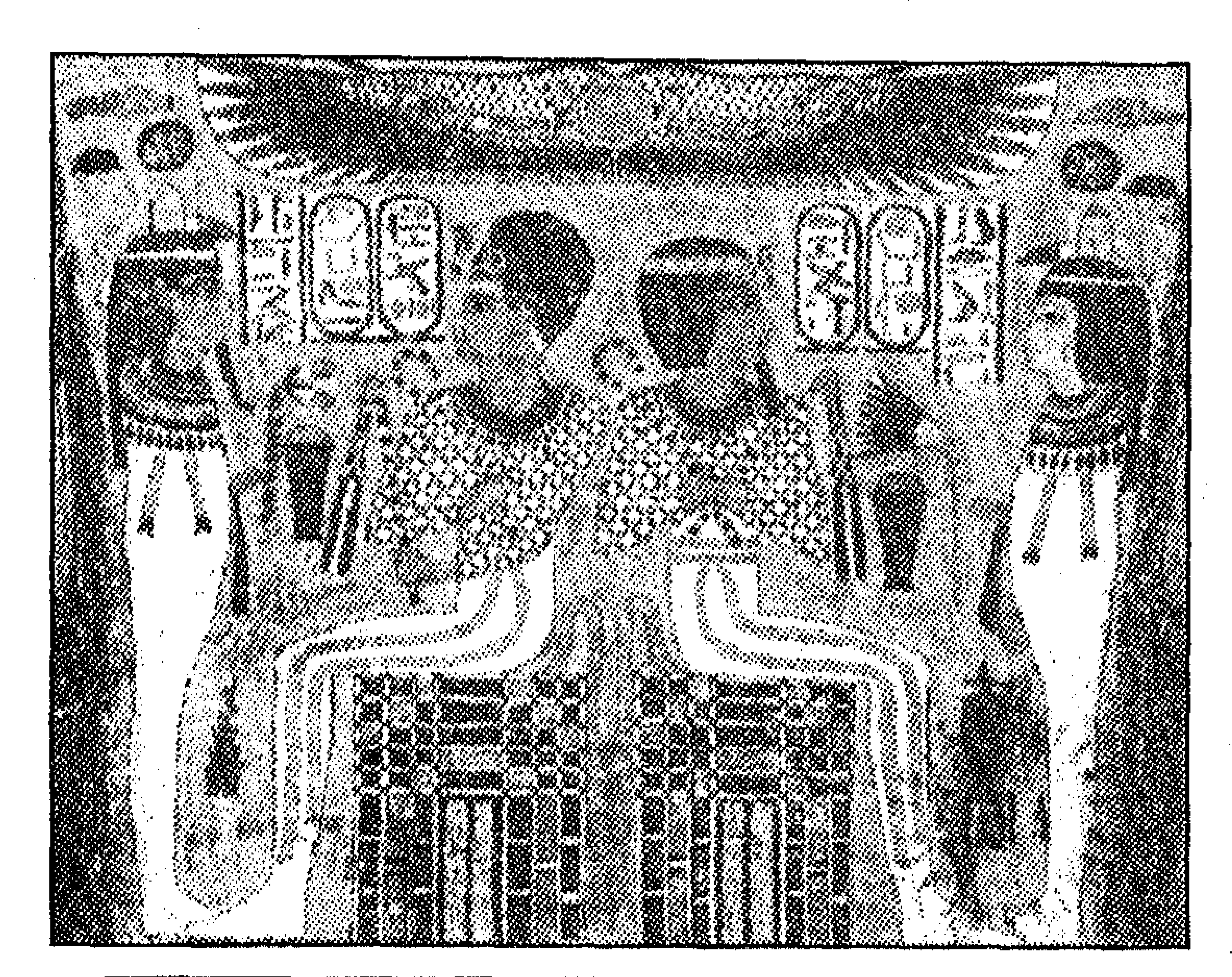
وذكرت البردية أيضا فى علاج الثور: «علاج عينى ثور مصاب بمرض أوشاو فى الشتاء. إذا رأيت ثورا مصابا بمرض أوشاو فى الشتاء وعيناه ثقيلتان، اجرحه.كالمبين سابقا.

إذا شاهدت ثورا مصابا بمرض أوشاو فى الشتاء منذ وصوله فى الصيف، وكان صدغاه بهما أسارير، وعيناه تزرفان الدموع، ومعدته تتأوه وهو لا يمشى،... كل جسمه به...كالذى يصنع للمجروح أو كالمصاب بمرض سكت».

والأسلوب الذى لجأ إليه الطبيب فى تدوين الحالات المرضية للحيوان لا يقلل من الأهمية التى يمنحها الطبيب له، بل على عكس هذا يضع الحيوان على قدم المساواة مع الإنسان، فيبدأ باسم المرض ثم توصيف أعراضه ثم العلاج وهى نفس الخطوات التى لجأ إليها فى الحالات البشرية، فالعلم لا يتجزأ.

وقــد ذكرت البرديــات العديد من العلاجات مــن أضرار الحيوان على الإنســان منها عضة التمساح ولدغ الحشرات ولدغة الثعبان والقضاء على القمل... إلخ

أما الثعابين بصفة عامة، فهى تمثل عالم الفوضى الأزلية، وكان المصرى يخشــاها ويعتبرها من سكان العالم السفلى، فالثعابين عامة سواء سامة أم غير سامة شريرة بطبيعتها لذا وجب اتقاء شرها، فكان السحر خير سلاح لتحييدها أو تقديسها اتقاءً لشرها وتفاديا لأذاها.



يظهر ثعبان الكوبرا على جبين أمنحتب الأول إذ إن كلا الشكلين يمثلانه، ويظهر الثعبان أيضاً على جانبى قرص الشــمس المجنــح، والثعبان نصل ملكــى يرمــز للحمايــة التى يســبقها أيضــا على قرص الشــمس المجنح

الفصل الرابع عشر

خلود العلم

ومما تقدم نلمس الأسس السليمة التى بنى عليها المصرى فى مجال الطب والعلاج نظرياته معتمدا على الدراسة والتحليل والمراقبة والتجربة الحية الواعية التى لم يسبقه إليها أحد.

واجه البشر، مستوطنو هذه البقعة الحيوية من العالم، أرض مصر، الصعاب الكثيرة لندرة المعلومات المتاحة والسبل اللازمة لمواجهة الحياة، فكان عليه أن يتفكر ويحكم عقله ليحصل على النتائج المرجوة، ليس فقط فى مجال الطب والتطبيب، بل فى جميع المجالات.

ومن منطلق معطيات الطبيعة، كان عليه مراقبة ما يحيطه من مواد وتفاعل البشر مع هذه المواد، لاحظ بدقة شديدة هذه التفاعلات، ومارس بشجاعة تجاربه الحية التى أدت به إلى وضع الأسس العلمية السليمة فى كل من المجال الطبى والعلاجى، ففى مجال التشريح والجراحة، تفوق الإنسان المصرى بفضل ممارسته عملية التحنيط للجسم البشرى والحيوانى، فأرضى فى نفسه الجانب المعرفى بمكونات الجسم غير الظاهرة مما مكنه من معرفة وظائف الأعضاء من القلب، للرئة، للمخ والأحشاء الداخلية كالكبد والبنكرياس والكلى والمثانة والأمعاء...لقد ألم أيضا بالأوعية المختلفة ووظائفها.

وعرف الأعصاب والأوتار، وإن لم يكن يطلق عليها نفس المسميات ولكنه أورد الوصفات اللازمة لعلاج كل أجزاء الجسم ولم يغفل أيا من هذه الأجزاء.

وقد تأكد هذا من خلال البرديات المكتشفة التى هى فى الواقع تمثل جزءا يسيرا من معرفة المصرى القديم فى هذا المجال، فقد علمنا بوجود مجلدات طبية متخصصة فى مجالات الطب المتنوعة.

وتحتوى ما عثر عليه من أجزاء بردية إيبرز وحدها على ما يقرب من ٨٧٧ علاجا دوائيا شاملا للعديد من التخصصات منها الأمراض الباطنية، أمراض العيون، علاجات الأسنان، علاج الجلد من الحروق والحشرات والحكة والجرب وغيره مما يصيب الجلد، لم يغفل الأطراف من أصابع اليدين والقدمين، والعضلات، فوصف المستحضرات لتقويتها والقضاء على الانكماش أو التيبس الذى قد يصيب بعضها، حتى اللسان أوجد له المضمضات اللازمة لعلاج ما يصيبه، ولم يبخل على الأعضاء التناسلية بالعلاج من السيلان أو الالتهاب أو الضعف الجنسى، حتى مزيلات

رائحـــة العرق أوجدهـــا الطبيب، ولجأ إلى زيوت الأسماك لتنمية الشـــعر، والمعروف عنها حاليا احتواؤها على فيتامين أ.

عـــالج الطبيـــب حالات الصرع، الذى عرف باللغة المصرية القديمة بكلمة نيى، والإســـقربوط والإرتشـــاح والشوكة التى تدخل الجسم ووصف المستحضرات لتحسين الجلد فى الجسم والوجه أيضا، وصف الدهانات اللازمة للروماتيزم الذى يصيب الركبة، والعنق، حتى الشـــلل الجزئى، عالج الإكزيما والجروح والرضوض حتى إزالة الشيب وتغذية الشعر لم يغفلها الطبيب. وذكر العلاقة بين مرض الكبد والإمساك فى الأمعاء وعلاقته بمرض الصفراء وما يصيب المعدة.

وأوجـــد الطبيب المســـتحضرات لشـــفاء الغـــدد الصماء لمعالجـــة حالات الصـــرع، كما حاول مواجهة الأمراض العقلية، فذكر «عقله مظلم» و «إنه يذوق قلبه»، و «موت الذاكرة والنســـيان»، «أما بخصوص ذاكرته تركع».

وأوضحـــت بردية سميث العلاج الجراحى المتقدم الذى مارســـه الطبيب وتحديده للعلاقة بين إصابـــة المخ وحركة الأطراف وإصابتها الناتجة عن إصابـــة المخ، لجأ الجراح إلى خياطة الجرح، ولضم أطرافه بالمواد اللاصقة، وعرف الطبيب أن القلب هو مركز تجمع الأوعية الدموية، وتمكن من تحسس النبض الذى يمثل قوة القلب أو ضعفه، وتمكن من عضلات الجسم وأوتارها وأربطتها.

والأدوات الجراحية التى اســـتعملها الطبيب المصرى والمدون بعضها على جدران معبد إدفو، وعثـــر على البعض الآخر فى منطقة ســـقارة ومعروضة حاليا بمتحف امحوتب، مازال يســـتعمل بعضهـــا مثل المشـــارط والســـكين والجفت والدس والملقـــاط والإبر والمجس والقســـطرة وآلة الكى والمقص والمشبك...

كان المصرى أول من خاط الجرح، واستعمل المثقاب النارى فى عمليات الكى لإيقاف النزيف، وحضر الضمادات واللبخات للجروح، والفتيل الكتانى لتضميد الجرح، وأجرى الطبيب عمليات البـــتر باقتدار، وعـــالج جرحا غائرا بالرأس: «والآن بعد أن تخيطـــه يجب عليك أن تضع عليه لحما صابحا فى اليوم الأول». أجرى الطبيب بنجاح عمليات الفتق وتمدد الأوعية الدموية، ولكن الطبيب العالم بقدراته نصح بعدم علاج جراحى لكل من الدوالى والإنفريزما الشريانى الوريدى.

ولجأ الطبيب إلى العسل واللبن لعلاج أمراض الجهاز التنفسى وأمراض الحلق والزور، ومازال العلم يدين لفوائدهما.

أما الأعشاب والمعادن وبعض الأجزاء الحيوانية التى استعملها الطبيب فى تكوين مستحضراته، فقد تبين نجاحها فيما اســـتهدفت له، ومازالت هذه المكونات تستحضر بعضها أو معظمها ولكن باللجوء إلى المستخلصات الكيماوية الحديثة التى لا يمكن أن تضاهى المواد الطبيعية ولكن تقاربها فى المفعول.

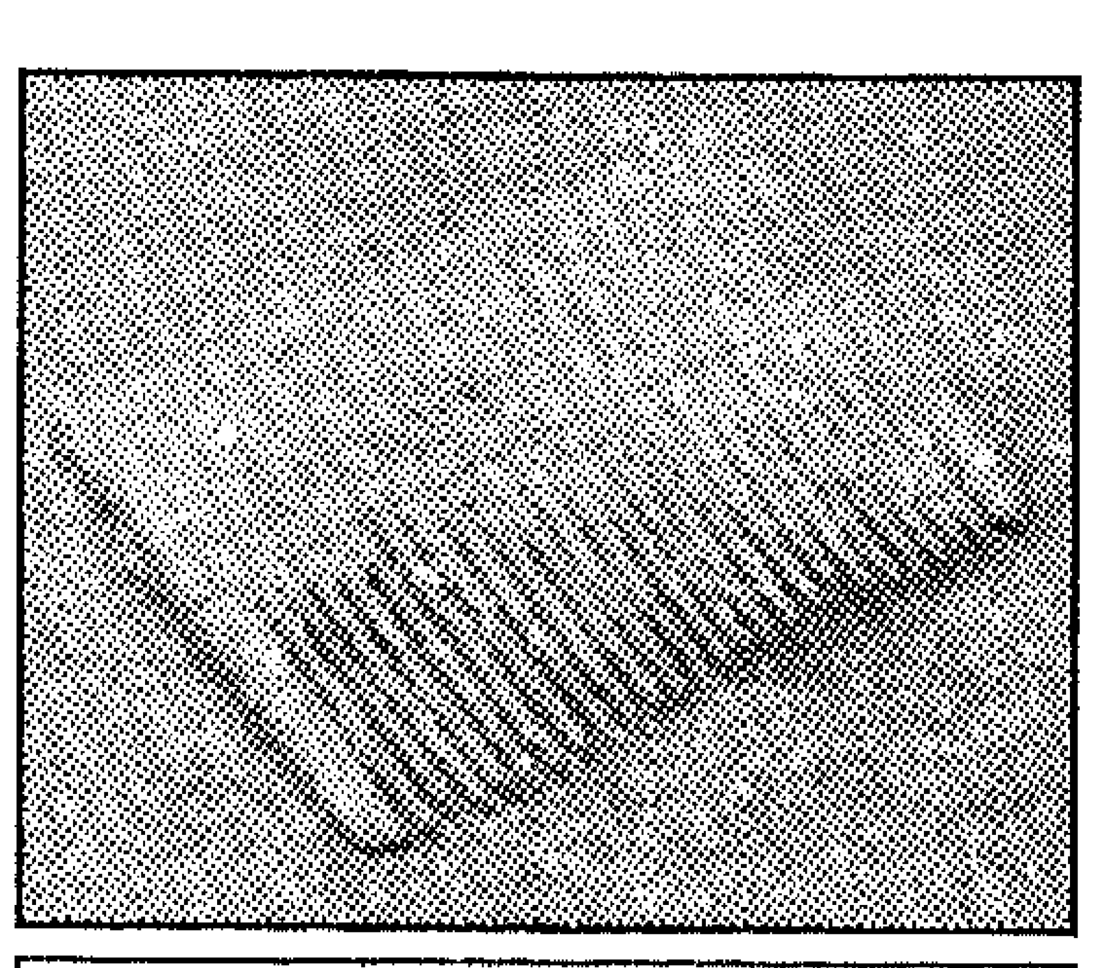
وكان الطبيب يجرى عمليات التربنة لتخفيف الضغط عن المخ، ومازالت تمارس هذه العمليات.

أمـا الخميرة، فهى من المكونـات الهامة التى وصفها الطبيب فى الجـروح والقروح ولعلاج التلبك المعدى والمعوى، كما عالج العشـى الليلى بكبد الثور المشوى، وهذا ما يجرى حاليا إذ إن مستخلص الكبد الغنى بفيتامين أ يصنع كدواء لعلاج حالات الكتراكت أو المياه البيضاء.

ووضع الطبيب الأسـس العلاجية السليمة التى مازالت تمارس إلى يومنا هذا فى مجال علاج الأسنان من خلع وحشو وتركيبات الأسنان التعويضية وعلاج اللثة وتقيحاتها.

وتمـارس العنايـة الصحيـة بصفة دورية من خـلال المعابد المتخصصة فى العلاج والمكرسـة لسخمت والتى يقصدها الأفراد لتناول الشربة بصفة دورية ولعمل الحقنة الشرجية لتطهير الجوف كنوع من الطب الوقائى.

و كان الطـب الوقائى متبعا لتفادى الكثير من الآثار المدمرة على صحة الإنسـان، ويقتضى التطهر بالماء وملح النطرون، والحفاظ على نظافة الجسد والملبس بالاستحمام والتطيب بالأعشـاب العطريـة، كذلك الامتناع عن أكل كل ما هـو ضار بالصحة العامـة والمداومة على تنظيف المعدة باللجوء إلى المسهلات ومنظفات الجوف مثل زيت الخروع وبلسم التفاح وفصوص الثوم التى كانت تستعمل فى أغراض متنوعة.



أحد الأمشاط المستخدمة لتصفيف الشعر

ولم تقتصر الوقاية على الجسـم البشـرى فقط، بل امتدت إلى المنزل لمحاربة الحشـرات مثل البراغيـث والذباب والفئران والعقارب والثعابين، وورد فى بردية إيبرز بعض الوصفات للقضاء على هذه الحشـرات وعلاج لدغات بعضها، كما وردت وصفة لقتل العقرب، أما القمل الذى قد يصيب الشعر أحيانا فأوجدت الفلايات لتنقية الشعر والقضاء عليه.

اهتـم المصرى بمعظـم التفاصيل المتصلة بالصحـة العامة وأوجد لكل عـرض علاجه ووضع منهجيـة سـليمة فى تحديـد أنواع المرض المختلفة وكيفية تشـخيصها من خـلال فحص دقيق لأعراض المرض. ووضع الطبيب الخطوات الجادة نحو فحص سليم، اهتم بأعراض المرض وتتبع تطوراته، واسـتحضر الدواء الشـافى فى أغلب الأحيان، وأعلن عـن محدودية علمه فى أحيان أخرى ولكن لم يتخل أبدا عن مريضه» اذهب إليه ولا تتركه»، «لازمه ولا تتركه».

وكتـب ديـودور الصقلى: «يتم علاج المريض طبقـا لما هو مدون وموروث عـن القدماء، فإذا حـدث، بالرغـم من اتباع ما هو مكتوب فى الكتب المبجلـة، أن توفى المريض، فالأطباء لا غبار عليهم ولا لوم. أما إذا تصرفوا بخلاف ما هو مكتوب، فيمكن اتهامهم والحكم عليهم بالموت».

يظهر المشـرع من هذا التشريع جدية ممارسـة مهنة الطب والمسؤلية الجسيمة التى يتحملها الطبيب الممارس، فهو بخلاف مسؤليته عن حياة المريض وشفائه، ملزم باحترام فكر وممارسات الأجداد الطبية ولا يحيد عنها.

وكانت ممارسات الأجداد تشمل أيضا خلال العصور المختلفة بعضا من الموروثات التى تهدف كذلـك للشـفاء منها هذه التماثيـل التى تحاط بتعاويذ وأوراد الغرض الأساسـى منها هو تحقيق ما يعجز عنه الطب أحيانا. ويتلخص السحر فى هذه الكلمات التى نطقتها إيزيس بعد أن داوت رع من سم الثعبان طبقا للأسطورة: «أنا إيزيس مالكة السحر التى تخرج السم من الجسم وتسقطه على الأرض.

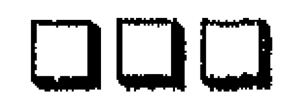
«لقد استخلصت من رع اسمه السرى، وسيبقى رع حيا، أما السم فيموت لأنه إذا عاش السم مات رع». وتناولت الجموع هذه الكلمات واعتبرتها رقية للوقاية ولاستجلاب الشفاء.

وطبقا لفلافيوس كليمنس، أحد مؤسسـى مذهب من المذاهب المسيحية فى الإسكندرية، فإن الكهنـة المصريين القدماء قاموا بتجميع المعلومات الطبية المختلفة فى ٢٢ مجلدا واحتوت سـتة كتب على علوم التشـريح والجراحة والطب النسـائى والأدوية وخلافه فيما عرف بكتب هرميس التى ذكرها جاليان ولم يعثر على أى أثر لها فيما بعد.

انتقلت إذا خلاصة معرفة المصرى الطبية إلى اليونان عن طريق الإسـكندرية ومنها إلى العالم الخارجى، ومازالت مؤثرات هذا العلم مؤكدة فى مجالات متعددة كما تم الإشارة إليه مسبقا.

وتبقى كلمات إيزيس لتغلف هذه الحضارة: «أيها العائد إلى الحياة، هيا، عد إلينا فى سلام يا أخى! عد لأراك يا ملك الوجه البحرى! يا حاكم الزمن اللانهائى! ليت قلبك لا يكون متعبا! هيـا عد إلى منزلك بلا خـوف... كن خالدا! كن خالدا! خالد هو اسمك، وأعضاؤك هى لك من جديد، فليكن حيا ومزدهرا وفى صحة طيبة... «يا أوزوريس إن كل ما تتفوه به كامل».

وانطلاقـا مـن مبدأ الخلود الذى آمن به المصرى منذ القدم، حقـق العلم هذا الخلود، فظلت الممارسـات الطبية قائمة يطورها البشـر وتعم الفائدة العلمية على السـلالة البشرية التى طورت دراسـات وبحوث الطبيب المصـرى الرائد فى هذا المجال مسـتخدما لتقنيات وأدوات محدودة مقارنـة بمـا هو متـاح حديثا. ولكن الأمـل معقود على مزيـد من الدراسـات للنواحى المختلفة مـن الطـب المصرى وتوثيقها والإفادة منها ليس فقط على المسـتوى المحلى، بل على المسـتوى الإنسانى العالمى.



المراجع

أولا: المراجع العربية:

١ – الطب المصرى القديم، د.حسن كمال، ١٩٩٨.

٢ – بسيونى، الفراعنة والطب الحديث. دار المعارف.

٣ – معجم أسماء النبات، أحمد بك عيسى.

٤ – تاريخ وحضارة مصر القديمة، أ.د. عبد الحليم نور الدين.

٥ – موسوعة مصر القديمة، سليم حسن.

٦ – نصــوص مقدســة ونصوص دنيوية من مصــر القديمة ترجمة ماهــر جويجلتى عن الترجمة الفرنسية لكلير لالويت.

٧ – عبد الرحمن الطب والصيدلة والكيمياء فى مصر القديمة، ١٩٣٩.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

1 – Immunomodulation Through Castor Oil Packs, Harvey Grady The Journal Of Naturopathic Medicine, Volume 7, Number

2 – The Edgar Cayce Handbook For Health Through Drugless Therapy By Dr. Harold J. Reilly And Ruth Hagy Brod A.r.e. Press, Virginia Beach, Va, Usa.

3 – TAKE CHARGE OF YOUR BODY – Women's Health Advisor by Dr. Carolyn DeMarco. The Well Women Press Winlaw, BC

4 – WISE WOMAN HERBAL FOR THE CHILDBEARING YEAR by Susun S. Weed Ash Tree Publishing Woodstock, New York, USA

5 – AVALON J., Imhotep, l'Esculape des Egyptiens, Aesculape, Paris, 1927

6 – Bardis, P., «Circumcision In Ancient Egypt », In Indian Journal History Of Medicine, 12, No1, 221967 ,23–.

7 – Breasted، The Edwin Smith Surgical Papyrus

8 – Medicine in Ancient Egypt، Dr.Sameh Arab.

9 - LECA, A.P., La Médecine égyptienne au temps des pharaons, Paris, 1983.

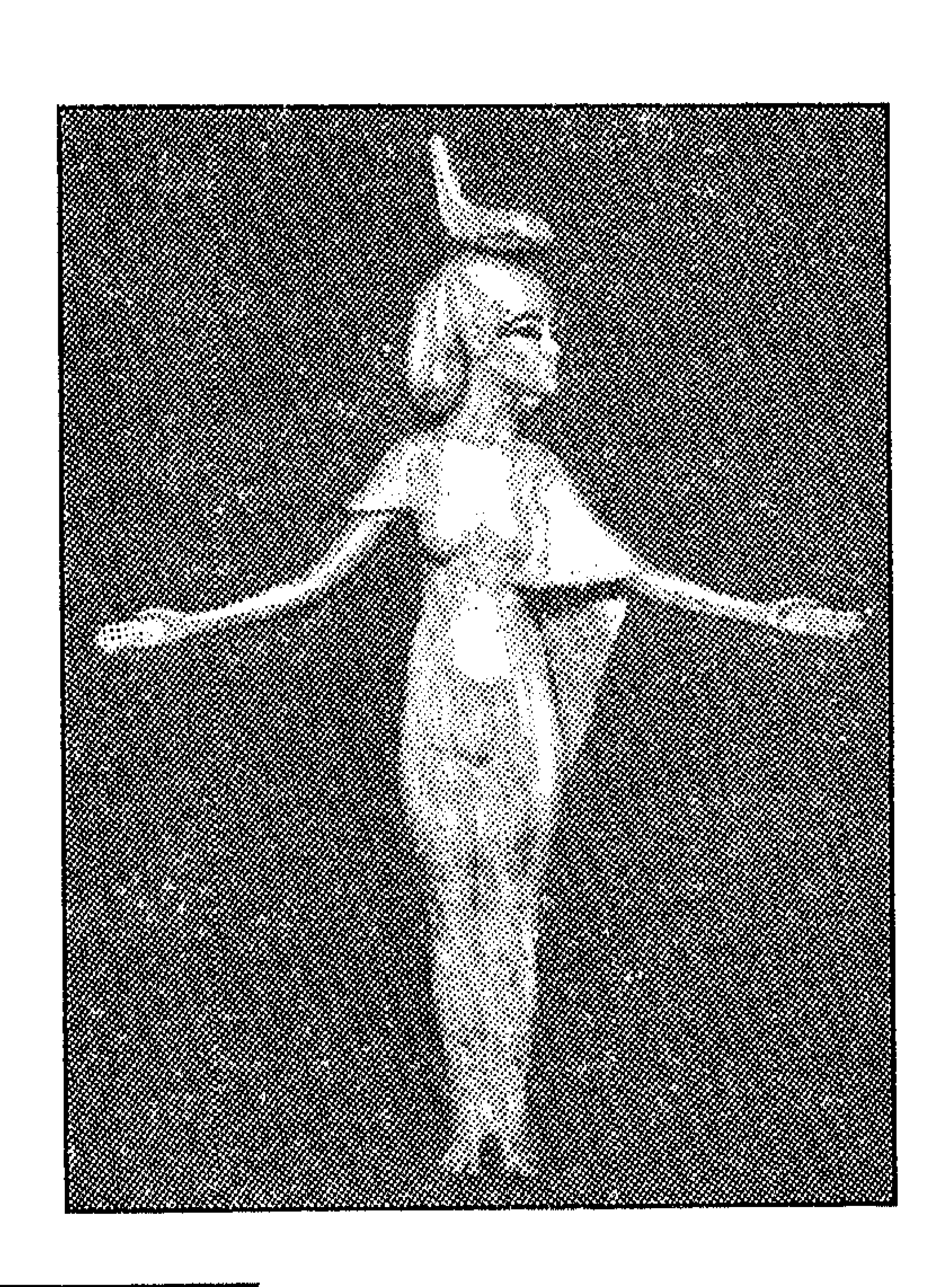
10 - Lefebvre, G., Essai Sur La Médecine Égyptienne De L'époque Pharaonique, Paris, 1956.

11 - EBEID N. I., Egyptian Medicine in the Days of the Pharaohs, Cairo, 1999

12 - GHALIOUNGUI, Paul, Health and Healing in Ancient Egypt, Cairo, 1965.

13 - GHALIOUNGUI Paul, The Physicians of Pharaonic Egypt, Cairo, 1983.

14 - KAMAL, Hassan, Ancient Egyptian Medicine, 2nd ed., Cairo, 1964 (in four volumes in Arabic)



الفهرس

تظل الحضارة المصرية القديمة غرفة سرية لاتبوح بمحتوياتها إلا لكل من دأب فى البحث عن مداخلها.. وهاهى "الفرعونة" نجلاء الزحلاوى تلج بابا من أبوابها العظيمة، لتكشف لنا عن الطبيب المصرى القديم والعصرى فى آن واحد؛ إذ يعرض كتابها للطب بمعناه الشامل من معرفة الداء ووصف الدواء والعلاج خلال العصور التاريخية القديمة... ما بين الطب التقليدى وطب الأعشاب والطب النفسى سنسبح فى رحلة مبهرة لعالم الفرعون/ الطبيب المصرى مسحورين ومأخوذين من هذا العبق التاريخى الذى امتدت آثاره لعصورنا الحديثة، ولنكتشف مع صفحات الكتاب أن علوم الأجداد المختلفة وخبرتهم العملية والتطبيقية فى مجال الطب والعلاج ستظل دائما مرجعا يفيض بأسراره وسحره كلما أردنا البحث عن الأساس والمنبع.. هذا الكتاب هو اختلاط العلم والسحر والدين فى منظومة الطب.. فاحرص عزيزى القارئ أن تشارك مؤلفة الكتاب رحلتها.

دار المعارف

٠٣٠٧١٢٩/٠١

